

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام

للقرآن الكريم

(المجلد الرابع)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم - المجلد الرابع
الطبعة الأولى: ١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

An Arabic rendering of

Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood ^{as} (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya
Muslim Community

Volume:4

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.alislam.org
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
ج	مقدمة الطبعة الأولى الأردنية
خ	مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة
١	تفسير سورة المائدة
١٢١	تفسير سورة الأنعام
١٨٣	تفسير سورة الأعراف
٢٦٩	تفسير سورة الأنفال
٢٩١	تفسير سورة التوبة
٣٣٣	تفسير سورة يونس
٣٦٧	تفسير سورة هود
٣٩٥	تفسير سورة يوسف
٤١٥	تفسير سورة الرعد
٤٣٥	فهرس المواضيع
٤٤٩	فهرس الآيات المفسرة



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مَواج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المُنزَّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمنيّ بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحى، ويُفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مُؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يحب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله ﷻ

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتیه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يحسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأثار بنوره الوضأ ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَيِّنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظللاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نلناها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك اللآلئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تحافت التهمة الداحضة التي افترها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسير المسيح الموعود عليه السلام المنشورة

في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أقفية هؤلاء الكذابين المكذّبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع أي التنزيل الحكيم كجواهر ثمّان ووُزودٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقيّته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيّ مُغرِقٍ في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبَيْلِ وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨ م.

وقد حظي تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخبير الجايي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بجهده في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّه ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأُنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ٧/٣/١٩٨٠م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.



بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبته من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرارٌ دفائنه. جمعتُ فيه أنواع المعارف وربّتها." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً فأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلّا ظلٌّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبرٍ، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخيرُ كُلُّه في القرآن".

(سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة المائدة



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

ومن جملة الحالات الطبيعية التي تلازم فطرة الإنسان حماسه لمواساة الخلق. إن الحماس للمواساة تجاه أبناء القوم موجود عند أهل كل دين كطبيعة فيهم، ومعظم الناس يظلمون غيرهم بدافع الحماس الطبيعي لمواساة قومهم، وكأنهم لا يعتبرون غيرهم أناسا مثلهم. ولكن هذه الحالة ليست خُلُقًا وإنما هي ثورة طَبِيعِيَّة، نلاحظها

-إذا أمعنا النظر- حتى في الغراب وغيره من الطيور، فلو مات غراب اجتمعت حوله غربان كثيرة. وإنما تُعدّ هذه العادات من الأخلاق الإنسانية إذا تصرف فيها الإنسان مراعيًا العدل والموضع الملائم، وعندئذ تتحول إلى خُلق عظيم يسمى في العربية "المواساة"، وفي الفارسية "همدردي". وإلى هذا الخُلق يشير الله بقوله: ﴿وَتَعَاوُنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ....﴾ أي يجب علينا إعانة قومنا ومواساتهم فيما هو خير وحسن، ويجب ألا نساعدهم أبدًا فيما هو ظلم واعتداء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠ ص ٣٦٣)

إن خلق الإنسان الظاهريّ وبنية يديه وقدميه كلها لدليل طبيعي على التعاون المتبادل. وما دام هذا المشهد موجودا في الإنسان نفسه، فمن المدهش أن يصعب على المرء فهم معاني قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوُنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾. (الحكم مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م ص ٦)

ينبغي أن يكون مبدأنا إعانة إخواننا الضعفاء وتقويتهم. لو كان هناك أخوان أحدهما يتقن السباحة والآخر يجهلها؛ فهل يليق بالأول أن يترك أخاه عندما يوشك على الغرق أم ينقذه؟ يجب عليه أن ينقذه من الغرق. لذلك ورد في القرآن الكريم: ﴿تَعَاوُنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ فاحملوا أوزار الإخوة الضعفاء، وشاركوهم للتخلص من ضعفهم العملي والإيماني والمالي، عالجوا ضعفهم الجسدي أيضا. لا تُعدّ الجماعة جماعةً ما لم يساند الأقوياء الضعفاء. والسبيل الأوضح لذلك هو ستر عيوبهم. وهذا ما علّمه الصحابة رضي الله عنهم أيضا بالألا تضجروا من تقصيرات حديثي الإسلام لأنكم أيضا كنتم ضعفاء مثلهم. كذلك ينبغي على الكبير أن يخدم الصغير ويعامله بحب ولطف. ألا لا تكون الجماعة جماعةً إذا كان بعضها يأكل بعضا، وإذا جلس بعضهم شكوا بعض إخوتهم الضعفاء وازدروهم وحقروهم ونظروا إلى الفقراء والضعفاء باستخفاف وازدراء. يجب ألا يحدث هذا مطلقًا. بل يجب أن يؤدي الاجتماع إلى القوة والوحدة

اللتين هما مجلبة الحب والبركات.... فلماذا لا نوسّع نطاق القوى الأخلاقية؟ وهذا يحدث عندما تعمّ المواساة والحب والعفو واللفظ، ويُقدّم الرحمّ والمواساة وعادة الستر على جميع التصرفات.

يجب ألا يُطش بالناس على أتفه الأمور فهذا يؤدي إلى جرح المشاعر والأذى. عندنا هنا مدرسة ومطبعة، ولكن هل هذه هي أهدافنا الأصلية أم أنّها خادمة لنيل غاياتنا...

إنما تتكون الجماعة إذا واسى بعضهم بعضاً وستر بعضهم عيوب بعض. وعندها يصبح أفراد الجماعة كجسد واحد ويصبح بعضهم جوارح بعض. ويحسبون أنفسهم أشدّ أخوة من الأشقاء... وقد ذكر الله تعالى الصحابة أيضاً بهذه النعمة والأخوة. لو أنفقوا الجبال ذهباً لما حققوا تلك الأخوة التي حققوها بواسطة النبي ﷺ. وعلى غرار ذلك قد أسّس الله هذه الجماعة ولسوف يرسى فيها الأخوة نفسها. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد ٢٤/٨/١٩٠٢ م ص ٢-٣)

إن نكات الضعف التي ترافق الإنسان في حياته دائماً تجعله محتاجاً إلى التمدن والتعاون. والحاجة إلى التمدن والتعاون أمر بديهي لا يمكن أن يعترض عليه عاقل. إن تكوين وجودنا نفسه يُثبت ضرورة التعاون. إن أيدينا وأقدامنا وغيرها من الأعضاء مثل الأذن والأنف والعين وقوانا الداخلية والخارجية مجبولة على أنه إن لم تساند بضعها بعضاً لا يمكن أن تجري أفعالنا مجرى الصحة قط بل تبقى أداة البشرية عاطلة. فالأمر الذي يتم بكلتي اليدين لا يمكن إتمامه بيد واحدة. والطريق الذي تقطعها قدمان لا يمكن أن تعبرها قدم واحدة. كذلك إن نجاحنا كلها يعتمد على تعاوننا المتبادل في أمور الحياة الدنيا والآخرة. هل من أحد يستطيع أن ينجز وحده أمور الدين أو الدنيا؟ كلا؟ لا يمكن أن يتم أمرٌ دينياً كان أم دنيوياً دون التعاون المتبادل. كل حزب كان هدفه واحداً مثل أعضاء جسم واحد لا يمكن أن يتم أمره

المتعلق بالهدف المشترك بأحسن وجه دون التعاون المتبادل. وخاصة كلما كانت الأمور الجليلة الشأن التي تكمن في غايتها المتوخاة فائدة عامة لا تتم إلا بتعاون الجمهور المتبادل إذ لا يمكن أن ينجزها شخص واحد قط. إن الأنبياء أكثر الناس توكلاً وتفويضاً وتحملاً ومجاهدات في أفعال الخير ومع ذلك اضطروا للقول ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٣ والصف: ١٥) مراعاة بالأسباب الظاهرية. لقد أمر الله تعالى بـ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ في قانون شريعته بتصديق من قانونه السائد في الطبيعة. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١ ص ٥١)

الآية ٤: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي لا تأكلوا لحم حيوان ميت أو ما ذبح باسم غير الله؛ أو ما مات اختناقاً أو بضربة أو بسقوط من مكان عال أو منطوحاً، أو افترسه أحد الضواري.. إلا إذا ذبحتموه قبل موته، أو ما ذبح لأجل صنم، فهذه الأشياء في حكم الميتة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

ههنا حكمة جديرة بالذكر، وهي أن الله عندما حرم الخنزير جعل في اسمه ما يشير إلى تحريمه أصلاً، لأن لفظ الخنزير مركب من كلمتين هما "الخنز" أي فاسد جداً، وكلمة "أر" وهي مشتقة من أرى، فيكون معنى الاسم المركب: "أراه فاسداً جداً". فالاسم الذي سمى الله به هذا الحيوان منذ الابتداء إنما يدل على خبثه. ومن المصادفات العجيبة أن اسمه في الهندية "سؤر"، وهذا أيضاً مركب من كلمتين: "سوء" و "أر" أي أراه سوءاً.

ويجب ألا يُستغرب من قولنا هذا فيقال كيف يمكن أن تكون الكلمة الهندية (سُور) عربية؛ ذلك أننا أثبتنا في كتابنا "من الرحمن" أن العربية هي أم الألسنة جميعها، وأن كلماتها توجد بالآلاف في جميع اللغات الأخرى.

إن كلمة "سُور" عربية ومرادفها في الهندية "بَدْ" ولهذا يُدعى الحيوان المذكور في هذه البلاد "بَدْ" أي سيئ أيضا. ويبدو أن الحيوان المذكور كان مشهورا في البلاد الهندية بالاسم العربي المرادف للخنزير حينما كانت العربية لغة العالم كله، ثم لم يزل فيها حتى الآن كأثر مذكور، وإن كان قد طرأ عليه في اللغة السنسكريتية من النحت والقلب ما غير شكله الأصلي. ولكن الاسم الصحيح الموضوع للحيوان هو ذلك الاسم لا غير، لأنه يشتمل على علة التسمية التي يدل عليها لفظ "الخنزير".

وأما معنى "فاسد جدا" فهو لا يحتاج إلى شرح. مَنْ ذا الذي لا يدري أن هذا الحيوان أشد حرصًا على النجاسات من جميع الحيوانات الأخرى، وأنه فوق ذلك وَقِحٌ دَيُوثٌ؟ والعلة في تحريمه ظاهرة وهي أن قانون الفطرة يقضي بأن تأثير لحم هذا الحيوان النجس الخبيث في الجسم والروح لا بد أن يكون تأثيرا خبيثا. وقد أثبتنا فيما مضى أن الأغذية تفعل فعلها في جسم الإنسان حتمًا، فهل بعد ذلك من شك في أن تأثير الخبيث خبيث؟ ولقد كان الأطباء اليونان قبل الإسلام أيضا يرون أن لحم هذا الحيوان يقلل من الحياء، ويزيد في الديوثية على وجه الخصوص.

والميتة أيضا لم تحرم في الشريعة الإسلامية إلا لأنها تصبغ أكلها بصبغتها، كما أنها تضر بالصحة الجسمية. ويدخل في حكم الميتة جميع الحيوانات التي يبقى دمها بداخلها عند الموت كالمنخنقة والموقوذة وغيرهما. وهل يمكن أن يبقى الدم على حالته الأصلية إذا بقي في بدن الميت؟ كلا، بل لا يلبث أن يفسد لרטوبته، ويسري فساده إلى سائر الجثة، كما أن خلايا الدم -التي ثبت وجودها بالفحوص العصرية- سوف

تبث في سائر الجسم عفونةً سامة جدا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٨-٣٣٩)

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... أي قد أوصلك إلى أعلى نقطة النجاح فخاب الكافرون. هل توجد في الإنجيل عبارة مثل هذه الآية؟ كلا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٦، عدد ١٧/٧/١٩٠٣ م ص ١٠)

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، أي قد أبلغت اليوم بإنزال هذا الكتاب علم الدين مبلغ الكمال وأتممت جميع نِعْمِي على المؤمنين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٢٢٧، الحاشية رقم ١١)

اليوم أبلغت علم الدين مرتبة الكمال وأتممت نعمتي على الأمة المحمدية. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٤٣٥-٤٣٦، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

ليس مذهبي أن القرآن ناقص ويحتاج إلى الحديث، بل الحق أن على رأسه تاج: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الذي لن يزول أبدا. وهو متربع على عرش: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٩٠) الواسع المرصع. لا نقص في القرآن الكريم قط، بل هو نزيه تماما من وصمة النقص والعيب. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٠٦)

القرآن الكريم يعلن أنه كتاب كامل، كما يقول بكل جلاء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية المجلد ٦، ص ٩٨)

لقد ادّعى كمال تعليمه في القرآن الكريم فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾. ثم شرح هذا الإكمال والمراد منه في موضع آخر فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴿إبراهيم: ٢٥-٢٨﴾ ... أي أن القول المتحقق والمدعوم بالأدلة مدعاة لتثبيت صاحبها في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضا...، فالذين يختارون الظلم يضلهم الله، أي أن الظالم لا ينال نصره على الهداية ما لم يطلبها بنفسه.

لاحظوا الآن أن السيد آثم اكتفى بالقول في شرح الآية: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾؛ لعلها تبدو متعلقة بأمور العشرة. وقد قبل أيضا أنه يجب ألا يُسْتَنْبَط من الآية معنى إلا ما بيّنه الكتاب الموحى به بنفسه، وأن شرح الكتاب الموحى به مقدّم على شروح أخرى. لقد بين الله تعالى في هذه الآيات أن كمال الكلام المقدس يعتمد على ثلاثة أمور. أولا: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أي أن تكون أصوله الإيمانية ثابتة ومتحققة، وبالغة درجة اليقين الكامل في حد ذاتها وأن تقبلها فطرة الإنسان لأن المراد من ﴿الْأَرْضِ﴾ هنا هو فطرة الإنسان كما يدل عليه لفظ ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ بصراحة تامة، ولن ينكره السيد آثم أيضا.

فملخص الكلام أنه يجب أن تكون الأصول الإيمانية متحققة ومنسجمة مع فطرة الإنسان. ثم يبين الله ﷻ العلامة الثانية للكمال في قوله: ﴿فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾. بمعنى أن الذين يرفعون أنظارهم إلى السماء أي يتدبرون في الكون تنكشف عليهم الحقيقة. وأن تكون فروع ذلك التعليم مثل بيان الأعمال، وبيان الأحكام، وبيان الأخلاق بالغة مرتبة كمال لا يُتَصَوَّر المزيد عليه. كما أن شيئا إذا بدأ من الأرض وبلغ عنان السماء فلا يُتَصَوَّر المزيد عليه.

والعلامة الثالثة للكمال التي بيّنها ﷻ هي: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي يجب أن تُعْطَى ثمارها دائما وألا يصير يوما من الأيام كشجرة يابسة خالية من الثمار والأزهار تماما.

لاحظوا الآن يا سادتي أن الله تعالى قد شرح بنفسه قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ بأن وجود هذه العلامات الثلاث فيه أمر محتوم. فقد بين هذه العلامات الثلاثة ثم أثبتتها أيضا. إن الأصول الإيمانية التي هي العلامة الأولى ويراد بها شهادة "لا إله إلا الله" قد ذكرت في القرآن الكريم مفصلة بحيث لو كتبت جميع الأدلة لما وسعتها بضعة أجزاء الكتاب أيضا، فسأكتب قليلا منها على سبيل المثال. يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٥) أي إن جميع الأشياء المذكورة هنا هي آيات على وجود الله وتوحيده وإلهامه وكونه مدبرا بالإرادة.

لاحظوا الآن كيف استدل الله جلّ شأنه على المبدأ الإيماني هذا بواسطة قانونه في الطبيعة أي بواسطة خلقه الذي يوجد في الأرض والسماء وبالتدبر فيهما يتبين بجلاء بحسب منطوق هذه الآية أن لهذا العالم خالقا أزليا وكاملا وواحدا لا شريك له ومدبرا بالإرادة ومرسل رسله إلى الدنيا. والسبب في ذلك أن جميع أنواع خلق الله وسلسلة نظام العالم الذي نراه بأمر أعيننا يوحي بجلاء أن هذا العالم لم يأت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسه بل له موجد وخالق، ومن صفاته الضرورية أن يكون رحمانا ورحيما ومدبرا بالإرادة وواحدا لا شريك له، أزليا وأبديا وجامعا لجميع الصفات الكاملة ومنزل الوحي أيضا.

والعلامة الثانية أي: ﴿فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، فيستطيع أن يراها الناظرون إلى السماء أي الذين يتدبرون قانون الطبيعة، ويجب أن يحتل هذا التعليم درجة عليا. إن جزءا من هذا الإثبات يتبين من الآية المذكورة آنفا لأنه ﴿وَعَجَّلَ بَيْنَ﴾ في القرآن الكريم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٢-٤) ومعناه أنه

جلّ شأنه ربّ العالمين جميعا وعلة العلل لكل أنواع الربوبية، وأنه "الرحمن" أيضا أي يعطي خلقه أنواع الآلاء والنعم دون أن يحتاج إلى أي عمل منهم. وهو "الرحيم" أيضا أي ينصر الذين يعملون الصالحات ويبلغ أهدافهم مبلغ الكمال. وهو "مالك يوم الدين" أيضا، أي في يده الأجر والعقاب فيعامل عباده كما يشاء. فله أن يعاقب العبد إذا شاء بما يناسب عمله السيء أو يهييء له أسباب المغفرة إذا شاء ذلك. وكل هذه الأمور تتبين بجلاء بالنظر إلى هذا النظام الذي أقامه الله جلّ شأنه.

ثم بيّن ﷺ العلامة الثالثة فقال: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي من علامات الكتاب الكامل أن الثمار التي يعد بإعطائها يجب ألا تبقى وعودا بحتة بل ينبغي أن تؤتي ثمارها كل حين وأن. وقد أراد الله من الثمار لقاءه جلّ شأنه مع كافة مستلزماته مثل البركات السماوية ومكالمات الله، والقبول والخوارق من كل نوع كما يقول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ عَقُورِ رَحِيمٍ﴾ (حم السجدة: ٣١-٣٣)... أي قد وجدتم الآن تلك الجنة، وبذلك بدأت حياة الجنة من الآن، ولكن كيف بدأت؟ فقال: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ..﴾، وفي كلمة "نزل" أشار إلى ثمرة ذكرت في الآية: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾.

لقد فاتني أن أذكر عن الآية: ﴿فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أمرا آخر وهو: ما المراد من كمال هذا التعليم نظرا إلى بلوغه أعلى درجات الارتقاء؟ فبيان ذلك أن كافة التعاليم التي جاءت قبل القرآن كانت مثل قانون خاص بقوم أو بزمان معين، ولم تملك قوة للإفادة العامة. أما القرآن الكريم فقد جاء لتعليم جميع الأقسام والأزمان وتكميلها. فيمكن القول على سبيل المثال أن تعليم موسى يتضمن تأكيدا شديدا على العقوبة والانتقام، كما يتبين من الفقرات مثل السن بالسن والعين بالعين. أما تعليم المسيح

ففيه تركيز شديد على العفو والصفح، ولكن كلا هذين التعليمين ناقص كما هو معلوم، إذا لا يفيد الانتقام دائما ولا ينفع العفو كل حين بل ينفع اللين في محله وتفيد القسوة في محلها المناسب كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤١)، أي الأصل في الموضوع أن جزاء السيئة سيئة مثلها ولكن الذي يعفو - وكانت نتيجته الإصلاح وليس الفساد، أي يكون العفو في محله المناسب وليس في غير محله - فأجره على الله، أي هذا هو الطريق الأحسن.

لاحظوا الآن، أيّ تعليم يمكن أن يكون أفضل منه إذ وضع العفو في محله والانتقام في محله. ثم يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل: ٩١) أي أن الله يأمر أن اعدلوا، بل تزيدوا على العدل وأحسنوا، بل ينبغي أن تزيدوا على الإحسان أيضا وعاملوا الناس باللطف كأثم ذوو القربى والأحباء لكم. يجب الانتباه إلى أن المراتب ثلاثة فقط. أولا: أن يعدل الإنسان، أي يتمي الحق مقابل الحق. وإذا زاد على ذلك فتليه مرتبة الإحسان. وإذا تقدّم على ذلك فيغض بصره عن المنّة أيضا ويواسي الناس بحبّ كما تواسي الأم ولدها بحماس طبيعي وليس بنية المنّة. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢٣-١٢٧)

إن بذل كل قوة - من القوى المذكورة آنفا التي أعطيت للإنسان - في سبيل الله في محلها وحسب مرضاة الله ورضوانه، وتحريك كل قوة بحسب مرضاة الله وابتغاء رضوانه وتسكينها أيضا حالة يسميها القرآن الكريم إسلاما. لأن الله ﷻ يقول في تعريف الإسلام في القرآن الكريم ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

^١ الوجه في اللغة العربية هو الثغر فلما كان الإنسان يُعرف ويتميز عن مئات الملايين من البشر بالوجه، لهذا فإن المراد من الوجه في هذه الآية مجازا ذات الإنسان وقواه التي يتميز بها عن الحيوانات الأخرى، فكان تلك القوى وجهه إنسانيته. منه

(البقرة: ١١٣) أي أنّ وقف الإنسان نفسه بكامل قواه في سبيل الله ﷻ ثم وصوله في معرفته إلى حد الإحسان، أي إزاحة حُجُب الغفلة، لدرجة كأنه يرى الله ﷻ؛ فهذا هو الإسلام حصراً. فلا نستطيع أن نصف أحداً بالمسلم إلا إذا نذر جميع قواه في سبيل الله ووظّفها في محلها امتثالاً لأوامره ﷻ بحيث لا تعمل أي قوة بحسب هواها. فالواضح أن الحياة الجديدة تُنال بالتغيير الكامل فقط. ويستحيل تحقّق التغيير الكامل إلا إذا خضعت جميع قوى الإنسان - التي تشكل لبّ إنسانيته ومغزاها - للطاعة الإلهية. أما إذا صارت جميع القوى خاضعةً لطاعة الله وبدأت تسير في خط الاستقامة بخواصها الطبيعية، فهذا الرجل سيُسمى مسلماً. إلا أن نجاح كل هذه القوى في مطالبها نجاحاً تاماً ونيلها الاعتدال المطلوب باختلافاتها تحت رداء رضوان الله ﷻ مستحيل ولا يمكن دون تعليمه الله وتأنيده. فكان من الضروري أن ينزل من الله في العالم كتابٌ يعلم العباد طريق الإسلام. فكما نرّوض حيواناتنا من خيول وحمير وثيران لنُظهر كفاءاتها الخفية، ونسبّرها بحسب مبتغانا، كذلك تماماً فإن الله يلتفت إلى طيبي الطبع لإظهار قواهم الطبيعية، ويُصلح الآخرين بواسطة أحد الكمل بإنزال الوحي عليه، لينصرفوا إلى طاعته. فهذه هي السُّنة الإلهية منذ القدم، ولقد ظل الله يعلم في كل زمن على الدوام طريق الإسلام بحسب كفاءات ذلك الزمن.

فلما كان الأنبياء السابقون يُبعثون إلى أمة معينة وفي بلد معين، كان تعليمهم بدائياً ومجماً وناقصاً، وقلماً كانت تطرأ الحاجة إلى الإصلاح بسبب قلة عدد القوم. فلما لم تكن شجرة الإنسانية قد أحرزت نموها الكامل، لذا كانت الكفاءات أيضاً ضئيلة ولم تكن تتحمل التعليم السامي، ثم جاء زمن تطورت فيه الكفاءات لكن الأرض امتلأت ذنوباً وسيئاتٍ وعبادة للخلق. وكان التوحيد الصادق والصالح الحق قد غاب عن الهند واختفى من عند المجوس واليهود والنصارى، وكانت جميع الأمم قد اندفنت تحت الضلال والتوائت النفسانية. ففي ذلك الزمن علّم الله العالم الإسلام

الكامل بإنزال القرآن الكريم على نبيه المقدس محمد المصطفى ﷺ. كان الأنبياء في الماضي يأتون إلى قوم معين وكانوا يعلمونهم بقدر كفاءاتهم فحسب، فلم يكونوا يعلمونهم تعاليم الإسلام التي لا يطبقونها، لهذا كان إسلامهم يظل ناقصا، ولهذا السبب لم يسم أي من تلك الأديان بالإسلام. أما الدين الذي جاء في العالم بواسطة نبينا المقدس محمد المصطفى ﷺ، فكان يستهدف إصلاح العالم بأسره، ويتوخى التعليم الموافق لجميع الكفاءات، لذا صار هذا الدين هو الأكمل والأتم مقارنة مع الأديان الأخرى. وهو وحده سمي بالإسلام بصفة خاصة، ووصف الله هذا الدين وحده بالكمال، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. ولما لم تكن الأديان السابقة كاملة وكانت على شاكلة قوانين تخص قوما معينة أو زمنا معينة فلم يسمها الله ﷻ بالإسلام، وكان يتحتم كذا. لأن أولئك الأنبياء لم يُبعثوا إلى جميع الأقوام، بل كان كل واحد قد بُعث إلى قومه خاصة، وكانوا يهتمون بإصلاح السيئة المتفشية في قومهم، ولم تكن مهمتهم إصلاح جميع فروع الإنسانية؛ لأنهم كانوا يعالجون قوما معينة فقط مصابا بأمراض ومشاكل معينة، وكانت قدراتهم أيضا ناقصة، وقد بقيت كتبهم أيضا ناقصة. ذلك لأن أهداف التعليم انحصرت في أقوام معينة، أما الإسلام فجاء للعالم بأسره ولكافة الكفاءات، وكان القرآن يُهمه الإصلاح الكامل للعالم كله بمن فيهم العامة والخواص والحكماء والفلاسفة؛ لهذا عالج القرآن الكريم جميع قوى الإنسانية وأراد أن تكون جميع قوى الإنسان فداء لله ﷻ. وذلك لأن القرآن الكريم يستهدف إصلاح جميع كفاءات الإنسان ويتوخى إصلاح كل كفاءة. ولهذا السبب وحده جعل نبينا ﷺ خاتم النبيين، لأنه قد تحققت على يديه ﷺ جميع المهمات التي لم تتحقق على يد أي نبي سابق. فلما كان القرآن الكريم يخاطب جميع كفاءات البشر وكان قد أنزل لإصلاح العالم بصفة عامة، لهذا يحيط بجميع جوانب الإصلاح. ولهذا

سمي دينُ القرآن الكريم الإسلامَ، ولم يَحْزُ أي دين آخر لقب الإسلام؛ لأن جميع تلك الأديان كانت ناقصة ومحدودة. باختصار؛ إذا كانت هذه هي حقيقة الإسلام فلا أحد من العقليين يشعر بأي عار من أن يسمى مسلماً. غير أن دعوى الإسلام أعلنها هذا الدين القرآني وحده، وهو الذي قدم الدلائل على هذه الدعوى العظيمة، فالقول بأني لست مسلماً يساوي التصريح بأن ديني ناقص. (القول الحق، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٢٧١-٢٧٤)

أي كتاب ننتظر بعد هذا الكتاب الكامل، الذي تكفل بالإصلاح البشري بأجمعه، ولم يخص قوماً دون قوم كالصحف الأولى بل توخى إصلاح الأمم كلها وبين ما يخص التربية البشرية بكل درجاتها.. وعلم المتوحشين الآداب الإنسانية ثم -بعد أن جعلهم أناساً- أرشدهم إلى الأخلاق الفاضلة؟ إن القرآن وحده هو الكتاب الذي أحسن إلى العالم بأن مَيَّز بين الحالات الطَّبِعية والأخلاق الفاضلة.. وأخرج الإنسان من الحالات الطَّبِعية إلى ذروة الأخلاق السامية، ولم يكتف بذلك، بل قطع المرحلة الباقية.. وهي الوصولُ إلى مقام الحالات الروحانية. فقد فتح لذلك أبواب المعرفة الحقيقية، ولم يفتح الأبواب المؤدية إلى ذلك المقام فحسب، بل لقد أوصل إليه مئات الآلاف من البشر. وهكذا وضَّح بكل روعة وجمال الأقسام الثلاثة من التعاليم التي سبق ذكرنا لها. وبما أن القرآن جامع تماماً لجميع التعاليم الضرورية للتربية الدينية، لذلك أعلن أنه أكمل دائرة التعليم الديني فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي أن منتهى الكمال الديني يتمثل في معنى الإسلام، أي أن يكون الإنسان لله وحده.. وأن يبتغي نجاته بالتضحية بنفسه لا بأي طريق آخر، ثم ينفذ هذه النية والإرادة بالعمل. هذه هي النقطة التي تنتهي إليها الكمالات كلها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٦٧-٣٦٨)

... ثم اعترض أنه ما دام الدين قد بلغ الكمال وتمت النعمة فلم تعد هناك حاجة إلى مجدد ولا إلى نبي. ولكن من المؤسف أن المعارض بقوله هذا قد اعترض على القرآن نفسه لأن القرآن الكريم وعد بوجود الخلفاء في هذه الأمة كما سبق ذكره، وقال بأن الدين سيتمكن في عهدهم ويزول التزلزل والتذبذب، وسيُبدل الخوف أمنا. فلو لم يصح أي شيء بعد اكتمال الدين لبطلت الخلافة أيضا التي امتدت إلى ثلاثين سنة بحسب زعم المعارض لأنه ما دام الدين كان قد بلغ الكمال فلم تكن هناك حاجة إلى أحد. ولكن من المؤسف أن المعارض الجاهل قدّم الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بغير وجه حق. متى قلنا بأن المجددين والمحدثين بمجيئهم إلى الدنيا ينقصون في الدين شيئا أو يزيدون، بل نقول إنه حينما يتراكم غبار الأفكار الفاسدة على التعليم المقدس بعد مرور الزمان ويحتفي وجه الحق الصراح يأتي المجددون والمحدثون والخلفاء الروحانيون لإراءة ذلك الوجه الجميل. لا أدري من أين ومن سمع المعارض المسكين أن المجددين والخلفاء الروحانيين يغيّرون شيئا في الدين أو ينسخونه بعد مجيئهم إلى الدنيا. كلا، لا يأتون لنسخ الدين بل يأتون لإراءة لمعانه وبريقه. أما شبهة المعارض بأنه ما الحاجة إليهم، فقد نشأت لسبب وحيد هو أنه ليس لديه أدنى اهتمام بدينه، ولم يفكر قط ما الإسلام، وما المراد من ازدهاره، وكيف وبأية سبل يمكن أن يتحقق ازدهاره، ومتى يمكن أن يُعتبر أحدٌ مسلما على وجه الحقيقة. فلهذا السبب يرى المعارض في وجود القرآن الكريم ووجود العلماء كفاية، وأن قلوب معظم الناس راغبة في الإسلام تلقائيا فلا حاجة إلى مجدد. ولكن من المؤسف حقا أن المعارض لا يدرك أن هذه الأمة تحتاج إلى المجددين والخلفاء الروحانيين كالحاجة إلى الأنبياء منذ القدم. لا يسع أحدا أن ينكر أن موسى عليه السلام كان نبيا مرسلا وكانت توراته كاملة لتعليم بني إسرائيل. كما هناك آية في القرآن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ كذلك توجد في التوراة أيضا آيات تفيد أن بني إسرائيل أعطوا كتابا كاملا

وجلاليا اسمه التوراة- هذا ما وصف به القرآن أيضا التوراة- ومع ذلك جاء بعد التوراة مئات الأنبياء في بني إسرائيل بغير كتاب جديد، وكان الغرض من مجيئهم دائما أن يعيدوا مجددا إلى تعليم التوراة الحقيقي من ابتعدوا عن تعليمها في زمنهم، وليهبوا إيماننا حيا للذين تطرقت إلى قلوبهم الشبهات والإلحاد. فيقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ (البقرة: ٨٨) ليؤيدوا تعليم التوراة ويصدّقوها. ويقول في آية أخرى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ (المؤمنون: ٤٥). يتضح من هذه الآيات أن من عادة الله المستمرة أن يُنزل كتابه ثم يرسل رسله حتما ليؤيدوه ويصدّقوه. فقد جاء لتأييد التوراة في زمن واحد قرابة أربع مائة نبي ولا يزال الكتاب المقدس يشهد على مجيئهم. (شهادة القرآن الخزان الروحانية، المجلد ٦ ص ٣٣٩-٣٤١)

"وأما ذكر نزول عيسى بن مريم فما كان لمؤمن أن يحمل هذا الاسم المذكور في الأحاديث على ظاهر معناه، لأنه يخالف قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١). ألا تعلم أن الرب الرحيم المتفضل سمى نبينا ﷺ خاتم الأنبياء بغير استثناء، وفسره نبينا في قوله لا نبي بعدي بيان واضح للطالبين؟ ولو جوّزنا ظهور نبي بعد نبينا ﷺ لجوّزنا انفتاح باب وحي النبوة بعد تغليقها، وهذا خُلفٌ كما لا يخفى على المسلمين. وكيف يجيء نبي بعد رسولنا ﷺ وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله به النبيين؟ أعتقد بأن عيسى الذي أنزل عليه الإنجيل هو خاتم الأنبياء، لا رسولنا ﷺ؟ أعتقد أن ابن مريم يأتي وينسخ بعض أحكام القرآن ويزيد بعضا، فلا يقبل الجزية ولا يضع الحرب، وقد أمر الله بأخذها وأمر بوضع الحرب بعد أخذ الجزية؟ ألا تقرأ آية: ﴿يُعْطُوا الْجُزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩) كيف ينسخ المسيح محكمات الفرقان؟ وكيف يتصرّف في الكتاب العزيز ويطمس بعض أحكامه بعد تكميلها؟ فأعجبني أنهم يجعلون المسيح

ناسخ بعض أحكام الفرقان ولا ينظرون إلى آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ولا يتفكرون أنه لو كانت لتكميل دين الإسلام حالة منتظرة يُرجى ظهورها بعد انقضاء ألوف من السنوات، لفسد معنى إكمال الدين والفراغ من كماله بإنزال القرآن، ولكان قول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ من نوع الكذب وخلاف الواقعة، بل كان الواجب في هذه الصورة أن يقول الرب تبارك وتعالى إني ما أنزلت هذا القرآن كاملاً على محمد ﷺ بل سأُنزل بعض آياته على عيسى بن مريم في آخر الزمان، فيؤمنذ يكمل القرآن وما كمل إلى هذا الحين". (حماسة البشري، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٠-٢٠٢)

دُعي النبي ﷺ إلى مولاه من هذا العالم بعد أن أنجز مهمته على أكمل وجه، فهذا ما يثبت من القرآن الكريم جيداً، كما يقول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ أي قد أكملت لكم دينكم بإنزال القرآن الكريم وإكمال النفوس وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً. فملخص القول إن القرآن الكريم قد نزل بقدر ما كان مقدراً نزوله، وقد أحدث في القلوب المستعدة تغييرات مذهلة ومثيرة للعجب، وأوصل أمر التربية إلى الكمال وأتم عليهم نعمته. وهذان الجانبان مهمان، وهما يمثلان العلة الغائية من بعثة أي نبي، انظروا الآن بأي قوة تؤكد هذه الآية أن النبي ﷺ لم يغادر هذا العالم ما لم يُكمل دين الإسلام بتنزيل القرآن الكريم وتكميل النفوس^١، وهذه علامة خاصة لكونه من الله ولا يُمتنع به الكاذب قط، بل لم يقدّم أي نبي صادق قبل النبي ﷺ مثل هذا

^١ حاشية: لقد خاطب الله الصحابة في القرآن الكريم قائلاً: إني "أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي" ولم يقل في الآية: "أيها النبي! اليوم أكملت القرآن" فالحكمة في ذلك أن ينكشف أنه لم يُكمل القرآن الكريم فقط بل قد كُمل أولئك الذين بُغوا القرآن وبلغت الغاية من الرسالة كمالها. منه.

الكمال الرائع العظيم بحيث اكتمل كتابُ الله من ناحية بحدوء وسلام، واكتملت النفوس من ناحية ثانية بالإضافة إلى إصابة الكفر بهزيمة شاملة وتمكين الإسلام من الفتح في كل مجال. (نور القرآن الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٤٢-٣٥٤)

أراد الله تعالى أنه كما حدد اليوم السادس لتحقيق مماثلة النبي ﷺ بآدم عليه السلام لتكميل الهداية القرآنية، أي يوم الجمعة، وأنزل في اليوم نفسه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، كذلك حدد الألف السادس لتكميل نشر الهداية، الذي هو اليوم السادس بحسب تصريح آيات القرآن الكريم.

الآن أذكر مرة أخرى أن النبي ﷺ نفسه كان موجودا في العالم في يوم تكميل الهداية. وذلك اليوم، أي يوم الجمعة الذي هو اليوم السادس، كان سارا جدا للمسلمين حين نزلت الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، وإن القرآن الكريم الذي هو آدم جميع الكتب السماوية وجامع لجميع معارف الكتب السابقة ومظهر لجميع الصفات الإلهية، قد أظهر نفسه الغالية في اليوم السادس أي يوم الجمعة على وجه أتم وأكمل كآدم؛ كان هذا يوم تكميل الهداية. أما يوم تكميل النشر والتبليغ فلم يكن ليجتمع مع هذا اليوم، لأنه لم تكن قد ظهرت بعد الوسائل التي تربط العالم كله بالعلاقات وتسهّل على المسافرين السفر البري والبحري وتهيئ الآلات للكتابة السريعة لعدد هائل من الكتب الدينية التي يمكن أن توزع في العالم. كما لم يكن الإنسان قد تمكن من علوم اللغات المختلفة، ولم تكن جميع الأديان المتنافسة قد اجتمعت في موضع علنا. لهذا فإن النشر الحقيقي الذي يمكن تحقيقه بإتمام الحجة على كل قوم، ويصل إلى كل بلد، لم يكن له أي وجود، ولم تكن حتى وسائل بسيطة للنشر متوفرة. لهذا قد حدد العلم الإلهي زمنا آخر لتكميل النشر، الذي كانت وسائل التبليغ الكامل متوفرة فيه، وكان من الضروري أنه كما تحقق تكميل الهداية على يدي النبي ﷺ أن يتحقق تكميل نشر الهداية أيضا بواسطته

ﷺ، لأن هاتين المهمتين كليتهما كانت موكولة إلى النبي ﷺ نفسه. فلما كان خلوده لهذه المدة مستحيلا بحسب سنة الله حتى يجد ذلك الزمن الأخير، كما كان ذلك الخلود سبيلاً وسيلةً لانتشار الشرك، لهذا قد حقق الله ﷻ مهمة النبي ﷺ هذه الموكولة إليه بواسطة أحد أفراد الأمة الذي كان كأنه جزء من وجود النبي ﷺ من حيث الملامح والروحانية. أو يمكن أن تقولوا كأنه هو نفسه، وكان شريكا في اسمه ظليا في السماء. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٥٨-٢٥٩) لم يصدر القرآن أي بيان للتصالح مع التوراة والإنجيل، بل إنه يصف هذه الكتب بأنها محرّفة ومبدلة وناقصة غير كاملة، واستأثر بتاج: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. ونحن نؤمن بأن كل هذه الكتب، أي التوراة والإنجيل ليست لها أية قيمة مقابل القرآن وأنها ناقصة ومحرّفة ومبدلة. الخير كله في القرآن. (دافع البلاء، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٣٩)

من الثابت المتحقق أن القرآن الكريم أدّى حق إكمال الدين على أحسن وجه كما يقول بنفسه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. إذن، لا يوجد لكتاب بعد القرآن الكريم موطئ قدم، لأنه قد بين كل ما كان البشر بحاجة إليه. أما الآن فلم يبق مفتوحا إلا باب المكالمات الإلهية فقط. وهذا الباب أيضا ليس مفتوحا تلقائيا بل المكالمات الصادقة والطاهرة المنصبة بصبغة النصر الإلهية بكل صراحة ووضوح وتشمل أموراً غيبية كثيرة تُنال بعد تزكية النفس واتباع القرآن الكريم واتباع النبي ﷺ فقط. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٠)

ولسوف يقبل كل عقل سليم أن مرحلة كمال الإصلاح تأتي بعد كمال الفساد. إذ لا يليق بالطبيب أن يعطي الأصحاء والمعافين أدوية يجب إعطاؤها عند شدة المرض. لذلك فقد قال الله تعالى في القرآن أولا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

(الروم: ٤٢) أي قد انتشر الفساد في العالم كله، وطغى طوفان كل أنواع الذنوب والمعاصي. ثم أعطى ﷻ تعاليم كاملة عن كافة أنواع سوء الاعتقاد وسوء العمل وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤) ولكن كيف كان ممكنا أن يُعطى الناس كتابا كاملا في الزمن الابتدائي حين لم يكن طوفان الضلال هائجا؟ (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٤٧-١٤٨)

ليكن معلوما أنه لا بد من وجود نوعين من الانتصار لإثبات صدق أي دين.. أي كونه من الله.

أولا: أن يكون ذلك الدين -من حيث معتقداته وتعاليمه وأحكامه- جامعا، وهو الأكمل والأتم وبعيدا عن النقص بشكل يعجز العقل أن يتصور أكثر منه أو يثبت أي نوع من العيب أو النقيصة فيه. وأن يكون منتصرا على كل دين من حيث هذا الكمال، بمعنى ألا يساويه دين من الأديان في هذه المزايا، كما أعلن القرآن الكريم بنفسه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي يجب أن تتمسكوا بالحقيقة التي تتضمنها كلمة "الإسلام" والتي فسرها الله تعالى بنفسه عن كلمة "الإسلام". فمن هذه الآية يتبين بصراحة أن القرآن الكريم وحده الذي أعطى تعليما كاملا، وأن عصر القرآن الكريم كان جديرا بأن يعطى فيه تعليم كامل. فإعلان التعليم الكامل الذي قام به القرآن الكريم كان من حقه هو فقط، ولم يعلن أي كتاب سماوي آخر مثل هذا الإعلان. وكما هو واضح لدى القراء أن كلا من التوراة والإنجيل قد انسحب من هذا الإعلان لأنه قد ورد في التوراة قول الله تعالى: أَقِيمُ هُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَائِلُهُ.

واضح أنه لو كان تعليم التوراة كافيا نظرا إلى حاجات الأزمنة المقبلة لما كان هناك حاجة لبعثة أي نبي آخر، بل لاقتصر الخلاص من مؤاخذه الله على اتباع

الكلام النازل عليه. كذلك لم يدع الإنجيل قط أن تعليمه كامل وجامع بل أقر بكل وضوح وجلاء: أَنِّي لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَن تَحْتَمِلُوا الْآنَ * وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، الْفَارْقَلِيطُ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ.

لا بد من الانتباه هنا إلى أن موسى ﷺ أمر بالتوجه إلى تعليم النبي المقبل معترفًا بنقص كتابه التوراة. كذلك اعترف عيسى ﷺ أيضا بالنقص في تعليمه معتذرا بأنه لم يحن الموعد لإعطاء التعليم الكامل، ولكن حين سيأتي "الفارقليط" سيبين التعليم الكامل. ولكن القرآن الكريم ما وجه إلى غيره مثل التوراة والإنجيل بل أعلن للعالم كمال تعليمه فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. من هنا يتبين أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي أعلن كمال تعليمه. وسأبين في حينه أن القرآن الكريم كما قام بالإعلان، كذلك فقد أثبت صدق إعلانه، وقدم تعليمًا كاملاً لم تستطع التوراة ولا الإنجيل تقديمه. إذًا فإنه لدليل قوي لإثبات صدق الإسلام بأنه منتصر على كل دين من حيث التعليم، وليس لدين أن يبارزه من حيث كمال التعليم. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣-٥)

أود أن أقول مرة أخرى عن ختم النبوة إن أكبر معاني خاتم النبيين إنما هو أن الله تعالى بدأ أمر النبوة من آدم ﷺ وختمها على النبي ﷺ. هذا هو المعنى الظاهر البين. والمعنى الثاني لختم النبوة هو أن دائرة كمالات النبوة انتهت على النبي ﷺ. الحق والحق أقول إن القرآن الكريم قد أكمل الأمور الناقصة وختمت النبوة، وصار الإسلام مصداقاً لقول الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١، عدد ١٠/١٨٩٩ م ص ٨-٩)

لقد أعطي سيدنا أبو بكر ﷺ من فهم القرآن الكريم بأن الرسول ﷺ لما قرأ قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أخذ أبو بكر في

البكاء. فقال له قائل: لماذا يبكي هذا العجوز؟ فأجابه أبو بكر: إني أشتم رائحة وفاة النبي ﷺ من هذه الآية. يكون أنبياء الله تعالى كالحكام، وكما أن المسّاح المسؤول عن تحديد الأراضي إذا أكمل مهمته في منطقة غادرها، كذلك يغادر الأنبياء هذه الدنيا بعد إكمال المهمة المنوطة بهم. فلما رُفع صوت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أدرك أبو بكر ﷺ أن هذا هو النداء الأخير. وهذا يدل دلالة بينة على أن أبا بكر كان ذا فهم عظيم. (الحكم، مجلده ٥، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠١ م ص ٢)

المشهد الذي نراه في حياة النبي ﷺ المباركة والناجحة يتمثل في أنه جاء لإنجاز مهمة، ولم يرحل من الدنيا إلا بعد إتمامها. فكما أن المسّاحين المسؤولين عن تحديد الأراضي يقومون بإعداد أوراقهم وتقديم تقريرهم النهائي بعد خمس سنوات ثم يرحلون، كذلك نجد حياة رسول الله ﷺ. فلو أجلنا النظر في حياته ﷺ منذ أن سمع نداء الله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر: ٣)، إلى اليوم الذي جاءه فيه نداء: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ (النصر: ٢) و﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نجده قد أحرز نجاحًا لا مثيل له... وعلى النقيض، انظروا إلى النجاح العظيم الذي حققه نبينا ﷺ، فقد أعلن أنه جاء لإنجاز مهمة، ثم لم يغادر الدنيا ما لم يسمع نداء الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٦، عدد: ٢٤/٧/١٩٠٢، ص ٧-٨)

إن حياة النبي ﷺ لأكبرُ برهان على صدق نبوته. فهل من متأمل في هذا الأمر؟ أعني قد بعث الله النبي ﷺ حين كان الظلام مخيما على العالم كله، وقد أبقاه حيًّا إلى أن سمع نداء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ورأى الناس يدخلون في الإسلام أفواجا. باختصار، هناك أوجه كثيرة من هذا القبيل لتسمية نبينا بمحمد ﷺ. (الحكم، مجلده ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١ م ص ٣-٤)

أسأل هؤلاء المعارضين الذين يُسمّون مشايخ كبارا وأصحاب الزوايا والأسر العريقة في التصوف: إذا كان ما اختلقتم من عند أنفسهم من صلوات وأوراد

ومجاهدات كالتعلُّق رأسًا على عقب هو الوسيلة الحقيقية لمعرفة الحق، فكيف غابت هذه الأعمال عن رسول الله ﷺ؟ إنني لأستغرب أنهم من ناحية يقرأون في القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٤)، ومن ناحية أخرى يريدون أن ينقضوا بواسطة اختراعاتهم وبدعاتهم هذا الإكمال ويثبتوا أنه ناقص. (جريدة بدر، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢ م ص ٥)

الذي تكون علاقاته قوية ومتينة مع الله، ويكون حائزا على درجة الفناء في الله، تصدر منه أحيانا معجزات خارقة للعادة تتضمن نموذج القوة الاقتدارية، ويظن الناس لسوء فهمهم وضعفهم: لعله إله! ففي حالة الشهود تصبح معظم الأمور بحسب مرضاتهم، كما وصف الله تعالى أفعال النبي ﷺ بأنها فعله، وسمع ﷺ صوت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ و ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢ م ص ٨)

فليحدّد في المناظرة مبدأ أن القرآن الكريم مقدّم، ويجعل الفريق الثاني يسلم بهذا المبدأ نفسه فيجب أن يقال لهم بأن أفضلية القرآن مسلم بها عند الفريقين، فاحكموا به في بقية الأمور. إذا كان المدار كله على الأحاديث فما الحاجة إلى القرآن الذي يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢ م ص ١٨)

الإسلام دين قد أخضع بقدمه جميع الأديان أمامه. بدأ الإسلام من بلد كان سكانه يعيشون كالوحوش والسباع وكانوا يرتكبون أنواع السيئات والذنوب، فأخرجهم الإسلام من البهيمية إلى الإنسانية. تلقى المعارضة من كل جهة، إذ لم يدّخر الناس جهدًا في المعارضة والمعادة ومع ذلك تحققت جميع المهمات التي بدأها النبي ﷺ ولم يستطع أي إنسان إلحاق أي ضرر به حتى صدر النداء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ١١، عدد ٣/٤/١٩٠٣ م ص ٨٢)

نحن نقبل الإحياء الإعجازي، أما القول بأن ميتاً عاد إلى الحياة وجاء إلى بيته وعاش عمراً فباطلٌ تماماً، لأنه لو حصل ذلك لكان القرآن ناقصاً، إذ لم يبين المسائل عن ميراث مثل هذا الإنسان، فما معنى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١٩٠٣/٥/١ م ص ١١٦)

هل كان أهل الرأي في الزمن الذي بعث فيه النبي ﷺ يرون بحقه هذا الرأي؟ فمن ذا الذي كان يوقن بأن الفقير (أي النبي ﷺ) الذي لا يملك قوة ولا شوكة ولا جيشاً ولا مالا وهو يواجه المعارضة من كل النواحي، سوف يفوز حتماً، وأن وعوده بالفتح والنصر والازدهار ستتحقق لا محالة. لكن مع خيبة الأمل نشأ الأمل، وتحققت جميع الوعود، ونال شهادة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ١٩٠٤/٣/٨ م ص ٤)

كان الصحابة كلهم أهل الله وعاقلين، ولكن النبي ﷺ كان أكثرهم إخلاصاً ووفاء لدرجة لا يمكن لأحد أن يتصورها. لذلك أرى فلاة فيها الأفاعي والضواري والأشواك والسباع والحيوانات في صورة أناس. وقد سُلم إليه ﷺ بلد لم يكن في العالم أكثر شراً من أهله، وبُعث في زمن حين كان الناس كلهم كالأموات وبؤرةً للفساد، حيث قال ﷺ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الروم: ٤٢) وتوفي حين قال الله عنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال أيضاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ٢) هذا ما يسمى معجزة. ومن هنا يتبين كم كان النبي ﷺ يتحلى بحب الله وقوة الجذب. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤ م ص ٨)

هكذا هي ثمرات الإسلام أيضاً، ولكن إذا لم يُرد أحد أن يأكلها فما خطأ الإسلام في ذلك؟ فمثلاً لو وصف الطبيب وصفة ولم يتناولها المريض فلا خطأ للطبيب في ذلك قط. هذه نعمة عظيمة في الإسلام ولا توجد في أيّ دين آخر. هذا ما أشار

الله ﷻ إليه في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ إن نوال هذه النعمة مستحيل ما لم يتقدم المرء إليها. والمؤسف أن معارضينا ليسوا منتبهين إلى هذه النعمة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٥ م ص ٦)

إذا كانت الأيام قليلة أيضاً، ولكن تمضي في رضا الله تعالى فيها ونعمت. البلد الذي سكنه عيسى عليه السلام امتدت حياة رسالته فيه إلى ثلاث سنوات ونصف فقط. أما زمن نبوة النبي ﷺ فقد امتد إلى ٢٣ عاماً. ولكني أعرف جيداً أنه لا يشارك النبي ﷺ أحد في سعادته؛ فلم يحظ أحد غيره بهذا القدر من النجاح والسعادة في أمور الرسالة. لقد ذكر الله تعالى وقت بعثه قائلاً: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الروم: ٤٢)، أي لم يكن البر آمناً ولا البحر. المراد من ذلك أن أهل الكتاب وغيرهم كانوا قد فسدوا كلهم، وانتشرت فيهم المفاصد والمثالب بكل أنواعها. كانت حالة الزمن تقتضي بالطبع أن يُبعث فيه هادٍ ومصلح عظيم. فبعثه الله تعالى في هذه الحالة. ثم رحل من الدنيا بعد أن سمع نداء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ولم يسمع أي نبي غيره هذا النداء. يروى أنه عندما نزلت هذه الآية بكى أبو بكر رضي الله عنه فقال له أحد الصحابة ما بك أيها العجوز؟ هذا يوم فرحة وسعادة فما أبكاك؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: إنك لا تدري، وإنني أستشف من هذه الآية وفاة النبي ﷺ. إن فراسة أبي بكر رضي الله عنه كانت حادة جداً ففهم أنه لما أنجزت المهمة فلا فائدة من البقاء هنا. من المعلوم أنه عندما يُرسل موظف إلى محافظة ما لتدبير أمورها يبقى فيها ما لم يُنجز مهمته، وعندما تنتهي المهمة يُرسل إلى مكان آخر. كذلك جرت سنة الله مع المرسلين. عندما سُئل النبي ﷺ عن ذلك قال: لقد صدق أبو بكر، ثم قال ما معناه: لو كنت متخذاً أحداً خليلاً في الدنيا لاتخذت أبا بكر رضي الله عنه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٣، عدد ١٠/١٢/١٩٠٥ م ص ٣)

إن ضرورة بعثة النبي ﷺ واضحة وجلية لا يوجد نظيرها في زمن أي نبي آخر. انظروا الآن إلى الجزء الثاني، فلم يمت النبي ﷺ ما لم يسمع صوت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. وما لم يشهد بأمر عينيه مشهد: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ٢-٣) لا توجد عبارة مثل هذه الآية في التوراة ولا في الإنجيل. إن حال التوراة هي أن موسى ﷺ مات في الطريق ولم يستطع أن يدخل القوم في الأرض الموعودة. أما عيسى ﷺ فقد قال بنفسه بأن هناك أموراً أخرى كثيرة جديدة بالبيان. هل قال القرآن الكريم شيئاً مماثلاً؟ بل جاء فيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾. أما تكميل الصحابة الذي قام به النبي ﷺ فهو واضح من قول الله تعالى بحقهم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ (الأحزاب: ٢٤)، وقال أيضاً: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البينة: ٩)، أما صفات حواربي المسيح التي ذكرت في الإنجيل فيعرفها الجميع إذ وُصفوا فيه مراراً بالطماعين وضعفاء الإيمان. وحالتهم العملية هي أن أحدهم سلم المسيح ليُقبض عليه مقابل ثلاثين درهماً، وآخر لعنه قدامه. قولوا عدلاً وإنصافاً ما هذا التكميل؟ ومقابل ذلك نرى القرآن الكريم زاخراً بمدح الصحابة وقد كملوا لدرجة لا نظير لهم في أي قوم آخر. ثم جزاهم الله تعالى أيضاً جزاء كبيراً، فمثلاً لو حدث بينهم نزاع بسيط أيضاً قال الله تعالى عنه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ (الحجر: ٤٨). لقد وعد عيسى أيضاً الحواريين بالعروش ولكن نُقض الوعد. كان هناك وعد بـ ١٢ عرشاً، ولكن كُسر عرش يهوذا الأسخريوطي، فلما لم يبق عرشه قائماً فما بالك بالآخرين. أما عروش الصحابة فظلت قائمة في الدنيا وفي الآخرة أيضاً. باختصار كم هي آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ مفخرة للمسلمين... ليس المراد من الإكمال إنزال السور فقط، بل كَمَلْ نفوسهم وطَهَّرْ قلوبهم، وحوَّلهم من وحوش إلى أناس، ومن أناس إلى أناس عاقلين وإلى خلوقين ثم جعلهم واصلين إلى الله. وساعدهم على عبور مدارج تطهير النفس والتكميل وتهذيب النفس. كذلك

أكمل كتاب الله أيضا بحيث ما من حقيقة لا توجد في القرآن الكريم. قلتُ للبانديت "اغني هوتري" مرارا أن يقدم صدقا لا يوجد في القرآن الكريم، ولكنه لم يقدر على ذلك. كذلك أتى عليّ زمان حين قرأت الكتاب المقدس ووجدت أن الحقائق التي يعتز بها المسيحيون توجد كلها في القرآن الكريم بصورة دائمة وبوجه أكمل، ولكن من المؤسف أن المسلمين لا ينتبهون إليها. لا يتدبرون القرآن الكريم وليست في قلوبهم عظمتها، وإلا إنه مقام فخر لا نظير له عند الآخرين.

إذن، إن للآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ جانبين. الأول أنه طهركم، وثانيا: قد أكمل الكتاب. يقال إن هذه الآية نزلت يوم جمعة وقال يهودي لعمر عليه السلام: كان حريا بكم أن تتخذوا يوم نزولها عيداً. قال عمر عليه السلام: الجمعة عيد بحد ذاته. ولكن كثيرا من الناس غافلون عن هذا العيد. يلبسون لباسا جديدا بمناسبة عيدين آخرين ولكن لا يهتمون بهذا العيد، ويأتون بلباس وسخ مثلاً. هذا العيد أفضل عندي من الأعياد الأخرى إذ قد جاءت سورة الجمعة عن هذا العيد، وقُصرت له الصلاة. وُلد آدم عصرا يوم الجمعة. هذا العيد يدل أيضا على زمنٍ خُلِق فيه الإنسان الأول، وعليه اختتم القرآن الكريم. (الحكم، المجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ١٩٠٦/٧/٣١ ص ٤-٥) الشريعة ما جاء بها النبي عليه السلام التي علّمها القرآن الكريم للناس، فلم تنقص منه كلمة ولم تُضف إليه.

كما كان الله يرى في الماضي يرى الآن أيضاً، وكذلك يتصف بالتكلم كما كان يتكلم في الماضي، ولا يمكن القول إن الله لم يعد يكلم الآن. فهل يخيل إلى أحد، أن الله كان يسمع في الماضي ولا يسمع الآن، كلا بل ما زال الله تعالى يتصف الآن أيضاً بصفات كان يتصف بها في الماضي. وليس في الله أي تغير. فلما كانت الشريعة قد اكتملت، فلا حاجة لأي شريعة جديدة، فقد قال الله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤) فلا حاجة لأي شريعة جديدة بعد إكمال الدين. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣١، عدد ١٩٠٨/٥/٦ ص ٢)

قُدِّرَت للمسيح الموعود مناسبات اجتماع كثيرة. فقد اجتمع الكسوف والخسوف، وكانا آية لي، كما ورد بحقي أنا: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير: ٨)، كما قيل لي: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، وهو أيضا نوع من الجمع حيث جُمع بين الأولين والآخرين، وهو جمعٌ عظيم حيث يدل على حياة رسول الله المليئة بالبركات والفيوض. ثم هناك جمع آخر وهو أن الله جمع اليوم كل وسائل الدعوة، وقد صار العالم كله في حكم مدينة واحدة بسبب المطابع، وكثرة الورق، والبريد، والبرقية، والقطار، والسفن البخارية. ثم إن الاكتشافات والمخترعات المتجددة تزيد هذا الجمع أكثر من ذي قبل، إذ تيسر بذلك أسباب نشر الدعوة. الآن يمكن استخدام "آلة التسجيل" أيضا لنشر الدعوة ويمكن أن تنفع كثيرا. أضف إلى ذلك طباعة الجرائد والمجلات. باختصار، قد اجتمعت الآن لنشر الدعوة وسائل بما لا نظير له في أي زمن من الأزمنة الخالية. كان من أهداف بعثة رسول الله ﷺ إكمال الدين أيضا، وقد قال تعالى عنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٤). وإكمال الدين ذو ميزتين: أولاها إكمال الهداية والأخرى إكمال نشر الهداية. إن زمن إكمال الهداية كان زمن النبي ﷺ الأول، أما زمن إكمال نشر الهداية فهو زمنه ﷺ الثاني. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٤٣، عدد ٣٠/١١/١٩٠٢م، ص ١-٢)

إني أعلم أن هذا الفشل هو مغبة أعمال الذين تركوا أركان الإسلام واخترعوا البدع من عند أنفسهم، وإلا فقد قال القرآن الكريم سلفا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤)، أي قد أكمل الدين وتمت النعمة وتقرر أن الإسلام هو الدين المرضي عند الله تعالى.

إذن، إن ترك الناس سنة رسول الله ﷺ الحيرة وإيجاد سبل جديدة من عند أنفسهم وترديدهم أورادا وأذكارا وقصائد أخرى متخذين القرآن الكريم مهجورا، واختلاقهم أذكارا جديدة بدلا من الأعمال الصالحة، إنما هو لمتعة النفس لا لمتعة الروح.

لم يفرّق الناس بين متعة النفس ومتعة الروح، بل عدّوها شيئاً واحداً، مع أنّهما مختلفان. إذا كانت متعة الروح والنفس شيئاً واحداً فأتساءل: يستمتع الأوباش بأغاني المرأة السيئة أكثر، فهل سيُعدّون نتيجة متعة النفس هذه من العارفين بالله الكاملين؟ كلا. الذين اخترعوا سبلاً تخالف الشرع وتخالف أسوة النبي ﷺ قد وقعوا في الخطأ ولا يقدرّون على التمييز بين متعة النفس ومتعة الروح، وإلا لما وجدوا متعة الروح وطمأنينتها في هذه التوافه والسفاسف. إنهم لا يملكون النفس المطمئنة، فيبحثون عن المتعة في قصائد "بلهّي شاه"^١، مع أن متعة الروح تُنال بالقرآن الكريم. لم يفكّروا في عاقبة أعمالهم وتركوا الأعمال الخيرة التي وصلتهم من النبي ﷺ وأدخلوا بدلاً منها أورادا وأذكارا اخترعوها من عند أنفسهم، وظنوا أن حفظ بعض الأناشيد الدينية فيه الكفاية. يترنحون وجداً عند قراءة أناشيد "بلهّي شاه"، ولذلك يلاحظ أنه حينما يُلقي درس القرآن يكون عدد الناس قليلاً، ويتوجهون بأعداد هائلة إلى المجالس التي تنشد فيها مثل هذه الأناشيد. إن قلة الرغبة في الحسنات وكثرة الرغبة في الأمور النفسانية والشهوانية تبين أن الناس لا يدرون الفرق بين متعة الروح ومتعة النفس. (الحكم المجلد ٦، رقم ٢٧، عدد: ٣١/٧/١٩٠٢م، ص ٨٠)

الآية ٥: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

إذا سألك ماذا يأكلون حالاً إذن، فقل لهم: كُلُوا من كل طيبات الدنيا. فقط اجتنّبوا أكل الميتة وما في حكمها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

^١ شاعر شعبي معروف في القارة الهندية. (الناشر)

لأصل في الأشياء هو الحِلَّة ولا تتحقق الحرمة ما لم تثبت من النص القاطع.
(بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢ م ص ١٩)

الآية ٦: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

نأكل طعام الهندوس أيضا بحكم العيش بينهم، كذلك لا بأس في أكل طعام المسيحيين، شريطة أن يكون الإناء نظيفا وألا يكون الطعام حراما. (الحكم، مجلده ٥، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠١ م ص ٤)

ما دام النصارى في هذه الأيام لا يهتمون بحدود الدين وحلاله وحرامه ويكثر من استهلاك لحم الخنزير، ولا يذكرون اسم الله قط على ذبائهم بل يقطعون عنق الذبيحة دفعة واحدة كما سمعنا، لذا يُخشى أن تختلط شحوم الخنازير وحليها في الحليب والبسكويت الذي يُصنع في مصانعهم. لذا أرى أن استهلاك البسكويت المستورد من أوروبا والألبان والمشروبات وما شابهها من هذا النوع ينافي التقوى تماما ولا يجوز استعمالها مطلقا. ما دامت تربية الخنازير وتناول لحومها شائعة في أوروبا فكيف يمكننا الظن أن المأكولات الأخرى التي يصنعها هؤلاء القوم ويصدرونها لا يكون فيها جزء منها.

....الحلال من طعام النصارى عندي ما لا مجال للشبهة فيه وألا يكون حراما بحسب القرآن الكريم. وإلا سيكون معنى ذلك أن بعض الأشياء لا يأكلها المرء في البيت باعتبارها محرمة ولكن يأكلها من أيدي النصارى خارج البيت. ولا يقتصر الأمر على النصارى فقط، بل إذا كان هناك مسلم أيضا مشكوك الحال لا يجوز

أكل طعامه. فمثلا إذا كان هناك مسلم مجنون ولا يستطيع أن يميز بين الحلال والحرام فكيف يمكن الثقة بطعامه وما صنعه، لذا لا أسمح باستهلاك البسكويت المستورد من أوروبا في بيتي بل نشترى من صنع شركة هندية في الهند.

نحن نواجه الاضطرار في التعامل مع الهندوس أكثر منه مع النصارى لأن الهندوس اختلطوا معنا بكثرة ومحلاتهم منتشرة في كل مكان، أما إذا وُجدت محلات للمسلمين وتوفر عندهم كل شيء فينبغي ألا تُشترى المأكولات من محلات الهندوس. إضافة إلى ذلك أظن أن المراد من أهل الكتاب غالبا هم اليهود حصرا لأنهم كانوا يسكنون في بلاد عربية حينذاك بكثرة، والخطاب في القرآن الكريم أيضا موجّه إليهم مرارا وتكرارا. وكانت التوراة هي الكتاب الوحيد القادر يومذاك على بيان مسائل الحلال والحرام. وما زال اليهود يعملون بحسبه في هذا الأمر كما كانوا يعملون حينذاك. وأما الإنجيل فليس كتابا أصلا. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٧، عدد ١٦٠٤/٧/١٩٠٤ م ص ٣)

والمحصنات أي العفيفات منكم ومن أهل الكتاب قبلكم حلٌ لكم. ومحصنين أي متزوجين إياهن، ولكن إذا عُقد القُرآن مع تحديد المهر فلا جواز للفحشاء ولا الصداقة المتسترة. والمراد من مسافحين أن نساء بعض جهلاء العرب إذا لم يولد لهن ولدٌ طلبنه بالزنا، فهذه العادة القبيحة هي المسافحة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحية المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

إنما القرآن الكريم علّمنا أن ننكح للإحصان وكسب العفة، وندعو للحصول على أولاد صالحين كما يقول في كلامه الطيب: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أي يجب أن يكون نكاحكم بنية الدخول في حصن التقوى والورع وحذار أن يكون هدفكم إخراج النطفة على شاكلة الحيوانات ويُستنتج من كلمة محصنين أن الذي لا يتزوج فهو لا يتعرض للآفات الروحية فحسب، بل تصيبه الآفات الجسدية أيضا، فقد ثبت من القرآن الكريم أن الزواج يستهدف ثلاثة أمور أحدها العفة والتقوى، والثاني صيانة الصحة، والثالث الحصول على الأولاد. (الديانة الآرية، الخزائن الروحية، المجلد ٢، ٢٢)

فليتضح أن كلمة الإحصان مشتقة من الحصن، والحصن القلعة، وقد سمي النكاح الإحصان، لأن الإنسان بواسطته يدخل قلعة العفاف ويجتنب السيئة وسوء النظر، كما تُحفظ العائلة أيضا من التلف والضياع نتيجة الأولاد، كما أن الجسم أيضا يسلم من عدم الاعتدال، فالنكاح من كل ناحية بمنزلة الحصن. (الديانة الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٢، الحاشية)

الآية ٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

في الصلاة والوضوء فوائد طبية أيضا، حيث يقول الأطباء إن المرء إذا لم يغسل وجهه كل يوم اشتكت عينه، ويكون هذا بادرة مرض "نزول الماء" الذي بدوره يؤدي إلى أمراض أخرى كثيرة. فلماذا يتحاشى الناس الوضوء؟ يا له من عمل رائع في ظاهره أيضا، حيث يُدخل المرء الماء في فمه ويتمضمض، أما السواك فتزول رائحة الفم وتتقوى الأسنان، وقوة الأسنان تساعد على مضغ الطعام جيدا وسرعة الهضم. ثم ينظف الأنف بالماء، لأن الرائحة الكريهة إذا دخلت الأنف شتت الدهن. فأئى ضرر في هذا العمل؟

ثم بعد ذلك يقدم المرء حاجاته إلى الله تعالى في الصلاة، ويجد فيها فرصة لعرض مطالبه على الله وللدعاء. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤، عدد ٣١٠/١/١٩٠١ م ص ٢)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي يجب أن تغتسلوا في حالة الجنابة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٧)

الآية ٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

لقد قال الله ﷻ بخصوص العدل الذي لا يُكسب بدون التمسك الكامل بالصدق ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أنت تعلم كم تصعب المعاملة بالعدل مع الشعوب التي تؤذي دونما سبب وتُضايق وتُسفك الدماء وتُتلاحق وتقتل الأولاد والنساء كما فعل كفارُ مكة، ثم لم تكف عن القتل والحروب. غير أن تعليم القرآن لم يضيّع حقوق أولئك الأعداء عطاشى الدم ووصى بالعدل والصدق..... أقول صدقا وحقا إن مداراة العدو سهلة، لكن حماية حقوق العدو والتحلي بالإنصاف والعدل في القضايا صعبٌ جدا ولا يتأتى إلا من الرجال الشجعان. فالناس يحبون أقاربهم المعادين ويعاملونهم بكلام معسول لكنهم يغضبون حقوقهم، فالأخ يحب أخاه لكنه يستغل هذا الحب لغصب حقوقه خداعا؛ فمثلا إذا كان مزارعا فلا يسجل اسم أخيه في الأوراق الحكومية وفي الدوائر الرسمية لكنه يتظاهر بالحب لدرجة أنه يبدي استعدادا ليفدي أخاه بروحه. فلم يذكر الله ﷻ في هذه الآية كلمة الحب وإنما بيّن معيار الحب، فالذي سيُنصف الحريص على قتله ولن يمتنع عن الصدق والإنصاف فهو الحب الصادق. (نور القرآن رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٠٩-٤١٠)

أصل الحسنة ألا ينهمك المرء في ملذات الدنيا وشهواتها المشروعة أيضا أكثر من حد الاعتدال. لم يحرم الله تعالى الأكل والشرب ولكن الناس جعلوها شغلهم الشاغل ليل نهار، فهذا يعني الإضافة إلى الدين، وإلا فإن الهدف من مُتّع الدنيا هو أن يتزود منها فرس النفس الذي يجري في طريق الدنيا. إن مثله كمثل أصحاب العربة الذين عندما ينوون سفرا طويلا يشعرون بضعف الحصان بعد السفر إلى بضعة أميال

ويجعلونه يستريح قليلا ويُطعمونه ليزول عنه تعبهُ السابق. إذن، هذا هو مثال حظ الدنيا الذي أخذه الأنبياء لأنهم كَفُّوا بمهمة عظيمة ألا وهي إصلاح العالم، فلو لم يأخذ فضل الله بيدهم لهلكوا، لذلك كان النبي ﷺ في بعض الأحيان يضرب بيده على فخذه عائشة ويقول: أريحيني يا عائشة. ولكن لم يكن من عادة الأنبياء أن ينهمكوا فيها فقط. لا شك أن الانهماك سَمُّ الإنسان السيئ السلوك يفعل ما يشاء ويأكل ما يشاء، ولو فعل الصالح كذلك لما فُتحت عليه سبل الله. والذي يخطو في سبيل الله يهتم به الله حتما. يقول الله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فلا اعتدال في التمتع والأكل والشرب أيضا اسم آخر للتقوى. ليس المراد من الذنب ارتكاب الإنسان الزنا والسرقة فقط بل عليه ألا يتجاوز حدود الاعتدال في الأمور المشروعة أيضا. (بدر، المجلد ٢، رقم ٣، عدد ١٩٠٣/٢/٦ م، ص ١٨)

الآية ١٤: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
(سأل أحد الأشخاص حضرة المسيح الموعود عليه السلام سؤالاً، قائلاً:)

كتبتم في البراهين الأحمدية أن من علامة الكلام الإلهي أنه يكون أفضل من غيره من جميع النواحي. التوراة والإنجيل أيضا كلام الله، فهل توجد فيهما هذه الصفة؟ قال المسيح الموعود عليه السلام: لقد ورد في القرآن الكريم عن هذين الكتابين: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ١٤)، كان هؤلاء الناس يضيفون إليهما شيئا كتفسير من عندهم. فكيف يمكن وجود هذه الصفة في الكتب المحرفة؟

هنا قال حكيم الأمة: لقد قيل في التوراة: "فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ ... وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ... وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى" (التثنية ٣٤: ٥-٦ و ١٠). كيف يمكن أن يكون هذا الكلام لموسى عليه السلام؟ يقول

المسيحيون أنفسهم بأنه لم يُعثر على الإنجيل الأصلي، أما الموجود حاليا فهو مبني على تراجم بعد تراجم. والمعلوم أن الترجمة تكون بحسب رأي المترجم. وجزء كبير منهما يحتوي على بيان الآخرين مثل حادث الصليب وغيره.

فقال المسيح الموعود عليه السلام: هذا صحيح تماما. وإذا بحثتم في العالم كله عن كلام نقيٍّ ومحفوظ مثل القرآن الكريم لن تجدوه. الكلام المحفوظ من تحريف الآخرين وتبديلهم هو القرآن الكريم وحده. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ١٠/٣١/١٩٠٧م، ص ٥)

الآية ١٥: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

يتبين من هذه الآية أيضا بجلاء أن وجود اليهود سيستمر إلى يوم القيامة، لأنهم لو آمنوا بعيسى عليه السلام منذ البداية، لما امتدت سلسلة العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. لذا؛ لا بد من التسليم بأن الفكرة القائلة بأن من علامات نزول المسيح أن جميع أهل الكتاب سيؤمنون به؛ تخالف نصوص القرآن والأحاديث الصريحة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٩٨)

"يقولون إن يأجوج ومأجوج يخرجون في زمن المسيح، وينسلون من كل حَدَبٍ، ويملكون الأرض كلها كما ورد في القرآن العظيم، فهذا حق لا تُجَادِلُهُمْ فِيهِ. ويقولون إن المسيح لا يُجَارِهُمُ بل يدعو عليهم، فيموتون كلهم بدعائه بدوِّ تتولد في رقابهم، وهذا أيضا حق وليس عندنا إلا التسليم. ولكنهم أخطأوا فيما قالوا إن يأجوج ومأجوج يموتون في زمن عيسى كلهم..... وقد أخبر الله تعالى عن وجود النصارى واليهود إلى يوم القيامة وقال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فكيف يموتون كلهم قبل يوم القيامة؟ فلو أردنا من الإماتة الإيمانية الجسمانية لخالف

الحديثُ القرآنَ وعارضه، فإن القرآن يُخبرنا عن بقائهم وبقاء نسلهم إلى يوم القيامة، بل يشير إلى أن السماوات يتفطرن عليهم وتقوم القيامة على أشرارهم الباقين". (حماسة البشرية الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٩-٢١٠، الحاشية)

"إن القرآن يعلم بتعليم واضح، ويشهد بصوت عال على أن اليهود والنصارى يقولون إلى يوم القيامة كما قال ﷺ: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ومعلوم أن وجود العداوة والبغضاء فرغ لوجود المعاندين والمباغضين، ولا يتحقق إلا بعد وجودهم. ولقد وصلنا لهم القول وقلنا غير مرة لعلهم يتذكرون أو يكونون من الخائفين. فكيف نؤمن بأن أهل الملل كلها تهلك في وقت من الأوقات؟ أنكر بآيات كتاب مبین". (حماسة البشرية الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٣٩)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ويقول أيضا: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ٦٥)، أي ألقينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى إلى يوم القيامة. فلو استنبطنا من الآية المذكورة من قبل بأن اليهود كافة سيؤمنون بعيسى ﷺ قبل القيامة، لاستلزم ذلك أن البغض بين اليهود والنصارى سيتلاشى يوما من الأيام ولن يبقى لدين اليهود أثر على وجه الأرض، بينما ثبت من هاتين الآيتين وآيات أخرى كثيرة من القرآن الكريم أن دين اليهود سيبقى إلى يوم القيامة، غير أن الذلة والمسكنة ستلازم اليهود وسيعيشون في ظل سلطات أخرى. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٠٩)

يشهد القرآن الكريم بأن سلسلة الكفر ستبقى قائمة إلى يوم القيامة بلا فصل، ولن يجتمع الناس كلهم على دين واحد، ولن يزول الاختلاف بين الكفر والإيمان، والبدعة والتوحيد. فقد اعتبر الله تعالى في القرآن الكريم وجود هذا الاختلاف ضروريا لفطرة الإنسان. والآيات التالية التي أوردتها في بياني السابق أيضا صريحة الدلالة على بقاء

بذرة الكفر إلى يوم القيامة حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦) وقوله تعالى: ﴿فَأَعَزَّنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٩٣) ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ٦٥)، مما يعني أن البغض والعداء سيدومان في اليهود والنصارى إلى يوم القيامة. فأخبروا الآن إذا آمن جميع اليهود بالمسيح عليه السلام قبل القيامة فمن سوف يُبغض ويبغض النصارى إلى يوم القيامة؟ فحين لن يبقى اليهود وسيؤمن كلهم فأى فرصة تبقى لهم للعداء والبغضاء؟ وكذلك يقول الله: ﴿فَأَعَزَّنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فلهذه الآية أيضا المعاني نفسها ويرد عليها الاعتراض نفسه الذي ذكر آنفا. (التحفة الغلورية الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٩)

أي سيقى النصارى موجودين إلى يوم القيامة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢ م ص ٢)

الآية ١٦: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾

كانت عدة أنوار مجتمعة في شخص سيدنا خاتم الأنبياء عليه السلام المبارك، لذلك فقد أنزل عليها نور سماوي آخر وهو الوحي الإلهي، وبنزول ذلك النور صار الوجود الكريم لخاتم الأنبياء عليه السلام مجموعة أنوار.... أما الأنبياء فهم أولئك الأفراد العظام -من جملة سلسلة الفطرة الإنسانية المتفاوتة- الذين يُعطون النور الباطني بكثرة وكمال، فكأنهم صاروا نورا متجسدا. فمن هذا المنطلق سُمي النبي عليه السلام في القرآن الكريم نورا وسراجا منيرا، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٦)، وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧). وبناء على هذه الحكمة

فإن نور الوحي -الذي يُشترط له أن يكون نورَ الفطرة؛ كاملٌ وعظيمٌ- قد أُعطيهِ الأنبياء وحدهم، وجُعِلَ هذا النور خاصاً بهم دون غيرهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ١٩٥-١٩٦ الحاشية رقم ١١)

يأتي من الله نور لتدارك زمن الظلام، وذلك النور هو رسوله وكتابه. والله تعالى يُري طريقاً بواسطة هذا النور للذين يتحرون مرضاته، فيخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٤٨-٦٤٩)

ليس هناك أي مرتبة أسمى من أن يصبح الإنسان حبيب الله، فإن الذي -بالسير على طريقه- يصبح الإنسان حبيب الله، فمن ذا الذي هو أجدر منه ليسمي نفسه نورا، ولهذا قد سمى الله النبي الكريم ﷺ في القرآن الكريم "نوراً" كما قال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٧٢)

بواسطة القرآن يهتدي الإنسان إلى سبل السلام ويُخَرِّجُ الناس من الظلمة إلى النور. (الأسئلة الثلاثة لمسيحي والردود عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٠ الحاشية)

الآية ١٩: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

كذلك أورد الله تعالى قول اليهود في القرآن حكاية عنهم حيث جاء قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ولم يستنكر الله تعالى استخدامهم كلمة "أبناء" ولم يقل لهم مثلاً ما هذا الكفر الذي تتفوهون به! بل قال: إذا كنتم أحبباء الله فلم يعذبكم؟ ولم يُعِدْ ذكر كلمة "أبناء". فتبين من ذلك أن أحبباء الله كانوا يُذَكَّرُونَ في كتب اليهود بكلمة "أبناء" أيضاً. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٧)

حينما يأتي الإنسان ربّه متخلّيا عن النفس كلياً يصبح الله وليّه، فهل سوف يلقي الله بوليّه في الجحيم؟ يتبين من ﴿نحن أولياء الله﴾ أن الأحباء لا يلقي بهم في النار. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤١-٤٢، عدد ١٠/٢٩-١٠/٨/١١/١٩٠٣ م، ص ٣٢٢)

يقول الله ﷻ: إنا لا نعذب أولياءنا أبداً، بل بهذا الدليل فند ودحض ادعاء اليهود والنصارى، حيث كان كلاهما قد ادعى ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٩)، فردّ الله عليهم قائلاً: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ فمن هنا ثبت أن أحباء الله لا يواجهون الألم في هذه الحياة الدنيا، ويكونون في مأمن من كل نوع من العذاب (اللهم اجعلنا منهم) فإذا كان أحباؤه أيضاً يتعرضون لعذاب فما الذي يميزهم عن الكفار؟ (بدر مجلد ٢، رقم ٤٥، عدد ١٠/١٢/١٩٠٣ م، ص ٣٥٥)

اعلموا جيداً أنه ما لم يكن للإنسان علاقة وصلة صادقة مع الله لا ينفعه شيء. انظروا إلى اليهود، أليسوا أولاد الأنبياء؟ كانوا يعتزون بذلك ويقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ولكن عندما قطعوا العلاقة بالله وآثروا الدنيا ماذا كانت النتيجة؟ جعلهم الله قردة وخنازير. ولا تحفى على أحد حالتهم الحالية على الرغم من حيازتهم المال والثروة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥ م، ص ٦)

لقد خاطبني الله تعالى بوحيه وقال: "أنت مني بمنزلة أولادي." لم يقل الله هنا أنك ولدي، بل قال: "بمنزلة أولادي" أي مثل أولادي. الحق أن هذا جواب قول المسيحيين الذين يحسبون عيسى ابن الله حقيقةً، مع أنه ليس لله أولاد. ولم يفند الله بوجه عام قول اليهود الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ بل قال بأنكم لا تستحقون هذه الأسماء. الحق أن هذا تعبير يستخدمه الله تعالى بحق أصفياه إكراماً لهم، كما جاء في الأحاديث أني أصبح بصر من أحبه وأصبح قدمه.

كذلك جاء في الأحاديث قوله تعالى: يا عبدي كنت ظامئا فلم تسقني، وكنت جائعا فلم تطعمني. وجاء في التوراة أن يعقوب ابن الله بل بكره. فهذه كلها استعارات توجد في كتب الله بوجه عام، وكذلك في الأحاديث. لقد استخدم الله تعالى هذه الكلمات بحقي لتفنيد المسيحيين، لأنني لم أدع قط على الرغم من هذه الكلمات أني ابن الله، والعياذ بالله، بل أرى هذا الادعاء كفرا. إن أعلى لقب عزة من بين الكلمات من هذا القبيل التي استخدمها الله تعالى بحق الأنبياء فقد أعطيه النبي ﷺ وهو: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ (الزمر: ٥٤)، من الواضح أن هؤلاء الناس كانوا عباد الله ولم يكونوا عباد النبي ﷺ. يثبت من هذه العبارة مدى اتساع إطلاق هذه الكلمات على سبيل الاستعارة. (بدر مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ١١/٧/١٩٠٧ م ص ٣)

الآية ٢٠: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إن حالة الزمن كانت قد آلت عند بعثة النبي ﷺ إلى وضع مظلم اقتضى طلوع شمس الصدق. فمن هذا المنطلق بيّن الله تعالى في القرآن الكريم مهمة رسوله مرارا؛ وهي أنه وجد العصر في ظلمة حالكة، فأراد أن يُخرج أهله منها. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٤٧)

والواضح أن الله تعالى لا يُطلق كلمة "نذير" إلا على مرسل يكون من المقدر أن ينزل على منكبيه عذاب تأييدا له، لأن النذير هو النبي الذي يُنذر بعذاب يكون نزوله مقدرا في عصره. فقد سميت نذيرا في البراهين الأحمدية قبل ٢٦ عاما. وفي ذلك إشارة صريحة إلى أن العذاب سينزل في عهدي. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٨٦)

الآية ٢٥: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾

وُصف أصحاب موسى في عدة أماكن من التوراة بالمتمردين وقساة القلوب ومرتكبي المعاصي والمفسدين. وورد في القرآن الكريم أيضا ذكر معاصيهم أنهم قالوا لموسى بمناسبة إحدى الحروب: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٥) هذه كانت حال طاعتهم. أما أصحاب النبي ﷺ فقد نشأ في قلوبهم حماس الحب الإلهي وظهر في قلوبهم تأثير القوة القدسية للنبي ﷺ، فقبلوا أن تُقطع رقابهم في سبيل الله مثل الشياه والخرفان. هل لأحد أن يرينا أو يطلعنا على من أبدوا صدقا وصفاء في أمة سبقت؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٠١-١٠٢ الحاشية)

التدبر في سوانح بني إسرائيل وأحداثهم يكشف هدفهم الحقيقي من الإيمان بموسى عليه السلام. كان هدفهم الأكبر من تصديقه هو التحرر من ربة عبودية فرعون، أما الأمور الروحانية من عبادة الله وغيرها فظلوا يتعشرون فيها على الدوام ويعاملون موسى بالوقاحة والتجاسر بغير حق حتى لم يتورعوا من قولهم له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٦) و﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٥)، ولم يرتدعوا عن عبادة العجل في فترة قصيرة من غيابه عنهم، وكانوا يتعنتون ويعترضون عليه عند كل صغيرة وكبيرة.

فإمعان النظر في أحوالهم يكشف جلياً أنهم ما كانوا يريدون إلا الخلاص من عبودية فرعون. كانت تعوزهم الكفاءة للزعامة والقيادة، فاستعدوا لطاعة موسى عليه السلام على أدنى إشارة منه. كانوا قد ضاقوا ذرعاً من سوء الوضع، والغريق يتشبث بالقشة، فرأوا خلاصهم في الخروج مع موسى، ولكنهم صاروا حجر عثرة في سبيل نجاحه في نهاية المطاف.

باختصار، ما احتاج موسى ﷺ لبذل كثير من الجهد والمشقة، بل كان قومه المصدقون في سلاسل العبودية جاهزين ليأتيهم أحد ويصدقوه، وفي ظل هذه الظروف صدّقه مئات الآلاف في يوم واحد، وقد أثبتوا بتصرفاتهم الخاطئة نوعية معدنهم ومدى انتفاعهم من تعاليم موسى ﷺ. فخرج موسى بهم من مصر لم يكن إنجازا جبارا. ثم لما جاءت فترة إصلاحهم وأراد موسى أن يجعلهم عابدين لله تعالى ويدخلهم الأرض الموعودة، ركنوا إلى التجاسر والوقاحة وسوء الأعمال، حتى فشل موسى نفسه في أن يدخل الأرض الموعودة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١ م ص ٢)

قال موسى لقومه أن يتقدموا ويهاجموا العدو ردوا عليه ردا مخجلا إذ قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. ولكن لم يأت في حياة الصحابة وقت مثل ذلك، بل قالوا بأنفسهم بأننا لسنا من الذين قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾. كيف نشأت فيهم هذه القوة والشجاعة وحماس الإخلاص؟ كان كل ذلك نتيجة الإيمان واليقين الذي كان نتاج تأثير قوته ﷺ القدسية، إذ قد ملأهم إيمانا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢ م، ص ١٠-١١)

خرج موسى ﷺ مع قومه فسمّاهم زائعين معوجين، إذ كانوا يعترضون في حياة موسى ﷺ على كل أمر، وكانوا قوما منكرين حتى قالوا ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٥) لكن مقابل ذلك انظروا إلى جماعة صحابة النبي ﷺ الذين أراقوا دماءهم كالأنعام، وتفانوا في طاعة النبي ﷺ بحيث استعدوا لمواجهة كل ألم ومصيبة كل حين وأن، وأحرزوا تقدما هائلا لدرجة أنهم قد منحو وثيقة: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة: ١٢٠). (الحكم، مجلد ٨، رقم ٧، عدد ٢٤/٢/١٩٠٤ م، ص ١-٢)

الآية ٢٨: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

إن في طريق الدعاء أمرين صعبين جدا، وبسببهما تخفى عظمة الدعاء عن معظم القلوب، (١) أولا: يُشترط على الداعي أن يتحلى بالتقوى والصلاح والصدق وخشية الله، حيث يقول الله جل شأنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٦٠)

للتقوى مدارج ومراتب كثيرة، ولكن لو تخطى الإنسان المراحل الابتدائية بمثابرة وإخلاص، لارتقى إلى المدارج العليا نتيجة هذا السداد والطلب الصادق. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي أنه تعالى لا يجيب إلا دعوات المتقين. وكأن هذا وعد من الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٠). (تقرير الجلسة السنوية ص ١٣٣)

إن الله يستجيب أدعية المتقين، أما الذين ليسوا بمتقين فأدعيتهم عارية من لباس الاستجابة، غير أنّ ربوبية الله ورحمانيته لا تزالان تقومان بتربيتهم. (الحكم، مجلده، رقم ١١، عدد ٢٤٤/٣/١٩٠١ م ص ٢)

إن الذين رفضوا هذه الجماعة التي أقامها الله تعالى، لسوء ظنهم مستعجلين، وغير حافلين بهذا الكم الهائل من الآيات والمعجزات، ولا مكترثين بالمصائب التي تصب على الإسلام، فإنهم لا يتقون الله، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. ومن أجل ذلك قلنا: لا تصلّوا وراء شخص لا يمكن أن تبلغ صلاته درجة القبول. (الحكم، مجلده، رقم ١١، عدد ١٧/٣/١٩٠١ م ص ٨)

لقد أزال الله تعالى كلّ تمييزٍ عنصري أو تفاضلٍ على أساس قومي، وإنما جعلت القبائل لغرض النظام والتعارف في الدنيا. وقد تأملتُ في ذلك ملياً، فوجدت أن

المراتب عند الله لا تُنال إلا بالتقوى. المتقي سيدخل الجنة وقد قرر الله تعالى بهذا الشأن. إن المتقي هو الأكرم عند الله. إن الله قد حكم أن المتقي سيدخل الجنة وأن المتقي هو الأكرم عند الله؛ حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولم يقل: من عائلة السادات. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد ٢٤/٨/١٩٠٢ م ص ١٠)

ما لم يبلغ الإنسان إيمانه مبلغا حيث يمكنه الاستفادة من سنة الله، فكيف يبدل الله سنته من أجله؟ (بدر، المجلد ٢، رقم ١١، عدد: ٣/٤/١٩٠٣ م، ص ٨٣)

إن قبول الله إنما هو للمتقين، فيقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الحق أن الله تعالى لا يتوب على الإنسان ما لم يتق. إن في ذات الله صفات عديمة النظير، فالذين يسلكون سبله هم الذين يطلعون عليه وهم الذين يستمتعون به. إن في العلاقة مع الله تعالى حلاوة ومتعة لا يوجد مثلها في فاكهة حلوة. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١/٧/١٩٠٤ م ص ٥)

أتلوا القرآن الكريم بكثرة وسجلوا تفاصيل الأعمال السيئة ثم اسعوا جاهدين لأن تنأوا بأنفسكم عنها بفضل الله وتأييده. هذه هي المرحلة الأولى للتقوى. عندما تسبرون على هذا النحو يوفقكم الله وتعطون شرابا كافوريا تبرد به عواطف الذنب عندكم تماما ولن تصدر منكم بعدها إلا الحسنات. ولا يُسقى أحد هذه الكأس ما لم يكن تقياً، ولا تُقبل عباداته وأدعيته لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. صحيح تماما أن العبادات والصلاة والصيام تُقبل من المتقين فقط.

(الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٦ م، ص ٢)

صحح الإيمان أولاً، فهذه الرياضات التي لا نجدها في السنة النبوية لن تفيد، ولن توصل إلى الهدف المنشود. فانظروا كيف يمارس بعض النساك الهندوس رياضات شاقة لدرجة أن تحف سواعدهم. لكنهم ليسوا مقبولين عند الله، لأن عملهم يعارض التوجيه النبوي من ناحية ومن ناحية أخرى ليس عندهم إيمان. ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا

يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»، أي يتقبل الله ﷻ عبادة الذين يخافونه ونتيجةً للخوف ينجزون أعمالاً تلائم مشيئة الله ﷻ وأول عمل هو أن يؤمنوا بالمبعوث من الله، فانظروا أن اليهود يؤمنون بالله ولا يشركون، وقبلتهم أيضاً القبلة السابقة للمسلمين. ومع ذلك هم ليسوا مقبولين عند الله لسبب وحيد وهو أنهم لم يؤمنوا برسول الله، فلعدم الإيمان بالرسولين لعن الذين كانوا قد فضّلوا على العالمين. إن الذنوب كثيرة لكن أكبرها وأعظمها هو إنكار المبعوث من الله. (بدر مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨م، ص ٣)

على الإنسان أن يسعى لإحراز الحسنات، ويواظب على الدعاء كل حين وآن. اعلّموا يقيناً أنه إذا لم تكن أي علامة فارقة بين أبناء الجماعة والآخرين، فليس لله أي قرابة بأحد، فلا شيء سبب يجب أن يكرمهم ويحفظهم من كل سوء، ويهين غيرهم ويعذبهم، كلا بل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ إنما المتقون من يتركون أموراً تنافي مشيئة الله خوفاً منه، ويرون النفس وأهواءها والدنيا وما فيها لا شيء أمام الله، إنما يتبين الإيمان عند المواجهة. (الحكم مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢/٣/١٩٠٨م ص ٥)

الآية ٣٣: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

من الخطأ تماماً أن يزعم الإنسان بأنه سيجتنب الطاعون إذا تحاشى المصاب به فقط. يمكن أن تأخذوا الحذر المناسب ولكن يجب ألا تتلاشى الأخوة والمواساة المتبادلة نتيجة الحذر. وإلى جانب ذلك يجب أن تخلقوا علاقة صادقة بالله تعالى. إن مواساة أخيك مثل الصدقة تماماً، وحق من حقوق العباد ومن الواجبات... والذي يترك المواساة فهو يترك الدين. فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا

بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ...﴾، كذلك أقول إن الذي لم يواس أخاه، فكأنه لم يواس أحدا في العالم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٥، عدد ٣٠/٤/١٩٠٥م، ص ٢)

إن مثل قتل النفس دون مبرر معقول كمثل قتل البشر جميعا في نظر الله. يتبين من هذه الآيات أن قتل النفس بغير وجه حق جريمة كبيرة عند الإسلام. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٤)

لقد ورد: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أيضا بعد قوله ﷺ: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ فكلمة فساد واسعة، فالشيء الذي يسبب فسادا في زمن معين يمكن أن يتسبب في قتل النفس أيضا في زمن آخر. نرى أن آلاف الحشرات تُقتل يوميا لكي لا تؤذي أحدا. فقد ورد "قتل المؤذي قبل الإيذاء". فقتل كل مؤذ جائز قبل إيذائه، مع أن ذلك المؤذي لا يكون قد قتل أحدا. (بدر، المجلد ٢، رقم ٢٢، عدد: ١٩/٦/١٩٠٣م، ١٧٠)

الآية ٣٤: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

لو لم تكن معصية رسولنا الكريم ﷺ ومحاربه أمر خطيرا عند الله، فلماذا ورد الأمر في كتاب الله عن عقوبة المنكرين الموحدين (مثل اليهود) بالموت بأنواع العذاب بسبب إنكارهم ومحاربتهم؟ ولماذا عوقبوا بعقوبات قاسية مع أن كلا الفريقين كان موحدا، ولم يكن في أي من الفئتين مشرك واحد، ومع ذلك لم يُرحم اليهود أدنى رحمة، بل قُتل الموحدون منهم بمحض الإنكار ومحاربة الرسول شر قتلة، حتى قُتل في إحدى المرات

^١ إن قانون الطبيعة يخبرنا عن وجود هذا القانون، وقد أجاز ذلك القرآن الكريم وإحدى الشرائع السماوية الأخرى أيضا، والعقل الإنساني أيضا يعلمنا هذا القتل حذرا. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٣، ص ١٥، عدد: ٢٤/٦/١٩٠٣م، ص ١٥)

عشرة آلاف من اليهود في يوم واحد، مع أنهم ما أنكروا وما حاربوا إلا حفاظا على دينهم. وكانوا، حسب زعمهم، ثابتين على التوحيد بقوة وكانوا يؤمنون بوحداية الله. مما لا شك فيه أنه قد قُتل ألوف من اليهود، ولكن لا يُسلموا، بل لأنهم حاربوا رسول الله، فاستحقوا العقاب عند الله فأريقَت على الأرض دماؤهم كالماء. فالواضح أنه لو كان التوحيد كافيا لما عُذَّ اليهود مجرمين فقد كانوا موحدين، فلماذا استحقوا العقوبة عند الله إلا بسبب إنكار الرسول ومحاربتة. (حقيقة الوحي، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦١-١٦٢)

الآية ٣٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

حدث ذات مرة أنني ظللت مستغرقا في الصلاة على النبي ﷺ فترة من الزمن، لأنني كنت على يقين أن سبل الله تعالى دقيقة جدا، ولا يمكن الاهتداء إليها دون وسيلة النبي ﷺ، كما يقول الله تعالى أيضا: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٦) ثم بعد مدة رأيتُ في حالة الكشف أن سقَّاءين قد جاءا ودخلا بيتي، أحدهما دخل من الطريق الداخلي والآخر من الطريق الخارجي، وعلى أكتافهما قِربٌ من نور، ويقولان: هذا بما صليت على محمدٍ. (حقيقة الوحي الخزانة الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣١، الحاشية)

الآيتان ٤٧-٤٨: ﴿وَقَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

"أن القرآن لا يأمر اليهود ولا النصارى أن يتبعوا كتبهم ويثبتوا على شرائعهم، بل يدعوهم إلى الإسلام وأوامره، وقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ

اللَّهُ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ٢٠)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٦)، فكيف يُظَنُّ في الله القدوس أنه يدعو اليهود والنصارى في هذه الآية إلى الإسلام، ويقول إنكم لا تدخلون أبداً ولا تدخلون الجنة إلا بعد أن تكونوا مسلمين، ولا ينفعكم توراتكم ولا إنجيلكم إلا القرآن، ثم ينسى قوله الأول ويأمر كلَّ فرقة من اليهود والنصارى أن يثبتوا على شرائعهم ويتمسكوا بكتبهم ويكفيهم هذا لنجاتهم. وإن هذا إلا جمع الضدين واختلاف في القرآن، والله نزه كتابه عن الاختلاف بقوله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٣)، بل الآية التي حرّف المعارض معناها كمثال اليهود تشير إلى أن بشارة نبينا ﷺ كانت موجودة في التوراة والإنجيل. فكأن الله يقول ما لهم لا يعملون على وصايا التوراة والإنجيل ولا يُسلمون؟ نعم، لو كانت عبارة القرآن بصيغة الماضي ولم يقل ﴿وَلِيُحْكَمْ﴾ بل قال: وكان النصارى يحكمون بالإنجيل فقط، لكان ذلك دليلاً على مدّعه. وأما بقية ألفاظ هذه الآيات.. أعني لفظ ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فليس هذا دليلاً على كون الإنجيل شريعة مستقلة. أليس الزبور وغيره من كتب أنبياء بني إسرائيل هدى للناس؟ أيوجد فيها ظلمة ولا يوجد نور؟ فتفكّر ولا تكن من الجاهلين".

(الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٨-٩)

(استخدم شخص بحق المسيح الموعود عليه السلام كلمات بذينة جدا، وقال: ... الحق أن عيسى عليه السلام أُعطي شخصياً شريعة مستقلة، والذين لم يؤمنوا به استثناهم عيسى عليه السلام من شريعة موسى. وقدم في تأييد دعواه الآية: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيُحْكَمْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾، يعني ببشارة خير الكائنات). فقال المسيح الموعود عليه السلام في الجواب:

ما فِهم سرّ هذه الآية وصالّ عليّ بصوت هو أنكر الأصوات، وظن أنه أوى إلى ركن شديد وسبني كالقاذفات المفحشات، وقال إنها دليل واضح على أن الإنجيل شريعة مستقلة. فيا أسفاً عليه وعلى غيظه الذي أخرجه من الأرض كالحشرات. وإنّ من أشقى الناس من لا عقل له ويعدّ نفسه من ذوي الحصة. ويعلم كلّ صبيّ وصبيّة من المسلمين والمسلمات، فضلاً من البالغين والبالغات، أن القرآن لا يأمر اليهود ولا النصارى أن يتبعوا كتبهم ويثبتوا على شرائعهم، بل يدعوهم إلى الإسلام وأوامره، وقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ٢٠)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٦)، فكيف يُظنّ في الله القدّوس أنه يدعو اليهود والنصارى في هذه الآية إلى الإسلام، ويقول إنكم لا تفلحون أبداً ولا تدخلون الجنة إلا بعد أن تكونوا مسلمين، ولا ينفعكم توراتكم ولا إنجيلكم إلا القرآن، ثم ينسى قوله الأول ويأمر كلّ فرقة من اليهود والنصارى أن يثبتوا على شرائعهم ويتمسّكوا بكتبهم ويكفيهم هذا لنجاتهم. وإنّ هذا إلا جمع الضدّين واختلاف في القرآن، والله نزه كتابه عن الاختلاف بقوله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٣)، بل الآية التي حرّف المعارض معناها كمثل اليهود تشير إلى أن بشارة نبينا ﷺ كانت موجودة في التوراة والإنجيل. فكأن الله يقول ما لهم لا يعملون على وصايا التوراة والإنجيل ولا يُسلمون؟ نعم، لو كانت عبارة القرآن بصيغة الماضي ولم يقل ﴿وَلْيُحْكَمْ﴾ بل قال: وكان النصارى يحكمون بالإنجيل فقط، لكان ذلك دليلاً على مدّعاؤه. وأما بقيّة ألفاظ هذه الآيات.. أعني لفظ ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فليس هذا دليلاً على كون الإنجيل شريعة مستقلة. أليس الزبور وغيره من كتب أنبياء بني إسرائيل هدى للناس؟ أيجد فيها ظلمة ولا يوجد نور؟ فتفكّر ولا تكن من الجاهلين.

وإن النصارى قد اتفقوا على أن عيسى بن مريم ما أتاهم بالشرعة، وإنا نكتب
 ههنا شهادة جي. إيه. ليفراي، الذي هو بيشوب لاهور، أعني إمام قسوس هذه
 الناحية، وكفاك هذا إن كنت تخشى من سواد الوجه والذلة، ورأينا أن نكتب على
 حدة هذه الشهادة في الحاشية ■

■

Bishopsbourne

Lahore

Aug. 15 . 01

Dear Sir,

The Lord Jesus Christ was certainly not a Lawgiver, in the sense in which Moses was, giving a complete descriptive Law about such things as clean and unclean food etc. That he did not do this must be evident to any one who reads the New Testament with any care or thought whatever. The Mosaic Law of meats etc., was given in order to develop in the minds of men who were in a very elementary stage of education and religion, the sense of law, and gradually of Holiness and the reverse. It is therefore called in the New Testament a "Schoolmaster to bring us the Christ" (Gal., iii.24) for it developed a conscience in man which, when awakened, could not find rest in any external or purely ceremonial acts but needed an inner righteousness of heart and life. And it was to bring this that Christ came, By His life and death he both deepened in man's minds the sense of what sin really is and how terrible it is and also showed men how they could be reconciled to God, obtaining forgiveness of sins and also power by the gift of the Holy Spirit to live a new life in real holiness, and in love to God and man. What the characteristics of that new life are, you can see by reading the Sermon on the Mount, St. Mathew chapters V - VII.

وفيما يلي ترجمة هذه الرسالة الإنجليزية (من قبل الناشر):

بيشوبسبورن، لاهور

١٥ أغسطس ١٩٠١

سيدي العزيز،

لم يكن الرب يسوع المسيح صاحبَ شريعة بالمعنى الذي كان عليه موسى حيث كان صاحبَ شريعة كاملة تصف الأشياء مثل الأطعمة الطاهرة والذنسنة... الخ. وكونه لم يفعل هذا يجب أن يكون واضحاً لكل مَنْ يقرأ العهد الجديد بأي حرص أو فكر ما. إن القانون الموسوي عن اللحوم وغيرها قد أُعطيَ مِنْ أجل تنمية الإحساس بالقانون في عقول الناس الذين كانوا في المراحل الأولى من التعليم والدين، وبالتدريج يعلمهم ما هو طاهر وما هو غير طاهر، ولذلك فهو يُسمّى في العهد الجديد: "مؤدّبنا إلى يسوع المسيح" (غلاطية ٣: ٢٤) لأنه أنشأ إحساساً في الإنسان، حينما يُوقظ لا يجد الراحة في أية طقوس أو حركات ظاهرية بحتة، ولكن يحتاج إلى الصفاء الداخلي للقلب والحياة. ومن أجل تحقيق هذا جاء المسيح، فقد عمّق، بحياته وموته، في عقول الناس الإحساس بما تعني الخطيئة في الحقيقة وما مدى فظاعتها، وبَيّن للناس كيف يمكن لهم أن يتصالحوا مع الرب، ويحصلوا على المغفرة للخطايا، وعلى القوة بهبة الروح القدس، ليعيشوا حياة جديدة في قدسية حقيقية، وفي محبةٍ لله وللإنسان. أما ماذا كانت خصائص هذه الحياة الجديدة فتستطيع أن تراها بقراءة موعظة الجبل في إنجيل متى الإصحاح ٥ - ٧.

توقيع جي. إيه. ليفراي، بيشوب لاهور

(مجموعة الإعلانات المجلد ٢، ٥١٩-٥٢١)

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدَيَّهِ﴾ معنى المصدّق من منطلق القرآن هو أنه نقل ما

كان صحيحاً وما لم ينقله كان غير صحيح، ثم هناك خلافات داخلية بين

الأنجيل. فإذا صدق القرآن إنجيلا فأَيَّ إنجيل منها صدّقه؟ لم يصدّق القرآن إنجيل يوحنا أو متى قط غير أنه صدّق دعاء بطرس. كذلك أية توراَة صدّقتها القرآن الكريم؟ أولا أخبرونا عن توراَة متّفق عليها. القرآن يُعَدّ توراتكم محرّفة، وأنتم تقولون فيما بينكم أن هناك أكثر من توراَة. (بدر مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩٠٢ م ص ١٠)

لا يصدّق القرآن الكريم الإنجيل بالقول بل بالفعل، لأن جزء الإنجيل الذي تضمنه القرآن الكريم قد أثبت القرآن الكريم العمل به عيانا، ولذلك نحن نصدّق ذلك الجزء من الإنجيل حصرا الذي صدّقه القرآن. فما أدرانا من أين جاء ما سواه من الغث والسمين. إلا أنه يمكن أن يرد الاعتراض: إذن ما المراد من كلمة الإنجيل العامة الواردة في الآية ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾؟ فلم يرد فيه أن المراد من الإنجيل الجزء الذي صدّقه القرآن. فالجواب أن المراد من الإنجيل هنا هو الإنجيل الأصلي والتوراَة التي اندرجت في القرآن الكريم، وإن لم يؤمنوا بهذا فليخبرونا ما هو الإنجيل الأصلي. لأن الأنجيل السائدة المعاصرة لا يمكن أن تكون حقيقية. فمن ذا الذي يعلم عن أصلاتها، كما أن النصارى أنفسهم يقرون بأن الجزء الفلاني منها ملحق. ثم هناك أمر آخر يجدر الانتباه إليه وهو أنه ورد في الإنجيل ذكر موت عيسى ﷺ والأحداث بعده، كما ورد ذكر موت موسى في التوراَة، فهل ظل هذان الكتابان ينزلان بعد وفاة هذين النبيين؟ فثبت من ذلك أن الكتب المعاصرة ليست أصلية، ولا يمكن العثور عليها الآن. (بدر مجلد ٢، رقم ٣٢، عدد ٢٨/٨/١٩٠٣ م ص ٢٥٠)

الآية ٤٩: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٤٦﴾

كان الناس في البداية أمة واحدة ثم حين انتشروا في الأرض كلها قسمهم الله على أمم مختلفة من أجل سهولة التعارف وقرر لكل أمة ديناً يناسبهم كما يقول: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ ليلوكم في ما آتاكم: أي لنظهر مواهب الطبائع المختلفة بواسطة تعاليمنا. فاستبقوا أيها المسلمون الخيرات لأنكم مجموعة الأمم كلها وتجمعون فيكم طبائعهم كلها. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٤٦)

الآية ٥٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾

حين يقرأ النصارى الأغبياء هذه الآيات ينخدعون ويزعمون أن المسلمين أمروا بألا يحبوا النصارى وغيرهم من الذين لم يؤمنوا، لكنهم لا يعرفون أن كل كلمة تُستخدم في محلها، فلا يصح حبُّ المرء للفساق والكفار إلا إذا نال نصيباً من كفرهم وفسقهم. فالذي علّم أتباعه أن يحبوا أعداء دينه هو جاهل غبي. ولقد كتبنا مراراً وتكراراً أن من الحب والمودة أن ينظر المرء إلى قول مَنْ يحبه وفعله وعادته وحُلُقهِ ودينه بنظرة الإعجاب، وأن يفرح به وأن يتأثر به، ومن المستحيل أن يصدر ذلك من المؤمن بحق الكافر أبداً، إلا أن المؤمن يشفق على الكافر ويخصه بجميع مظاهر المواساة، ويواسيه على جميع أمراضه المادية والروحانية، كما يقول الله ﷻ مراراً ما معناه: واسُوا الجميع دون تمييز بسبب الدين أو العرق وأطعموا الجائعين وفكّوا رقاب العبيد، وسدّدوا ديون المقترضين وتحملوا أوزار المثقلين، وأدّوا حق المواساة الصادقة تجاه بني البشر. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٤)

الآية ٥٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

هذا وعد من الله بأنه كلما ارتد عن الإسلام أحد من ناقصي الفهم فلن يحدث في الدين نقص نتيجة ارتداده، بل سيُدخل الله تعالى الإسلام عوضاً عنه كثيراً من عباد الله الأوفياء الذين سيؤمنون به بإخلاص ويحبون الله وهو يحبهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٣، حاشية رقم ١١)

لقد سمعت أن الشيخ البطالوي قد أقسم بالله بخصوص أتباعي المخلصين قائلاً: ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٤٠). ولقد بلغ من الغلو درجة لم يستثن حتى الصالحين منهم كما فعل الشيطان الشيخ نجدي. ورغم أن البطالوي فرح بسبب بعض أتباعي المنحرفين إلا أنه يجب أن يتذكر أنه إذا يبس غصن واحد فحسب فلا يؤدي ذلك إلى دمار البستان كله. والله تعالى يجعل يابسا أي غصن شاء ثم يقطعه ويخلق مكانه غصونا مليئة بالثمار والأزهار. يجب أن يتذكر البطالوي أنه إذا ارتد من هذه الجماعة شخص واحد فإن الله تعالى سيأتي بعشرين آخرين مكانه، فليتدبر هذه الآية القرآنية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. (الحكم السماوي، الخزانة الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٤٦-٣٤٧)

قال عليه السلام عن ارتداد شخص يدعى عبد الغفور واعتناقه المذهب الآري: الإسلام لا يتضرر من مثل هذا الارتداد، يجب النظر بنظرة إجمالية هل يتقدم الإسلام أم يتخلف، كان بعض الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يرتدون فهل كان الإسلام يتضرر بهم، كلا لم يتضرر، بل إنني أرى أن هذا الجانب يفيد الإسلام في نهاية المطاف وبذلك يفتح السبيل للاختلاط مع المسلمين. فحين يريد الله تعالى إدخال جماعة كاملة في

الإسلام يرتد بعض المسلمين. إن أفعال الله دقيقة جدا ومليئة بالأسرار التي لا يدركها الجميع. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٧، عدد ٢٤٤/٧/١٩٠٣م، ص ٢٠٩)

لقد قال الله تعالى في نعت المؤمنين: ﴿لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وإنما يُهمهم الفوز برضوان مولاهم ﷺ. المؤمن يكون غنيا عن كل ما سوى ربه وإنما يحتاج إلى رضا ربه فقط، فيجعل طاعته وحده نصب عينيه دائما؛ لأنه ما دامت معاملته مع الله ﷻ فلا يفكر في أن أحدا يمكن أن يضره أو ينفعه؟ (بدر، مجلد ٣، رقم ٣١، عدد ١٦/٨/١٩٠٤م ص ٣)

اعلموا أنه لا ينبغي الخوف في بيان الأمور السماوية، وليس من سنة أهل الحق أن يُبدوا أي نوع من الخوف في بيانها، فانظروا إلى سلوك الصحابة الكرام ﷺ فقد ذهبوا إلى بلاط الملوك وبنوا عقائدهم بوضوح وصراحة، ولم يخافوا بيان الحق. ولذلك صاروا مصداق: ﴿لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾. (بدر، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ٥٤/٣/١٩٠٨م ص ٢)

الآية ٦١: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

ليس ضروريا أن يكون اسم هذا الشخص الآتي "عيسى بن مريم" حقيقة، بل المراد من الأحاديث هو أن اسمه "عيسى بن مريم" عند الله قطعا. وكما سَمَّى الله تعالى اليهود قردة وخنازير، فقال عنهم: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ ووصف ذوي الطبائع الفاسدة من هذه الأمة بأنهم يهودا، وسماي المسيح ابن مريم، وقال في إلهامه: "جعلناك المسيح ابن مريم". (إزالة الأوهام، الخرائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٠٩)

ليس لله تعالى علاقة قرابة مع أحد وهو لا يعبا بأحد. فالذين كانوا يسمون أولاد الأنبياء أي بني إسرائيل الذين جاء فيهم كثير من الأنبياء والرسل وجعلوا مستحقين لأفضال الله العظيمة، عندما فسدوا روحانياً وانحرفوا عن الصراط المستقيم واختاروا

التمرد والفسق والفجور ماذا كانت النتيجة؟ لقد صاروا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦٢)، وحلَّ بهم غضب الله وسمُّوا قردة وخنازير، وانخطَّوا لدرجة أنهم أُخرجوا من زمرة البشر. فما أعظم العبرة في ذلك! في سوانح بني إسرائيل درس نافع على الدوام. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٩/١٩٠٤م، ص ٣)

الآيتان ٦٣-٦٤: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

لماذا لا يمنعهم مشايخهم وعلمائهم من هذه المنكرات، ويرون أنهم يكذبون ويدلون بشهادات كاذبة ويأكلون الحرام ومع ذلك هم ساكتون. فعلمائهم أيضاً يرتكبون المنكر وبسكوهم يشاركونهم في سيئاتهم. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٩)

الآية ٦٥: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَلَاقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

أي يقولون بأن كل ما يتحقق إنما يتحقق بمكائد الناس فقط، والله عاجز عن عمل أي شيء بقدرته. فقد صدَّق الله أيدي اليهود إلى الأبد. فإذا كانت أفكارهم ومكائدهم شيئاً يُذكر فلينالوا حكومات الدنيا بقوتهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٩، الحاشية رقم ١١)

إن عقيدة معارضينا المسلمين بأن مهديا سفاكا سيظهر في الزمن الأخير وسوف يهلك جميع النصارى ويخضب الأرض كلها بالدماء، ولن ينتهي الجهاد ما لم يظهر ذلك المهدي، وما لم يهلك بسيفه العالم، فكلها أكاذيب تناقض وتنافي النص الصريح للقرآن الكريم ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ٦٥)، ويجب على المسلم أن لا يؤمن بأي من هذه الأمور قطعاً. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٢-٢٢٣)

البغض والعداء سيدومان في اليهود والنصارى إلى يوم القيامة. فأخبروا الآن إذا آمن جميع اليهود بالمسيح ﷺ قبل القيامة فمن سوف يُبغض ويعادي النصارى إلى يوم القيامة؟ فحين لن يبقى اليهود وسيؤمن كلهم فأى فرصة تبقى لهم للعداء والبغضاء؟ وكذلك يقول الله: ﴿فَأَعَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٥). فلهذه الآية أيضا المعاني نفسها ويرد عليها الاعتراض نفسه الذي ذكر آنفا. وكذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦)، فالضمير في "كفروا" هنا أيضا يعود إلى اليهود، لأن عيسى ﷺ كان قد بعث إلى اليهود فقط، وهذه الآية تتضمن الوعد بأن المؤمنين بالمسيح ﷺ سيكونون فوق اليهود إلى يوم القيامة. فأخبروني الآن إذا كان جميع اليهود سيؤمنون بعيسى ﷺ بموجب تفسير معارضينا لآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (النساء: ١٦٠) هذه، فكيف تصحّ هذه الآيات التي تفيد بأن العداء بين اليهود والنصارى سيستمر إلى يوم القيامة؟ وأن اليهود سيقبون مغلوبين من قبل الفرق التي تعدّ المسيح ﷺ من الصادقين إلى يوم القيامة؟ (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٩)

ثم إن الآية: ﴿فَأَعَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٥) وآية: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ٦٥)، وآية: ﴿وَجَاعِلُ

الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦) والآيتين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٦-٧) كل هذه الآيات تفيد بأن الاختلاف سيبقى إلى يوم القيامة، حيث يبقى المنعم عليهم أيضاً، وكذلك المغضوب عليهم أيضاً. غير أن الملل الباطلة ستهلك عن بينة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢٠)

العداوة بين اليهود والنصارى ستبقى قائمة إلى يوم القيامة، فمن الواضح أنه لو آمن اليهود كلهم بعبسى قبل يوم القيامة فهل يبقى أحد من المعادين إلى يوم القيامة؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٦)

الآية ٦٨: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ والله يعصمك من الناس. أي ينقذك الله من شر الذين يتربصون بقتلك. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٠، الحاشية) المراد من الإسلام ألا ينكر المرء ما يصيبه في سبيل الله. لو اهتم النبي ﷺ بعصمة نفسه بنفسه لما نزلت الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، هذا هو سر عصمة الله. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٣)

لقد وعدني الله ﷻ "والله يعصمك من الناس" وأنا أوّمن بذلك. فليجرب ذلك أي معارض وليشعل النار وليلقنا فيها فلن تحرقنا النار أبداً، وسوف يعصمنا الله ﷻ. حتماً بحسب وعد. لكن ذلك لا يعني أن نرتمي بأنفسنا في النار. إذ ليس ذلك دأب الأنبياء بل قد قال الله ﷻ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٦) فنحن لا نرتمي في النار عن عمد وإنما هذا الوعد الإلهي في الحماية مقابل الأعداء، أنهم إذا أرادوا أن يحرقونا فلن تحرقنا النار أبداً. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠٣م، ص ٣٧٣)

إن عدم قتل النبي ﷺ على يد أحد معجزة عظيمة ودليل على صدق القرآن الكريم لأنه قد وردت في القرآن الكريم نبوءة: "والله يعصمك من الناس". كذلك وردت في الكتب السابقة أيضا نبوءة أن نبي آخر الزمان لن يُقتل بيد أحد. (بدر مجلد ٤، رقم ٣١، عدد ١٤٤٥/٩/١٩٠٥ م ص ٢)

قال الله ﷻ لنبينا ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكن الناس أصابوه بأنواع الأذى وأخرجوه من الوطن وكسروا سنّه وجرحوا إصبه وأصابوا جبينه بعدة جروح بالسيف، لكن مع ذلك كله لا يصح الاعتراض على هذه النبوءة لأن الكفار لم يستهدفوا من هجومهم في الحقيقة أن يجرحوا النبي ﷺ أو يكسروا سنّه. وإنما كانت غايتهم المنشودة قتله ﷺ، فقد عصمه الله ﷻ من سوء الإرادة الحقيقية للكفار. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠١ الحاشية)

في بداية البعثة كان بعض صحابة رسول الله ﷺ يتولون حمايته ولكن عندما نزلت الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ صرفهم ﷺ جميعا واستغنى عن حمايتهم. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٣٠، عدد ٢٤٤٥/٨/١٨٩٩ م، ص ٢)

الآية ٦٩: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

يتبين من هذه الآيات أن اليهود والنصارى العرب كانوا فاسدين وساء سلوكهم إلى درجة أنهم كانوا يعملون برغبة قلبية كلّ ما حرمه الله في كتبه من أعمال غير مشروعة مثل السرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وسفك الدماء، وشهادة الزور، والإشراك بالله، كأهم اتخذوا تلك الأعمال السيئة مذهباً لهم. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٩)

الآية ٧٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أريد أن أبين أيضا أن الأمر الذي كان سببا لضلal عبد الحكيم خان، وبسببه خطر بباله أنه لا حاجة لاتباع النبي ﷺ، إنما هو سوء فهمه لمضمون آية من القرآن نتج عن قلة العلم والتدبر. والآية هي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٣) فقد استنتج منها استنتاجا خاطئا بسبب غبائه وفهمه المعوج أنه لا حاجة للإيمان بالنبي ﷺ. من المؤسف جدا أن أناسا مثله يتبعون أنفسهم الأمانة ويخالفون محكمات القرآن الكريم وبيناته، ويبحثون عن ملاذ في المتشابهات بُغية الخروج من الإسلام. فليعلموا أنهم لا يستطيعون الاستفادة شيئا من هذه الآية أيضا، لأن الإيمان بالله تعالى والإيمان بالآخرة يستلزمان الإيمان بالقرآن الكريم والنبي ﷺ. والسبب في ذلك أن الله تعالى قد بين في القرآن الكريم معنى اسمه "الله" أن الله هو رب العالمين والرحمن والرحيم الذي خلق الأرض والسماء في ستة أيام وخلق آدم، وأرسل الرسل والكتب، وأخيرا خلق محمداً المصطفى ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء وخير الرسل. والمراد من اليوم الآخر حسب القرآن الكريم هو اليوم الذي يحيا فيه الموتى ويدخل فريق في الجنة التي هي مكان النعم الروحانية والمادية، ويدخل فريق في جهنم وهي مكان العذاب الروحاني والجسدي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم إنما يؤمن باليوم الآخر أولئك الذين يؤمنون بهذا الكتاب.

فما دام الله قد بين بصراحة معنى كلمة "الله" و"اليوم الآخر" -وهو خاص بالإسلام- فإن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر يجب عليه أن يؤمن بالقرآن الكريم ويؤمن بالنبي ﷺ أيضا، ولا يسع أحدا أن يغير هذا المعنى. ولسنا مخولين أن نختلف من عند أنفسنا معاني أخرى تتنافى مع المعاني التي بينها القرآن الكريم وتناقضها.

لقد قرأنا القرآن الكريم مرارا وتبانٍ من البداية إلى النهاية وتدبرنا في معانيه جيدا، فعلمنا بكل وضوح وجلاء أن اسم "الله" جعل موصوفا لكافة الصفات والأفعال الإلهية المذكورة في القرآن الكريم. فمثلا ورد في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: ٢-٣) وهناك آيات أخرى كثيرة بهذا المعنى ورد فيها أن الله هو الذي أنزل القرآن، وأن الله هو الذي أرسل محمدا رسول الله. فما دام مضمون "الله" بحسب مصطلح القرآن يضم معنى أن الله الذي أرسل محمدا ﷺ فمن الضروري ألا يُعتد بإيمان من يؤمن بالله فقط، ولن يُعتد كاملا وصادقا ما لم يؤمن بالنبي ﷺ. لم يقل الله تعالى في هذه الآية: مَنْ آمَنَ بِالرَّحْمَنِ، أو مَنْ آمَنَ بِالرَّحِيمِ، أو مَنْ آمَنَ بِالكَرِيمِ. بل قال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ والمراد من "الله" هو الجامع لجميع الصفات الكاملة. ومن صفاته العظيمة أنه أنزل القرآن الكريم. ففي هذه الحالة لا يمكن لنا القول عن شخص مؤمن بالله إنه يؤمن حقاً به ﷻ إلا إذا كان يؤمن بالنبي ﷺ ويؤمن بالقرآن الكريم أيضا. وإذا تساءل أحد: ما معنى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ فليعلم أن معناها الذين يؤمنون بالله فقط لا يُعتد بإيمانهم ما لم يؤمنوا برسول الله، أو ما لم يكملوا إيمانهم.

والجدير بالذكر أيضا أنه لا يوجد في القرآن الكريم أي تناقض قط؛ فلا يمكن أن يقول الله تعالى في مئات الآيات إن التوحيد وحده لا يكفي بل لا بد من الإيمان بنبيٍّ ه من أجل النجاة إلا إذا كان أحد لا يعرف عن النبي شيئا، ثم يقول في آية أخرى عكس ذلك؛ أن في التوحيد كفاية للنجاة ولا حاجة للإيمان بالقرآن الكريم والنبي ﷺ! والأغرب من ذلك أن التوحيد لم يُذكر في هذه الآية أصلا. لو كان المراد هو التوحيد لقل: مَنْ آمَنَ بالتوحيد، بينما الكلمات الواردة في الآية هي: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فجملة: ﴿آمَنَ بِاللَّهِ﴾ تفرض علينا أن نتدبر بالمعنى الذي ورد فيه اسم "الله" في القرآن الكريم. فما دمنا قد علمنا من القرآن الكريم أن كلمة "الله" تتضمن

معنى: الله الذي أنزل القرآن وأرسل محمداً ﷺ، فمن مقتضى أمانتنا أن نقبل المعنى الذي صرح به القرآن الكريم، ولا نختار سبلاً أخرى هي من اختراعنا نحن.

إضافة إلى ذلك، قد بينا من قبل أنه يجب على الإنسان أن يكون يقينه بوجود الله كاملاً من أجل الحصول على النجاة، ولا يقتصر على اليقين فقط بل يجب أن يكون على أتم الاستعداد للطاعة أيضاً ويعرف سبل مرضاته ﷻ. وهذان الأمران لم يتحققا منذ خلق العالم إلا بواسطة رسل الله تعالى. فكم هي سخيفة الفكرة القائلة بأن الذي يؤمن بالتوحيد ولا يؤمن برسول الله يمكن أن ينال النجاة!

فيا أيها الجاهل العمّة! أتّى يمكن الفوز بالتوحيد دون اتخاذ الرسول وسيلةً. إن مثّل ذلك كمثّل الذي ينفر من النهار المشرق ويفر منه ثم يقول تكفيني الشمس ولا حاجة لي بالنهار. فهذا الجاهل لا يدري أن الشمس لا تنفصل عن النهار. يا للأسف! إن هؤلاء الجهال لا يفهمون أن الذات الإلهية وراء الورا وغيب الغيب وخفاء الخفاء، وليس بوسع أي عقل أن يدركها، كما قال تعالى بنفسه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٤) أي لا تدركه الأبصار والبصائر وهو يعلم منتهاها وغالبٌ عليها. فمعرفة توحيده مستحيلة بمجرد العقل، لأن حقيقة التوحيد هي أن يتخلى المرء عن الآلهة الكونية الباطلة، أي يجتنب عبادة الأوثان أو الناس أو الشمس والقمر وغيرهما، كذلك عليه أن يجتنب الآلهة الباطلة الكامنة في نفسه، أي الاتكال على قواه الجسدية والروحانية، وأن يحمي نفسه من التعرض لبلاء العُجب الناتج عنها. والبديهي في هذه الحالة أن الفوز بالتوحيد الكامل لا يتحقق إلا بالتمسك بذيل الرسول والتخلي عن الأنانية. والذي يُشرك أياً من قواه مع البارئ تعالى فأتّى له أن يسمّى موحّداً؟!!

ولهذا السبب أناط القرآن الكريم -في مواضع عدة- التوحيد الكامل باتباع الرسول. والتوحيد الكامل إنما هو حياة جديدة، ولا يمكن الفوز بالنجاة ما لم يكن

الإنسان متبعا رسول الله ومتخليا عن حياته السفلية. وإضافة إلى ذلك إن قول قليلي الفهم هؤلاء يستلزم الاختلاف في القرآن الكريم، لأنه من ناحية يقول في شتى المواضع: لا يتسنى التوحيد ولا النجاة إلا بواسطة الرسول، ومن ناحية ثانية يبدو وكأنه يقول إن هذا ممكن. والحق أن الرسول وحده هو شمس التوحيد والنجاة ومظهرهما، ونوره يتجلى التوحيد. باختصار، لا يمكن أن يُنسب التناقض إلى كلام الله تعالى.

إن أكبر خطأ ارتكبه هذا الجاهل هو أنه لم يفهم حقيقة التوحيد قط. إن التوحيد نور ينشأ في القلب ويدخل كل ذرة من وجود الإنسان بعد تخليه عن الآلهة المترتبة على النفس والموجودة في الكون؛ فأئى له أن يفوز به بقوته هو دون واسطة الله ورسوله! يجب على الإنسان أن يقضي على أنانيته ويتخلى عن الزهو الشيطاني الذي يوحى إليه أنه قد تربى في محيط العلوم، وأن يعدّ نفسه كجاهلٍ ويظل عاكفا على الدعاء.. عندها سينزل عليه نور التوحيد من الله وسيهبه حياة جديدة.

وأخيراً أرى من المناسب أن أبين أنه لو قبلنا جدلاً أن كلمة "الله" تعطي معنى عادياً أي "الإله"، وغضضنا الطرف عن المعنى الذي يتضح بالتدبر في القرآن الكريم -وهي أن كلمة "الله" تعني أنه هو الذات الذي أنزل القرآن الكريم وبعث النبي ﷺ- ففي هذه الحالة أيضاً لا تفيد هذه الآية معارضتنا لأنها لا تعني أن الإيمان بالله وحده يكفي للفوز بالنجاة؛ بل معناها أن الذي يؤمن بالله -علماً أن "الله" اسمه الأعظم- الذي هو مجامع لجميع الصفات الكاملة فلن يضيعه الله بل يجذبه إلى الإسلام جذبا لأنّ صدقاً يهدي إلى قبول صدق آخر. والمؤمنون بالله إيماناً خالصاً يصلون إلى الحق في نهاية المطاف.

لقد جاء في القرآن الكريم وعدٌ أن الذي يؤمن بالله بصدق القلب لن يضيعه الله، بل سيكشف عليه الحق ويهديه إلى الصراط المستقيم، كما يقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، وتعني هذه الآية أن المؤمن بالله لا يُضاع بل يهديه الله هداية كاملة. ولقد أورد الصوفيون على ذلك مئات الأمثلة أن أناسا من أمم أخرى حين آمنوا بالله بكمال الإخلاص وعكفوا على الأعمال الصالحة جزاهم الله على إخلاصهم ففتح عيونهم وكشف عليهم صدق النبي ﷺ آخذا بأيديهم بوجه خاص. وهذا هو معنى الجزء الأخير من الآية حيث قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، ولا يظهر أجر الله في الآخرة ما لم يظهر في الدنيا أولا. وإن أجر الإيمان بالله في الدنيا هو أنه تعالى يهدي المؤمن مثله هداية كاملة ولا يضيعه. وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٦٠) أي إن الذين هم أهل الكتاب حقا ويؤمنون بالله وكتبه بصدق القلب ويعملون بذلك سيؤمنون بهذا النبي في نهاية المطاف. وهذا ما حدث بالفعل. أما الحنثاء الذين لا يستحقون أن يُدعوا أهل الكتاب لا يؤمنون. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك في تاريخ الإسلام يتبين منها أن الله كريم ورحيم بحيث لو كسب أحد حسنة مثقال ذرة لوقفه للإسلام جزاء عليها.

لقد ورد في الحديث ما مفاده أن صحابيا قال للنبي ﷺ بأي أنفقت كثيرا على المساكين في حالة الكفر ابتغاء مرضاة الله، فهل لي في ذلك أجر؟ قال ﷺ: تلك الصدقات هي التي أتت بك إلى الإسلام.

لذا فإن الذي يؤمن بالله واحدا لا شريك له ويحبه، أيا كان دينه، يُوقفه الله تعالى للإسلام حسب مدلول الآية: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وهذا ما حدث مع باوانانك، فقد ترك عبادة الأصنام واختار التوحيد بكل إخلاص وأحب الله تعالى فظهر عليه الإله الذي قال في الآية المذكورة أعلاه: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهداه إلى الإسلام بوحي منه فأسلم ثم حج أيضا.

وقد ورد في كتاب "بحر الجواهر" أن يهوديا اسمه أبو الخير كان صالحا وصادقا يؤمن بالله واحدا لا شريك له، وكان قد مرَّ في السوق حين سمع من مسجد صوت شابٍ يقرأ آية القرآن الكريم: ﴿لَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢-٣) ... هل يوجد فيه الصمود والصدق والإخلاص مثل المؤمنين أم لا. فأثرت الآية في قلب أبي الخير كثيرا وَلَيَنْتَه. فوقف مستندا إلى جدار المسجد وبكى بكاء مُرًّا. ثم جاءه سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ في منامه ليلا وقال: "يا أبا الخير أعجبني أن مثلك مع كمال فضلك ينكر بنبوتي". وما إن أصبح الصباح حتى أسلم أبو الخير وأعلن إسلامه.

فملخص الكلام أني لا أستطيع أن أفهم قط أن يؤمن الإنسان بالله تعالى ويؤمن به واحدا لا شريك له فينقذه الله من النار ولا ينقذه من العَمَةِ، في حين أن أساس النجاة هي المعرفة كما يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (بني إسرائيل: ٧٣) صحيح تماما أن الذي لم يعرف رسل الله لم يعرف الله. إن مرآة وجه الله تعالى هم رسله. وكلُّ من يرى الله تعالى فإنما يراه من خلال هذه المرآة. فأَي نوع من النجاة هذه أن يكذب المرء النبي ﷺ وينكره طول حياته، وينكر القرآن الكريم أيضا فلا يرزقه الله عيونا ولا قلبا بل يبقى أعمى ويموت أعمى، ومع ذلك يحوز على النجاة؟ إن هذه النجاة لغريبة حقا. ونرى أيضا أن الله تعالى إذا أراد بأحد رحمةً رزقه عيونا أولا ووهب له من لدنه علما. هناك مئات من الناس دخلوا جماعتنا عن طريق الرؤى أو الإلهام فقط. إن الله واسع الرحمة فمن يخطو إليه خطوة واحدة يخطو الله إليه خطوتين، ومن يأتيه مشيا يأتي الله إليه هرولة، ويصير عيون العميان. فكيف نقبل إذن أن يؤمن أحد به ﷺ ويؤمن به واحدا لا شريك له بصدق القلب ويحبه ويدخل في أوليائه ومع ذلك يتركه الله أعمى، فيبقى أعمى فلا يقدر على معرفة نبي الله. وهذا ما يؤيده الحديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه

فقد مات ميتة الجاهلية، أي حُرِمَ من الصراط المستقيم. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٤-١٥١)

الآية ٧٦: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

هذه الآية أيضا تنص صراحة على موت المسيح، لأنها تبين بجلاء تام أن عيسى ﷺ وأمه؛ لا يأكلان الطعام الآن، بل كانا يأكلانه في زمن من الأزمنة، وهذا ما تدل عليه كلمة ﴿كَانَا﴾ التي تبين حدثاً حصل في الماضي وليس الحاضر. فالكُل يستطيع أن يفهم الآن بأن مريم مُنعت من الأكل لأنها ماتت. ولما كان لفظ ﴿كَانَا﴾ بصيغة التثنية، وتشمل عيسى ﷺ ومريم معا، وينطبق عليهما حكم واحد، فلا بد من التسليم بموته أيضا مع التسليم بموت مريم، لأن الآية لا تقول إن مريم مُنعت من أكل الطعام بسبب الموت بينما مُنعت ابنها منه لسبب آخر. ولو قرأنا الآية المذكورة آنفاً، مع الآية: ﴿مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، لتوصلنا إلى نتيجة قاطعة ويقينية أن المسيح ﷺ قد مات في الحقيقة، لأنه قد ثبت من الآية الأولى أنه لا يأكل الطعام الآن، وتقول الآية الثانية إنه لا مناص للجسم المادي من أكل الطعام ما دام حيا. والنتيجة الحتمية لذلك أنه ليس حيا الآن. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٥-٤٢٦)

ما دام الأمر الحق أن أعظم علامة لمعرفة المخلوق هي أن المخلوقات تتشارك وتتشابه ولا يملك أي منها ميزة وخصوصية ذاتية لا يشاركه فيها غيره، حقيقةً أو ظلياً. فلو قبلنا في هذه الحالة أن أحداً من أفراد البشر يتميز عن غيره كلياً من حيث بعض صفاته أو أفعاله، ويفوق لوازم البشرية وينفرد مثل الله تماماً في فعله هذا أو صفته، فكأننا جعلناه شريكاً في صفة وحدانية الله تعالى. هذا سرٌ دقيق فتدبروه حق التدبر.

فلما ذكر الله تعالى في كلامه المجيد وفاة المسيح ﷺ مرارا، حتى ذكره مقرونا بذكر أمه مريم الصديقة التي تُوِّقِت باتفاق الجميع فقال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾؛ أيّ كانا يأكلان الطعام ما داما حيّين. لقد كان السبب وراء هذا التأكيد أنه ﷺ كان يعلم جيدا - بناء على علمه الأزلي - أن الناس في الزمن الأخير سيقعون في فتنة شديدة نتيجة عقيدة حياة المسيح، وأن تلك الفتنة ستكون مضرة جدا بالإسلام، لذا قد حكم سلفا ووضح بكل جلاء أن المسيح ﷺ قد تويّ. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٥)

العبارة: "قد خلت من قبله الرسل"، استدلال لطيف على سبيل القياس الاستقرائي لأن مرتبة الاستقراء أعلى وأسمى من بين جميع أنواع القياسات بحيث لو أُعرض عن مرتبته القطعية واليقينية لفسد نظام الدين والدنيا كله. ولو أمعنا النظر في الموضوع لعلمنا أن الجزء الأكبر من الدنيا وأحداث الأزمنة الغابرة ثبتت بالاستقراء فقط. فمثلا نقول اليوم بأن الإنسان يأكل بالفم ويرى بالعين ويسمع بالأذن ويشم بالأنف ويتكلم باللسان، ثم لو قدّم أحد كتابا مقدسا جاء فيه أن هذه الأمور لا تتعلق بالأزمنة الخالية بل كان الإنسان في غابر الأزمان يأكل بالعين ويتكلم بالأذن، وكان يرى بالأنف، وغير أمورا أخرى أيضا على هذا النحو، أو قال مثلا إنه لم تكن للإنسان في الأزمنة الخالية عينان بل كانت له عشرون عينا، عشرة في الوجه وعشرة في الظهر، فيجب على القراء أن يفكّروا في هذه الحالة أتّى لنا أن نتحاشى ونعرض عن النتيجة الحتمية التي ظهرت للعيان نتيجة القياس الاستقرائي، وإن افترضنا جدلا أن مؤلف هذه العبارات الغريبة كان شخصا مقدسا وصادقا! فإنني أرى أنه إذا وُجد شخصٌ مقدس مثله، وليس واحدا بل أكثر من عشرة ملايين شخص، وأرادوا أن ينقضوا النتائج القطعية واليقينية للقياس الاستقرائي لما استطاعوا ذلك قط. بل لو كنا منصفين وعادلين، وكنا نعتبر ذلك الشخص مقدسا فعلا ثم وجدنا في كلامه

ما يخالف الحقائق المشهوددة والمحسوسة لصرفناها عن الظاهر احتراماً لقدسيتها ولفسرناها بما يحافظ على قداسته، وإلا ليس ممكناً أن نعرض عن الحقائق الثابتة بالاستقراء القاطع واليقيني بناءً على رواية واحدة. ومن ظنّ ذلك فعليه تقع المسؤولية أن يقدم شيئاً تأييداً وتصديقاً لتلك الرواية على عكس الاستقراء الثابت والقاطع واليقيني. فمثلاً إذا كان هناك أحد يجادل ويصر على أن الناس في الأزمنة الخالية كانوا يرون باللسان حتماً، وكانوا يتحدثون بالأنف فعليه أن يثبت ذلك. وما لم يثبت ذلك فمن المستبعد جداً من عاقل متحضر أن يختار معنى مغايراً ومنافياً تماماً للمعنى الثابت بالحقائق معتمداً على عبارات لها عشرات المعاني، إن كانت تلك العبارات صحيحة أصلاً.

فمثلاً إذا قال أحد للطبيب بأن سم الفأر والسم الذي يُستمد من اللوز المرّ وسم البيش ليست سموماً وإن أعطي طفل منها بقدر لَتَرين فلا ضير في ذلك، ثم قدّم أمامه دليلاً أن هذا مكتوب في كتاب مقدس كذا وكذا برواية راوٍ موثوق به فهل سيتخلى الأطباء، احتراماً لذلك الكتاب المقدس، عن أمر بلغ مبلغ الثبوت بقياس الاستقراء؟

باختصار، ما دام قياس الاستقراء يحتل المرتبة الأعلى لإثبات حقائق العالم فمن هذا المنطلق قدّم الله جلّ شأنه قياساً استقراءياً قبل غيره وقال: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي لا شك أن المسيح عليه السلام كان نبياً ورسول الله الحبيب ولكنه كان إنساناً على أية حال. فانظروا بنظرة فاحصة منذ أن بدأت سلسلة التبليغ ونزول كلام الله هل ظلّ الأناس يأتون في الدنيا منذ القدم حائزين على مرتبة الرسالة أم أتى مرةً ابن الله أيضاً؟ وإن كلمة ﴿خَلَتْ﴾ تلفت الأنظار إلى أنّ عليكم أن تتأملوا وتتدبروا بقدر ما يستطيع نظركم العودة إلى الوراء ويفحص التاريخ، وبقدر ما تستطيعون أن تعرفوا أحوال الناس الذين خلوا، هل انقطعت هذه السلسلة في وقت

من الأوقات؟ هل لكم أن تأتوا بنظير يثبت أن ذلك ممكن وحدث بين فينة وفينة من قبل أيضا؟ فعلى كل عاقل أن يتوقف هنا هنيهة وقفة تأملية ويفكر واضعا خشية الله جلّ شأنه في البال أن سلسلة الأحداث تقتضي أن يكون لها نظير في زمن من الأزمنة الخالية.

إن جميع الأنبياء والصلحاء المذكورين في الكتاب المقدس الذين ورد فيه بحقهم أنهم كانوا آلهة أو أبناء الله لو حُمِلت تلك الكلمات محل الحقيقة لاضطررنا إلى الاعتراف بأن من سنة الله أن يرسل الأبناء بل البنات أيضا أحيانا. لا شك أن هذا الدليل يبدو قويا في الظاهر، إن أعجب المسيحيين، وليس لأحد أن ينقضه لأنه لم يُذكر هنالك "الحقيقي" أو "غير الحقيقي" بل ذكر البعض بكلمة "البكر" أيضا؛ ولكن في هذه الحالة سوف يزداد عدد الأبناء كثيرا.

فلباب القول بأن الله جلّ شأنه قد قدم دليل الاستقراء أولا وقبل كل شيء لإبطال الألوهية. ثم أتى بدليل آخر فقال: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾. من الواضح أنه لو اعتُبر المسيح ﷺ ابنا حقيقيا لله جلّ شأنه لكان ضروريا ألا يكون بحاجة كحاجة الآخرين إلى أن يولد من بطن أمّ كانت إنسانا باتفاق الفريقين لأنه من الواضح الجلي أن قانون الله جلّ شأنه في الطبيعة ينص على أن سلالة كل كائن حي تكون من نوعه فقط. فترى أن كل أنواع الحيوانات بما فيها الإنسان والأحصنة والحمير والطيور مثلا تتوالد بحسب أنواعها. وليس أن يولد الطير من بطن الإنسان أو يحدث العكس.

ثم قدّم ﷺ دليلا ثالثا فقال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾. أي المسيح وأمّه الصديقة عليهما السلام. الآن، يمكنكم أن تفهموا لماذا يأكل الإنسان الطعام، ولماذا هو بحاجة إليه؟ السر في ذلك أن سلسلة التحلل^٦ جارية في جسد الإنسان بصورة دائمة، بل ثبت من الأبحاث القديمة والجديدة أن جسم الإنسان يتحلل وينعدم في غضون بضعة سنوات ويحل محله جسم آخر بدل الذي تحلل. وكل غذاء يستهلكه

الإنسان يؤثر في روحه أيضا، لأنه من الثابت تماما أن الروح تؤثر أحيانا في الجسم وأحيانا أخرى يحدث العكس. فمثلا حين تفرح الروح بغتة تطرأ عليها أمارات الفرح أي تعلو الوجه البشاشة واللمعان. وفي بعض الأحيان تطرأ على الروح أمارات مثل الضحك أو البكاء. فما دام الحال على هذا المنوال فكم هو بعيد عن شأن الألوهية أن يظل جسم الإله أيضا في تحلل مستمر ويحل محله جسم آخر بعد بضع سنوات! وأضيف إلى ذلك أن الاحتياج إلى الأكل يعارض مفهوم الألوهية المسلّم به في ذات الله أيما معارضة. والمعلوم أن المسيح عليه السلام لم يكن بريئا من الاحتياجات التي تلازم الناس جميعا. ودليل قوي على ذلك هو: هل كان المسيح عليه السلام لا يزال إلها أو ابن إله على الرغم من تلك المعاناة والآلام؟ قد استخدمت كلمة "الآلام" لأن الجوع أيضا نوع من الألم، ولو تفاقم لبلغ الأمر الموت. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦. ص ٨٩-٩٣)

في هذه الآية يُبطل الله تعالى ألوهية عيسى عليه السلام ويقول بأن الأنبياء السابقين قد ماتوا جميعا، وأن فكرة وجود المسيح حيا في السماء باطلة تماما، فكيف يمكن أن تثبت ألوهية المسيح بهذا الدليل؟ فهو باطل في حد ذاته؛ لأن سهم الموت لم يخطئ قط، بل أصاب الجميع. والدليل الثاني على عبوديته هو أنه وُلد من بطن أمّ بينما لا أمّ للإله. والدليل الثالث على عبوديته هو أنه وأُمّه كانا يأكلان الطعام حين كانا حيّين، والله منزّه عن تناول الطعام، لأن الطعام يعوّض ما يتحلّل، والله أسمى من أن يصيبه التحلل، بينما كان المسيح يأكل الطعام. فإذا كان إلها فهل يتحلّل وجود الإله أيضا؟ ففي ذلك إشارة إلى أن البحوث الطبيعية تؤكد على أن جسم الإنسان يتغير تماما إلى ثلاثة أعوام، إذ تتحلّل أجزأه السابقة وتحل محلها أجزاء جديدة، ولكن الله تعالى بريء من هذا النقص. فقد قدّم الله تعالى هذا الدليل على كون عيسى عليه السلام إنسانا.

ولكن الأسف كل الأسف على الذين يعتقدون بوجود عيسى عليه السلام في السماء حيا ويقولون إنه ليس فيه ما يجعل سلسلة التحلل تعمل فيه عملها مثل الناس، وأن وجوده مصون من الفناء دون أن ينال بواسطة الغذاء بدل ما يتحلل.

وبذلك يريدون أن ينقضوا برهانا ودليلا أقامه الله تعالى في الآية المذكورة آنفا. بمعنى أن الله تعالى يقيم دليلا على كون عيسى عليه السلام إنسانا، أنه كان أيضا محتاجا إلى الطعام مثل بقية الناس، وما كان ممكنا أن يبقى جسده قائما بدون الطعام، بل كان بحاجة إلى تعويض ما يتحلل. ولكن هؤلاء الناس الذين يوصلون عيسى عليه السلام إلى السماء بالجسد المادي، يعتقدون أن وجوده يمكن أن يبقى قائما بدون الطعام. وكأنهم يقيمون دليلا على ألوهية عيسى عليه السلام بخلاف مشيئة الله تعالى. من المخجل فعلا أن يسيء هؤلاء القوم إلى البرهان الذي قدمه الله تعالى لإثبات إنسانية عيسى، لأن ما ينكر الله تعالى وجوده في المسيح ليُتَّخَذَ بسببه إلها، يقول هؤلاء القوم بأنه موجود فيه. فهذه إساءة إلى حجة الله الكاملة التي يقدمها لإثبات كون عيسى عليه السلام إنسانا. وإذا صح القول بأن عيسى عليه السلام، مع جسده المادي، لا يحتاج إلى أكل الطعام، ويمكن أن يبقى قائما من تلقاء نفسه مثل الله، فهذا دليل على ألوهيته ظلّ المسيحيون يقدمونه منذ القدم. ولا يكفي القول مقابله بأنه كان يأكل الطعام حين كان على الأرض ولا يأكله في السماء، لأنه يمكن للمعارض أن يقول بأنه كان يأكله أثناء وجوده على الأرض بخياره هو، ولم يكن محتاجا إليه كبقية الناس، لأنه لو كان محتاجا إليه لظل محتاجا إليه في السماء أيضا.

إني أتأسف مرارا وتكرارا على هؤلاء القوم لأن الله تعالى يقدم أكل المسيح الطعام دليلا على كونه إنسانا ولكن هؤلاء القوم يعتقدون أنه يعيش في السماء منذ ١٩٠٠ عام بدون أكل الطعام، وإن أكله على الأرض لثلاثين عاما. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٣٩٢-٣٩٣)

سُميت السيدة مريم بالصديقة. وهذا لا يعني أن النساء الأخريات لم يكن صديقات، وهي الأخرى سميت بهذا الاسم لأن اليهود كانوا يتهمونها فبرأها الله من هذه التهمة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣م، ص ٥٧)

إن كلمة ﴿صِدِّيقَةٌ﴾ الواردة بحق أمّ المسيح عليه السلام هي الأخرى ذبًا لاعتراض فقط. إذ كان اليهود يصفونها بالفاسقة والفاجرة، والعياذ بالله. فدحض القرآن الكريم اعتراضاتهم بوصفه إياها بالصديقة، ولا تثبت منها أي ميزة أو مفخرة ولا هي تفيد المسيحيين أيما فائدة بل يجدر بهم أن لا يذكروا هذه الأمور أصلا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣م، ص ٨)

الواقع أن اليهود كانوا قد اعترضوا على حضرة المسيح عليه السلام أن ولادته غير شرعية كما اتهموا أمه مريم بالزنا. فمن واجب القرآن الكريم أن ينزه جميع الأنبياء ويفند التهم عليهم، فلذا استخدم بحق مريم كلمة "الصِّدِّيقَة" مقابل "الزانية"، ووصف المسيح معصوما من مس الشيطان. فمعلوم أنه لو برئت ساحة امرأة واحدة فقط في حارة وقيل بحقها أنها ليست سيئة بل صالحة فهذا لا يستلزم أن تكون سائر ساكنات الحارة سيئات وخبيثات حتما، وإنما يعني أن التهمة التي ألصقت بها هي باطلة. أو إذا قيل بحق رجل واحد أنه سعيد وصالح فهذا لا يستلزم الاعتقاد بأن بقية الرجال كلهم ليسوا سعداء وصالحين بل خبيثون. فمثل ذلك كانت قضية المسيح عليه السلام وأمه، حيث كانا متهمين فنزَّههما الله تعالى وشهد بحقهما أنهما صالحان وبريثان من التهمة. فإذا برأ قاض متهما في قضية القتل في مدينة فهل يلزم ذلك الاعتقاد بأن جميع سكان المدينة قاتلون ودمويون؟ باختصار، كانت البدع والمفاسد من هذا النوع منتشرة، فبعثني الله لإزالتها. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٥، عدد ١٦/٤/١٩٠٤م، ص ٤)

هناك آية أخرى تدل على وفاة عيسى عليه السلام وهي ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾.. أي عندما كان المسيح عليه السلام والسيدة مريم عليها السلام حيَّين كانا يأكلان. واضح

أنه لو كان لترك الأكل سببان لذكرهما الله على حدة، أي أن السيدة مريم تركت الأكل بسبب الوفاة، أما عيسى فلم يعد يأكل لسبب آخر! بل إن ذكرهما في آية واحدة يدل على اتحادهما في أمر واقع، ليتبين أن كليهما قد توفّي. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٩١)

الآية ٨٤: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

يهتم الجميع بالماء، أما هؤلاء فقد اهتموا بالبركة وما شابهها، وأما القرآن الكريم فقد ذكر ماء الأعين عند البكاء من خشية الله والتضرع إليه. لقد اهتم هؤلاء بالظاهر ولكن القرآن الكريم اهتم بالحقيقة فقال: ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧٤٠٢/١٩٠٢ م، ص ١٣)

الآية ٩٠: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

... إذا حلفتم فأنقذوا حلفكم من الكذب ونقض العهد وسوء النية. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٦٢٥، الحاشية)

الآية ٩١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

أي شرب الخمر ولعب القمار وعبادة الأصنام والتطير كلها أعمال شيطانية نجسة يجب أن تجتنبوا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

حين يكون الإنسان أعمى بالتعصب وحياة الفسق، لا يرى الفرق بين الحق والباطل، ويعدّ كل حلال حرامًا وكلّ حرامٍ حلالًا، ولا يتورع عن ترك الحسنة والبر، فالخمر التي هي أم الخبائث يعدها المسيحيون حلالًا لكنها في شريعتنا محرمة قطعًا، وقيل إنها: ﴿رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، فهل يقدر قسٌّ على أن يُخرج لنا حرمة الخمر في الإنجيل؟ بل هي بالعكس حُسبتْ مباركة لدرجة أنها كانت أول معجزة للمسيح، فكيف لا يتشجعون على شربها؟ فأكبر صالح فيهم يتناول زجاجة من البراندي حتّى في اليوم على الأقل، فكثرة الخمر أدت إلى جرائم جديدة في أوروبا كل يوم... القمار يلزم إتلاف الحقوق، كما يلزم شرب الخمر ذنوبًا أخرى، مثل الزنا والقتل. فحسبما نعرف من أوضاع المجرمين نرى أن الزنا يتفشى نتيجة شرب الخمر، فكما تحتل أوروبا المركز الأول في شرب الخمر فهي الأولى في ارتكاب الزنا أيضًا. (الحكم مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧٧/٦/١٩٠٣م، ص ١٧)

الآية ١٠٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

لو تأمل المرء في السؤال الذي ينشأ في قلبه وتدبّر فيه بالبر والتقوى نال به علمًا. وأرى أن من علامة صفاء قلبك وحسن نيتك أنك تسألني عما لا تستوعبه. هناك أناس كثيرون تساور قلوبهم شبهة، ولكنهم لا يسعون لدفعها ولا يسألون عنها، فتظل تنمو وتزداد بداخلهم، ثم تبيض وتلد شكوكا وشبهات أخرى، وتدمر روحهم في النهاية. إذا لم يفهم المرء أمرًا، ولم يسأل عنه، بل تبتى عنه الرأي من عنده، أدى به هذا الضعف إلى النفاق. أن يهلك الإنسان هكذا روحه بنفسه ليس أدبًا عندي. غير أنه صحيح تمامًا أن السؤال عن كل صغيرة وكبيرة أمرٌ غير مناسب، وقد تُهينا عن ذلك في قول الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ

أَشْيَاءٌ»، كما نُهِنَا أيضا من التجسس على الآخرين بحثًا عن عيوبهم. فكيف الأمران سيَّئٌ. ولكن إذا حاك في صدرك أمرٌ ذو بال، فيجب الاستفسار عنه. إنما مثل ذلك أن يأكل المرء طعاما فاسدا، فيفسد معدته، فيشعر بالغثيان، ويجب عليه في هذه الحالة أن يتقيأ فوراً ويستخرجه من بطنه، وإلا فسيُفسد الطعام الفاسد جهاز هضمه، ويؤدي إلى تدهور صحته. فكما أنه لا بد من إخراج الطعام الفاسد من المعدة فوراً، كذلك يجب أن يتخلص المرء فوراً مما حاك في صدره. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠٤/١٠٣/١٩٠٣ ص ١)

لقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾، فيجب ألا يتجسس المرء كثيرا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠٨/١٠٣/١٩٠٣، ص ٢٠)

الآية ١٠٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أي يا أيها المؤمنون عليكم أن تصلحوا أنفسكم أولاً ثم تستحقون أن تصلحوا الآخرين. يتبين من هنا أنه من الضروري أن يصلح المرء نفسه أولاً. وما لم نرض الله بأعمالنا فإن دعوة الآخرين إلى رضاه ﷺ عبث. والذي ليس فيه نور أنى له أن يهبه لغيره؟ والذي يتعثر بنفسه أنى له أن يساند الآخرين؟ والذي ليس مطهراً بنفسه كيف يطهر غيره؟ والذي يستخدم اللسان فقط يعتبر الدين لعبة الأطفال. فلا يقتصر الأمر على أنه لا فائدة فقط من المصلحين من هذا القبيل بل يتضرر البلد بسببهم بشدة... فأقول: إن الذي يريد أن يكون مصلحاً عليه أن يصلح نفسه أولاً، وليخلق النور في نفسه أولاً عندها فقط يمكن أن يصل منه النور إلى الآخرين. انظروا إلى الشمس أنها استنارت أولاً ثم صارت قابلة لإنارة الآخرين. كذلك يستمد القمر أيضاً ضوءاً أولاً من الشمس ثم يوصله إلى الآخرين. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١٠، ص ٣٥٠-٣٥١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ ويتبين من ذلك أن تصلحوا أنفسكم أولاً. ومن لم يكن فيه نور بنفسه ويستخدم لسانه فقط يجعل الدين لعبة أطفال. والحق أن المصلحين من أمثالهم هم الذين أضروا بالبلد؛ إذ تجري الفلسفة والمنطق على ألسنتهم ولكن الباطن يكون خالياً.

يعلم الله أني أقول بمنتهى المواساة سواء أسمعته أحد بحسن الظن أو بسوء الظن، ولكنني أقول بأن الذي يريد أن يكون مصلحاً يتحتم عليه أن يستنير بنفسه ويصلح نفسه أولاً. خذوا الشمس المنيرة مثلاً فإنها حازت النور بنفسها أولاً. أعلم يقيناً أن معلّم كل قوم أعطى التعليم نفسه. إنّ ضرب أحد بالعصا سهل في هذه الأيام ولكن التضحية بالنفس صارت صعبة. فمن أراد أن يصلح القوم ويواسيهم فليبدأ أولاً بإصلاح نفسه. لماذا كان الأولياء والصالحاء في قديم الزمان يذهبون إلى الفلوات لإصلاح أنفسهم؟ ما كانوا يطلقون ألسنتهم مثل المحاضرين المعاصرين ما لم يعملوا بأنفسهم أولاً. هذا هو سبيل قرب الله ووجهه. فالذي لا يجد في نفسه شيئاً مثله كمثّل ماء الميزاب الذي يؤدي إلى الخلافات، أما الذي يتكلم مليئاً بنور المعرفة والعمل فمثله كمثّل المطر الذي يُعَدّ رحمة. تذكّروا نصيحتي في هذا الوقت، إذ لن تروني هنا بعد اليوم، ولا أعرف هل ستستسي الفرصة بعد ذلك أم لا، واعملوا لرفع الخلافات. أيا كان اعتقادكم بي اعملوا بنصيحتي واضعين في الحسبان:

مرد باید که گیر داند رگوش در نوشت است پند برد یوار

أي: يجب على الإنسان أن يتعظ بالنصيحة وإن كانت مكتوبة على الجدار. من تناول السم بنفسه أتى له أن يعالج تسّم الآخرين؟ ولو فعل لمات بنفسه وأهلك غيره أيضاً لأن السم قد أثّر فيه سلفاً. ولما كانت قواه العقلية لم تُعد على ما يرام، فعلاجه سيضر بدلاً من أن ينفع. إذن، إن السبب وراء تفاقم الفرقة هم الذين لم يتعلّموا إلا تشحيد ألسنتهم. (الحكم مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧٥٩/٩/١٩٠٤م، ص ٧)

أنه يجب أن تتذكروا ثلاثة أمور من أجل التغير في نفوسكم:

(١) استخدموا الحكمة والجهد مقابل النفس الأمارة. (٢) ركّزوا على الدعاء (٣) لا تتكاسلوا ولا تتهاونوا ولا تتعبوا. فإذا بقيت جماعتنا أيضا بذرة محضة لن تبني فائدة. الذين يرضون بالانحطاط لا ينمّيهم الله. فتقدّموا في التقوى والعبادة والإيمان. إذا كان أحد يناديني بألقاب مثل الدجال والكافر وغيرها فلا تبالوا به لأنه ما دام الله معي فلا أخاف كلما تمّ النابية وشتائمهم. لقد كفر فرعون موسى عليه السلام ثم جاء زمان حين أعلن قائلا: آمنتُ بالإله الذي آمن به موسى وأتباعه. اعلّموا أن الناس مثل هؤلاء يكونون مخنّثين، وأن مثّلهم كمثّل طفل يشتم والديه أيضا أحيانا بسبب جهله، ولكن لا يستاء أحد بفعله.

اعلموا أن البيعة وحدها ووضع اليد على اليد لا ينفع شيئا. عندما يشرف أحد على الموت لشدة الظمأ أو الجوع فهل تُنقذه منه قطرة ماء واحدة أو مجرد لقمة؟ كلا، كما لا مندوحة من الطعام والماء بكمية كافية لإنقاذ الجسد كذلك لا يمكنكم أن تتخلصوا من جهنم كليا بحسنة بسيطة. لا تتخدعوا بأننا وضعنا اليد على اليد فلا همّ لنا بعد ذلك. الهداية نوع من الموت، والذي يقبل الموت لنفسه يُعطى حياة جديدة. هذا ما اعتقده الأصفياء. وعن هذه الحالة الابتدائية قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي أصلحوا أنفسكم أولا وأزيلوا أمراضكم. لا تهتموا بغيركم بل يجب أن تصلحوا أنفسكم في جوف الليالي ثم انصحوا الآخرين أيضا إلى حد ما في النهار. غفر الله لكم، وخلّصكم من ذنوبكم وأزال عنكم ضعفكم ووفقكم للتقدم في الأعمال الصالحة والحسنات. آمين. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٨)

ما لم يكن في البيان روحانية وتقوى وطهارة وحماس صادق لا يترتب عليه نتيجة حسنة، فالبيان الذي يخلو من الروحانية والنقاء فمثله كمثّل ماء

الميزاب الذي يصبُّ بشدة فيوسخ وينجس ما يصيبه بدلاً من تطهيره. على الإنسان أن يصلح نفسه أولاً، ثم يلتفت إلى إصلاح الآخرين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي إذا أردتم أن تجعلوا أنفسكم نافعين فتطهروا أولاً، حذار أن تكون عندكم أقاويل فقط ولا يظهر أثرها في الحياة العملية، فمثل هذا الرجل كمن هو جالس في ظلام دامس، فإذا ذهب للآخر حاملاً ظلامه فما الذي يفيد إلا أن يتعثر. يجب أن يصبح المرء مصباحاً لكي يستنير بنوره الآخرون. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨ م ص ٣)

الآية ١١٠: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

إن عدم علم الأنبياء يكون عن أمهم بعد وفاتهم. يقول المسيح عليه السلام: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (المائدة: ١١٨). أما إذا كانوا لا يعلمون شيئاً فما معنى كونهم شهداء؟ كذلك يمكن لرسول الله ﷺ أن يظهر عدم علمه عن أحوالنا ولكن ليس عن أحوال الصحابة رضي الله عنهم لأنه كان يعلم أحوالهم إذ كان يعيش بين ظهرانيهم. هذا هو المراد من عدم العلم، أي هو عدم علم عن أحوال أمة تأتي بعد نبي أو تأتي في وقت متأخر جداً ولا تحظى بنصيب من صحبة النبي. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢ م، ص ٢١)

الآية ١١١: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ

الْمَوْتِ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾

المراد من العصمة هو الإنقاذ من الآفات الكبيرة التي كان الأعداء يهدفون إلحاقها بالأنبياء. ثم انظروا أن النبي ﷺ أيضا وُعد بالعصمة ومع ذلك أصيب ﷺ بجروح بالغة في معركة أحد، والمعلوم أن ذلك حدث بعد وعد العصمة. كذلك وعد الله تعالى عيسى ﷺ قائلا: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾، أي أذكر حين عصمتك من بني إسرائيل الذين أرادوا قتلك. ولكن من الثابت تواترا أن اليهود اعتقلوا المسيح ﷺ وعلّقوه على الصليب ولكن الله أنقذ حياته في نهاية الأمر. فهذا هو المراد من: ﴿إِذْ كَفَفْتُ﴾ كما هو معنى: "والله يعصمك من الناس". (نزول المسيح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٢٩)

الآية ١١٤: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

عند التأمل في آية قرآنية، تظهر بجلاء عظمة رسول الله ﷺ ونجاحه العظيم وثبت مقابله الضعف الشديد للمسيح ﷺ. فقد ورد في سورة المائدة أن الحواريين حين طلبوا نزول المائدة: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. يتبين من هذه الآية بكل جلاء أن معجزات المسيح التي ذكرت من قبل والتي شاهدها الحواريون يدلّ طلبهم هذا بعدها كلها على أن قلوبهم لم تطمئن من قبل، وإلا لم تكن لهم حاجة للقول: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ هذا يعني أنهم كانوا قبل ذلك في شك نوعا ما في صدق المسيح ولم يعتبروا تلك الشهودات معجزة. أما إذا رأينا مقابلهم أصحاب النبي ﷺ فنجدهم مطمئنين وأقوياء الإيمان حتى قال القرآن عنهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة: ١٢٠) و(البينة: ٩). وقال أيضا بأن الله أنزل السكينة عليهم. هذه الآية

تكشف حقيقة معجزات المسيح عليه السلام وتقيم عظمة رسول الله ﷺ. لم يُذكر عن الصحابة في أي مكان أنهم قالوا بأننا نريد أن تطمئن قلوبنا بل إن حالهم أن السكينة نزلت عليهم، وحال اليهود ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٧)، تبين حالتهم. أي قد تبين عليهم صدق النبي ﷺ لدرجة أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وكانت حالة النصارى أن عيونهم كانت تفيض دموعا لرؤيته ﷺ. فمضى حصلت هذه المراتب للمسيح عليه السلام؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ١٠)

انظروا إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ففي قُدواتهم في الحقيقة نظير جميع الأنبياء. إنما يحب الله الأعمال الصالحة فقط، فقد قدموا حياتهم كالأغنام، ومثاله أن نظام الأنبياء كان جاريا منذ آدم عليه السلام ولكن فهمه كان صعبا فجلاه الصحابة ولمعوه وحققوا ما يُسمى الصدق والوفاء. أما عيسى فحدّث ولا حرج، فلم يبع أحدٌ موسى عليه السلام بينما حواريو عيسى باعوه مقابل ثلاثين درهما. كما يثبت من القرآن الكريم أن الحواريين كانوا يشكّون في صدق عيسى عليه السلام لذا طلبوا المائدة، وقالوا: ﴿وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فمن هنا يُستشف أنهم لم يرتقوا إلى حالة "نعلم"، قبل نزول المائدة. ثم عاشوا في اضطراب لا نظير له. أما الصحابة فكانوا زمرة عظيمة تجدر بالإجلال والاتباع، كانت قلوبهم تفيض يقينا، فعندما ينشأ اليقين لدى المرء يجب أولا أن يدفع المال ثم يتقدم صاحب اليقين ويستعد للتضحية بنفسه أيضا في سبيل الله ﷺ. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠٠٢/٢/١٩٠٣م، ص ٣٥)

الآية: ١١٦: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

أما تقديم المعارض آية: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ والاستنتاج منها أن "منكم" وردت فيها

بحق الحاضرين فقط بوجه خاص، فهو قول لا معنى له ... من الأسلوب الشائع في القرآن الكريم والذي يزخر به القرآن هو أن الخطاب يكون عاما وتكون أوامره موجّهة إلى الأمة بأكملها وليس للصحابة فقط، إلا إذا كانت في مكان ما قرينة واضحة وصریحة تحدد الخطاب فهو استثناء من هذه القاعدة. إذًا، فقد طلبت فئة معينة من الحواريين بحسب الآية المذكورة نزول المائدة، وجاء الجواب مخاطبا تلك الطائفة بالذات. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٤)

الآيتان ١١٧-١١٨: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَا يُحِقُّ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

إن معنى "التوحي" المستخدم في القرآن كله هو قبض الروح وترك الجسد على حاله، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١٢)، ويقول أيضا: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾ (يونس: ١٠٥). وقوله: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاكُمُ الْمَوْتُ﴾ (النساء: ١٦)، وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ﴾ (الأعراف: ٣٨)، وقوله أيضا: ﴿تَوَفَّيْتُهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦٢). لقد جاء فعل "التوحي" في ٢٣ آية من القرآن الكريم، بمعنى الإماتة وقبض الروح فقط. ولكن من المؤسف حقا أن بعض المشايخ قد استنبطوا في هذا المقام من ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ معنى "رفعتي" إلحادا وتحريفا، ولم يعبأوا بأن هذا المعنى لا يتعارض مع اللغة فقط، بل يتنافى مع القرآن كله أيضا. فهذا هو الإلحاد بعينه؛ إذ تركوا بغير قرينة قوية معنى معينًا التزم به القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته. إن معنى كلمة "التوحي" الإماتة

وقبض الروح لم يرد في القرآن الكريم وحده، بل ورد بكثرة في الأحاديث الشريفة أيضا. فحين تعمّقتُ في الصحاح الستة وجدتُ أنه كلما استخدم نبينا الأكرم ﷺ أو أحد الصحابة كلمة "التوحي" كانت مقصورة على هذا المعنى فقط. فأقول بكل تحدٍ إنكم لن تجدوا كلمة "التوحي" بأي معنى آخر في أي حديث صحيح. لقد توصلتُ إلى نتيجة أن هذه الكلمة قد حُدّدت كاصطلاح في الإسلام بمعنى قبض الروح فقط، وذلك لتدل على بقاء الروح.

من المؤسف حقًا أن بعض المشايخ حين يرون أن معنى "التوحي" هو الإمامة في الحقيقة، يلجأون إلى تأويل آخر ويقولون إن الوفاة التي وردت في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ سوف تحدث بعد نزول عيسى. وما يبعث على الاستغراب هو أنهم لا يستحيون من اللجوء إلى تأويلات ركيكة. ولا يتأملون في أن آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قد سبقتها الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾.

والمعلوم أن ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ وقد سبقه: ﴿إِذْ﴾ الذي يدل على فعل ماضٍ بوجه خاص، ويبرهن على أن هذا الحادث عند نزول الآية كان قد صار في طيات القصص الماضية، ولا علاقة له بالمستقبل. كذلك إن الجواب على لسان عيسى ﷺ أيضا جاء بصيغة الماضي؛ أي: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. والقصص التي ذُكرت في القرآن الكريم قبل هذه القصة، جاءت أيضا بالأسلوب نفسه، وتؤيد المعنى نفسه؛ ومنها مثلا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣١)، فهل يجوز الاستنباط من هذه الآية أن الله تعالى سيسأل الملائكة في المستقبل؟ وبالإضافة إلى ذلك فإن القرآن الكريم زاخر - وتصدقه في ذلك الأحاديث أيضا - بأن الأسئلة مثلها، تُطرح بعد الموت وقبل القيامة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٤-٤٢٥)

لا شك أن الله تعالى قادر على كل شيء مع التزامه بالقواعد التي سنّها، لكنه لن يبعث مرة أخرى رجلا أهلك العالم فتنه الأولى. هل يعرف هؤلاء المشايخ -

الذين هم أصدقاء الإسلام السفهاء- كم دعمت هذه المعتقدات المسيحية؟ والآن لا يريد الله تعالى أن يهب ابن مريم عظمة جديدة، بل إنه قد استاء لما جرى حتى الآن من إطراء المسيح وتقريضه. ولذلك سيقول له: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ؟﴾ وإن التطلع إلى السماء الآن لترقب نزول ابن مريم لمن السفاهة البالغة (دافع البلاء، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٣٥-٢٣٦)

يستخدم الفعل الماضي بمعنى المضارع ليتبين أنه يقيني الوقوع. ففي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذا الاستعمال. منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٥٩)

لا يثبت من القرآن الكريم قط أن المسيح عليه السلام قد رُفِعَ إلى السماء بجسده المادي، بل قد ورد في عدة آيات ذكر وفاته بكل صراحة. وقد ورد في إحدى الآيات إقرار المسيح نفسه بموته؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. فلما ثبتت وفاته تبين من ذلك أن جسمه قد دُفِنَ في الأرض مثل بقية الناس الذين يموتون، لأن القرآن الكريم يقول بكل صراحة إن روحه هي التي رُفِعَت إلى السماء لا جسده. لهذا السبب فقط أقرّ المسيح عليه السلام بموته بكل جلاء في الآية المذكورة. فلو كان قد رُفِعَ إلى السماء حيا بجسده المادي، لما ذكر موته قط، ولما قال بأني ارتحلت من هذه الدنيا بالموت. فمن الواضح أنه ما دامت روحه وحدها قد رُفِعَت إلى السماء، فمن أين سيأتي الجسم معها عند النزول؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٢٥-١٢٦)

تأملوا في القرآن الكريم واقرأوه بعيون باصرة أولا، تَرَوْا كيف ينبئ بوفاته بكل وضوح لدرجة لا يسعنا تأويله أيضا! فمثلا يقول الله تعالى في القرآن الكريم على

لسان عيسى ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. فهل يمكن أن نستمد معنى النوم من كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾؟ هل من المناسب الاستنتاج هنا أن المراد هو: فلما جعلتني أنام، أو جعلت النوم غالبا عليّ؛ كنت أنت الرقيب عليهم بعد ذلك؟ كلا، ثم كلا. بل إن معنى فعل "التوفي" واضح جليّ؛ وهو الموت، وهذا هو المعنى الذي ينطبق هنا. ولكن المراد من الموت ليس الموت الذي يصيبه بعد نزوله من السماء، لأن السؤال الذي طُرح عليه - حول فساد أمته - ليس له علاقة بذلك الموت. فهل النصارى قائلون اليوم على صراط مستقيم؟ أليس صحيحا أن الأمر الذي سأل الله ﷻ عيسى عنه كان قد بلغ أوج كماله إلى زمن النبي ﷺ. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٢٤)

كلما ورد فعل "التوفي" في القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته، فهذا هو المعنى المراد في كل مكان. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٢٤، الحاشية) ما اطلعتُ على هذا المعنى لفعل "التوفي" نتيجة اجتهادي الشخصي فقط، بل هناك حديث ذُكر في باب الحشر من مشكاة المصابيح، وفي صحيح البخاري ومسلم أيضا - برواية ابن عباس - حيث فسّر النبي ﷺ الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بكل وضوح قائلا إن المراد الحقيقي من التوفي؛ هو الموت. بل يتبين من الحديث نفسه أن هذا السؤال قد وجهه الله تعالى إلى المسيح ﷺ في عالم البرزخ بعد وفاته، وليس أنه سيوجه إليه يوم القيامة. وإذا ارتاب أحد في تفسير آية فسرها النبي ﷺ، فماذا يمكننا فعله إن لم نتأسف ونستغرب من إيمانه وإسلامه؟ ولقد أورد الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب التفسير في صحيحه، للإشارة إلى المعنى نفسه. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٠٣)

أورد الإمام البخاري رحمه الله الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ في كتاب التفسير، وذلك ليوضح للناس أن التفسير الصحيح لكلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو

ذلك الذي أشار إليه النبي ﷺ، أي أماته الله أو توفاه. والحديث المشار إليه هو: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ... إِنَّهُ يُجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِيحَابِي. فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدَاكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (صحيح البخاري، كتاب التفسير).

ففي هذا الحديث شبه النبي ﷺ قصته بقصة المسيح ابن مريم ﷺ واستخدم الكلمة نفسها أي ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحقه أيضا. ومن ذلك يفهم بكل وضوح أنه ﷺ أراد من: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الموت فقط. والمعلوم أنه لا يختلف أحد في أن النبي ﷺ قد مات، وضرجه المبارك موجود في المدينة المنورة. فلما ثبتت وفاة النبي ﷺ من عبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الواردة بحقه ﷺ - علما أن المسيح ﷺ أيضا قال الكلام نفسه - ثم قال النبي ﷺ أيضا بصراحة تامة بأنه سيستخدم الكلمات نفسها التي استخدمها المسيح ابن مريم؛ تبين من ذلك بكل جلاء أن المسيح ﷺ مات، وكذلك النبي ﷺ، وتحققت بحق كليهما الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. لهذا السبب قد أورد الإمام البخاري آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ في كتاب التفسير قصدا، لكي يبين مذهبه عن المسيح ابن مريم أنه مات في الحقيقة.

إنه لما يدعو إلى التدبر والتأمل لماذا أورد الإمام البخاري آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ في كتاب التفسير؟ ويتبين بأدنى تفكير أنه أراد البيان، كما هي عادته، أن المعنى الحقيقي ل: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو ذلك الذي بينه النبي ﷺ، باستخدامها لنفسه.

وليكن معلوما أيضا أن الإمام البخاري باختياره هذا الأسلوب لم يُظهر مذهبه هو فقط، بل بين أيضا أن النبي قد فهم من آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ المعنى نفسه، ولذلك استخدم عبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحق نفسه دون أي تغيير وتبديل. وبالإضافة إلى ذلك قام الإمام البخاري في هذا المقام بعمل ذي بال آخر أيضا؛

وهو أنه فسّر - من أجل التأكيد على المعنى المذكور - آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زُكْرَكَ﴾ بالمعنى نفسه، فيقول: "وقال ابن عباس: متوفيك: مميتك". (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٨٥ - ٥٨٧)

لقد بين المسيح ﷺ موقفه بوضوح تام من خلال الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أنه رُفِعَ من الدنيا إلى الأبد؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ يشهد بمنتهى الجلاء أنه مات ورحل من هذه الدنيا للأبد، لأنه لو كانت عودته إلى الدنيا مقدرة، لذكر كلا الحدثين حتماً، ولذكر أحداث تبليغه الدعوة بعد النزول أيضاً، دون أن يقتصر على ذكر موته فقط ثم يجعل الله تعالى رقيباً إلى يوم القيامة، فتدبر. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٢٥)

والدليل الثاني على وفاة المسيح ابن مريم هو حديث رسول الله ﷺ الذي أورده الإمام البخاري في كتاب التفسير في صحيحه ليدل على أن معنى ﴿لَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو "لما أمتني". كما أورد للغرض نفسه رواية عن ابن عباس: متوفيك: مميتك، لبيان أن معنى ﴿لَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو المعنى نفسه الذي بينه ابن عباس لـ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. ففي هذا المقام يفهم كل ذي فهم بسيط أيضاً بقراءة صحيح البخاري بالتدبر أن معنى ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو "أمتني". لا شك أن نبينا الأكرم ﷺ قد توفي، وضريحه المبارك موجود في المدينة المنورة. فلما اختار النبي ﷺ لفظ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ لنفسه كما جاء في البخاري، واستخدمه بحقه هو كما استخدم بحق عيسى ﷺ، فهل بقي من شك في أن عيسى بن مريم قد توفي كما توفي النبي ﷺ؟ من المعلوم أن التحريف في آيات القرآن الكريم أو في مفهومها لا يجوز بحال من الأحوال. وإن صرف أي لفظ عن المعنى المراد منه ومفهومه الحقيقي قصداً إلى معنى آخر إلحاذ لا يجوز ارتكابه لنبي أو غيره. فكيف كان ممكناً إذاً أن يستخدم النبي المعصوم ﷺ عبارة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحقه - ويرتكب التحريف والعياذ بالله - إلا إذا كانت هناك مماثلة تامة بين

موته وموت المسيح التي كانت حاصلة فعلا. بل الحق أن سيدنا ومولانا إمام المعصومين وسيد المحفوظين ﷺ (روحي فداء سبيله) قد استخدم عبارة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحقه بكل أمانة وصدق بالمعنى المحدد تماما كما وردت بحق عيسى عليه السلام. فيا أيها الإخوة، إذا كان سيدنا ومولانا ﷺ قد رُفع إلى السماء بجسده المادي ولم يمت وضريحه المطهر ليس موجودا في المدينة فاشهدوا أنني أو من بأن عيسى أيضا يكون قد رُفع إلى السماء بجسده المادي. أما إذا كان سيدنا ومولانا وسيد الكل، خاتم المرسلين، أفضل الأولين والآخرين أول المحبوبين والمقربين قد مات في الحقيقة، فاتقوا الله، وأمعنوا النظر في العبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الطيبة التي بينها سيدنا ومولانا كقاسم مشترك بينه وبين ذلك العبد الصالح الذي اسمه المسيح ابن مريم. لماذا أورد البخاري آية سورة آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في هذا المقام؟ ولماذا روى عن ابن عباس: متوفيك: مميتك؟ لقد كتب شارح البخاري في الصفحة ٦٦٥ سببه وقال: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: مميتك، هذه الآية من سورة آل عمران، قيل وذكر ههنا لمناسبة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. أي أن معنى هذه اللفظة من سورة آل عمران الذي استنبطه البخاري رواية عن ابن عباس: "متوفيك: مميتك"، ليشرح معنى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وإلا ليس هناك سبب لإيراد هذه اللفظة من سورة آل عمران هنا. انظروا الآن، فقد قبل شارح البخاري أيضا أن الإمام البخاري أورد عبارة "متوفيك: مميتك" استشهادا لتفسير الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. ماذا عسى أن يكون هدف الإمام البخاري من إيراد هاتين الآيتين معا من موضعين مختلفين إلا أنه قد أثبت وفاة عيسى عليه السلام بقول رسول الله ﷺ الخاص. أما الآن وقد ثبتت وفاة عيسى بحديث مرفوع متصل - كما طلبته من قبل - ورد في أصح الكتب بعد كتاب الله وتطابقت معه شهادة القرآن الكريم القطعية الدلالة وبين الصحابي الجليل ابن عباس موته عليه السلام، فهل بقيت هناك حاجة إلى أي إثبات بعد هذا الإثبات المضاعف؟ (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٢١٦-٢١٨)

وليتضح أن في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوْفَّيْتَنِي﴾ إشارة إلى تحقق الوعد المذكور في الآية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦). ولفهم هذا المعنى -الذي قصده الله جلّ شأنه- للتوفي يجب الإمعان في هاتين الآيتين معا حيث تتضمنان الوعد وتحقيقه. ولكن من المؤسف حقاً أن المشايخ المعاصرين لا يهتمون بهذه البحوث قط. إن كلمة "التوفي" نفسها التي وردت في القرآن الكريم مرتين بحق المسيح، قد وردت بحق نبينا الأكرم ﷺ أيضاً؛ وذلك كما في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنْ مَا نُزِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ (الرعد: ٤١). فلو استنبط المشايخ من هذه الآية أن النبي ﷺ أيضاً قد رُفِعَ إلى السماء حيناً لما تأسفنا. ولكن انظروا إلى تجاسرهم ووقاحتهم في أنه عندما ترد في القرآن الكريم كلمة "التوفي" بحق النبي ﷺ يستنتجون منها معنى الوفاة، ولكن عندما تأتي الكلمة نفسها بحق المسيح عليه السلام يستنبطون منها معنى الرفع حيناً، ولا ينتبه أحد منهم إلى أن الكلمة هي نفسها التي استخدمها الله تعالى في القرآن الكريم ٢٥ مرة وبين بوضوح تام أن معناها هو قبض الروح فقط إلا أنهم يقلّدون بعضهم كالعميان. فلا يزالون يستنبطون منها معنى مغايراً تماماً في حق المسيح عليه السلام، وكأن معنى التوفي لكل شخص في العالم سوى المسيح هو قبض الروح، ولكن معناها لابن مريم عليه السلام هو الرفع حيناً. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٣)

"ألا يرون أن الله أخبر عن وفاة المسيح في مقامات شتى؟ والقرآن كله مملوّ من ذلك، ولا تجد فيه لإثبات حياته حرفاً أو لفظاً ناهيك عن قول المسيح في القرآن: ﴿وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾. فانظر كيف يثبت من ههنا أن المسيح توفي وخلا. ولو كان نزول المسيح ومجيئه مقدراً ثانية لذكر المسيح في قوله شهادتين ولقال مع قوله: كنت عليهم شهيداً وأكون

عليهم شهيدا مرة أخرى.. وما حصر في الشهادة الأولى". (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٣٢-٤٣٣)

والجدير بالذكر أيضا أنه قد أشير إلى المسيح الموعود في القرآن الكريم في آية بكلمة ﴿رسل﴾، أيضا ولكن إذا كان السؤال: لماذا لم يُذكر في القرآن بالكلمات نفسها التي وردت في الأحاديث؟ فجوابه: لئلا يخطئ القراء في الفهم فيظنوا أن المراد من المسيح الموعود هو في الحقيقة عيسى ﷺ نفسه الذي نزل عليه الإنجيل، وكذلك أن المراد من الدجال هو مفسد معين. لذا فقد أزال الله تعالى في القرآن الكريم جميع الشبهات من هذا القبيل، إذ أخبر أولا بوفاة عيسى ﷺ بكل صراحة ووضوح كما هو واضح من الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. ثم بيّن أن نبينا الأكرم ﷺ خاتم النبيين فقال: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١). ثم ذكر عصيان اليهود أكثر من مرة وأشار بالتواتر إلى أن هذا ما ستؤول إليه حالة عامة المسلمين وعلمائهم في الزمن الأخير. ثم بيّن أن النصارى سيحرزون الغلبة في الزمن الأخير وستنتشر مفسد كثيرة على أيديهم، فتثور الفتن من كل حدبٍ وصوب، ويسعون من كل مرتفع. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٦١)

"إن الله صرّح في القرآن العظيم بأن المنتصرين ما أشركوا وما ضلّوا إلا بعد وفاة المسيح كما يفهم من آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؟ فلو لم يتوفّ المسيح إلى هذا الزمان للزم من هذا أن يكون المنتصرون على الحق إلى هذا الوقت ويكونوا مؤمنين موجّدين. يا حسرة عليهم! لم لا يتفكرون في هذه الآيات؟ أليس فيهم رجل رشيد وفهيم وأمين؟ وأنت تعلم أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قد دلّت بدلالة صريحة واضحة بيّنة على أن ضلالة النصارى واتخاذهم العبد إلهًا مشروطةٌ بوفاة عيسى ﷺ، ولا يُنكره إلا من عاند الحق بسوء تميّزه واستعمل المكابرة والتحكم

بجهله وحُقه، وأبى متعمداً من أن يكون من المهتدين. وإذا قيل لهم آمنوا بما صرح الله في كتابه من وفاة المسيح وضلالة النصارى بعد وفاته لا في زمن حياته، قالوا أنؤمن بمعان تخالف الأحاديث؟ وقد كانوا يعلمون الناس أن الخبر الواحد يُردُّ بمعارضة كتاب الله، فنسوا ما ذكروا الناس وانقلبوا إلى الجهل بعدما كانوا عالمين. وما نجد في حديث ذكر رفع المسيح حياً بجسمه العنصري، بل نجد ذكر وفاة المسيح في البخاري والطبراني وغيرهما من كتب الحديث، فليرجع إلى تلك الكتب من كان من المرتابين." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٩٨-٢٠٠)

"وكذلك أخبر رسول الله ﷺ عن موت عيسى عليه السلام في حديث آخر وقال: إذا سألتني ربي عن فساد أمتي فأقول في جوابه: فلما تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، كما قال العبدُ الصالح من قبلي.. يعني عيسى عليه السلام. فانظر كيف أشار إلى وفاة المسيح بحيث استعمل لنفسه جملة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ كما استعملها المسيح لنفسه. وأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قد تُوفِّيَ وقبره المبارك موجود في المدينة. فانكشف معنى التوفي بجعل رسول الله ﷺ واقعة المسيح وواقعة نفسه واقعة واحدة، وظاهر أن معنى التوفي في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الإمانة لا غيرها من المعاني المنحوتة التي لا أصل لها في لغة العرب، فإن رسول الله ﷺ قد مات، ولو كان معناه الرفع إلى السماء حياً مع الجسم العنصري كما هو زعم القوم لرفع إذا نبئنا ﷺ إلى السماء حياً مع الجسم العنصري، فإنه جعل نفسه شريك عيسى عليه السلام في لفظ التوفي الذي يوجد في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ كما جاء في حديث البخاري. ولو جعلنا من عند أنفسنا للمسيح معنى خاصاً في هذه الآية وقلنا إن التوفي في حق رسولنا ﷺ هو الوفاة، ولكن في حق عيسى عليه السلام أريد منه الرفع مع الجسم العنصري لا شريك له في هذا المعنى، فهذا ظلم وزور وخيانة شنيعة، وترجيح بلا مرجح، واستخفاف في شأن رسول الله ﷺ، وادعاء بلا دليل واضح وحجة ساطعة وبرهان مبين". (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٨-٢٠٩ الحاشية)

"نعم، يوجد في بعض الأحاديث لفظ نزول عيسى بن مريم، ولكن لن تجد في حديث ذكر نزوله من السماء، بل ذكر وفاته موجود في القرآن، وما جاز أن يكون هذا التوفي بعد النزول، لأن الفتن التي أشير إليها في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إنما هاجت وظهرت على وجه الأرض من مدة طويلة، وتمت كلمة ربك كما قال، وترى النصارى ينحتون لهم إلهًا وابن إله". (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٢)

"وقال بعضهم إن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ حق، ولا شك أنها يدل على وفاة عيسى عليه السلام بدلالة قطعية، وإنه مات وإنا نؤمن به، وكتب التفسير مملوءة من هذا البيان، ولكنه عليه السلام ما بقي ميتًا بل بُعِثَ حيًّا بعد ثلاثة أيام أو سبع ساعات، ثم رُفِعَ إلى السماء بجسده العنصري، ثم ينزل في آخر الزمان على الأرض ويمكث أربعين سنة، ثم يموت مرة ثانية ويُدفن في أرض المدينة في قبر رسول الله ﷺ. فحاصل كلامهم أن للخلق كلهم موت واحد وللمسيح موتين. ولكننا إذا نظرنا في كتاب الله سبحانه فوجدنا هذا القول مخالفاً لنصوصه البينة. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى قال في كتابه المحكم حكاية عن مؤمن مغبطاً نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الصفات: ٥٩-٦١) فانظر أيها العزيز.. كيف أشار الله تعالى إلى امتناع الموت الثاني بعد الموتة الأولى، وبشّرنا بالخلود في العالم الثاني بعد الموت، فلا تكن من المنكرين". (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٢)

افتحوا صحيح البخاري وفكروا في حديث مفاده: أقول يوم القيامة كما قال العبد الصالح أي عيسى عليه السلام: "فلما توفيتني". فكفروا في قول رسول الله ﷺ، ما أحسن هذا التفسير لكلمة "التوفي"، بحيث عدّ النبي ﷺ نفسه، بغير التغيير والتبديل، مصداق كلمة مختلف فيها كما كان عيسى عليه السلام مصداق الآية المذكورة آنفاً. فهل يجوز لنا أن نقول بأن رسول الله ﷺ لم يكن مصداقاً حقيقياً لـ "فلما توفيتني" بل

كان عيسى ﷺ هو المصدق الحقيقي لها؟ ونقول إن ما أراد الله في الحقيقة من هذه الآية، والمعنى الحقيقي الذي أراده الله تعالى هنا من كلمة التوفي وتقرر في علمه ﷻ منذ القدم أي الصعود إلى السماء حيا؟ وأنه لم يكن النبي ﷺ شريكا في ذلك المعنى المعين، والعياذ بالله، بل غير النبي ﷺ وبدل ذلك المعنى عند نسبته هذه الآية إلى نفسه، وأنه إذا نُسبت هذه الكلمة إلى النبي ﷺ يكون لها معنى وإذا نُسبت إلى المسيح ﷺ سيؤخذ منها المعنى الحقيقي نفسه الذي أراده الله منذ القدم؟

فإذا كان هذا حصرا هو الصدق، إضافة إلى الفساد الصريح لكونه مستبعدا جدا من شأن أي نبي أن ينقض المعنى المقرر ويتصرف فيه حيث لا نستطيع أن نسميه بغير التحريف المعنوي، فإنه يترتب عليه فساد ثان هو أنه لا يستقيم اتحاد القول الذي قصده النبي ﷺ أي "فلما توفيتني". لأن الاتحاد كان يتحقق إذا كان النبي ﷺ شريكا لحضرة عيسى ﷺ في معنى التوفي، لكن هذا الاشتراك لم يتيسر. ففي أي شيء حصل الاتحاد؟ أفلم يجد النبي ﷺ كلمة أخرى حتى مدَّ يده بغير حق إلى اشتراك لم يكن له حق فيه بأي طريق. فأى اشتراك لمن دُفن في الأرض مع من رُفع إلى السماء حيا، في لفظ له معنى الإمامة أو الرفع حيا؟ فهل يجتمع الضدان في موضع؟ إن لم يكن معنى التوفي في "فلما توفيتني" هو الإمامة، فهل فقد الإمام البخاري صوابه إذ نقل في صحيحه هنا تأييدا لهذا المعنى آية أخرى من سورة أخرى أي آية "إني متوفيك". ولم يكتف بذلك فقط بل قد ثبت فيه قول ابن عباس رضيه الله عنه "متوفيك مميتك" أيضا، أي متوفيك يعني مميتك. وإن لم يكن قصد البخاري أن يوضح معنى قول النبي ﷺ أكثر بقول ابن عباس فما الذي أراد بجمع هاتين الآيتين وذكر معنى ابن عباس في مكان واحد؟ وأي محل هذا حتى يبدأ بحث معنى التوفي؟ فالإمام البخاري قد أعرب بهذه المسألة في الحقيقة عن موقفه. ففي هذا الموضع قد اجتمع لتأييد دعوانا ثلاثة أمور؛ أولها القول المبارك للنبي ﷺ أنه كما قال العبد

الصالح أي عيسى ﷺ "فلما توفيتني" سأقول أنا أيضا "فلما توفيتني". والثاني قول ابن عباس أن معنى التوفي الإمامة. والثالث شهادة الإمام البخاري التي تُستشف من كتابه. (سر الخلافة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٤٠٦-٤٠٨)

إذا كنتم تكفروننا لاعتقادنا بوفاة المسيح فكفروا الإمام مالك أيضا فكان هو الآخر يعتقد بذلك ولم يثبت رجوعه عنه، كما كان الإمام البخاري أيضا يعتقد بذلك. فلو لم يكن يعتقد به لما أدرج قول ابن عباس "متوفيك: مميتك" تأييدا للحديث في شرح آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فمن هذا المنطلق ثبت كفر الإمام البخاري أيضا. والعقيدة نفسها أبداها ابن قيم في كتابه مدارج السالكين. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٤)

في صحيح البخاري رواية عن ابن عباس: "متوفيك: مميتك". وفي تأييده أدرج البخاري في المكان نفسه حديث النبي ﷺ. فبيان المعنى المخالف لمعنى التوفي الثابت من ابن عباس ورسول الله ﷺ نفسه في محل النزاع؛ هو طريق الإلحاد. فليس للمسلم إثبات أكبر من أن النبي ﷺ نفسه بيّن هذا المعنى المتنازع فيه. فمن أشنع الإلحاد ترك معنى النبي ﷺ. فحين ثبت قطعا أن معنى التوفي هنا الإمامة فلا يمكن القول إن الوفاة ستحدث في المستقبل. ذلك لأن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تُبين بجلاء أن الوفاة قد حدثت. ذلك لأن الآية تعني أن عيسى ﷺ يقول لله ﷻ بأن النصارى فسدوا بعد وفاته. أما إذا افترضنا جدلا أن عيسى ﷺ لم يمت بعد فلن يكون لنا بد من الاعتراف أيضا بأن النصارى لم يفسدوا حتى الآن، مع أن هؤلاء الأشرقياء اتخذوا الإنسان الضعيف إلها ولم يتناولوا نجاسة الشرك فقط بل كان من نصيبهم أكل الخنزير وشرب الخمر وارتكاب الزنى أيضا. وهل في العالم أي سيئة لم يحتل هؤلاء المركز الأول في ارتكابها؟ فالظاهر أن هؤلاء قد فسدوا. وأكلهم جذام الشرك والخبائث ثم إن عداءهم للإسلام، قد أسقطهم إلى تحت الثرى،

ولم يهلكوا هم أنفسهم فقط بل قد أهلكت حياتهم النجسة الألوف. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠٨)

"والعجب كل العجب أنهم يقولون إنا آمنّا بآيات الله ثم لا يؤمنون، ويقولون إنا نتبع صحف الله ثم لا يتبعون. ألا يقرأون في الكتاب الأعلى ما قال الله في عيسى إذ قال: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْ هَاهُنَا مَعَ تَلَامِيذِ الْغَيْبِ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وما قال: "إني مُخَيِّك". فمن أين علِمَ حياة المسيح بعد موته الصريح؟ يؤمنون بأنه لقي الأموات، ثم يقولون ما مات. تلك كلمٌ متهافنة متناقضة، لا ينطق بها إلا الذي ضلت حواسُّه، وغرَب عقله وقياسه، وترك طريق المهتدين". (عاقبة آتهم أي مكتوب أحمد، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ٨٣)

"أما تدبّر آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالفكر والإمعان؟ فإنه نصٌّ صريح على أن عيسى مات في سابق الزمان، لا أنه يموت في حين من الأحيان، فإن الصيغة تدل على الزمان الماضي، والصرف ههنا كالفاضي.

ثم إن كنت لا ترضى بحكم الصرف، وتجعل الماضي استقبالا بتبديل الحرف، فهذا ظلمٌ منك ومن أمثالك، ومع ذلك لا يفيدك غلوُ جدالك، وتكون في هذا أيضا من الكاذبين. فإن المسيح يقول في هذه الآيات: إن قومي قد ضلوا بعد موتي لا في الحياة، فإن كنت تحسب عيسى حيًّا إلى هذا الزمان في السماء، فلزمك أن تقرّ بأن النصارى قائمون على الحق إلى هذا العصر لا من أهل الضلالة والهواء. فأين تذهب يا مسكين، وقد أحاطت عليك البراهين، وظهر الحق وأنت تكتمه كالمتجاهلين". (عاقبة آتهم أي مكتوب أحمد، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٣٥-١٣٦)

يقول القرآن الكريم بجلاء: إن المسيح رُفِعَ إلى السماء بعد الوفاة، لهذا فإن نزوله بروزي غير حقيقي، كما تصرّح آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بوضوح أن وفاة عيسى عليه السلام

قد وقعت، لأن هذه الآية تفيد أن النصارى فسدوا بعد وفاة عيسى ﷺ لا في حياته، فلو فرضنا جدلاً أن عيسى ﷺ لم يُتوفَّ حتى الآن لكان لزاماً علينا أن نؤمن بأن المسيحيين لم يَضَلُّوا بعد، وهو باطل بالبداهة، إذ إن الآية تفيد أن المسيحيين كانوا على حق ما دام المسيح حياً. ومن هنا يُستشف أن الفساد كان قد بدأ يتسرب إليهم في زمن الحواريين، فلو كان المسيحيون على حق في زمن الحواريين لما حصر الله تعالى الضلال بعد وفاة المسيح بل مدّد إلى زمن ما بعد الحواريين أيضاً، فنستنبط من هنا نقطة رائعة لتحديد زمن فساد المسيحيين وهي أن بذرة الشرك في زمن الحواريين كانت قد بُذرت فيهم. (عاقبة آثم أي مكتوب أحمد، الخزانة الروحانية، المجلد ١١، ص ٣٢١)

تفصح آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ عن وفاة عيسى ﷺ. أما صحيح البخاري فقد أثبت من قول ابن عباس ؓ والحديث النبوي أيضاً أن التوفي هنا يعني الإماتة. ومن غير المعقول القول: "إن كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ الواردة بصيغة الماضي يفيد هنا الاستقبال، أي "لم يمض بعد" بل سيموت في الزمن الأخير". لأن مدلول الآية أن عيسى ﷺ سيقول لله ﷻ يوم القيامة بأن أمته لم تفسد في حياته بل قد فسدت بعد وفاته. فإذا افترضنا جدلاً أنه ﷺ لم يمض إلى الآن، فهذا يستلزم الإقرار بأن النصارى أيضاً لم يفسدوا إلى الآن، لأن الآية تفصح صراحة أن فساد النصارى حصل بعد وفاته ﷺ. وليس هناك إحد أكبر من إنكار مثل هذا النص الصريح. (كتاب البراءة، الخزانة الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢١٩، الحاشية)

الصحابة... كانوا بلا شك يؤمنون بموجب آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أن عيسى ﷺ قد توفي، فلذلك حين شعر أبو بكر ؓ عند وفاة سيدنا النبي ﷺ بأن بعض الناس يشكّون في وفاته ﷺ، صرّح بكل قوة بأنه ما من نبي ما زال حياً، بل قد ماتوا كلّهم، وقرأ آية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فلم ينكر أحد بيانه هذا. (كتاب البراءة، الخزانة الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٢٠-٢٢١، الحاشية)

أراد الله ﷻ أن يبرئ ساحة نبيه الصادق من هذه التهمة، لهذا ذكر في القرآن الكريم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ (النساء: ١٥٨) وقال ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْ يَدَيْكَ﴾ (آل عمران: ٥٦)، ليتبين أن اليهود كاذبون، وأن عيسى عليه السلام قد رُفِعَ إلى الله كسائر الأنبياء الصادقين، ولهذا السبب لم يقل الله في هذه الآية "رافعك إلى السماء" بل قال ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لكي يعلم كل واحد صراحة أن هذا الرفع روحاني وليس جسمانيًا، لأن الله الذي يُرْفَعُ إليه الصادقون روحاني غير مادي، فالأرواح هي التي تصعد إلى الله لا الأجسام.

وحين قدّم الله ﷻ التوفي في هذه الآية على الرفع، فإنما اتخذ هذا الترتيب لكي يعرف الجميع أن هذا هو الرفع الذي يتمتع به الصادقون بعد الموت. ينبغي أن لا نقول محرفين كاليهود إن كلمة التوفي في الحقيقة مؤخّرة وكلمة الرفع مقدّمة، لأن قلب ترتيب القرآن الكريم بناء على مجرد الظنون والأوهام دون أي برهان محكم وقاطع إنما هو فعل أولئك الذين تُشابهُ طبيعتهم طبيعة اليهود. ثم إذا كانت آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، تصرّح بوضوح أن فساد النصارى وضلالهم كله حصل بعد وفاة عيسى عليه السلام، فالجدير بالتأمل أن الإيمان بأن عيسى عليه السلام ما زال حيًا يستلزم الإقرار بأن النصارى لم يضلوا بعد، وهذه الفكرة خطرٌ على الإيمان. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٤-٢٥)

كما أنني حكمت للبت في الاختلافات كذلك فإنني حكمت أيضًا في قضية حياة المسيح ووفاته، فأرى في قضية وفاة المسيح صحة قول الإمام مالك وابن حزم رحمهما الله وقول المعتزلة، وأعتبر الآخرين من أهل السنة على خطأ. وإنني بصفتي حكمًا أُصدر قراري هذا بين المتخاصمين. إن حزب أهل السنة على حق في أخذهم معاني إجمالية لكلمة "النزول" إذ لا بد أن يكون نزول المسيح بصورة بروزية، إلا أنهم أخطأوا في بيان كيفية نزوله، فلم يكن المراد من نزوله نزولًا حقيقيًا بل هو النزول

بالصفة البروزية. أما في قضية وفاة المسيح فإن المعتزلة والإمام مالك وابن حزم وغيرهم على حق، لأن الآية الكرمة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ تقتضي موت المسيح قبل ضلال المسيحيين. هذا هو قراري بصفتي الحكم. ومن لا يقبل قراري الآن فإنه لا يقبل الذي جعلني حَكَمًا. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٥-٤٩٦) لقد حكمت الآية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بكل وضوح أن الفساد لم يتطرق إلى العقائد المسيحية إلا بعد وفاة عيسى ﷺ؟ فلو حسبنا عيسى ﷺ حيًا وقلنا إنه لم يمُت بعد، فلا بد من التسليم بأن النصارى لم يُفسدوا عقائدهم حتى الآن، لأنه قد ورد في الآية المذكورة أن عقائد النصارى فسدت بعد وفاة عيسى ﷺ. أما السؤال ما معنى التوفي هنا؟ فقد بَتَّ في هذا الأمر صحيح البخاري بمنتهى الوضوح أن التوفي يعني الإمامة. فهذا قول ابن عباس الذي زاده توثيقا حديث "كما قال العبد الصالح" في البخاري. وقد سجل الشارح "العيني" سند هذا القول. فالآن يمكن أن يفهم طالب القناعة أن القرآن الكريم والكتاب الذي اعتُبر أصح الكتب بعد كتاب الله، يضمّن شهادة جلية، على أن عيسى ﷺ قد مات، ولا ينفرد الإمام البخاري ﷺ بهذه الشهادة، بل إن الإمام ابن حزم والإمام مالك رضي الله عنهما، يعتقدان أيضا بموت عيسى ﷺ وإن اعتقادهما بمنزلة اعتقاد جميع أكابر الأمة. ذلك لأنه لم تُسجل معارضة أكابر العلماء في ذلك العصر لهما، فلو عارضوهم لكان ذلك مذكورا حتما في أي كتاب. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٦٩) أما ما يُقال اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم فلا يفهم منه أبدا أن مفهوم الصلاة على النبي ﷺ يُغايِر مفهوم الصلاة على إبراهيم ﷺ، فهذه الفكرة حق محض. وكذلك من الحمق أن آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إذا وردت بحق النبي ﷺ أُريد منها وفاة النبي ﷺ أما إذا نُسبت الآية نفسها إلى عيسى ﷺ فيراد منها حياته. فكيف تحقّق التشبيه إذا تعارض وتضارب هذان الأمران؟ فليس هناك حُقق

أشد من أن تُبحث في التشبيه المخالفة والمنافاة. ومع ذلك فإن الفرق الذي يجب أن يكون في المشبه والمشبه به رغم القاسم المشترك بينهما، متحقق في هذه القضية، بحيث كان على عيسى عليه السلام أن يجيب أنه عُبد بعد وفاته، أما نبينا ﷺ فكان عليه يُجيب أنه بعد وفاته لم يبق بعض الناس متمسكين بسنن الإسلام وسبله وآثروا الدنيا على الدين. فبهذا الاختلاف بين ضلال الأمتين تبين الفرق بين المشبه والمشبه به. وهكذا كان يجب أن لا يكون المشبه والمشبه به على طرفي نقيض كالميت والحي والجبان والشجاع. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية المجلد ١٤، ص ٣١٧-٣١٨)

انظروا بأي جلاء يدل النص الصريح على وفاة عيسى عليه السلام أي: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، والآن بعد سماع هذه الآية إذا كان أحد ينكر وفاة عيسى عليه السلام فلا بد من أن يؤمن بأن النصارى ما زالوا على حق في عقائدهم، لأن هذه الآية تفيد أن النصارى سيفسدون بعد وفاة عيسى عليه السلام، فحين ثبت الموت من هذه الآية فأنى له النزول من السماء؟ فلا يستطيع الموتى السكن في السماء. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية المجلد ١٤، ص ٣٢٤-٣٢٥)

من المؤكد أن النصارى كانوا في ذلك الزمن قد قدّموا حياة المسيح في السماء حجة على ألوهيته. فردًا على ذلك ذكر الله إقرار المسيح نفسه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (أيام الصلح، الخزانة الروحانية المجلد ١٤، ص ٣٨٢، الحاشية)

ففي هذه الآية يقرّ المسيح عليه السلام بكل صراحة أن النصارى فسدوا بعد موته ولم يفسدوا في حياته قط. فإذا كان عليه السلام حيا بجسده المادي فلا بد من الإقرار أن النصارى ما زالوا ثابتين على دينهم الحق، وهذا باطل بداهة. (ترياق القلوب، الخزانة الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٦١، الحاشية)

من المؤسف حقا أنكم تقرؤون في القرآن الكريم آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ وتعلمون جيدا أن كلمة "التوفي" جاءت في كل مكان في القرآن بمعنى قبض الروح، وتوفنون

كذلك أنها وردت في جميع الأحاديث أيضا بمعنى قبض الروح فقط، ثم تقولون افتراء بأن "التوحي" في هذا المقام تعني الرفع حيا. فإن كنتم لا تفترون هنا على الرسول ﷺ فقدّموا حديثا جاء فيه أن عيسى ﷺ صعد إلى السماء حيا بجسده المادي. وأسفاه على هذا الكذب والافتراء!! (التحفة الغزنوية، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٦١) إنني جاهز للقبول الآن أيضا إن استطعتم أن تثبتوا من أيّ حديث معنى الوفاة في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ غير الإمامة، أو استطعتم أن تثبتوا من آية أو حديث صعود عيسى ﷺ إلى السماء حيا بجسده المادي أو نزوله منها بجسده المادي. أو لو استطعتم أن تبارزوني في الأخبار الغيبية التي يكشفها الله تعالى عليّ، أو استطعتم أن تواجهوني في استجابة الدعاء، أو في الكتابة باللغة العربية، أو قدرتم على مواجهةي في الآيات السماوية التي أُعطيها لكنّ كاذبا. (التحفة الغزنوية، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٤٣)

لقد بيّن البخاري نفسه في المقام المشار إليه بإيراد العبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، على سبيل تظاهر الآيتين، أن هذا هو تفسير العبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. كذلك يصح في هذا المقام الاستدلال نفسه من قول ابن عباس كما يصح في العبارة: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. كذلك يجب أن يكون معلوما في هذا المقام أن الله الذي هو أصدق الصادقين قد اعتبر الصدق في كلامه المجيد قسمين. الصدق من القسم الأول هو من حيث ظاهر الأقوال، والقسم الثاني هو من حيث التأويل والمآل. ومثال القسم الأول هو قوله ﷺ بأن عيسى كان ابن مريم، وكان لإبراهيم ابنان، إسماعيل وإسحاق، لأن هذه هي الوقائع الظاهرية دون التأويل.

ومثال القسم الثاني من الصدق هو ما أورده الله ﷻ في القرآن الكريم من كلام الكفار أو المؤمنين السابقين بشيء من التصرف فيها، ثم قيل بأنها كلماتهم. كذلك هناك تصوّف كبير في القصص التوراتية المذكورة في القرآن الكريم؛ لأنه من المعلوم

أن العبارات التي وردت في القرآن الكريم بأسلوب إعجازي وفقرات فصيحة واستعارات مليحة لم تخرج من ألسنة الكفار بهذه الطريقة قط، وليس بهذا الترتيب أيضا، بل ترتيب القصص في القرآن الكريم لا يوجد في التوراة بالالتزام، وذلك مع أن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (آل عمران: ١٩-٢٠). فلو كانت هذه الكلمات هي كما خرجت من ألسن الكفار بهذا الترتيب والصيغ لبطل إعجاز القرآن نهائيا، لأنه في هذه الحالة كانت هذه فصاحة الكفار لا فصاحة القرآن، وإن لم تكن كذلك لاستلزم ذلك الكذب بحسب قولك، لأن هؤلاء الناس قد استخدموا كلمات مختلفة وترتيبا مختلفا وصيغا مختلفة، كما وردت صيغتان مختلفتان وهما: "متوفيك" و"توفيتني". كذلك هناك بُعد شاسع في مئات الأماكن بين صيغ استخدموها واستخدمها القرآن الكريم. فاقرا مثلا قصة يوسف في التوراة، ثم قارنها بسورة يوسف في القرآن الكريم ستري اختلافا هائلا بين الصيغ وفرقا واضحا في البيان. بل في بعض الأماكن هناك اختلاف في المعاني أيضا في بادئ الرأي. كذلك قال القرآن الكريم إن اسم أبي إبراهيم كان آزر، ولكن يقول معظم المفسرين بأن أباه كان غيره وليس آزر.

فيا أيها الجاهل، تب فوراً إذ قد هاجمت القرآن الكريم أيضا على غرار القساوسة. يقول أول حديث في صحيح البخاري: "إنما الأعمال بالنيات". فمن هذا المنطلق حين رأيت أن جميع الأحاديث في هذا المقام مشتركة بالمعنى؛ أي أن معنى توفيتني هو: أمتني، ذكرته بصحة النية. فما علاقة هذا الأسلوب مع الكذب وما علاقة الكذب به؟ أليس صحيحا أن الإمام البخاري كان يقصد أن يثبت من العبارة: "متوفيك: ميمتك" أن معنى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو: أمتني؟ لذلك أورد آيتين معاً بأخذهما من موضعين مختلفين لتقوي إحداهم الأخرى وبذلك بين أن ابن عباس كان يقصد أن معنى ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو: أمتني لذلك قلت أنا أيضا على سبيل التأويل

والمال بأن معنى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحسب الأحاديث هو "أمتني". وإن لم يكن ذلك صحيحا فقل لي أنت بنفسك بأنه إذا كان معنى: "متوفيك" هو: "ميتك"، فماذا عسى أن يكون معنى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحسب قول ابن عباس؟ أليس من واجبنا أن نستنتج من ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، معنى من منطلق الحديث الذي استمد منه معنى "متوفيك"؟ إذا كنا محولين بأن نقدم تفسير آية كحجة على تفسير آية أخرى إذا وردت هاتان الآيتان بمعنى واحد فأى كذب إذا قلت بأن "لما توفيتني" تعني: "لما أمتني" بحسب الأحاديث؟ فلما ثبت من الأحاديث في إحدى صيغ "التوفي" أن المراد منه الإماتة، فلماذا يُعَدّ الاستدلال نفسه في الصيغ الأخرى خارجا عن الاستدلال من الأحاديث؟

أما القول بأننا لن نعدّ حديثا إلا ما يصل إسناذه إلى النبي ﷺ، أي إذا كان مرفوعا متصلا، فهذا جهلٌ آخر. هل الحديث المنقطع غير المرفوع المتصل لا يُعدّ حديثا؟ أئمة المذهب الشيعي ومحدثوهم لا يوصلون أيّ حديث إلى النبي ﷺ، أفلا يسمّون تلك الأخبار أحاديث؟ والمحدثون من أهل السنّة أيضا عدّوا بعض الأخبار موضوعة ومع ذلك سموها أحاديث. وقد قسموا الأحاديث على عدة أقسام وسمّوها كلها أحاديث. من المؤسف حقا إلّا ما آلت حالتكم إذ تعدّون الأسلوب الذي تنبّه القرآن الكريم كذبا، وتهاجمون كلام الله المقدس شرًّا وخبثا.

معلوم أنه لو قال أحد مثلا بأنه أكل صحنا من الأرز لما وسعنا أن نتهمه بالكذب، باعتباره أنه كذب في قوله لأنه أكل الأرز في الحقيقة ولم يأكل الصحن بعد تكسيه قطعًا. ولما كان الاستدلال من نصوص الأحاديث يفيد العموم فأى كذب وزور إذا قيل بأن العبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، بحسب الأحاديث، تعني: "لما أمتني"، أي بعد ورود: "متوفيك: ميتك"؟ من يستطيع أن يفهم هذا الجاهل الذي يخلط سمّ عناده أيضا مع جهله. ولكن من فضل الله تعالى عليّ أن هؤلاء القوم

كما ينسبون ثلاث كذبات إلى إبراهيم ﷺ كذلك نسبوا إلي أيضا ثلاث كذبات. وإنني لأفتخر بمماثلتي مع إبراهيم ﷺ، ومع ذلك أردّ كذبهم وافتراءهم على وجههم. (التحفة الغزنوية، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٦٨-٥٧١)

حسب المؤمن آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ وحدها دليلا على أن عيسى ﷺ قد توفي، لأن الله تعالى استخدم كلمة التوفي في ٢٣ موضع من القرآن الكريم بمعنى قبض الروح، فلم ترد في القرآن الكريم من أوله إلى آخره كلمة التوفي في أي معنى غير قبض الروح والإماتة. ثم ما يقوى به هذا الإثبات أن البخاري أورد في صحيحه معنى ابن عباس لـ "متوفيك"، وهو: مميتك. وكذلك ورد المعنى نفسه في "الفوز الكبير"، وأدرج في شرح العيني للبخاري سند قول ابن عباس هذا. فالواضح من هذا النص القاطع أن عيسى ﷺ قد توفي حتما قبل ضلال النصارى. أما الأحاديث فحيثما ورد لفظ التوفي في أي صيغة، فبمعنى الإماتة فحسب، كما لا يخفى على المحدثين. ومن المسائل المسلم بها والمقبولة والمتفق عليها في علم اللغة، أنه إذا كان الله فاعلا والإنسان مفعولا به، فلا تُستخدم كلمة التوفي في غير معنى الموت، وكل دواوين العرب شاهدة على ذلك. (التحفة الغولروية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٩٠)

إن المشايخ المعاصرين يؤمنون بأن المسيح عيسى بن مريم الذي نزل عليه الإنجيل سينزل من السماء في الزمن الأخير، لكن البين أن القرآن الكريم يعارض هذه الفكرة وآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾... وجميع الآيات الأخرى التي ذكرناها في كُتُبنا تبرهن قطعاً على أن عيسى ﷺ قد توفي وأن إنكار موته إنكار القرآن الكريم. (التحفة الغولروية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٩٥)

النصوص الصريحة من كلام الله ﷻ القرآن الكريم تُثبت وفاة المسيح حصراً؟ ذلك أن الله ﷻ قد صرّح بكلمات واضحة أنه توفي كما تشهد على ذلك آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. أنتم تعرفون جيداً أن التوفي لا يعني غير قبض الروح. (أربعين، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٧٣-٣٧٤)

ورد في القاموس أن التوفي - إذا كان الفاعل هو الله ﷻ وكان المفعول به إنسانا - فمعناه الإماتة حصراً، كذلك استخدم القرآن الكريم من الأول إلى الأخير كلمة التوفي بمعنى الإماتة وقبض الروح حصراً، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن كله بمعنى آخر. (أربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٧٤، الحاشية)

هذه الآية تدلّ صراحةً على أنّ عيسى قد مات قبل ضلال النصارى. باختصار، إذا كان قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ يعني أنّ عيسى عليه السلام رُفِعَ حَيًّا بجسده إلى السماء، فلماذا لم يذكر الله في سائر القرآن موت رجلٍ قد أَهْلَكَ الاعتقادُ بحياته مئاتِ الألوف من البشر، وكأنّ الله تعالى قد أبقاه حَيًّا إلى أبد الآبدين ليصير الناس مشركين وملحدين، مما يعني أن ذلك ليس خطأً من الناس وإنما الله نفسه من فعل ذلك كلّ ليضلّ الناس! (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٦-١٧)

يتضح من هذه الآية نفسها أن عيسى عليه السلام لن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى، إذ لو كان راجعاً إليها لصار جوابه هذا كذباً محضاً أعني قوله بأنه لا يعلم عن ضلال النصارى شيئاً، إذ كيف يمكن لمن جاء إلى الدنيا ثانية ومكث فيها أربعين عاماً وشاهد ملايين النصارى الذين اتخذوه إلهًا وكسر الصليب وجعل المسيحيين كلهم مسلمين، أن يعتذر في حضرة الله يوم القيامة بأنه لا يعلم عن ضلال النصارى شيئاً. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٦، الحاشية)

واعلموا أن عيسى لن ينزل أبداً لأن الإقرار الذي سيقوم به يوم القيامة بحسب قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ يتضمن اعترافاً واضحاً منه أنه لن يعود إلى الدنيا ثانية، إذ ليس عذره يوم القيامة إلا قوله إنه لا يعلم عن ضلال النصارى بعده شيئاً. تُرى، لو أنه عليه السلام كان قد جاء إلى الدنيا ثانية، فهل سيجيب الله تعالى يوم القيامة بأنه لا يعلم عن فساد المسيحيين شيئاً؟ فثبت من هنا أنه قد اعترف في هذه الآية صراحةً بأنه لم يأت إلى الدنيا مرة أخرى. لو كان سيأتي إلى الدنيا ثانية ومكث فيها أربعين

عاما متتالية قبل يوم القيامة، فقلوه هذا يعني أنه سيكذب بين يدي الله تعالى حين يقول إنه لا يعلم شيئاً عن أحوال المسيحيين. مع أنه يجب في هذه الحالة أن يقول: لقد وجدت عند بعثتي الثانية قرابة أربع مئة مليون مسيحي في العالم، وقد رأيتهم كلهم، وإني على علم بفسادهم، وإني أستحقُّ مكافأةً إذ جعلتهم جميعاً مسلمين وكسرتُ الصليبان! أما أن يقول عليه السلام إنه لا يعرف عنهم شيئاً، فهو كذبٌ وزور!

باختصار، يعترف المسيح عليه السلام في هذه الآية اعترافاً واضحاً أنه لن يعود إلى هذا العالم. الحق والحق أقول إن المسيح عليه السلام قد مات، وقبره موجود في حارة "خان يار" بمدينة "سري نغر". أما الآن فسوف ينزل الله تعالى بنفسه، وسيحارب بنفسه الذين يحاربون الحق. ولا اعترض على حرب الله لأنها تكون بالآيات البينات، أما حرب الإنسان فهي موضع طعن، لأن فيها إكراهاً للآخرين. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٧٦)

"أتكذبوني ولا تحيئونني ولا تسألون أن عيسى مات ولا يحيا بإحيائكم فلا تكذبوا القرآن أيها المجترئون، وإن كان نازلاً قبل يوم القيامة كما تزعمون، فلم أنكر لما سئل عن ضلالة النصارى، واعتذر بعدم العلم كما أنتم تدرسون، ولم يقل أي أعلم ما أحدثوا بعدي بما رددت إلى الدنيا ورأيت ما كانوا يعملون، وكان الحق أن يقول ربّ إني رجعت إلى الدنيا بإذنك ولبثت فيهم إلى أربعين سنة فوجدتهم يعبدوني وأمي وعليه يصرون، فكسرت صليبهم وأصلحت زمانهم وقتلت كثيراً منهم فدخلوا في دين الله وهم يتضرعون، فاسألوا عيساكم لم يكذب يوم القيامة ويخفي شهادة كانت عنده كأنه من الذين لا يعلمون". (تحفة الندوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩ ص ٨٩)

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ

إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٠﴾ فإذا كان صحيحا أن عيسى ﷺ سيأتي إلى الدنيا مرة ثانية قبل يوم القيامة ويمكث فيها أربعين عاما ويكسر الصليب ويحارب المسيحيين، فكيف يمكنه أن يقول الله تعالى يوم القيامة: فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، ولا أدري أي سبيل سلكوا؟ ولو أجاب بالقول: إنني لا أعلم عنهم شيئا، لما كان أحدٌ أكذب منه في الدنيا، لأنه ما من أحد أكثر كذبا من الذي يعلم أنه جاء إلى الدنيا ثانية ووجد النصراني يؤهونه ويعبدونه فحاربه، ثم ينكر كل ذلك أمام الله ويقول: أنا لا أعرف شيئا عما فعلوه بعدي. بل كانت الإجابة الصحيحة أن يقول: نعم يا رب، أنا أعرف ضلال النصراني جيدا لأني عدتُ إلى الدنيا ومكثت هناك أربعين عاما وكسرت الصليب فلا ذنب عليّ، إذ صرْتُ عدوا لهم حين علمت أنهم مشركون. بل الحق أنه إذا كان عيسى ﷺ قد مكث في الأرض أربعين عاما قبل القيامة، وكان قد عاقب الذين أهوه، فإن طرح الله عليه هذا السؤال يصبح لغوا تلقائيا، لأنه يُستبعد من حكمة الله أن يطرح مثل هذا السؤال إذا كان في علمه تعالى أن عيسى قد عاقب عقابا شديدا هؤلاء الناس حين علم أنهم اتخذوه إلهًا.

لقد صرّح الله تعالى للمسلمين أن عيسى قد مات ولن يعود إلى الدنيا ثانية بل سيأتي مثيله، ولو كان مثل هذا التصريح قد ورد في صحيفة النبي ملاخي لما هلك اليهود. فلا شك أن الذين ينتظرون عودة عيسى ﷺ مع وجود كل هذه التصريحات في كلام الله تعالى هم أسوأ من اليهود دون أدنى شك. (تذكرة الشهداءتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٠-٢١)

..... يتبين من هذه الآيات أن عيسى ﷺ سيقول يوم القيامة: إن النصراني

لم ينحرفوا في حياتي، ولم أعرف بعد مماتي ما آلت إليه حالتهم. فلو سلمنا أن عيسى

عليه السلام مازال حيا؛ فلا بد من التسليم أيضا أن النصارى لم ينحرفوا بعد، بل لا يزالون ثابتين على دين صادق. إضافة إلى ذلك فإن عيسى عليه السلام يُظهر عدم علمه بانحراف النصارى بعد وفاته ويقول: يارب لا أعرف عن حالة قومي شيئا منذ أن أمتني. فلو صح القول بأنه سيعود إلى الدنيا قبل القيامة وسيحارب الكفار في معية المهدي؛ لبطلت هذه الآية القرآنية، والعياذ بالله، أو نضطر إلى قبول أن عيسى عليه السلام سيكذب في حضرة الله يوم القيامة، وسيكتم عودته إلى الدنيا ومكثه فيها أربعين عاما ومحاربه النصارى في معية المهدي.

قصارى الكلام، أنه لو كان أحد مؤمنا بالقرآن الكريم لبطلت - بهذه الآية وحدها - الخطة القائلة بمجيء مهدي سفاك ونزول عيسى عليه السلام من السماء لنصرته. والذي يعتنق هذا الاعتقاد يهجر القرآن الكريم دون أدنى شك. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٩٦-١٩٧)

لقد توفي الله تعالى عيسى عليه السلام كما تشهد على وفاته الآية الواضحة والصريحة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ التي تعني حسب سياقها أن الله تعالى يسأل عيسى يوم القيامة: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْيَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ فيقول: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا علم لي عن ضلالتهم شيئا بعد أن توفيتني.

والآن للمرء أن يفهم من ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي فلما قبضت روحي، أو ليفهم منها تعنتا فلما رفعتني إلى السماء بجسمي العنصري. على أية حال، فمما يتأكد من هذه الآية أن عيسى عليه السلام لن يعود ثانية إلى الدنيا. لأنه لو كان قد رجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة وكسر الصليب فلا يمكن له، وهو نبي الله، أن يكذب كذبا صريحا أمام الله يوم القيامة ويقول: لا علم لي بأن أمتي نحتت من بعدي هذه العقيدة الفاسدة، واتخذوني وأمي إهيين. وهل من المعقول أن يعود شخص إلى الدنيا ثانية

ويعيش فيها أربعين عاما ويقا تل النصرى ثم يكذب - رغم كونه نبيا - مثل هذا الكذب الشنيع ويقول بأننى لا أعلم شيئا. إذاً فهذه الآية تمنع رجوع عيسى ثانية وإلا كان من الكاذبين. فإذا كان فى السماء بجسمه العنصرى وبحسب هذه الآية لن ينزل إلى الأرض إلى يوم القيامة، فهل سيموت فى السماء، ويكون قبره أيضا فى السماء؟ فى حين أن موته يناقض قوله تعالى: ﴿فِيهَا تُمَوْتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦) فهكذا ثبت أنه لم يُرفع إلى السماء بجسمه العنصرى بل رُفع بعد موته. فمادام كتاب الله قد حسم هذه القضية بصراحة كاملة، فماذا تكون مخالفة كتاب الله سوى المعصية؟ (الوصية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣١٣-٣١٤)

إن الذين يقولون، مع كونهم مسلمين، بصعود عيسى ﷺ إلى السماء حيا بجسده المادى يتفوهون بكلام لغو يخالف القرآن الكريم. القرآن الكريم يبين موت عيسى فى الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ ويجعل صعود الإنسان إلى السماء بالجسد المادى مستحيلا فى الآية: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤) فأى جهل أن يعتنقوا اعتقادا يعارض كلام الله. ما من جهل أكبر من أن يُستنبط من "التوفى" الصعود إلى السماء بالجسد المادى. أولا، لم يرد فى أى قاموس أن معنى التوفى هو الصعود إلى السماء بالجسد المادى. ثم ما دامت الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ تتعلق بالقيامة أى سيجيب عيسى ﷺ الله تعالى بهذا الجواب يوم القيامة، فهذا يستلزم أن تحل القيامة دون أن يموت عيسى، بل سيمثل أمام الله تعالى بجسده المادى قبل الممات. وإن تحريف القرآن بهذه الطريقة خطوة تسبق اليهود أيضا. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٤٥، الحاشية)

.... إثمهم الثانى هو زعمهم أن عيسى ﷺ ما زال حيا على النقيض من النص القرآنى الصريح. لقد جاءت فى القرآن الكريم آية صريحة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ويستنتجون منها معنى: فلما رفعتنى إلى السماء

بالجسد المادي. هذه لغة غريبة تخص عيسى فقط! من المؤسف أنهم لا يفكرون أن عيسى ﷺ سيُسأل عن ذلك يوم القيامة كما هو مصرّح به في القرآن الكريم. إن المعنى الذي يستنبطونه من كلمة «تَوْفَيْكَ» يستلزم أن يمثل عيسى ﷺ قبل موته أمام الله جلّ شأنه يوم القيامة. وإن قلتَ بأن المراد من «فَلَمَّا تَوْفَيْتَنِي» هو: فلما أمتني، ما أدراني ما فعلته أمتي بعد مماتي؟ فهذا المعنى أيضا غير صحيح بحسب اعتقادهم. يمكن لله تعالى أن يقول لعيسى ردا على عذره الباطل من منطلق كلا المعنيين ويقول: لماذا تكذب أمامي بقولك إنك لا تعرف شيئا إذ قد عدتَ إلى الدنيا ومكثتَ فيها أربعين عاما، وحاربتَ النصارى وكسرتَ الصليب. وإضافة إلى ذلك يستلزم هذا المعنى أن النصارى لم يفسدوا ما بقي عيسى ﷺ حيا بل فسدوا بعد مماته. وبذلك لا بد من الاعتراف أن النصارى ما زالوا على حق لأن عيسى ﷺ ما زال حيا في السماء. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨٢-٣٨٣، الحاشية)

إن الشيخ ثناء الله.... يعتبر عيسى ﷺ أيضا كذابا؛ فأني تأسف عليهم لو كذّبتني؟ يقول عن عيسى ﷺ بأنه كذب كذبا صريحا في جوابه عند الله حين سأله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ فقال: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. ولا أدري ما الذي حدث بعدي. فمن أكذب من الذي يكذب أمام الله تعالى حين يجلس ﷻ على عرش العدل يوم القيامة. وهل من كذب أسوأ من أن يأتي إلى الدنيا قبل القيامة ويقوم فيها أربعين عاما ويحارب النصارى ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويجعل جميع النصارى مسلمين، ثم ينكر كل هذه الأحداث يوم القيامة ليقول: لا أدري ما الذي حدث من بعدي، وبذلك يكذب أمام الله تعالى مُظهرا أنه لا يعلم شيئا عن حالة النصارى ودينهم منذ أن توفاه الله.

لاحظوا، ما أشنع هذه الكذبة! وزد إلى ذلك أنها تُحكى أمام الله تعالى. فهل يصبح المسيح ﷺ كذابا بهذه الطريقة أم لا؟ افتحوا القرآن الكريم واقرأوا الآية: ﴿فلما توفيتني﴾ إلى نهايتها ثم قولوا: هل تعتبرون عيسى ﷺ كذابا أم لا؟ ولكن كيف ننأسف على ذلك؛ فإنكم اعتبرتم الله أيضا كاذبا. لقد بين الله تعالى وفاة عيسى ﷺ في آية: ﴿فلما توفيتني﴾ وصرح أيضا بعذر عيسى ﷺ بوضوح تام بأن هؤلاء الناس قد فسدوا بعد وفاته. فبيّن الله تعالى هنا أنه إذا كان عيسى لم يمت حتى الآن، فهذا يعني أن المسيحيين لم يفسدوا إلى الآن؛ لأن بقاء المسيحيين على الصراط المستقيم منوط بحياة عيسى ﷺ فقط، وأن وفاته لجعلت علامة على ضلالهم. فقولوا الآن والحالة هذه؛ كيف يكون الله صادقا عندكم وأنتم لم تقبلوا قوله؟ (إعجاز أحمدى، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٢٥-١٢٦)

"فكّر في قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ ثم فكّر في جوابه، أصدّق أم كذب بناء على زعم قوم يرجعونه من وسواس الخناس؟ فإنه إن كان حقا أن يرجع عيسى قبل يوم الحشر والقيام، ويكسر الصليب ويدخل النصراني في الإسلام، فكيف يقول إني ما أعلم ما صنعت أمتي بعد رفعي إلى السماء؟ وكيف يصح منه هذا القول مع أنه اطلع على شرك النصراني بعد رجوعه إلى الغبراء، واطلع على اتخاذهم إياه وأمه إلهين من الأهواء؟ فما هذا الإنكار عند سؤال حضرة الكبرياء إلا كذبا فاحشا وترك الحياء. والعجب أنه كيف لا يستحي من الكذب العظيم، ويكذب بين يدي الخبير العليم! مع أنه قد رجع إلى الدنيا وقتل النصراني وكسر الصليب وقتل الخنزير بالخُسام الحسيم. وما كان مكث ساعة كغريب يمرّ من أرضٍ بأرضٍ غير مقيم، ولا يفتش بالعزم الصميم، بل لبث فيهم إلى أربعين سنة، وقتلهم وأسّروهم وأدخلهم جيرا في الصراط المستقيم. ثم يقول: لا أعلم ما صنعوا بعدي. فالعجب كل العجب من هذا المسيح وكذبه الصريح! أنؤمن

بأنه لا يخاف يوم الحساب ولا سوط العقاب، ويكذب كذبا فاحشا يعافه زَمَعُ الناس، ويرضى بزور يَأْنَفُ منه الأراذلُ الملوَّثون بالأدناس؟ أيجوز العقل في شأن نبي أنه رجع إلى الدنيا بعد الصعود إلى السماء، ورأى قومه النصارى وشركهم وتلبيثهم بعينيه من غير الخفاء، ثم أنكر أمام ربه هذه القصة، وقال: ما رجعت إلى الدنيا الدنيّة، ولا أعلم ما بال قومي مُذْ رُفِعْتُ إلى السماء الثانية؟ فانظروا أي كذب أكبر من هذا الكذب الذي يرتكبه المسيح أمام عين الله في يوم الحساب والمسألة، ولا يخاف حضرة ربّ العزة؟ فالحاصل أنه لما منع القرآن نزول المسيح من السماء في الآية التي هي قطعية الدلالة، تَعَيَّنَ إِذَا من غير شك أن المسيح الموعود ليس من اليهود بل من هذه الأمة. وكيف وإن اليهود ضربت عليهم الذلة؟ فهم لا يستحقون العزة بعد العقوبة الأبدية". (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٩٢-٢٩٤)

ولو قيل بأن معنى التوفي هنا هو الرفع إلى السماء بالجسد المادي فهذا المعنى خاطئ وباطل بالبدهاهة، لأنه يتبين من الآيات القرآنية نفسها أن هذا السؤال يوجّه إلى عيسى عليه السلام يوم القيامة. وهذا يستلزم أنه يمثل أمام الله تعالى قبل الموت وفي حالة الرفع الجسدي، ثم لن يموت بعد ذلك أبداً لأنه لا موت بعد القيامة، وهذه الفكرة باطلة بداهةً.

إضافة إلى ذلك فإن إجابته عليه السلام الجازمة يوم القيامة "أني لا أعرف عن قومي ما آلت إليه حالتهم منذ أن رُفِعْتُ إلى السماء بجسدي المادي" تصبح كذبا صارخا بحسب المعتقد المذكور آنفاً القائل بعودته عليه السلام إلى الدنيا قبل يوم القيامة، لأنه كيف يمكن لمن يعود إلى الدنيا ويرى أمته معتنقةً الشرك - بل يحاربهم أيضا ويكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم - أن يقول يوم القيامة أنه لا يعرف عن أمته شيئا؟ (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٣)

قال الله تعالى في القرآن الكريم بكل صراحة بحق عيسى عليه السلام بأنه مات، كما يقول الله تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي حين يسأل الله تعالى عيسى يوم القيامة أنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين؟ سيقول عليه السلام: لما كنت في قومي علمتهم أن الله واحد وأني رسوله، فلما توفيتني لم أعرف عن معتقداتهم شيئا. ففي هذه الآية يعترف عيسى عليه السلام بموته بصراحة تامة. وفيها إقراره أيضا بأنه ما رجع إلى الدنيا ثانية، لأنه إذا كان قد عاد إليها لكان قوله يوم القيامة أني لا أعرف أيّ مسلك سلكه أمّي من بعدي كذبا لأنه لو كان صحيحا بأنه سيعود إلى الدنيا قبل القيامة ويحارب النصارى، ثم إذا أنكر ذلك يوم القيامة وقال بأنه لا يعرف عن فساد النصارى شيئا، فسيكون ذلك كذبا سافرا، نعوذ بالله منه. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٩-٢٣٠)

يتبين من هذه الآية أمران اثنان بوضوح تام.

(١) يقرّ عيسى عليه السلام في هذه الآية أنه كان رقيبا عليهم ما دام فيهم ولم يفسدوا أثناء بقاءهم فيهم بل فسدوا بعد وفاته. والآن لو افترضنا أن عيسى عليه السلام مازال حيا في السماء لاضطررنا إلى الاعتراف أيضا بأن النصارى لم يفسدوا إلى الآن، لأن فساد النصارى قد عدّ نتيجة الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي قد أنيط فسادهم بوفاته عليه السلام. ولكنه ما دام واضحا أن النصارى قد فسدوا فلا بد من الإقرار بوفاته عليه السلام أيضا وإلا للزم تكذيب الآية القرآنية.

(٢) لقد قيل في الآية بصراحة تامة بأنه عليه السلام يقول بعدم علمه بفساد النصارى وسيقول بأنّي كنت أعلم عن أحوالهم لما كنت فيهم، ولكن لا أدري عنهم شيئا منذ وفاي ولا أعلم ما الذي جرى بعدي. والمعلوم أنه إذا كان قد عاد إلى الدنيا قبل يوم القيامة واطلع على ضلال النصارى لكان بيانه هذا كذبا محضا. وكان من المفروض أن يردّ الله عليه بالقول: كيف تكذب في حضرتي وفي محكمتي أيها

المتجاسر؟! وكيف تقول كذبا وزورا بأني لا أعلم بضلالهم مع أنك تعلم أنني أرسلتك إلى الدنيا ثانية قبل القيامة؟! وقد حاربت النصارى وكسرت صليهم وقتلت خنازيرهم ثم تكذب أمامي وتقول زورا بأنك لا تدري شيئا.

من الواضح أن في الاعتقاد بمجيئه إلى الدنيا ثانية إساءة كبيرة إليه عليه السلام لأنه سيُعدّ بسببه كاذبا، والعياذ بالله. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٥١-٥٢)

﴿فَلَمَّا تَوْفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أليس معناه أنك كنت الرقيب عليهم بعد ما توفيتني؟ ألا يؤكد التأمل في هذه الآيات كلها بصراحة تامة أن عيسى عليه السلام يردّ على سؤال من الله تعالى بأني كنت شاهدا على أعمال أمتي ومطلعا على أحوالهم حين كنت فيهم، فلما أمتني كنت أنت الرقيب والمحافظ عليهم. ألا تعني هذه الآيات معنى معيناً بالبدهة أن أمته لم تفسد في حياته بل بعد وفاته؟! وهو لا يدري ما الذي حدث بهم وأيّ دين اختاروا بعد وفاته. فيتبين من كلام الله تعالى أنه لو افترضنا جدلا أن عيسى ما زال حيا في السماء لاضطررنا إلى الاعتراف بأن المسيحيين لم يفسدوا إلى الآن بل ما زالوا على دين حق، لأن عيسى عليه السلام يربط بقاء أمته على الصراط المستقيم بفترة حياته. وينكر أنه قال لهم أن يتخذوه وأمه إلهم من دون الله. ويقول في حضرة الله بأني ما دمت فيهم فقد علمتهم ما أمرتني به، فلما توفيتني فلا أدري ما الذي آلت إليه الظروف بعد ذلك. يتبين من الآيات المشار إليها بكل جلاء أنه عليه السلام لن يعود إلى الدنيا أبداً، وإلا لاستلزم كلامه هذا بأنه سيكذب أمام الله يوم القيامة، لأنه لو جاء إلى الدنيا ثانية قبل القيامة لكان قوله بأني لا أعلم ما الذي اختاره قومي من المعتقدات كذبا صريحا. لأن الذي يأتي إلى الدنيا ثانية ويرى بأمر عينيه أن أمته قد فسدت، وليس ذلك ليوم واحد فحسب، بل يشاهد حالة كفرهم إلى أربعين عاما متتالية، كيف يجوز له القول أمام الله يوم

القيامة بأنه لم يعرف عن قومه شيئا؟! (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية المجلد ٢١، ص ٢٨٢)

إن إقرار عيسى عليه السلام نفسه شاهد على وفاته، لأنه رد على سؤال الله عز وجل: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قائلا: كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. في هذا الجواب ربط عيسى عليه السلام هداية المسيحيين بحياته هو. فلو كان عيسى حيا إلى الآن لاستلزم ذلك أن النصارى مازالوا على الحق. ويثبت من الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أيضا أنه لن يعود إلى الدنيا قبل القيامة. وإلا يستلزم ذلك أنه سيكذب أمام الله، والعياذ بالله، ويقول بأنه لا يدري عن فساد أمته شيئا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٩٤، الحاشية)

يعترض بعض من قليلي الفهم في هذا المقام قائلين بأن آية القرآن الكريم: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ توحى بجلاء بأن عيسى عليه السلام سيقدّم عذرا أمام الله تعالى أن الناس قد فسدوا بعد مماته وليس في حياته، فيقع عليه اعتراض أنه إذا صح القول بأنه سافر إلى كشمير بعد النجاة من الصלב وعاش هنالك ٨٧ عاما، فلا يصح القول بأن الناس قد فسدوا بعد وفاته، بل كان حريا به أن يقول بأنهم فسدوا بعد سفره إلى كشمير لأنه قد أصابته المنية بعد ٨٧ عاما من حادث الصليب.

فليكن معلوما أن هذه الشبهة ناتجة عن قلة التدبر وإلا فإن السفر إلى كشمير لا يناقض الآية المذكورة، لأن قوله: ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ يعني: ما بقيت بين ظهراني أفراد أمتي الذين آمنوا بي، ولا يعني: "ما دمت في أرضهم" لأننا نقبل أن عيسى عليه السلام هاجر من أرض الشام إلى كشمير، ولكننا لا نقبل أن أم عيسى عليه السلام والحواريين تحلفوا عنه، بل ثابت تاريخيا أن بعض الحواريين صاحبه عليه السلام، وبعضهم

لحقوا به فيما بعد. فقد رافقه الحواري "توما"، أما الآخرون فقد لحقوا به فيما بعد. والمعلوم أن عيسى ﷺ اختار لرفقته شخصا واحدا هو "توما" كما اختار نبينا الأكرم ﷺ أبا بكر ﷺ وحده عند الهجرة إلى المدينة. وذلك لأن السلطنة الرومية كانت قد أعلنت سلفا أن عيسى متمرّد، ولجريمة نفسها قُتل بيلاطس بأمر من قيصر لأنه كان من مناصري عيسى ﷺ سرّا، وكانت امرأته أيضا من مريدي عيسى ﷺ. فكان ضروريا أن يخرج عيسى من ذلك البلد خفيةً وألا يصطحب معه جماعة كبيرة. لذا فقد اختار الحواري "توما" وحده ليصطحبه في هذا السفر كما اختار نبينا الأكرم ﷺ أبا بكر ﷺ وحده في أثناء الهجرة إلى المدينة. وكما لحق الصحابة ﷺ النبي ﷺ في المدينة بطرق مختلفة، كذلك لحق الحواريون بعيسى ﷺ بواسطة طرق مختلفة وفي أوقات مختلفة. وما دام عيسى ﷺ فيهم كما هو مقتضى الآية: ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، ظل الجميع معتصمين بالتوحيد، ثم فسدت ذرياتهم بعد وفاته، ولا يُدرى في أيّ نسل بدأ الفساد بالنشوء. يقول المؤرخون بأن المسيحية بقيت على حقيقتها إلى القرن الثالث.

على أية حال، يبدو أن هؤلاء الناس عادوا جميعا إلى بلادهم بعد وفاة عيسى ﷺ، لأنه قد اتفق أن تنصّر قيصر الروم، وبالتالي أصبح بقاؤهم في المنفى بلا داع. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٠١-٤٠٢) علمتُ اليوم شيئا جديدا عند تدبر آية سورة المائدة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) وهو أن الله تعالى يقول بأن المسيح سئل: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ... مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. فمن الواضح أنه إذا كان المسيح قد عاد إلى الدنيا، وطُرح عليه هذا السؤال يوم القيامة كان من المفروض ألا يرد على النحو المذكور بل يجب وكان من واجبه أن يكون جوابه: نعم، لقد انتشر

فيهم الشرك بعد صعودي إلى السماء، ولكني كسرتُ صلبانهم بعد عودتي إليهم، وقتلتُ كافرا فلانا وأهلكُ فلانا وأبَدْتُ فلانا، بدلا من أن يقول: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾. يتبين من هذا الجواب بوضوح أن المسيح لا يستطيع أن يعود إلى هذا العالم بنفسه أبدا، وهذا نصٌّ على عدم نزوله. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ١١)

لا تثبت حياة عيسى عليه السلام. وقد حدثت في حياته فتنة لم تحدث في حياة أي نبي آخر لذلك سأله الله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِ﴾. والجماعة التي أعدها عيسى كانت ضعيفة وغير جديرة بالثقة، وهذا ما يعترف به المسيحيون أيضا. ثابت من الإنجيل أن التلاميذ الـ ١٢ الذين كانوا نموذجا لقوته القدسية وتأثيره بوجه خاص كان أحدهم يدعى يهوذا الإسخريوطي الذي باع سيده ومرشده مقابل ثلاثين درهما. أما الآخر الذي يحتل مقام الصدارة بين الجميع وكان يُسمَّى تلميذا رشيدا وكانت في يده مفاتيح الجنة فقد لعنه أمامه ثلاث مرات. فإذا كان هذا هو تأثير المسيح وفيضه في حياته فيمكنكم أن تقدروا ماذا عسى أن يكون قد بقي منه الآن بعد مرور ١٩٠٠ عام؟ أما الجماعة التي أعدها النبي ﷺ مقابلهم فكانت مخلصه ووفية بحيث ضحُّوا من أجله بنفوسهم وأرواحهم، وهجروا أوطانهم وأعزاءهم وأقاربهم، ولم يبالوا بأي شيء مقابله ﷺ. ما أعظم هذا التأثير وما أقواه! وقد اعترف به المعاندون أيضا، ولم تنقطع سلسلته إلى الآن بل لا تزال جارية. وذلك التأثير وتلك البركات لا تزال موجودة في تعليم القرآن الكريم. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٦م، ص ٣)

أقول على بصيرة إن التوفي لا يعني في اللغة العربية، ولا في كلام الله ورسوله، أبدا الرفع بالجسم المادي. يجب النظر إلى القرآن الكريم كله بنظرة شاملة. لقد أنزل القرآن الكريم من الله العليم الخبير بكامل العلم والحكمة، وليس فيه أي اختلاف. بعض

الآيات تفسّر بعضها الأخرى، بعضها متشابهات وأخرى محكمات. فما دامت الكلمة نفسها وردت بحق الأنبياء الآخرين أيضاً، فلا تفسّر بغير الموت، أما المسيح فلا نعرف لماذا يعطى ميزة؟ أفلم يتذوقوا إلى الآن طعم تمييز المسيح هذا؟ انظروا أنه قد وردت بحق النبي ﷺ كلمات صريحة: ﴿إِنَّمَا تُرِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ﴾ (يونس: ٤٧) ثم وردت كلمة "التوفي" نفسها في القرآن الكريم بحق سيدنا يوسف عليه السلام، ولا تعني غير الموت، وذلك في الآية ﴿تَوَفَّيْ مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠٢). فهذا دعاء يوسف عليه السلام، فهل كان يدعو الله ﷻ أن يرفعه إلى السماء بجسمه المادي؟ ويُلحقه بال صالحين السابقين الموجودين أحياء في السماء؟ سبحان الله عما يصفون.

ثم إن السحرة الذين دعاهم فرعون لمواجهة موسى عليه السلام قد وردت كلمة التوفي في حقهم أيضاً عندما قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٧). الآن ليس من شأن أي مسلم أن يعارض الله وكلامه. من المؤكد أن القرآن الكريم قد ذكر موت عيسى عليه السلام، وأثبت وفاته بأدلة وبراهين ساطعة، وراه النبي ﷺ ليلة المعراج ضمن الأنبياء الميتين. ومما يجدر بالتدبر أن عيسى عليه السلام إذا كان قد رُفع إلى السماء حيّاً بجسمه المادي، فما علاقته بالأنبياء المتوقّفين؟ فما علاقة الحي بالمت؟ كان يجب أن تكون له حجرة خاصة. (الحكم مجلد ١٢، رقم ٤٧، عدد ١٤٨/٨/١٩٠٨ م، ص ٣)

إن أول الخصومات هي قضية وفاة المسيح عليه السلام، وهناك آيات بينة عليها، كقول الله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَارْجِعْ إِلَىٰ آلِ عِمْرَانَ﴾ (آل عمران: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. ومن الأعداء الواهية الباطلة أن "التوفي" هنا لا يعني الإمامة، فإن ابن عباس رضيه الله عنه، بل إن هادينا الكامل عليه السلام نفسه قد فسّر التوفي بمعنى الإمامة. ثم إن هؤلاء أنفسهم كلما استخدموا لفظ التوفي أرادوا به دوماً

الإماتة وقبض الروح. والقرآن الكريم أيضا قد ذكر هذا المعنى للتوفي في كل مكان. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٥٨)

هناك إقرار للمسيح نفسه أي: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. فهذا ما سيحدث يوم القيامة حين يُسأل عيسى ﷺ: هل قلت لهم أن يؤهّوك وأمّك، فسيقول ردًا على ذلك: لقد علّمتهم ما دمتُ حيا فيهم، ما علّمتني، فلما أمّنتني كنت أنت الرقيب عليهم. فما أوضحه من قول.

لو صح الاعتقاد أن عيسى ﷺ سيأتي إلى العالم قبل القيامة، فكيف يصح جوابه هذا؟ بل كان حريّا به أن يقول: عندما بُعثت إليهم مرة ثانية كان الصليب يُعبد بشدة، وكانت الضجة ثائرة حول ألوهيتي وبنوّتي، لكنني كسرت الصلبان عند بعثتي وقتلت الخنازير ونشرت توحيدك. لا أن يقول: فلما أمّنتني كنت أنت الرقيب عليهم. فهل سيكذب المسيح ﷺ يوم القيامة؟ (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٩، عدد: ١٠/٨/١٩٠٣م، ص ٣)

كل عاقل يعرف أن إثبات حياة عيسى ﷺ محال وفكرة باطلة، لأن القرآن الكريم قد حكم بصراحة أنه عيسى ﷺ قد مات. والمؤمن الذي يكنّ في قلبه عظمة كلام الرب الجليل تكفيه آية يقول فيها الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. فبعد قراءة هذه الآية عليك أن تتأمل جيدا هل تقدر على أن تستخرج منها معنى سوى الوفاة. كلا، هذا لا يمكن بل كل منصف وباحث يتأمل في هذه الآية ويتدبر منطوق القرآن ومفهومه لن يفهم منها إلا موت عيسى ﷺ بداهة النظر وسيؤمن بوفاته بصورة قطعية ويقينية. وبعد نيله البصيرة على وفاة عيسى ﷺ لن يحسب إنكار موته ضلالا فحسب بل سيُعده إلحادا وزندقة. يمكن أن يتردد أحد بسبب قلة علمه في معنى كلمة "التوفي"، ولكن عندما سيرجع إلى الحديث وروايات الصحابة سيتلاشى تردده كله لأنه لا توجد هنالك في تفسير الآية المذكورة

أي معنى سوى الإمامة. ألا ترى أنه قد رُوي في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس: "متوفيك، أي مميتك". وبقدر ما قرأت كتب الأحاديث باستيعاب وقرأت الروايات وأقوال الصحابة كلها، فقد قرأت بنفسني وسمعت من الناس أيضا ولكن لم أجد في أي مكان في شرحها معنى إلا الإمامة، سواء في حديث أو رواية أو قول. وأقول بكل تحد إنه لا يثبت في معنى التوفي من رسول الله ﷺ ومن الصحابة إلا الموت. ولا يمكن القول بأن الإمامة مسلّم بها ولكنها لم تتحقق بعد بل ستتحقق مستقبلا لأن عيسى ﷺ يقول في آية جاء فيها تعبير: "فلما توفيتني" إن فتنه ضلال النصارى وقعت بعد موته لا قبل موته. فلو افترضنا جدلا أن وعد الموت لا يتحقق بعد ولا يزال عيسى ﷺ حيا فيجب علينا أن نقبل أن النصارى لا يزالون على الصراط المستقيم ولم يضلوا بعد لأن ضلال النصارى مرتبط بموت عيسى بحسب الآية المذكورة. فما لم يمت عيسى ﷺ كيف يمكن اعتبار النصارى ضالين. إنني أستغرب على عقل العلماء والقوم أنهم لا ينتبهون إلى هذه الآية ويتركون النصوص الصريحة ويتخذون الأوهام مذهبا لهم.

باختصار، إن وفاة عيسى ﷺ ثابتة من النصوص القرآنية والأحاديث ولا يقدر أحد على الإنكار، إلا الذي يعرض عن القرآن والحديث ويستنبط منها معنى بصورة التفسير بالرأي. وما دام أهل اللغة يتفقون على معنى "التوفي" وهو بحسب القانون المستمر أنه لو كان الله هو فاعلها في عبارة ما، وكان المفعول هو الإنسان لكان معنى التوفي هو الإمامة حصرا. ولا يمكن أخذ أي معنى في هذا المقام سوى الإمامة وقبض الروح. ولكن لا نرى في هذا المقام حاجة إلى الرجوع القواميس العربية، إذ نجد حديث النبي ﷺ وقول ابن عباس في صحيح البخاري، وفيهما كفاية. ونعلم جيدا أن الذي يعرض عن قول رسول الله ﷺ فهو منافق ليس مؤمنا. فلما أطلق رسول الله ﷺ كلمة التوفي الواردة في هذه الآية على نفسه وبين بصراحة أن معناها

هو الموت وأن ابن عباس وضّح معناها بذكر بالإماتة، وقد أورد الشارح "العيني" قول ابن عباس بعينه، فلا حاجة لنا إلى أي دليل بعد هذا القدر من الإيضاح. مع أن لدينا أدلة أخرى أيضاً، وإن لغة العرب تؤيدنا، ويؤيدنا العقل البشري وإقرار الأقوام الأخرى، كذلك أفكار معظم أئمة الإسلام وإقرارهم ويؤيدنا أيضاً أن قبر عيسى عليه السلام لا يزال موجوداً في بلاد الشام.^١

آں کس کہ بقرآن و خبر زور نہی ایں است جوابش کہ جوابش نہی

أي: من لم يطمئن ببيان القرآن الكريم والحديث فجوابه ألا ترد عليه. (مجموعة الإعلانات المجلد ٢، ٢٧-٢٩)

الآية ١٢٠: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

مهما قام الناس بحيلة تجاه الطاعون لن تنفع، وسيكون المستقر الأخير إلى الله تعالى، عندما سيؤمن به الناس ينقذهم منه. إن آية ﴿أَيُّنَ الْمَقَرُّ﴾ أيضاً تنطبق على الوضع نفسه. إذ يكون هنا مفرّ من آفات أخرى ولكن لا مفر من اطاعون قط ولن ينفع إلا ملاذ الله. لا يمكن أن يُنسب الظلم إلى الله. الصادق سينتفع بصدقه حتماً. هذه أيام قليل عنها: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾. (الحكم مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١٩٠٤/٧/١، ص ٦)

^١ لقد ذكر حضرته عليه السلام ذكر ضمن أدلة وفاة المسيح الناصري عليه السلام ما وصله آنذاك من خبر أن قبر المسيح عليه السلام موجود في الشام، لكن بعد أن ثبت لديه بالأدلة القاطعة أن المسيح عليه السلام هاجر إلى كشمير وتوفي هناك، صرّح في كتابه "القول الحق" كما يلي: "وقد كتبنا في أحد الكتب أن قبر المسيح هو في بلاد الشام، إلا أن البحث الصحيح يجبرنا على التصريح بأن قبره الحقيقي في كشمير." (المترجم)

الجدير بالتأمل هنا هو أن هذا سيحدث يوم القيامة حين يكون الجميع ماثلين أمام الله، وتكون تلك هي الساعة التي قيل عنها: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾. ففي هذا الوقت سيقول عيسى عليه السلام لله تعالى إنني ظلمت أنصحهم بالوحدانية ما دمت فيهم، ولا أدري ما الذي حدث فيما بعد. وبغض النظر سواء أكان عليه السلام مدفونا في الأرض الآن أو متربعا في السماء، فإن الأحرى بالتأمل هنا هو أنه إذا عاد إلى الدنيا قبل القيامة ومكث أربعين عاما وعاقب أيضا المسيحيين عقوبة قاسية على تأليهم إياه وأمه ثم يصلحهم ويجعل المؤمنين به مسلمين، فأنت له أن يردّ يوم القيامة بأنه لا يعرف بما حدث بعده؟ بل يجب أن يكون جوابه: يا رب، لقد عاقبتهم بعقوبة قاسية بسبب اعتقادهم هذا وكسرت صليهم ونصحتهم جيدا إلى أربعين عاما.

الجدير بالتأمل أنه إذا عاد المسيح إلى الأرض هل سيكون جوابه المذكور في القرآن صحيحا؟ وإذا كان ما يقوله المشايخ صحيحا فأني إنعام يناله عيسى بهذا الجواب يوم القيامة؟ هؤلاء الجهال لا يدرون أنهم يعدّون نبي الله كاذبا، والعياذ بالله، بافترائهم مثل هذه الأقوال، أي سيكذب يوم القيامة وأمام الله تعالى، نعوذ بالله من ذلك. (بدر، المجلد ٦، رقم ١٢، عدد: ٢١/٣/١٩٠٧م، ص ٤)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الأنعام



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٦: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

..... ستأتيهم قريبا أنباء صدق كانوا يستهزئون به. (الحكم السماوي، الخزائن

الروحانية، المجلد ٤، صفحة الغلاف)

الآية ١١: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

أي لقد واجه المستهزئون عقوبة استهزائهم دائما. (البراهين الأحمدية، الأجزاء

الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٢٥١، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٢: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾

أي قل لهم أن يتجولوا في الأرض وينظروا كيف كانت عاقبة الذين كذبوا رسل الله الصادقين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١ ص ٢٥١، الحاشية ١١)

يسافر المرء في بعض الأحيان لمشاهدة عجائب العالم أيضا، حيث تشير إلى ذلك الآية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. والسفر يكون تارةً بهدف صحبة الصادقين الذي ترشد إليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، وتارة أخرى لعيادة مريض، بل لاتباع خيار الناس أيضا، كما يسافر المريض أو الذي يعتني به من أجل علاجه، ويسافر المرء أحيانا لمتابعة قضية في محكمة أو لتجارة. فكل هذه الأنواع من السفر مسموح بها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، الصفحة ٦٠٧)

الآية ١٨: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

أي إذا أصابك ضرر فلا نصير لك ولا معين ليزيله عنك، وإذا أصابك خير فالله وحده قادر على إيصال الخير إليك دون غيره. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢١-٥٢٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ١٩: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

له السيطرة والتصرف الكامل على عبادِهِ، وهو ذو الحكمة الكاملة والمطلع على حقيقة كل شيء. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٢٠: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

..... لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ... أي من الضروري لمن بلغه تعليم القرآن الكريم، حيثما كان وأيا كان أن يحمل على عنقه نير طاعة هذا التعليم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ٧)

الآية ٢١: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ أي من يكفرون منهم. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٦)

الآية ٢٢: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

... لا شك أن المفترى يتعرض للعنة الله، وأن المفترى على الله يُهلك عاجلا. (عاقبة آثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٥٠)

المراد من الافتراء في كلامنا أن ينحت الإنسان من عنده بعض الكلمات متعمدا أو يقوم بإعداد كتاب من عنده ثم يدّعي أن كل ذلك من الله ﷻ، وأن الله تعالى هو الذي قد ألهمه وأوحى إليه بهذا الخصوص، مع أنه لم يوحَ إليه شيء. فنحن نقول بتحدٍ وتقصي الحقائق على أكمل وجه وتأکید بأن الافتراء من هذا النوع لم ينجح قط على مَرِّ الدهور، لأن كتاب الله الطاهر يشهد بجلاء على أن المفترين على الله أهلكوا عاجلا. (عاقبة آثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٦٣، الحاشية)

ستجدون في مئات الآيات القرآنية أن الله ﷻ لا يترك المفتري على الله سليماً معافى أبداً، بل يعاقبه في هذه الدنيا حتماً ويهلكه. انظروا كيف يقول الله ﷻ في القرآن الكريم ﴿قَدْ حَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (طه: ٦٢) ويقول في آية أخرى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ (الأنعام: ٢٢) والواضح أن الذين كذبوا كلام الله عند بعثة الأنبياء لم يتركهم ﷻ أحياء بل أهلكهم بأسوأ العذاب. انظروا كيف كانت عاقبة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وأعداء نبينا ﷺ من أهل مكة. فإذا كان المكذبون نالوا عقابهم في هذه الدنيا، فأني للمفتري على الله أن يسلم وينجو وقد ذكر في الآية أولاً؟ فهل يمكن أن تكون معاملته الله للصادقين والكاذبين على سواء؟ أفلم يبين الله أن المفتري على الله يواجه العقاب في هذا العالم؟ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (الصفات: ١٥٥)؟ (أربعين، الخرائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٣٣-٤٣٤)

يقول الله تعالى إن المفتري على الله أكبر الكافرين: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي إن أكبر الكافرين نوعان، الأول: من يفترى على الله، والثاني: من يكذب كلام الله. فأنا على زعم المكذب مفترٍ على الله، وبالتالي أنا كافر بل أكبر الكافرين. وإن لم أكن مفترياً فسيعود الكفر عليه حتماً، كما قال الله تعالى في الآية المذكورة. (حقيقة الوحي، الخرائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٣) المراد من الظالم هنا الكافر، والقرينة الدالة على ذلك أن الله تعالى ذكر مكذب كلام الله مقابل المفتري، ومما لا شك فيه أن الذي يكذب بكلام الله، كافر. فالذي لا يؤمن بي ويكفرني ويعتبرني مفترياً يصبح كافراً تلقائياً بتكفيره إياي. (حقيقة الوحي، الخرائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٧، الحاشية)

أما الذي يرى الأدلة والآيات، ثم ينبذ الأمانة والصدق والحق، فعليه أن يتذكر قول الله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٩، عدد ١٠/١٢/١٩٠٣ م، ص ٢)

إن الذي يفترى قولاً ليلاً ثم يخبر به الناس نهاراً ويقول بأن الله قال له كذا وكذا كيف يمكن أن ينجح في مرامه ويثمر ويزدهر. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨ م، ص ١٣)

الحق أن الكذب يجعل قلب صاحبه مظلماً، فيتأكل قلبه من حيث لا يدري، ويضطرّ بسبب الكذبة الواحدة لنحت كذبات كثيرة، لإضفاء صبغة الصدق على كذبه الأولى، وهكذا تُدَمَّرُ قواه الأخلاقية والروحانية من حيث لا يدري، فيتجاسر حتى على الافتراء على الله وتكذيب المرسلين والمأمورين الربانيين أيضاً، ويصير أظلم الناس عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ واعلموا أن الكذب بلاء سيئ يهلك الإنسان. وما أدلّ على خطورة مآل الكذب من أن المرء يستحق بتكذيب رسل الله وآياته العقاب. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ١٤/٢٤/١٩٠٥ م، ص ٢)

اعلموا أن للافتراء أيضاً حداً، ومعلوم أن المفتري يخيب ويخسر دوماً كما قال ﷺ: ﴿قَدْ حَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (طه: ٦٢)، وقال ﷺ للنبي ﷺ إذا تقولت على الله فسوف نقطع وتينك، كما قال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الأنعام: ٢٢)، فالذي يؤمن بهذه الأمور أنى له أن يتجاسر على الافتراء. إذ من المعلوم أنه إذا انتحل أحد وظيفة حكومية بسيطة جداً فالحكومة المادية تعاقبه ويُسجن، فهل تسود الفوضى في ملكوت الله المليك المقتدر لدرجة أن يدّعي أحدهم افتراءً على الله بأنه مبعوث منه ﷺ، ثم لا يلقي عليه القبض بل يؤيد؟ كلا، بل بذلك ينتشر الإلحاد. فقد ورد في جميع كتب الله تعالى أن المفتري يهلك عاجلاً. ثم من ذا الذي لا يعرف أن هذه الجماعة قائمة منذ ٢٥ عاماً، وانضم إليها مئات الألوف من الناس؟ هذه الأمور ليست عادية بل تجدر بالتأمل والتدبر، إن مجرد الأفكار الشخصية لا تعد دليلاً ولا تقبل، فالهندوسي الذي يغطس في نهر الغانج،

ويدّعي أنه تطهّر فمن سوف يقبل منه ذلك دون أي دليل؟ بل سوف يطلب منه دليلاً. فلا أقول لكم أن تقبلوني دون دليل، كلا بل يجب أن تقيسوا دعواي على مقياس منهاج النبوة. إنني أقول لكم مقسماً بالله إنني أتلقى الوحي من الله، وأن الوسائل الثلاث لمنهاج النبوة تؤيدني كلّها وليس هناك أي دليل لإنكاره. (بدر، المجلد ٣، رقم ٢٠-٢١، عدد ٥/٢٤-١/٦/١٩٠٤م، ص ٥)

فألقي الله تعالى في روعي أن أتخذ الجانب الآخر الذي هو الأساس لدعواي أي إثبات كوني ملهماً صادقاً من الله، فلا شك أنهم لو حسبوني كلّهم ملهماً صادقاً من الله تعالى وما زعموا إلهاماتي افتراءً مني أو وساوس الشيطان، لما قابلوني بهذه السباب والشتائم والسخرية والاستهزاء والتكفير والبذاءة، بل حكموا بأنفسهم بغلبة الظن الحسن على كثير من ظنونهم الفاسدة، لأنه إذا تأكد المرء من صدق أحد وكونه مبعوثاً من الله، فلا يتعرض للعوائق التي تصيب الإنسان عندما تستولي على قلبه فكرة كونه كاذباً، فالحق أن الله تعالى قد هياهم كثيراً من الدلائل الواضحة لفهم صدقي، فكانت دعواي على رأس القرن، وحصل الخسوف والكسوف في زماني في رمضان، واكتملت على دعواي عشرون عاماً، ومعلوم أن المفتري لا يعطي هذه المهلة الطويلة، ومتّع الله آتهم مهلة قصيرة بحسب نبوءتي ثم أماته، ووهبني الله كثيراً من المعارف والحقائق وملاً كلامي من أسرار المعرفة الطاهرة، لدرجة أن هذه النعمة لا يعطاها الإنسان ما لم يكن مؤيداً من الله بالكمال، غير أن المشايخ المعارضين لم يتدبروا أيّاً من هذه الأمور.

والآن حين بلغ التكذيب والتكفير منتهاه، فقد آن الأوان ليميز الله القادر العليم الخبير بنفسه الكاذب من الصادق.

إن المشايخ المعارضين يعرفون أن الله تعالى أبدى براءته البالغة في القرآن الكريم ممن يفترى عليه، حتى قد قال لنبيه الكريم ﷺ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ *

لَا خَذَنًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١﴾. باختصار إن الافتراء على الله وإدعاء أحد بأن الله تعالى أوحى إليه كذا وكذا، ولم يوحَ إليه شيء، لَدَنبٍ شَنِيعٌ لم يصدر في حقه وعيدُ جهنم فقط، بل الثابت من النصوص القرآنية القاطعة أن المفتري ينال العقوبة الفورية في هذا العالم. ولا يتركه الله القادر الغيور في أمن قط، وتدوسه غيرته وتُهْلِكُه عاجلا، فلو كانت قلوب هؤلاء المشايخ متصبّغة بشيء من صبغة التقوى وكان لهم إلمامٌ بسيط بسنن الله وعاداته، لَعَلِمُوا أن انشغال الإنسان في الافتراء لهذه المدة الطويلة بل تقدّمه فيه كل يوم وعدمَ إلقاء الله القبضَ عليه على افتراءه بل جعله محترما في الناس، وإلقاء قبوله في القلوب وجعل لسانه نبعا للحقائق والمعارف، لأمرّ لا يوجد له نظير قط منذ بدأ الله هذا الكون. فيا أسفا على أن هؤلاء المشايخ المنافقين لا يقدرّون أحكام الله ومواعيده، فهل عندهم نظير من الحديث أو القرآن الكريم ألا يبطش الله بمثل هذا المفتري خبيث الطبع الذي قام بافتراء تلو افتراء على الله وأظهر نفسه فائزا على حب عظيم من الله في إلهامات نسجها من عنده، ونحت من قلبه أحاديث الشيطان ووصفها عن عمدٍ بأنّها وحي من الله وقال للناس: إنّ الله أمر أن اتّبعوني. وقال: إنّ الله قال لي في إلهامه: إنك سيد المؤمنين جميعا في هذا الزمن مع أنه لم يتلق أي إلهام قط ولم يصفه الله رئيس المؤمنين قط؟ وقال: قال الله في خطابه لي: إنك أنت المسيح الموعود الذي أرسلته لكسر الصليب، مع أن الله لم يأمره بذلك ولم يسمّه عيسى، وقال: يقول الله في خطابه لي: "أنت مني بمنزلة توحيدِي، أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق"، رغم أنه مفترٍ في علم الله، وهو يلعنه ويعدّه من زمرة المردودين المخذولين، فهل من سنة الله تعالى أن لا يبطش بمثل هذا المفتري الكذاب المتجاسر عاجلا؟ حتى تمر على افتراءه أكثر من عشرين عاما؟

فمَن ذا الذي يقبل أن القدوس الذي نار غضبه صاعقة ظلت تأكل الملهمين الكاذبين عاجلا دائما، سوف يترك الكاذب لمدة لم يسبق لها نظير في هذه العالم،

وهو ﷺ الذي يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؟﴾ فلا شك أن المفترى يتعرض للعنة الله، وأن المفترى على الله يهلك عاجلا.

فكفى بالإنسان التقى أن يتدبر أن الله لم يهلكني كالمفترين، بل قد منّ على ظاهري وباطني وجسمي وروحي منّا لا أحصيها. فكنت شابا حين أعلنت تلقّي الوحي والإلهام من الله والآن أصبحت شيخا، ومرّت على بدء دعواي أكثر من عشرين عاما. وقد وافت المنية كثيرا من أصدقائي وأعزائي الذين كانوا أصغر مني سنّا، أما أنا فقد عمّرني الله وكفّلني وتولاني في كل مهمة عويصة. فهل هذه أمارات الذين يفترون على الله؟ (مجموعة الإعلانات المجلد ٢، ص ٥٨٣-٥٨٥)

الآية ٢٨: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الآية ٣١: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

كل من قرأ كتابا بسيطا أيضا مثل "كافية" و"هداية النحو" يعرف جيدا أن فعل الماضي يُستخدم بمعنى المضارع أيضا ولا سيما إذا كان القائل يرى وقوع الحادث محتوما ويقينيا فيستخدم الفعل الماضي بمعنى المضارع ليتبين أنه يقيني الوقوع. ففي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذا الاستعمال.... منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾، و: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٥٩)

الآية ٣٥: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ﴾

أي لن تتغير كلمات الله البتة وليس لأحد أن يحول دون تحققها أبدا. (مجموعة

الآية ٣٦: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

كان النبي ﷺ يريد الحكم عاجلا بحق الكفار، ولكن الله تعالى يعمل ببطء شديد وحلم بحسب حِكْمِهِ وسننه. ولكن في نهاية المطاف دَمَّرَ ﷻ أعداء النبي ﷺ وسحقهم لدرجة أنه محاذراتهم كلياً. كذلك يمكن أن يضطرب بعض أفراد جماعتنا أيضاً ويستعجلوا بسماعهم أصناف الشتائم والافتراءات وسوء الكلام بحق جماعة الله الصادقة، ولكن يجب أن ينتبهوا دائماً إلى سنة الله تعالى التي جرت بحق رسول الله ﷺ لذا أقول مرة أخرى وأؤكد مراراً أن اجتنبوا مواطن الشجار والجدال، لأن المهمة التي تريدون إنجازها، أي إتمام الحجة على الأعداء، قد أخذها الله في يده الآن. (الحكم مجلد ٦، رقم ٢٠، عدد ٣١٥/٥/١٩٠٢م، ص ٥)

الآية ٣٨: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

القدرة الإلهية في الحقيقة أن يكون منزلها ونقيا عن وصمة الاحتياج إلى الغير ويفوق إدراك الإنسان. إذا آمن الإنسان أولاً بأن الله قادر، ثم تفوه بأن قدرته ﷻ لا تتجاوز الأسباب المادية فكأنه يدحض قوله بنفسه. (المقالات القديمة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٣٦)

الآية ٣٩: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

ليس هنالك أية حقيقة تتعلق بعلم الله ﷻ وهي ضرورة للإنسان، خارج هذا الكتاب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٣، حاشية رقم ١١)

لم تبق أي حقيقة دينية خارج هذا الكتاب الكريم بل هو يحتوي على جميع الحقائق والمعارف الدينية. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢ ص ٦١، الحاشية)

أن مذهبي هو أن القرآن الكريم كامل في تعليمه ولم تبق حقيقة خارجه لأن الله جلّ شأنه يقول... ﴿مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، ولكن إلى جانب ذلك أعتقد أيضا أنه ليس بوسع كل مجتهد أو شيخ أن يستخرج ويستنبط من القرآن الكريم جميع المسائل الدينية أو أن يقدر على تفسير صحيح لمجملاته بحسب مشيئة الله، بل هذه المهمة موكلة إلى الذين نُصروا بالوحي الإلهي بصورة نبوة أو ولاية عظمى. فالصراط المستقيم للذين لا يقدرّون على استخراج المعارف القرآنية واستنباطها لكونهم غير ملهمين هو أن يقبلوا دون تردد وتوقّف التعاليم التي وصلت بواسطة السنن المتوارثة والمعمول بها دون أن يتوجّهوا إلى استخراجها واستنباطها من القرآن. أما الذين نُوروا بنور وحي الولاية العظمى، ويدخلون في حزب: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠)، فقد جرت سُنّة الله معهم بلا شك أنه ﷻ يكشف عليهم بين حين وآخر دقائق القرآن الكامنة، ويثبت لهم أن النبي ﷺ لم يُعط تعليمًا إضافيًا قط، بل الأحاديث الصحيحة تتضمن تفصيلاً لمجملات القرآن الكريم وإشاراته. فبعد تلقيهم هذه المعرفة ينكشف عليهم إعجاز القرآن الكريم ويتبين لهم صدق آياته البينات كما يقول الله جلّ شأنه بأنه لا يوجد شيء خارجه. مع أن علماء الظاهر أيضا يؤمنون بهذه الآيات بشيء من الانقباض لكيلا يستلزم تكذيبها، ولكن اليقين الكامل والسكينة والطمأنينة الكاملة التي ينالها الملهم الكامل بعد مشاهدة تطابق الأحاديث الصحيحة وموافقتها مع القرآن الكريم، وبعد الاطلاع على إحاطة القرآن التامة الحقيقية بجميع الأحاديث؛ لا ينالها علماء الظاهر بحال من الأحوال. بل بعضهم يزعمون أن القرآن الكريم ناقص وغير مكتمل، وينكرون

الحقائق والمعارف غير المحدودة التي يتأسس عليها إعجاز القرآن الكامل والأبدي. ثم لا يقتصر الأمر على الإنكار فقط بل بسبب إنكارهم هذا يكذبون جميع الآيات البينات التي قال الله جلّ شأنه فيها بصراحة تامة إن القرآن الكريم جامع لجميع التعاليم الدينية. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٨٠-٨١) لم يبق شيء خارج القرآن الكريم من التعاليم الضرورية، والقرآن كتاب كامل لا يترك الإنسان في انتظار مكملٍ آخر. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ٨٦) ليست هناك حقيقة بقيت خارجه. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٠)

أستنبط من القرآن الكريم أن صفات سائر الأنبياء كلها أطلقت على النبي ﷺ لأنه كان جامع جميع الكمالات المتفرقة والفضائل المختلفة في الأنبياء كلهم. وكما كان شخصه ﷺ حائزا على كمالات جميع الأنبياء كذلك القرآن الكريم جامع لمحاسن جميع الكتب كما ورد: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (البينة: ٤) و ﴿مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ كذلك أمر النبي ﷺ في آية أن يقتدي بجميع الأنبياء. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣ م، ص ٣)

"ويكفي لك في شأن كتاب الله ما أثنى الله عليه وقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، فيه تفصيل كل شيء، وما جاء في حديث مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يُدعى حُمّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: أما بعد.. ألا يا أيها الناس! إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم الثقلين، أولها كتابُ الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. وكتاب الله هو جبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة. فانظر كيف رغب فيه وخوف من تركه

مُعرضاً عنه بحيث أخذ غيره الذي يعارضه. فاعلم أن القرآن إمامٌ ونورٌ، ويهدي إلى الحق، وأنه تنزيل رب العالمين". (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٥١-٢٥٢)

الآية ٤٢: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾

لم يَعِدِ الله ﷻ باستجابة الأدعية الأخرى، بل قال بوضوح تام بأنه سيستجيب منها ما يشاء ويرُدُّ ما يشاء كما تنصّ عليه هذه الآية القرآنية بجلاء. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٣)

الآية ٤٥: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

يبدو أن هذا الزلزال سيضرب على حين غرة من الناس بل يكونون قد كذّبوني قائلين بأن النبوة صارت باطلة. يتبين من القرآن الكريم أيضاً: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إنه لمن سنة الله أن العذاب ينزل حين ينساه الناس. كذلك يتبين من الإلهامات التي قال الله تعالى فيها بأني سآتي خفية، وكأن كل شخص سيكون موقناً أنني كذبت. هذا هو المراد من "بغته". (الحكم مجلد ٩، رقم ١٦، عدد ١٠/٥/١٩٠٥ م، ص ٨)

الآية ٤٦: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

لقد ترك المولوي غلام دستغير الحكم في صدقي أو كذبي للآية: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ التي تعني في هذا السياق أن الظالم سيُقطَع دابره. ولا يخفى على أحد من أهل العلم أن للآية مفهوماً عاماً يقع تأثيره على الظالم. فمن الضروري أن يهلك الظالم بتأثيرها. ولما كان غلام دستغير ظالماً في نظر الله تعالى فلم يُعط

مهلةً حتى يشهد نشر كتابه بل مات قبل ذلك. ويعلم الجميع أنه مات بعد دعائه هذا ببضعة أيام فقط. (حقيقة الوحي، الخزن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٤٤)

الآية ٥١: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾؟ كلا. فما دمنا نرى حولنا الأسباب، فمن الخطأ الفادح ألا نستفيد من ذلك. باختصار، يجب اتقاء فراسة المؤمن. إن التصدي للمؤمن ليس من دأب العاقل. وإن معرفة المؤمن ممكنة بالعلامات والآثار التي بينتها آنفا. كان رعب هذه الفراسة الموهوبة من الله مستوليا على وجوه الصحابة الكرام عليهم السلام، ويكون هذا الرعب مصاحباً للأنبياء كآية من الله تعالى. كان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن مختلف الأمور ويقولون له إذا كان هذا وحياً من الله فلا نعارضه، وكانت الهيبة مستولية عليهم.... كذلك فإن الذين يعرفون أن الله مع المؤمن فإنهم يتركون معارضته، وإذا لم يفهموا من قوله شيئاً يتفكرون ويتأملون فيه منعزلين بهدوء. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٢-١٤٣)

الآية ٥٥: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الخوض في البحث عن الكفارة مدعاة للضحك. هل للكفارة أن تنقض الوعود؟ بل الوعد يُستبدل بالوعد فقط، وليس بطريق آخر كما يقول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٨١)

مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ نَتِيجَةُ حزن ما تُثَمُّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٢)

الآية ٥٦: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾

...ولتستبين سبيل المجرمين... أي لكي يتميّز السعداء من الأشرار والمتمردين.
(مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٠٩، الحاشية)
"لتستبين سبيل المجرمين"، أي ليعلم الذين يختارون معيتك من الذين يهْبُون للمعارضة بغير بصيرة كاملة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣ ص ١٩٣)
"لتستبين سبيل المجرمين"، أي ليعلم من ينحرف عنك. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٧٣)

"لتستبين سبيل المجرمين"، أي لتتم حجة الله وتتضح سبيل المجرمين. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٥٨)
"لتستبين سبيل المجرمين"، أي لتمييز المجرم من الباحث عن الحق. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٨٦)

الآية ٥٨: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾

لقد أُعطيْتُ من ربي حجة بينة على نبوتي. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٢٥)

قل لهم بأني قد جئت من ربي بأدلة كاملة، وترون هذه الأدلة ثم تكذبون. وما تستعجلون به (أي العذاب) فهو ليس بيدي. الحكم الأخير إنما هو في يد الله. هو الذي يكشف الحق وهو خير الفاصلين الذي سيحكم يوما بيني وبينكم. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٤٢)

الآية ٦٠: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

لقد نشرثُ إعلاناً أكثر من مرة أن قدّموا حقيقة لا نستطيع استخراجها من القرآن الكريم. ﴿لَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، إنه بحر لا شاطئ له من حيث الحقائق والمعارف والفصاحة والبلاغة. لو كان كلام بشر لوجدت فيه أمثلة أفكارٍ سطحية. ولكن أسلوبه أسلوب آخر تماماً يختلف ويمتاز عن الأساليب البشرية، وعلى الرغم من سمو أسلوبه ليست فيه شائبة من الرياء والتبجح. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٩)

لو صمم المرء على ألا يعمل عملاً إلا باستشارة كتاب الله وألا يتخذ خطوة إلا بعد الرجوع إلى كتاب الله، فلا بد أن يرشده كتاب الله، لأن الله تعالى يعلن: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. فلو عقدنا العزم على استشارة كتاب الله فلا بد أن يرشدنا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٥)

الآية ٦١: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

"قال بعض المستعجلين إن لفظ "التوفي" قد جاء في القرآن بمعنى الإنامة أيضاً، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٣)، وكما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾. فاعلم أن الله تعالى ما أراد في هذه الآيات من لفظ التوفي إلا الإماتة وقبض الروح، فلاجل ذلك

أقام القرائن، وقال: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، يعني والتي لم تمت بموت حقيقي يتوفاها الله في منامها بموت مجازي. فانظر كيف أشار في هذه الآية إلى أن قبض الروح في النوم موت مجازي. فذكر لفظ التوفي ههنا بإقامة قرينة المنام تنبيهاً على أن لفظ التوفي ههنا قد نُقل من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وإشارةً إلى أن معنى لفظ التوفي حقيقةً هو الموت لا غيره. وكذلك أقام قرينةً قوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمُ﴾ وقرينةً الليل في آية أخرى.. أعني آية: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ.. الخ﴾، تنبيهاً على أن لفظ التوفي ههنا ليس بمعنى الإنامة بل المقصود الإماتة، والبعث بعد الإماتة ليكون دليلاً على بعث يوم الدين، فلأجل ذلك ذكر بعث يوم القيامة بعد هذه الآية وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، ليجعل هذا الموت المجازي والبعث المجازي دليلاً على الموت الحقيقي والبعث الحقيقي". (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٣٦١-٣٦٢)

الآية ٦٢: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾
أي أن الله حافظين عليكم يرسلهم باستمرار.....

وفي هذا المقام أورد صاحب "معالم" حديثاً يفيد أن لكل عبد ملاكاً موثقاً يبقى معه دائماً ويحفظه في أثناء نومه ويقظته من الشياطين وبلايا أخرى. وبهذا المعنى أورد حديثاً آخر برواية كعب الأحبار. وقد أورد ابن جرير في تأييد هذه الآية حديثاً: "إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم". وقد جاء في هذا المقام عن عكرمة حديث مفاده أن الملائكة يكونون مع الإنسان دائماً لحفظه من كل شرٍّ، وعندما ينزل القدر المبرم يهجرونه. ونُقل عن مجاهد أنه ما من إنسان لم يوكل لحفظه الدائم ملائكة. ونُقل حديث آخر عن عثمان بن عفان يتلخص في أن عشرين ملاكاً يلزمون الإنسان لأداء مهمات

مختلفة، وبترصّد إبليس للإضرار في النهار وبترصّد أبنائه للغرض نفسه ليلا. وقد أورد الإمام أحمد رحمه الله الحديث التالي: "حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ وَإِيَّايَ لَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ". انفراد بإخراجه مسلم الصفحة ٢٤٤.

فمن هذا الحديث يتبين بكل جلاء ووضوح أنه كما وُكِّلَ بالإنسان داعي الشر الذي يرافقه دائما، كذلك موكَّل بكل بشرٍ داعٍ الخير أيضا الذي لا يهجره في حال من الأحوال بل هو قرينه ورفيقه دائما. ولو وُكِّلَ الله تعالى بالإنسان داعيا إلى الشر فقط دون توكيل الداعي إلى الخير لوصم ذلك عدل الله ورحمه أنه وُكِّلَ وُكِّلَ -لإثارة الشر وخلق وساوس الشيطان الذي يجري من الإنسان مجرى الدم ويدخل في قلبه ويترك فيه نجاسة الظلمة- قرينا ورفيقا دائما لافتتان الإنسان الضعيف الذي ترافقه النفس الأمارة سلفًا، ولم يوكل به أي رفيق لدعوته إلى الحسنة حتى يدخل هو الآخر قلبه ويجري في الدم لكي تتساوى كلتا الكفتين. ولكن لما ثبت من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أنه كما وُكِّلَ الله تعالى الشيطان قرينا دائما ليدعو إلى الشر كذلك وُكِّلَ ذلك الرحيم والكريم من ناحية ثانية روح القدس بالإنسان قرينًا للأبد لدعوته إلى الحسنات. وليس ذلك فحسب بل إن تأثير الشيطان ينعدم تماما في مرتبة البقاء واللقاء وكأنه يُسلم، ويلمع نور روح القدس إلى أقصى الدرجات. فمن له أن يعترض عندها على هذا التعليم المقدس والأعلى إلا من كان غبيا أو أعمى يعيش كالبهائم فقط وليس له من نور التعليم المطهر نصيب. بل الحق والواقع أن هذا التعليم القرآني أيضا معجزة من جملة المعجزات لأن الحسن والاعتدال والحكمة التي حلَّ بها هذا التعليم عقدة وجود

عواطف الخير والشر القوية عند الإنسان لدرجة تلاحظ في عالم الرؤيا أيضا أنوارها أو ظلماتها بكل وضوح؛ لم يبينها أيّ كتاب آخر بهذا الأسلوب المحكم والصادق. وما يزيد الأمر إعجازا هو أنه لا يتوصل المرء إلى أيّ أسلوب ناجع سواه إذ ترد على أساليب أخرى اعتراضات لا يمكن الخلاص منها بحال من الأحوال لأن قانون الله في الطبيعة يثبت لنا بوجه عام أن الفائدة التي تستمدّها نفوسنا وقوانا وأجسامنا من الله، مبدأ الفيض، إنما تُستمد بواسطة بعض الأشياء الأخرى. فمثلا صحيح أن الله هو الذي يهب عيوننا نورا ولكننا ننال ذلك النور بواسطة الشمس. كذلك إن ظلمة الليل التي تريح نفوسنا ونؤدي أثناءها حقوق نفوسنا فهذه الظلمة أيضا تأتي منه وَعَلَىٰ في الحقيقة لأنه هو علة العلل لكل مخلوق. ثم حين نرى أن هناك قانونا محددًا منذ القدم لإفاضتنا بأننا نجد كل فيض من فيوض الله بواسطة غيرنا - وإن كنا نملك في أنفسنا أيضا قوى لقبول ذلك الفيض - كما أن عيننا تملك نوعا من النور لقبول الضوء، وأن آذاننا أيضا تملك في أعصابها حاسة لقبول أصوات يوصلها الهواء إلينا ولكن هذا لا يعني أن قوانا مخلوقة بصورة مستقلة وكاملة فلا تحتاج إلى معينات أو مساعدات خارجية قط. فلا نرى مطلقا أن قوة من قوانا الجسدية يمكن أن تعمل كما هو حقها بناء على ملكة فيها دون أن تحتاج إلى معين أو مساعد خارجي. مهما كانت عيوننا حادة البصر ولكننا مع ذلك محتاجون إلى ضوء الشمس. ومهما كانت آذاننا مرهفة السمع ولكننا مع ذلك بحاجة إلى الهواء الذي يطوي الصوت في طياته ويوصله إلى آذاننا. فثبت من كل ذلك أن قوانا وحدها لا تكفي لإدارة آلة بشريتنا بل نحن بحاجة إلى أنصار ومساعدين خارجيين. ولكن النواميس الطبيعية تخبرنا بأنه، وإن كان ذلك النصير والمعين الخارجي هو الله تعالى لكونه علة العلل، ولكنه لم يدبر قط أن يؤثر في قوانا وأجسامنا بغير واسطة. بل بقدر ما نمنع النظر ونستخدم فكرنا وذهننا نرى بكل

صراحة وبداهة ووضوح أن هناك عللاً تتوسط بيننا وبين الله تعالى لنيل كل نوع من الفيض، وبواسطتها تنال كل قوة فيضاً بقدر حاجتها. فمن هذا الدليل وحده يثبت وجود الملائكة والجنّة أيضاً لأن ما نريد إثباته هو أن قوانا وحدها لا تكفي لاكتساب الخير أو الشر بل نحن بحاجة إلى مُمدّات ومعينات خارجية تملك تأثيراً خارقاً للعادة، ولكن تلك الممدّات والمعينات ليس الله تعالى بذاته مباشرة ودون واسطة بل بواسطة بعض الأسباب.

فإن مطالعة النواميس الطبيعية كشفت لنا بالقطع واليقين أن تلك الممدّات والمعينات موجودة في الخارج وإن لم نعلم كنهها وكيفيةها، ولكنه معلوم يقيناً أنها ليست الله تعالى مباشرة وليست قوانا وملكاتنا بل هي خلقٌ آخر ما عدا هذين القسمين ويملك كيانا مستقلاً. وعندما نسمّي أحدهما الداعي إلى الخير فسندعوه روح القدس أو جبريل، وحين نسمي الآخر داعياً إلى الشر نسميه شيطانا وإبليس أيضاً. ليس ضرورياً أن تُرى روح القدس أو الشيطانَ عياناً لكل قلب مظلّم، وإن كان العارفون يروهما إذ يمكن رؤيتهما في الكشوف، غير أن ذلك يكفي دليلاً للمحجوب الذي لا يقدر على أن يرى الشيطان ولا روح القدس لأن وجود المؤثّر يثبت بوجود المتأثّر. وإذا لم يكن هذا القانون صحيحاً فكيف يمكن العثور على وجود الله تعالى إذن؟ هل لأحد أن يُري أين الله؟ بل الحق أنه قد اعتُرف بضرورة ذلك المؤثّر الحقيقي نظراً إلى المتأثّرات التي هي نماذج قدرته. غير أن العارفين يرونه بعيون روحانية ويسمعون كلامه بعد وصولهم مرتبتهم الأخيرة. ولكن ما سبيل الاستدلال للمحجوب إلا أن يؤمن بوجود ذلك المؤثّر الحقيقي بالنظر إلى المتأثّرات. فهذه الطريقة يثبت وجود روح القدس والشياطين، ولا يثبت فقط بل يُرى بكل جلاء. ولكن الأسف على الذين أنكروا وجود الملائكة والشياطين متأثرين بظلمة الفلسفة الباطلة، وبذلك أنكروا البينات والنصوص القرآنية الصريحة وسقطوا في هوّة الإلحاد لغباهم.

فليكن واضحا هنا أن هذه المسألة من المسائل التي لإثباتها أفردني الله تعالى في استنباط الحقائق من القرآن الكريم، فالحمد لله على ذلك. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٧٩-٨٩)

الآية ٦٤: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

من الواضح أن ملخص هذه الآيات أن الله تعالى عندما يحدث الطوفان نوعا ما في هذا البحر - بإرادة غضبه لهلاك بعض المذنبين - الذي فيه سفينتهم ويُقذهم بسبب تضرعهم ورجوعهم مع أنه يعلم أنهم سيعودون إلى أعمالهم المفسدة مرة أخرى. هل الهدف من الطوفان هو أن يصاب أصحاب السفينة بضربات خفيفة ولا يهلكوا؟ (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٤٤٨)

الآية ٦٦: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾

ليس ضروريا أن يعذب الله بالعذاب نفسه دائما. لقد ذكرت في القرآن الكريم أنواع مختلفة للعذاب كما يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ لقد عُدَّت الحرب والقتال وما شابههما أيضا عذابا. للعذاب عدة أنواع. هل هناك نوع واحد للعذاب عند الله؟ من سنة الله أنه يخفي جانبا من كل آية وإلا لأهلك الأشرار الكبار بوجه خاص ولصلح الناس كلهم أنفسهم في يوم واحد. (بدر، مجلد ٢، رقم ١-٢، عدد ٢٣-٣٠/١/١٩٠٣ م، ص ٢-٣)

الآية ٧٢: ﴿قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾. أي لا حقيقة لأفكاركم، بل الهداية الحقيقية هي تلك التي تأتي من الله تعالى مباشرة، وإلا فالإنسان يُفسد معاني كتاب الله باجتهاداته الخاطئة، ويفهم منها شيئا آخر تماما. والله هو الوحيد الذي لا يخطئ، لذا فإن هداه هو الهدى الحقيقي، والمعاني التي يستنبطها الإنسان نتيجة أفكاره الشخصية ليست جديرة بالثقة. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٨٧-٨٨)

الآية ٨٠: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

اعلموا أن الإنسان ما لم يسأل الله تعالى ويدعوه هو وحده حنيفًا تمام الحنفية، لا يستحق أن يُدعى مسلما صادقا ومؤمنًا مخلصا. إنما حقيقة الإسلام أن يختر الإنسان على العتبة الإلهية بجميع كفاءاته وقدراته، سواء الباطنية أو الخارجية. فكما أن المحرك الكبير يحرك أجهزة كثيرة، كذلك ما لم يجعل الإنسان كل عمل وحركة وسكون له تابعة لقوة ذلك المحرك العظمى، فأنت له أن يؤمن بألوهية الله حقا، وأنت له أن يسمي نفسه حنيفًا في الحقيقة حين يقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ من كان قلبه أيضا متوجها إلى الله تعالى كما يردده لسانه، فلا جرم أنه مسلم ومؤمن وحنيف، أما الذي يسأل غير الله ويحنج إلى غيره أيضا، فليعلم أنه شديد الشقاوة والحرمان، وسيأتي عليه وقت لن يقدر فيه على التوجه إلى الله ولو باللسان رياءً.

ومن دواعي ترك الصلاة والكسل فيها أن الإنسان إذا مال إلى غير الله تعالى ظَلَّت روحه وقواه القلبية مائلة إلى ما سوى الله تعالى، ويقسو قلبه تجاه الله تعالى، حتى يصبح جامدا كالحجر، شأن الشجرة المنثية أغصانها إلى ناحية منذ نعومتها، فنمت وكبرت مائلة إلى تلك الناحية، وكما أن ثني تلك الأغصان إلى ناحية أخرى مستحيل بعد ذلك، كذلك ليس بوسع هذا الإنسان أن ينثني إلى الله تعالى، فيظل قلبه وروحه يتعدان عن الله تعالى يوما فيوما. فأن يترك الإنسان الله تعالى ويسأل سواه لأمر جد خطير ومرجف للقلب، لذا فإن مداومة المرء على الصلاة والتزامه بها ضروري جدا، لكي تصبح الصلاة عادة راسخة فيه ويفكر في الرجوع إلى الله تعالى أولاً، ثم بعد ذلك يأتي تدريجيا ذلك الوقت الذي يرث فيه نورا ومتعة منقطعاً إلى الله تعالى انقطاعا كلياً. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ٦-٧، عدد: يناير ١٩٠٤م)

ما لم يسأل الإنسان ربه بكونه حنيفا كاملا ولا يسأله وحده، فاعلموا بالتأكيد أنه لا يستحق في الحقيقة أن يسمى مؤمنا صادقا ومسلما صادقا. إنما حقيقة الإسلام أن يجعل المرء جميع قواه- سواء أكانت داخلية أو خارجية- تحرر على عتبات الله وحده. كما يحرك محرك كبير آلات كثيرة كذلك تماما، ما لم يجعل الإنسان نفسه في كل عمله وحركته وسكونه تابعا للقوة العظمى، أي لذلك المحرك العظيم ﷻ، أنى له أن يقر بالوهية الله ﷻ، وكيف يمكن أن يسمى نفسه حنيفا حين يقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فإذا كان قلبه أيضا ميالا إلى ما يقوله بلسانه كان مسلما ومؤمنا وحنيفا بلا ريب. أما الذي يسأل غير الله ويميل إليه فليتذكر أنه شقي جدا ومحروم لأنه سيأتي عليه زمن لن يقدر على الميل إلى الله في الظاهر ولو باللسان أو بدافع الرياء فقط. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٦)

إن نقاء القلب شرط أساسي لنيل بركات الله وفيوضه ودون ذلك لا يُنال شيء. حينما ينظر الله إلى القلب يجب أن يكون كل جزء منه خالياً من النفاق، حينها تكون المعاملة نقية وترافق التجليات العناية الإلهية وتتسوى الأمور.

لذلك، ينبغي للإنسان أن يتحلى بالوفاء والصدق، كما تحلى إبراهيم عليه السلام، وكما ظهرت أسوة النبي ﷺ. فإذا اقتدى المرء بهذه القدوة، أصبح مباركا، فلا يواجه أي ذلة في الحياة الدنيا، ولا يتعرض لمشاكل قلة الرزق، بل تُفتح عليه أبواب فضل الله وإحسانه، ويصبح مستجاب الدعوات، ولا يُهلكه الله بحياة لعينة، بل يجعل عاقبته محمودة.

باختصار؛ من كانت له علاقة صادقة وكاملة بالله ﷻ فإن الله يحقق جميع مراداته، ولا يخيب آماله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٤م، ص ٥)

الآية ٨٣: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

حين يصبح حب الله تعالى والموافقة معه جزءاً من طبيعته لا يتجزأ حتى يصير الله أذنه التي يسمع بها وعينه التي يرى بها ويده التي يبطش بها وقدمه التي يمشي بها ولا تبقى فيه شائبة من الظلم ويصبح في مأمن من كل خطر. أشار الله تعالى إلى هذه الدرجة فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠١ - ٦٠٢ الحاشية رقم ١١)

أي... الذين يؤمنون بتلك الأنوار والبركات التي منحك الله إياها، إيماناً نابغاً عن إخلاص ووفاء، أولئك سيأمنون طرق الضلال وأولئك هم المهتدون عند الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٦٧، حاشية في الحاشية رقم ٤)

لقد وعد الجماعة بأنه سيحفظهم من هذا البلاء، لكن ذلك مشروط بـ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ... ليس المراد من الشرك في ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أنهم سجدوا لأصنام من أحجار أو مخلوقات أخرى كالهندوس، بل كل من يميل إلى ما سوى الله ويعتمد عليه، وحتى الحيل والمكايد القلبية التي يتكل عليها فهو أيضا يشرك. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١٦/١١/١٩٠٣ م، ص ٣٣٣)

أحيانا يظن الإنسان في حالة الأمن أنه لا خطر عليه، وأنه يعيش آمنا، لكن ذلك خطؤه إذ لا يعرف ما الذي صدر منه في حياته السابقة وكم من مواقف ضعف صدرت منه. ولذا يتحتم على المؤمن ألا يتخلى عن الخوف، وأن يستغفر الله ويتوب إليه كل حين وآن. لأن الإنسان يُعصم بالاستغفار من شر ما صنع من السيئات. فمن الصدق والحق أن بالاستغفار والتوبة تُغفر ذنوب المرء، ويجب الله ﷻ. (الحكم مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤ م، ص ٥)

عندما يموت أحد من أتباعي بالطاعون يعترض الناس، بينما لا يعني كلام الله قط أن المبايع فقط سيكون محفوظا منه، بل خاطبني الله ذات مرة وقال: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم". أي يجب ألا يكون في إيمانهم أي نوع من الظلم بحسب ما يدعون. من كانت معاملته مع الله تعالى مبنية على الوفاء والصدق والإخلاص الكامل، وكانت معرفته كاملة فيمكن أن يكون مصداقا لهذه الآية. ولكن لا يعرف أحد إلا الله هل يتحلى فلان بالصدق والإخلاص الكامل أم لا. أحيانا يكون الموت أفضل للمرء إذ بواسطته ينقذه الله تعالى من الزلة في المستقبل كيلا يموت على الكفر. كما تكون الحياة أفضل لبعض الكافرين بحيث يوفقون في المستقبل للإيمان، كذلك يكون الموت بحق بعض المؤمنين أفضل إذ لو عاش لصار كافرا. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٢-٢٣ عدد ٨-١٦/٦/١٩٠٤ م، ص ٣)

ليس في كلامي قط كلمات بأن كل مبايع سيكون محفوظا من الطاعون. بل ما ورد هو: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. فملتبعون الكاملون، والمجتنبون الظلم الذين يعلمهم الله يُنْقَذُونَ. والضعفاء ينالون مرتبة الشهادة نتيجة الاستشهاد بالطاعون وسيكون الطاعون سببا لتمحيصهم وتطهيرهم. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ٧١١-٧١٢)

الذين قبلوني وآمنوا بي ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وقصور أو بأي نوع من ظلمة الإيمان أو العمل سيكونون في مأمن من هجوم الطاعون. أين يثبت في وحي الله أن الذين فيهم شيء من العيب أو الظلم أو ضعف في الإيمان هم أيضا سيستفيدون من هذا الوعد الإلهي؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٥ م، ص ٥)

لا بد من الاعتراف أن بعض المؤمنين أيضا يمكن أن يصابوا بالطاعون، ولكن يجب أن يكون معلوما أنهم ليسوا مؤمنين كاملين. لذلك جاء في إلهامي أيضا أنه سيُحفظ من الطاعون من هم مصداق: ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾. أي الذين لا يخلطون الظلمة بنور إيمانهم، وهذا المقام لا يناله إلا المؤمنون الكمل. عندما تفشى الطاعون في العام السادس من الهجرة لم يمت به أي مسلم، ولكن عندما تفشى في عهد ﷺ استشهد به عديد من الصحابة. والسبب في ذلك أن المؤمنين الكمل هم الذين يحفظون من هذه الأشياء. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥/٤/١٩٠٧ م، ص ٩)

"إن الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون." ففي ذلك وعد من الله أنه سينقذ من الجماعة أناسا سيعملون بتعليمه تماما، وسيزيلون أرجاس عيوبهم وأخطائهم الداخلية ولن يخضعوا لسيئات النفس. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٤، عدد ١٤/٤/١٩٠٧ م، ص ٧)

الآية ٨٨: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

اجتبييناهم.. أي أن هؤلاء المجتبيين كانوا متميزين عن غيرهم من حيث قواهم الفطرية فاستحقوا الرسالة والنبوة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٥، حاشية في الحاشية، رقم ١١)

الآية ٩١: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

الحق أن نبينا ﷺ يجمع في نفسه أسماء جميع الأنبياء، لأن ذلك الوجود المقدس جامع لجميع الكمالات المتفرقة. فهو موسى وعيسى وآدم وإبراهيم ويوسف ويعقوب أيضاً. هذا ما أشار الله جلّ شأنه إليه في قوله: ﴿فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ﴾ أي اجمع في نفسك يا رسول الله الهدايات المتفرقة كلها التي كان يجمعها كل نبي في نفسه بوجه خاص؛ فتبين من ذلك أن كمالات كل الأنبياء كانت مجتمعة في شخص النبي ﷺ. والحق أن اسم "محمد" ﷺ يشير إلى هذا الأمر، لأن معنى "محمد" هو الذي حُمد إلى أقصى الحدود. والحمد إلى أقصى الحدود لا يتصور إلا إذا اجتمعت في النبي ﷺ كمالات جميع الأنبياء المتفرقة وصفاتهم الخاصة. فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم التي تسجلها هنا سوف يسبب الإطالة، تدل على ذلك، بل تقول بصراحة تامة بأن شخص النبي ﷺ المقدس كان يجمع الأنبياء من حيث صفاته وكمالاته؛ فوجد كل نبي صلة معه ﷺ وظن أن المبعوث المقبل سيُبعث باسمه هو. ويقول القرآن الكريم إن هذا النبي أولى الناس بإبراهيم. وهناك حديث في صحيح البخاري يقول النبي ﷺ فيه ما مفاده بأن لي صلة متينة مع المسيح ووجودي ملحق بوجوده. فهذا الحديث يصدق كلام المسيح حيث قال بأن ذلك النبي سيأتي باسمي. فهذا ما حدث؛ أي حين جاء مسيحنا ﷺ فقد أكمل جميع مهمات المسيح الناصري غير

المكتملة وشهد على صدقه، وبرّاه من كافة التهم التي ألصقها به اليهود والنصارى، وأسعد روح المسيح. هذا كان حماس روح المسيح للمرة الأولى الذي بلغ منتهى مرامه ببعثة سيدنا ومسيحنا خاتم الأنبياء عليه السلام، فالحمد لله. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٤٣)

لماذا وُعد بجميع الكمالات المتفرقة في هذه الأمة؟ السر في ذلك أن نبينا الأكرم عليه السلام جامع لجميع الكمالات المتفرقة كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾.. أي اقتدِ بكل نوع من الهدى الذي أعطيه الأنبياء السابقون كلهم. والبديهي أن الذي سيجمع في نفسه تلك الهدايات المتفرقة جميعها يكون وجوده وجودا جامعا وأفضل من الأنبياء كلهم. والذي يتبع هذا النبي، جامع الكمالات، لا بد أن يكون هو أيضا جامع الكمالات كلها بصورة ظلية. فالسر في تعليم هذا الدعاء في سورة الفاتحة هو أن يصبح الكاملون في الأمة الذين يتبعون النبي الجامع للكمالات هم الآخرون أيضا جامعي الكمالات. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨١)

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم مخاطبا النبي عليه السلام: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾، أي اقتدِ بجميع الأنبياء الذين سبق ذكرهم. هذه الآية تدل على أفضلية النبي عليه السلام العظيمة، ومعناها أن جميع الأنبياء الذين جاؤوا هدّوا الخلق من مختلف الجوانب وكانوا يتحلون بمحاسن مختلفة، فقد تحلّى أحدهم بصفة وكمال معين وتحلّى غيره بمزية أخرى، وهكذا دواليك، والافتداء بجميع الأنبياء يعني جمع كافة تلك الصفات في نفسه عليه السلام، ولا شك أن الذي يجمع في نفسه كافة الكمالات الموجودة في جميع الأنبياء فهو يفوقهم جميعا، لأنه يجمع في نفسه ميزة كل واحد منهم، وهو جامع المزايا المتفرقة كلها، ولم يكن أحد قبله عليه السلام جامعا لتلك المزايا كلها. (بدر، مجلد ٤، رقم ٣٢، عدد ٢٢/٩/١٩٠٥م، ص ٢)

لقد أمر الله تعالى النبي ﷺ: ﴿فَبِهَذَا هُمْ أَقْتَدَهُ﴾، أي اجمع في نفسك كمالات جميع الأنبياء المتفرقة. هذه الآية تدل على أفضلية النبي ﷺ الكبيرة؛ فكل ما أُعطيهِ الأنبياء والأولياء السابقون من المزايا والصفات والكمالات قد أُعطيها النبي ﷺ كلها، فباقتدائه هُدى الجميع لأنه ﷺ كان جامع الكمالات كلها، ولكن كون المرء جامعاً يوجب عليه ألا يكون متكبراً، فمن يزعم أنه يفهم كل شيء هو الذي يتعثر. يجب على المرء أن يقضي حياته بالتواضع، وحيثما وجد أمراً مفيداً فليستفد منه. (بدر، مجلد ۱، رقم ۳۳، عدد ۶۵/۱۱/۱۹۰۵ م، ص ۲)

الأمر باقتداء الجميع أيضاً خلقياً وكونياً، أي أمرنا فطرتك أن تجمع الكمالات الموجودة في جميع الأنبياء إجمالاً، وبذلك اجتمعت فوراً تلك الكمالات والمحاسن في نفسه. (الحكم، مجلد ۷، رقم ۸، عدد ۲۸/۲/۱۹۰۳ م، ص ۳)

الآية ۹۲: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾

إن منكري الإلهام لم يعرفوا الله حق المعرفة ولم يعرفوا رحمته التي تجيش كلما احتاج إليها الناس لذلك قالوا بأن الله تعالى لم ينزل أي كتاب على أي بشر.

ترا عقل تو ہر دم پائے بند کبری دارد برو عقلے طلب کن کت ز خود بینی بروں آرد
ہماں بہتر کہ ما آں علم حق از حق پیاموزیم کہ این علمے کہ ما داریم صد سہو و خطا وارد
کہ گوید بہتر از قولش گر او خاموش بنشیند کہ گیر دستت اے نادان گر دوست تو بگذارد
برو قدرش بہ بین وز حجت بے اصل دم در کش کہ این حجت کہ می آری بلاہا بر سرت آرد
أي: إن عقلك يجعلك أسير الاستكبار دائماً، فاطلب عقلاً ينجيك من الزهو والعجب.

الأفضل أن نتعلم علمَ الله هذا منه، لأن في علمنا مئات الهفوات والأخطاء. وإن كان الله صامتاً فَمَنْ له أن يقول شيئاً أفضل منه؟ وإذا ترك يدك فمن يستطيع أن يأخذ بها.

عليك أن تعرف قدره ﷻ واطرِك المحاجة، لأن ما تقدمه أنت سيجلب لك المصيبة حتماً". (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٦٩، حاشية رقم ١١)

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ... أي أن الله تعالى أنزل هذا الكلام، ثم ذرهم في أفكار اللهو واللعب. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٨٢) قُلِ اللَّهُ أي أن الله هو المؤسس هذا الأمر ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٩١)

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ... أي الذين يسيئون الظن فليفعلوا كما يحلو لهم وسيرون في نهاية المطاف هل هذا كلام الله أو كلام إنسان. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٨٣)

إن الذين يظنون أن الله تعالى محدود القوى هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. إنهم يؤمنون بالله تعالى في نطاق محدود، وهذه شعبة من شعب المذهب الطبيعي. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٠م، ص ٢)

الذين يظنون أن من المستحيل أن يأتي الموت على الإله المصطنع، هم لم يؤمنوا بالله، وينطبق عليهم تماماً مضمون ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الله ﷻ هو وحده يعلم الحكمة من وراء كل ابتلاء في العالم وأسبابه، إن العالم في العصر الراهن واقع في ظلام شديد، فقد أهلكه عبادة الميت، لكن الله ﷻ قد قضى الآن أن يخلص العالم من هذا الهلاك، ويخرجه من الظلام إلى النور، وهذا الأمر في نظر الكثيرين

عجيب، لكن الذين يوقنون بأن الله قادر هم يؤمنون بهذا الأمر، أفليس الله الذي خلق كل شيء بمجرد قوله ﴿كُنْ﴾ قادرا بحسب مشيئته الأزلية على أن يخلق أسبابا تقود العالم إلى الإيمان بـ "لا إله إلا الله"؟ (الحكم، مجلد ۸، رقم ۱۶، عدد ۱۷/۵/۱۹۰۴ م، ص ۳)

يقول بعض الناس لغائبهم وتسرعهم: لن نصبح أولياء على أية حال. هؤلاء الناس يقفون موقف الكفر بحسب رأيي. إن الله تعالى يسمي الجميع "أولياء"، ويريد أن يجعل الجميع أولياء، لذلك نصح بدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويريد أن تكونوا مثل حزب المنعم عليهم. والذي يقول بأن هذا مستحيل فهو يتهم الله بالبخل، لذا هذا القول كفتّر.... والأصل هو أن هؤلاء الناس لم يعرفوا الله قط: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. (الحكم، مجلد ۹، رقم ۳۵، عدد ۱۰/۱۰/۱۹۰۵ م، ص ۱۱) الله أعلم أنه كلما كان عندي شيء يُنفق في اليوم التالي. كل شيء يكون ملكا للجماعة ويُنفق في دار الضيافة. في بعض الأحيان لا يكون هناك شيء وأُفلق، فيرسل الله من عنده. معظم الناس لا يقدرّون الله حق قدره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول الله ﷻ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ۲۳). (الحكم، المجلد ۱۱، رقم ۳۴، عدد: ۲۴/۹/۱۹۰۷ م، ص ۹)

تذكروا أن كل شيء يلبي نداء الله تعالى، وكل شيء تحت تصرف الله تعالى، وخیوط كل شيء مطوية بيد الله ﷻ. إن حكمته لا تعرف الحدود، وتبلغ كنه كل ذرة، وفي كل شيء خواص بقدر قدرات الله تعالى. ومن لا يؤمن بذلك فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: ۹۲). ولأن الإنسان الكامل يكون أتمّ مظهرٍ للعالم كله، لذا ينجذب إليه العالم كله بين فينة وفينة. إنه عنكبوت العالم الروحاني، والعالم كله خيوطه. وهذا هو سرُّ الخوارق.

بروکار و بارہستی اثری صدعارفاں را ز جہاں چہ دید آں کس کہ ندید ایں جہاں را

"في نظام هذا العالم تأثير لمئات العارفين، فماذا رأى من الدنيا مَنْ لم ير هذه الحالة". (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٠-٣١، الحاشية)

الآية ٩٣: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

"فكنتُ يومًا أتذكر قلةَ البعاع، وأرتعد كاللُعاع، وأقلقُ في هذه الأحران، وأقرأُ آياتِ القرآن، وأفكرُ فيها بجهد الجنان، وأزجي نضو التدبر والإمعان، وأدعو الله أن يهديني طرق العرفان، ويثم حجتي على أهل العدوان، ويتلافى ما سلف من جور المعتدين. فبينما أنا أفتش كالكميش، وقد حمي وطيستُ التفتيش، وأنظرُ بعض الآيات، وأتوسم فحواء البيئات، إذا تلالأت أمام عيني آية من آيات الفرقان، ولا كتالؤ دُرر العُمان، فإذا فكَرتُ في فحوائها، واتبعتُ أنواع ضيائها، وأجزتُ حمى أرجائها، وأفضيتُ إلى فضائها، وجدتها خزينَةً من خزائن العلوم، ودفينة من السرر المكتوم، فهزّت عطفِي رؤيتها، وتجلّت لي كجمرةٍ قوّتها، وأصبي قلبي نضارها ونضرتها، واغتالت العدا كرهتها، وسرتُ مُهَجّتي صُرّها، فحمدلتُ وشكرتُ الله رب العالمين. ورأيتُ بها ما يملأ العين قُرّةً، ويعطي من المعارف دولةً، ويسرّ قلوبَ المسلمين. وعُلّمتُ من سرّ اللغات ومثواها، وزودتُ من فصّ الكلمات ونجواها، وكذلك أعطيتُ من أسرارِ عليا ونكاتٍ عظمى، ليزيد يقيني ربي الأعلى، وليقطع دابرَ المعتدين. وإن كنتُ تحبّ أن تعرف الآية وصوّها، فاقْرَأْ ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وإنّ فيها مدحَ القرآنِ وعربيّ مبين. فتدبّرْها كالعاقِلين، ولا تمرّ بها مرور الغافلين. واعلم أن هذه الآية تُعظّم القرآنَ والعربيةَ ومكّةَ، وفيها نورٌ مَرّقُ الأعداء وبكّت، فاقْرَأْها بتمامها، وانظرُ إلى نظامها، وفَتِّشْ كالمستبصرين. وإني تدبّرْتُها فوجدتُ فيها أسرارًا، ثم أَمَعْنْتُ فَرَأَيْتُ أَنْوَارًا،

ثم عمّقتُ فشاهدتُ مُنْزِلًا قَهَّارًا رَبَّ العالمين. وكُشِفَ عليَّ أن الآية الموصوفة والإشاراتِ الملفوفة، تهدي إلى فضائل العربية وتشير إلى أنها أُمُّ الألسنة، وأن القرآن أُمُّ الكتب السابقة، وأن مكة أُمُّ الأرضين. فاقتادني بُروقُ هذه الآية إلى أنواع التنطس والدراية، وفهمتُ سِرَّ نزول القرآن في هذا اللسان، وسِرَّ ختم النبوة على خير البرية وختم المرسلين. ثم ظهرت عليَّ آيات أخرى، وأيد بعضها بعضًا تترًا، حتى جَرَّني ربي إلى حق اليقين، وأدخلني في المستيقنين، وظهر عليَّ أن القرآن هو أُمُّ الكتب الأولى، والعربية أُمُّ الألسنة من الله الأعلى، وأما الباقية من اللغات فهي لها كالبنين أو البنات، ولا شك أنها كمثل ولدها أو ولاتها، وكلُّ يأكل من أعشارها وموائدها، وكل يجتنون فاكهة هذه اللهجة، ويمألون البطون بتلك المائدة، ويشربون من تلك اللُحْجَة، ويتخذون لباسًا من هذه الحُلَّة، فهي مُرَبِّيَّةُ أَعَارِهَا الدَّسْتِ، واختار لنفسها الدَّسْتِ. وأما اختلاف الألسنة في صور التركيب فليس من العجيب، وكذلك الاختلاف في التصريف واطراد المواد ليس من دلائل عدم الاتحاد، ولولا اختلاف بهذا القدر في التركيبات، لامتنع تغايُّرٌ يوجب كثرة اللغات، فإن وجود التراكيب المختلفة هو الذي غيَّرَ صور الألسنة، وهو السبب الأول للتفرقة. فلا يسوغ لمعترض أن يتكلم بمثل هذه الكلمات، وأين منتدحة هذه الاعتراضات، فإنها مُصَادِرَةٌ ومن الممنوعات. وكفالك أن الألسنة كلها مشتركة في كثير من المفردات، وما أوغلتُ بل سأريك كأجلى البديهيّات، فاستقم كما سمعت ولا تكن من المخطئين. وإني لما وجدت الدلائل من الفرقان، واطمأن قلبي بكتاب الله الرحمن، أردت أن أطلب الشهادة من الآثار، فإذا فيها كثير من الأسرار، ففرحتُ بها فرحة النشوان بالطلاء، ووجدتُ وَجَدَ الثَّمَلِ بالصهباء، وشكرت الله نصير الصادقين. " (منن الرحمن، الخزائن

"وإن الله أومى في مقامات من الفرقان، إلى أن العربية هي أُمُّ الألسنة ووحى الرحمن، ولأجل ذلك سَمِيَ مَكَّةَ مَكَّةً وَأُمُّ الْقُرَى، فإن الناس أَرْضَعُوا مِنْهَا لِبَانَ اللسان والهدى، فهذه إشارة إلى أنها هي منبع النطق والنهى، ففَكَّرَ في قول رَبِّ الْوَرَى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ (الشورى: ٨)، وفي ذلك آية للذي يَتَّقِ اللَّهَ ويخشى، ويطلب الحق ولا يأبى، ولا يَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُعْرِضِينَ. ثم أنت تعلم أن رسولنا خاتم النبیین كان نذیرا للعالمین، وكذلك سَمَّاهُ رَبُّهُ وهو أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ، فثبت أن مكة أُمُّ الدنیا كلها، ومولِدُ كُثْرَها وقُلُوبِها، ومبدأ أصل اللغات ومركز الكائنات أجمعين. وثبت معه أن العربية أُمُّ الألسنة، بما كانت مَكَّةُ أُمُّ الْأُمَمَةِ مِنَ بَدْءِ الْفِطْرَةِ، وثبت أن القرآن أُمُّ الصَّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ، ولذلك نزل في اللغة الكاملة المحيطة، واقتضت حِكْمَ إِرَادَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، أن ينزل كتابه الكامل الخاتم في اللهجة التي هي أصل الألسنة وأُمُّ كل لغة من لغات البریَّةِ، وهي عربي مبین." (منن الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٠٧-٢٠٨)

"وإن كنتَ تقترح أن تسمعَ مني في اشتراك الألسنة، فكفاك لفظُ الْأُمِّ والأُمَّةِ، فإن هذا لفظٌ تشارك فيه اللسانُ الهنديَّة والعربية، وكذلك اللسانُ الفارسية والإنكليزية، بل كُلُّها كما تشهد التجربة الصحيحة، فانظرْ كَالْمُنْقِدِينَ. وقد ظهر من وجه التسمية أن هذا اللفظ دَخَلَ في الألسن الأعجمية من العربية، فإن التسمية الحقيقية لا توجد إلا في هذا اللسان، وأما غيره فلا يخلو من التصنع في البيان، فإن من شأن التسمية الحقيقية التي هي من حضرة العزَّة، أن لا تنفك بزمان من الأزمنة الثلاثة، وتكون للمسمى كالعرض اللازم، وأن تُجَانِبَهُ في هذه النشأة، ولا يفرض فرضُ فَرْضٍ كَوْنَهَا في وقتٍ من الأمور المنفكَّة، ولا تكون كالأُمور المستحدثة المصنوعة، ولا توجد فيها ريحُ التصنُّعات الإنسيَّة، ويُقَرَّرُ مَنْ استشفَّ جوهرها بأنها من رب العالمين." (منن الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٤٧-٢٤٨)

الآية ١٠١: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾

وخرقوا له بنين وبنات بغير علم..... ولا يدرون أن ابن مريم كان رجلا متواضعا، ولو شاء الله لخلق شخصا يماثل ابن مريم أو أفضل منه كما فعل. (دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٤٠)

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أي تنزه الله تعالى بقدسيته وعلوه من كل نوع العيوب التي ينسبونها إليه. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٦، حاشية في الحاشية رقم ٣)

المشركون أغبياء لدرجة اتخذوا الجنّة شركاء الله، وخرقوا له ﷺ بنين وبنات بغير علم وإطلاع على حقيقة الأمر. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٤، حاشية في الحاشية رقم ٣)

(قال السيد العرب أن الله تعالى في السماء فقال حضرته عليه السلام): (الله مالك كل شيء، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه: ٩) أي قد نسب نفسه إلى العلوّ، فلا يمكن نسبه إلى ما هو دون ذلك، "سبحانه وتعالى" نشاهد العلوّ، وقد رأيت في الكشف نوراً نازلاً من السماء، وإن لم أستطع بيان كنهه وكيفيته ولكن صحيح تماماً أن له ﷺ علاقة مع العلوّ فقط. بعض الأمور تلاحظ بالعيون ولا يُلاحظ بعضها الآخر. والفلسفة لا تنفع في كل شيء. الحق أنه يأتي على الإنسان زمان حين يشعر أن شيئاً ما قد نزل على قلبه من السماء ويجعله رقيقاً. عندها تُبذر فيه بذرة الحسنه. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١، عدد: ١٠/١/١٩٠٣م، ص ١١)

الآية ١٠٢: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

كل شيء سواه في عداد المخلوقات باستخدام كلمة: "كل" التي تفيد الإحاطة التامة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٥)

الآية ١٠٤: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ أي تعجز العيون أن تعرف حقيقته سبحانه وتعالى وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ أي هو يعرف كل حقيقة العيون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢١، الحاشية في الحاشية، رقم ٣)

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾... البصارة والبصيرة لا تدركان كنهه ﷺ، وهو يعلم حدود

كل نظر وفكر. (شحنة الحق، الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ٣٩٨)

لا يعلم أحد كنهه وَعَلَى الْحَقِيقِي بل المدار هو على الأمور السماعية فقط، والمراد من ذلك أن الناس قد أقروا بوجوده ﷺ كإيمان، ولكن لم يدرك أحد كنهه... في هذه الآية إشارة إلى أنه ليس لعقل أن يدرك كنه الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٧)

الذات الإلهية هي وراء وراء وغيب الغيب وخفاء الخفاء، وليس بوسع أي عقل أن يدركها، كما قال تعالى بنفسه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي لا تدركه الأبصار والبصائر وهو يعلم منتهاها وغالب عليها. فمعرفة توحيده مستحيلة بمجرد العقل، لأن حقيقة التوحيد هي أن يتخلى المرء عن الآلهة الكونية الباطلة، أي يجتنب عبادة الأوثان أو الناس أو الشمس والقمر وغيرهما، كذلك عليه أن يجتنب الآلهة الباطلة الكامنة في نفسه، أي الاتكال على قواه الجسدية والروحانية، وأن يحمي نفسه من بلاء العُجب الناتج عنها. والبديهي في هذه الحالة أن الفوز بالتوحيد الكامل لا يتحقق إلا بالتمسك بذيل الرسول والتخلي عن الأنانية. والذي يُشرك أيا من قواه مع البارئ تعالى فأتى له أن يسمّى موحّداً؟! (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٧-١٤٨)

هو غير محدود كما ورد في الآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

(ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٧)

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، ويبدو في الظاهر أنها تنفي رؤية الله، ولكن هناك آية أخرى تعارض هذا المعنى وهي: ﴿إِلَى رَّبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٤) فهي تثبت الرؤية. فهذا هو نوع التناقض في كلام المسيح ويحيى، وهو ليس تناقضا في الحقيقة، بل الحق أن أحدهما وضع المجاز في الاعتبار، والثاني الواقع، فلا تناقض بين كلامهما. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٤٦٣، الحاشية)

بالقاء نظرة دقيقة على كلام الله والإمعان فيه يتبين أنه أزلي وأبدي، وإن ترتيب المخلوقات لا ينافي كونه أزليا. إن حمل الاستعارات على المشهودات أيضا غباء وحمق. ومن صفاته ﷻ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾. (بدر مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠٠٢/٢/١٩٠٣م، ص ٣٨)

لا نستطيع أن نتدخل في كنه الله. الطريق الأسلم هو أن يؤمن المرء بـ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، أي ليس بوسعي أن أطلع على جميع صفات الله وأكمل البحث فيها. يقول الأطباء إن الماء بارد والنار حارة، ولكن لا يستطيعون أن يفسروا لماذا الماء بارد والنار حارة. الفلاسفة أيضا يعجزون عن معرفة كنه الأشياء. وهنا ينبغي على المرء أن يعمل بـ ﴿أَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٨، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٢م، ص ٨)

الحق أن نفي الذات ضروري من بين ثمرات الحب، ولا يقع على ذلك اعتراض بل هذا يبدو صحيحا بحسب القرآن الكريم. هذا هو المقام الذي يسمى الفناء في الله. ولكن هذا لا ينطبق على الوجوديين بل حالتهم كأفهم رأوا الله كما يرى الجراحون كل شيء في الجسم بالتشريح لذا يؤفّهون أنفسهم، مع أن هذا خطأ وسخف صراحة. يقول الله ﷻ بكل وضوح: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ٨)

ليس هناك طريق آخر للإيقان الكامل بذاته ﷺ سوى أن يتجلى بنفسه، وهو ما يُستشف أيضا من قوله ﷺ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾. أي ليس من وسع الأبصار أن تعرفه بقوتها إلا أن ينورها هو شخصيا. (بدر مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠٣ م، ص ٣٧٣)

هذا هو معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، أنه لا يُعرف بالعقول فقط، بل يجعل المرء يعرفه من خلال الوسائل التي بينها هو نفسه. ولتحقيق ذلك ليس هناك دعاء مثل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (بدر، المجلد ٣، رقم ١٠، عدد: ٨/٣/١٩٠٤ ص ٧)

الآية ١٠٥: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

لقد أعطاكم الله حججا بينة على نبوتي، فمن عرفها فقد نفع نفسه، ومن عمي فوباله عليه، وما أنا عليكم بحفيظ. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية المجلد ٤، ص ٤٤٢-٤٤٣)

الآية ١٠٩: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لقد علّمنا الله تعالى في القرآن الكريم طريق الأدب ودرس الأخلاق إذ يقول: ﴿لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ انظروا الآن؛ مع أنه لا حقيقة للأوثان على الإطلاق بحسب تعليم القرآن الكريم، ومع ذلك يُعلّم الله المسلمين خُلُق أن يمتنعوا عن سب الأوثان أيضا، ويأمرهم بدلا من ذلك أن يوضحوا الأمر لعبدة الأوثان باللين لئلا يثور هؤلاء الناس ويسبوا الله، فتكونوا أنتم سببا لهذا السباب. (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ٤٦٠-٤٦١)

الآية ١١٠: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي أن الله تعالى يُظهر آية يشاء، والعبد ليس قادراً على أن يطلبها منه قهراً. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٥٥)

تذكروا أن الله تعالى منع من الآيات الاقتراحية. لن يتشجع نبي قط ليقول بأني جاهز لإراءة آية تطلبونها، بل سيقول دائماً: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهذه علامة صدقه. يستنتج الأعداء الأشقياء من مثل هذه الآيات إنكار المعجزات، ولكنهم عمهون لا يدرون حقيقتها، لذلك يوجهون اعتراضات كتلك، وليس في قلوبهم تبجيل ذات الباري ولا أدب لجبروته. ما حقنا على الله حتى نقول بأن يفعل حصراً ما نريده نحن؟ إنه لسوء أدب. وإن إلها من هذا النوع لا يمكن أن يكون إلها أصلاً ... فيمنع من طلب الآيات الاقتراحية لأن في ذلك عرق سوء الأدب الذي يقطع دابر الإيمان. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٣)

الآية ١١١: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

لقد ورد ذكر إراءة الآيات في القرآن الكريم بكثرة. وفي بعض الأماكن أشير إلى الآيات السابقة أيضاً، انظروا مثلاً الآية: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. (ثلاثة أسئلة من مسيحي والرد عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٤٤)

الآية ١١٥: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

إن ما قاله الله ﷻ في القرآن الكريم هو نفسه موجود في الحديث، إلا أن الأحاديث استنبطت بعض الأمور استنباطاً رائعاً لم يدركه الآخرون، وإلا ليس

هناك تعارض بين القرآن الكريم وبين الحديث، فقد سمي الله ﷻ القرآن الكريم ﴿مُفَصَّلًا﴾، فيجب الإيمان به. بعض التفاسير لا يفهمها غير الأنبياء، إذن فليس في الحديث شيء زائد عن القرآن الكريم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٢)

يتبين جليا من الإمعان في هذه الآيات أن المخاطبين بـ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ في الآية هم أولئك الذين ليس لديهم إلى الآن إلا حظ قليل من اليقين والإيمان والعلم. بل يتبين من الآيات المذكورة في الأعلى أن الأمر: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ الوارد في القرآن إنما هو قول رسول الله ﷺ لأن الجزء الأول من الآية أي: ﴿أَفَعِزَّ اللَّهُ أَنْبَغِي حَكْمًا﴾ أيضا قول رسول الله ﷺ. ومعنى هذه الآيات أنه لا يسعني أن أحتكم إلى غير الله ليحكم بيني وبينكم، والله الذي أنزل عليكم الكتاب مفصلا، والذين أعطوا علم هذا الكتاب يعلمون جيدا أنه من عند الله. فلا تكن - يا مَنْ ليس لديه علمٌ - من الممترين.

يُبرهن هذا البحث كله على أن النبي ﷺ لم يكن مرتابا بل كان يمنع الارتياب بتقديم الشواهد والأدلة. إذًا، فإن عزو الشك إلى النبي ﷺ فيما يتعلق برسالته مع كل هذا البيان الواضح الجلي ليس إلا جهل أو تعنت بحت.

وإذا انتابت أحدا فكرة أنه إذا مُنع من الارتياب بعض المسلمين الجدد أو المترددين الذين كانوا أضعف إيمانا فكان من المفروض أن يقال: لا "تكونوا" من المرتابين بدلا من القول: لا "تكن" من المرتابين، لأن ضعيف الإيمان ليس شخصا واحدا بل كثيرون، فلماذا إذاً استُخدمت صيغة المفرد المخاطب بدلا من الجمع؟ فجوابه أن المراد من الوحدة هنا هي وحدة الجنس وهي في حكم الجماعة. فلو قرأتم القرآن الكريم من البداية إلى النهاية لوجدتم فيه أسلوبا شائعا أنه يخاطب الجماعة في معظم الأحيان بصيغة المفرد... لن تجدوا في القرآن الكريم حرفا واحدا ولا نقطة

واحدة تدل على أن النبي ﷺ كان مرتابا أدنى ارتياب في كونه أو كون القرآن الكريم من الله تعالى. بل الأمر القاطع واليقيني هو أن اليقين الكامل والبصيرة الكاملة والمعرفة التامة التي أعلن بها النبي ﷺ عن نفسه ثم أثبتها أيضا لا مثيل لها في أي كتاب موجود حاليا قط. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٢٢-٤٢٦)

الآية ١١٧: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

تمثل المحكمات والبيّنات في القرآن الكريم علما، وما خالف القرآن الكريم فهو ظن. ومن اتبع الظن مع وجود العلم فهو تحت حكم هذه الآية. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٩٤)

الآية ١٢٠: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾

طُرح سؤال: إذا كان أحد من أفراد عائلة السادات فقيرا فهل يستحق الزكاة؟ فقال ﷺ: هذا ممنوع مبدئيا، ولكن إذا كان الوضع اضطراريا وكان يتضور جوعا فجائز. يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾. الفتوى من الحديث هو أن أكله الزكاة ليس جائزا. وإذا كان يأتي فردا من عائلة السادات رزق من نوع آخر فما حاجته إلى مال الزكاة؟ أما من كان مضطرا فهذا أمر آخر. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٠، عدد ٢٤٤/٨/١٩٠٧م، ص ٥)

الآية ١٢٣: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

...أي أن بركات ذلك النور تكون معلومة عند الناس، فهل يمكن أن يكون هذا الشخص كمن هو أسير الظلمة كلياً ولا يقدر على أن يخرج منها؟ والمراد من النور والحياة هو روح القدس فبه تزول الظلمة وهو يحيي القلوب، لذلك سمي روح القدس أي روح القدسية التي بدخولها تُنال الحياة المقدسة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٩٩)

الآية ١٢٥: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرُمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾

إن الكفاءة والجدارة شرطٌ لتلقي المرء الإلهام. ليس صحيحاً أن يصبح كل فلان وعلان رسولاً من الله تعالى، وأن ينزل الوحي الصادق على كل شخص. لقد أشار الله تعالى نفسه إلى هذا الأمر في القرآن الكريم فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أي عندما نرى الكفار آية لإظهار صدق القرآن الكريم يقولون لن نؤمن حتى ينزل كتاب الله علينا نحن. والله أعلم حيث يجعل رسالته، أي هو أدرى من هو أهل لذلك، فيُنزل فيض الإلهام على من يكون جديراً به.

وبيان هذا الإجمال أن الحكيم القدير خلق الناس على أطوار مختلفة بناء على حِكْمِهِ المختلفة. وجعل سلسلة فطرة بني آدم شبيهة بخطِّ أحد طرفيه مرتفع جداً بينما الآخر منخفض جداً. ففي الطرف المرتفع نفوس نقيّة، كفاءاتهم كاملة بحسب مراتبهم المتفاوتة. وفي الطرف المنخفض نفوس على درجة منخفضة جداً في هذه السلسلة حتى صاروا قريباً من دواب لا تعقل. وفي الوسط نفوس تحتل درجة وسطى من العقل وغيره. ولإثبات ذلك يكفي دليلاً مشاهدة الناس مختلفي الكفاءات، لأنه ما من عاقل يُنكر أن الناس يحتلون درجات مختلفة من حيث العقل والتقوى وخشية

الله وحبه عليه السلام. وكما يولد أحد جميلا بمقتضى قدر الله تعالى ويولد غيره دميما، كذلك يولد أحد بصيرا وغيره كفيفا. وهناك من يولد ضعيف البصر وآخر قوي البصر، ومن يولد تام الخلقة وآخر ناقصها، كذلك إن التفاوت في المراتب في القوى الذهنية والأنوار القلبية أيضا ملحوظ ومحسوس. غير أنه صحيح تماما أن كل شخص يستطيع أن يتقدم في العقل والتقوى وحب الله تعالى إن لم يكن مختل الحواس أو مسلوب العقل تماما.

والجدير بالانتباه أنه ليس لنفسٍ أن تتقدم أكثر من دائرة كفاءتها أبدا. فمثلا مهما جرت من محاولات لتعليم شخص ضعيف الدماغ ولادةً أو ناقص الخلقة أو التربية وتثقيفه - مثل من يقول له عامة الناس في بلادنا "فأر دولة شاه" - حتى لو وُظِّفَ لتعليمه فيلسوفٌ كبير، فلن يقدر على التقدم أكثر من الحد الطبيعي الذي حدده الله تعالى له، لأنه لا يستطيع - بسبب ضيق دائرة كفاءته - أن يصل أبداً إلى تلك المراتب العالية التي يصل إليها شخص واسع القوى. إن هذه المسألة بديهية بحيث لا أتصور أن ينكرها عاقل بعد التدبر فيها. ولكن لا غرابة إن رفضها شخص خلع ربة العقل نهائيا.

والمعلوم أيضا أنه لولا التفاوت في العقول لما وُجد اختلاف في فهم العلوم، ولما سبقت بعض الأذهان بعضها الآخر. إن الذين يمارسون مهنة التربية والتعليم يعرفون جيدا أن بعض الطلاب يكونون أذكاء بطبيعتهم ويفهمون المقصود بأدنى رمز أو إشارة، وبعضهم متقدمو الذهن بحيث يكتشفون أمورا جديدة وممتازة من تلقائهم، ويكون بعضهم الآخر أغبياء من حيث طبائعهم وبلبين،

^١ يقال إن "دولة شاه" كان أحد الصالحين في القارة الهندية، وضحجه في محافظة غجرات بباكستان، ينذر له الناس البكر من أولادهم. تُحاط رؤوسهم بخوذة حديدية بعد ولادتهم فتظل رؤوسهم صغيرة الحجم ويتوقف نمو عقولهم، يسميهم الناس في تلك المنطقة "فيران دولة شاه". (المترجم)

فلا يفهمون الحديث مهما شرحتموه لهم، حتى لو فسرتموه لهم ألف مرة. وحتى لو فهموا شيئاً بعد تعب شديد لأعوزتهم قوة الحفظ، فينسبون سريعاً كالنقش في الماء. كذلك يوجد تفاوت كبير بين القوى الأخلاقية والأنوار القلبية أيضاً. فمثلاً هناك ابنان لشخص واحد، ويتعلمان على يد معلّم واحد، ثم يتبين أن أحدهما سليم الطبع وصالح، بينما الآخر خبيث الطبع وشرير النفس، أو أحدهما جبان والآخر شجاع باسل، وأحدهما غيور والآخر تعوزه الغيرة تماماً. ويحدث أحياناً أن شرير النفس أيضاً يميل إلى الصلاح بعض الشيء بالوعظ والنصيحة. وفي بعض الأحيان يبدي الجبان شجاعة إلى حد ما نتيجة أطماع النفس، فينخدع قليلاً بالخبرة فيظن أنه تخلّى عن طبعه. فأقول مرة بعد أخرى بأنه ما من نفس تستطيع أن تتقدم أكثر من دائرة كفاءتها. وإذا حاز شيئاً من التقدم فيحوزه ضمن دائرة قواه الفطرية. لقد انخدع كثير من قليلي الفهم إذ ظنوا أن القوى الفطرية يمكن أن تتفوق على القوى المقدرة لهم منذ ولادتهم نتيجة ممارسات مناسبة. والأسخف من ذلك والأبعد عن العقل قول المسيحيين بأن فطرة الإنسان تنقلب بمجرد الإيمان بالوهمية المسيح. ومهما غلبت على أحد القوى السَّبعية أو القوى الشهوانية أو الضعف في القوى العقلية من حيث الخَلقة، فإنه يتخلّى عن حالته التي جُبل عليها بمجرد الاعتقاد بكون عيسى عليه السلام الابن الوحيد لله تعالى. لكن يجب الانتباه إلى أن مثل هذه الأفكار إنما تنشأ في قلوب الذين لم يفكروا في العلوم الطبيعية والطبية، أو الذين عميت عيونهم لفرط العناد وعبادة الخلق، وإلا فإن قضية الاختلاف في الطبائع ثابتة ومتحققة لدرجة أن الحكماء حين بحثوا في هذا الموضوع ثبت لهم بناء على تجارب متتالية أن كون المرء جباناً أو شجاعاً أو بخيلاً أو سخياً أو ضعيف العقل أو قويّ العقل أو دينيّ الهمة أو رفيعها، أو حليم الطبع أو سريع الغضب،

أو فاسد الأفكار أو صالحها؛ ليس من الأمور العارضة أو وليدة الصدفة.. بل قد جعل الخالق الأزلي فروقا مختلفة في تكوين العناصر في الإنسان وفي نسبتها وفي وضعية خلقة الصدر والقلب والجمجمة له. فبسبب هذه الفروق يلاحظ الفرق البين بين القوى الأخلاقية والعقلية لدى مختلف الناس. ولقد وافق الأطباء أيضا على هذا الرأي القديم وقالوا بأنه عندما بُحث في جماجم اللصوص والنهاب بدقة وُجد أن تركيبها خاص بهذه الفئة الفاسدة الأفكار بوجه خاص. وقد زاد بعض اليونانيين على ذلك، وبعض الناس يستنبطون أفكار البعض الباطنية بالنظر إلى أعناقهم وأعينهم وجباههم وأنوفهم وغيرها من الأعضاء أيضا.

على أية حال، من الثابت والمتحقق تماما، ولا مندوحة من القبول بأن التفاوت الفطري بين قوى بني آدم الخلقية والعقلية وادّ، وأن كل نفس تتقدم إلى الصلاح إلى حدٍ ما ولكن ليس أكثر من قدرتها. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ١٨١-١٨٤، الحاشية رقم ١١)

الإنسان يستطيع أن يدرك بأدنى تدبر أن الذي يبعثه الله من الضروري أن يجتبيه ويصطفيه، ولا بد أن يتميز بميزة ما حتما، حتى يستخلصه الله من الخلق كله. إن نظر الله لا يخطئ، فالذي ينتخبه ﷺ لا يكون إنسانا عاديا، ولقد أشار القرآن الكريم أيضا إلى هذا حيث ورد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٦، عدد: ١٧/٢/١٩٠٤، ص ١)

الآية ١٣٥: ﴿إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

ما توعّدون... أي انتشار الإسلام في العالم بعزة وشرف، وذلة الذين يحاولون الحيلولة دون ذلك، وإن هذا الوعد على وشك التحقق ولن تقدرُوا على رده. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٩، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٣٦: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

فإن كنتم شيئاً جديراً بالاعتداد فاسعوا على مكانتكم وسأسعى أنا أيضاً ثم تنظرون من كان الله معه. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٩، الحاشية) توجد في الإسلام أيضاً فرق كثيرة حالياً ويدحض بعضها بعضاً، وزد إلى ذلك هجمات الأديان الأخرى..... وكل فرقة تدّعي أنها على الحق، والحكم في هذه الحالة ليس سهلاً. لذا إما أن يهب الله أحداً بفضله ورحمته فهما ورُشداً، أو ينبغي ألا يتسرع الإنسان، بل يصبر ويستمر في الدعاء حتى يتبين في وقت مناسب من يحالفه تأييد الله ونصرته، لأن نصرته الله وتأييده لا تحالف ديناً كاذباً أبداً. لو اهتم الله بالدين الكاذب اهتمامه بالدين الصادق لاستحال التمييز بين الصدق والكذب. لذا قال رسول الله ﷺ كما هو مذكور في القرآن الكريم: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ (الأنعام: ١٣٦) أي إذا كان صدقي مشتبهاً عليكم فاعملوا على مكانتكم، وأعمل أنا على مكاني، ثم انظروا من يحالفه تأييد الله ونصرته أخيراً؟ (بدر، مجلد ٤، رقم ٦، عدد ١٨٥/٢/١٩٠٥م، ص ٤)

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾... أي ستعلمون قريباً من هو الصادق. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٦، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٥)
قُلْ لَهُمْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ لِنَجَاحِكُمْ وَإِنِّي عَامِلٌ كَذَلِكَ فَسَوْفَ تَنْظُرُونَ
عمل من ينال القبول. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٩٥)

الآية ١٤٦: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

اعلموا أن التعامل بالربا ذنب عظيم. ألا يعرفون أن الله تعالى أجاز أكل الخنزير في اضطرار، فقد قال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، لكنه لم يقل ذلك بحق الربا. (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ٦٥٨/٢، ١٩٠٨م، ص ٦)

الآية ١٤٧: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

لقد قال المراسلون المسيحيون بأنه إذا لم ترد كلمة "الجريمة" بحق الأنبياء فإنها لم ترد بحق اليهود أيضا، ولكن هذا دليل آخر على جهلهم. لقد وردت في القرآن الكريم كلمة "الجريمة" بحق اليهود عدة مرات، أنقل هنا ثلاث آيات فقط على سبيل المثال لا الحصر، منها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. ففي هذه الآية ذكر اليهود ووردت بحقهم كلمة "المجرمين". والآية الثانية هي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٨). في هذه الآية عُدد أعداء الأنبياء السابقين مجرمين. وكان المسيح عليه السلام أيضا من بين هؤلاء الأنبياء. فمن هذا المنطلق يُعدّ أعداؤه مجرمين بحسب القرآن الكريم. والآن نسأل السادة المسيحيين هل كان اليهود أعداء المسيح عليه السلام أم أصدقاؤه؟ إذا كانوا أصدقاؤه له فلا شك أنهم ليسوا مجرمين، أما إذا كانوا أعداءه فهم مجرمون بحسب القرآن الكريم. والآية الثالثة هي: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان: ٣٢). في هذه الآية أيضا ذكر أعداء الأنبياء بكلمة "المجرمين"، وعلى ذلك فقد عُدد اليهود أيضا مجرمين لأنهم كانوا أعداء أعداء للمسيح عليه السلام وللنبي عليه السلام أيضا.

يجب على المراسلين المسيحيين أن ينجلوا من قولهم السخيف هذا بأن كلمة الجريمة لم تُنسب في القرآن الكريم إلى اليهود. إن قولهم هذا أيضا سخيف مثل بياهم السابق القائل بأن كلمة الجريمة لم تُستخدم في القرآن الكريم أصلا. فبقولهم هذا لم يُثبتوا قلة علمهم فقط بل قلة فهمهم أيضا. إن لم ترد كلمة الجريمة بحق اليهود على سبيل الافتراض فهل حينها سيساوون الأنبياء مثلا؟ لقد استخدم الله تعالى في بيان سوء أعمالهم كل كلمة يمكن تصورها، مثل الفاسقين والملعونين والكافرين والمعتدين والشياطين والظالمين، والقردة والمغضوب عليهم وغيرها. فلو لم يستخدم القرآن الكريم كلمة الجريمة عن اليهود مقابل تلك الكلمات المستخدمة فهل هذا يُثبت أنهم أبرياء مثل الأنبياء الذين لم تُستخدم بحقهم أيا من هذه الكلمات؟ (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٢، رقم ٦، عدد يونيو عام ١٩٠٣ م، ص ٢٤٨-٢٤٩)

الآية ١٤٨: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

إن كانوا عاقدين العزم على التكفير، قل لهم بأنكم لو آمنتم لنلتهم نصيبا من رحمة الله الواسعة. وإن لم ترتدعوا عن التكذيب فإن عذاب الله لن يُردَّ بأية حيلة ومكر. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية المجلد ١٤، ص ٢٣٣-٢٣٤ الحاشية)

الآيات ١٥٢: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا

نُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٤﴾

... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ .. أي إذا تحدثتم فلا تتحدثوا إلا بما هو حق وعدل تماما وإن كان قول الحق هذا ضد قريب لكم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٠-٣٦١)

الآية ١٥٤: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

أي لا تسلكوا سبلا متفرقة لأنها سبب تباعدكم عن الله تعالى. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٣٣)

الآية ١٥٩: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾

إن الإيمان يوم ظهور الآيات لن يجدي نفعا. والذي يؤمن بعد رؤية الآيات لن ينفعه إيمانه. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥ ص ٣٣٣)

الآية ١٦٣: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أي قل لأعدائك إني لا أحبُّ حياتي، فإن عبادتي ومحياي وموتي كلها لله؛ ذلك الإله الحق الذي خلق كل شيء. (شحنة الحق، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٣٣٠-٣٣١، الحاشية)

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي: أي صلاتي وعبادتي ومجاهداتي وتضحياتي ... أي ليس في الدنيا منذ بدايتها إلى نهايتها إنساناً كامل وفانٍ في الله من الدرجة العليا مثلي حتى يعيد إلى الله تعالى أماناته كلها؛ ففي هذه الآية ردّ على أولئك الموحّدين

قليلي الفهم الذين يقولون بأنه لا تثبت أفضلية نبينا ﷺ الكلية على الأنبياء السابقين، ويقدمون لذلك أحاديث ضعيفة ويقولون بأن النبي ﷺ منع من أن يُفضَّل على يونس بن متى. ولكن قليلي الفهم أولئك لا يدركون أنه لو كان ذلك الحديث صحيحا، فهو على سبيل التواضع الذي كان من عادة النبي ﷺ بوجه عام. والمعلوم أن لكل حادث حديثا؛ فلو كتب أحد الصالحين مثلاً في نهاية رسالته: "أحقر عباد الله" فأبي غباوة وخبت نفس أكبر من الاستنتاج من ذلك أنه أسوأ من كل شخص في العالم كله حتى من الوثنيين والفاستقين أجمعين؛ حيث يُقر بنفسه أنه أحقر عباد الله؟!

يجب الانتباه جيدا إلى أنه ما دام الله جلَّ شأنه قد سمَّى النبي ﷺ أول المسلمين عدّه سيد المطيعين جميعا وعدّه ﷺ أول من أعاد الأمانات كلها قبل غيره، فهل يبقى لمن يؤمن بالقرآن الكريم مجال بعد ذلك أن ينتقد -أيّا كان نوع انتقاده- شأن النبي ﷺ العظيم؟ لقد بيّن الله تعالى في الآية المذكورة أنفا مدارج كثيرة للإسلام وبيّن أن الدرجة العليا هي تلك التي أودعت فطرة النبي ﷺ. سبحان الله ما أعظم شأنك يا رسول الله!

موسى وعيسى همه خيل تواند جملة دريس راه طفيل تواند

أي: إن موسى وعيسى بل كل الأنبياء من حزبك أنت، وكلهم سلكوا هذا المسلك بفضلك أنت". (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥، ص ١٦٢-١٦٤) النجاة ينالها من يكرس نفسه وحياته ويبدل نفسه كلها في سبيل الله، ويعكف على الأعمال الصالحة بعد نذر الحياة ويكسب الأعمال الحسنة من كل نوع... فأولئك الذين ينالون النجاة كاملة.

فهنا قال الله تعالى عن اليهود والنصارى الذين يدعون حيازتهم النجاة بأن هذه أمنيائهم فقط، ولا توجد فيهم حقيقة تلك الأمانى التي هي روح الحياة. بل

النجاة الحقيقية هي تلك التي يشعر الناجي بحقيقتها في هذه الدنيا، وذلك بأن الله يوفق الناجي لنذر نفسه كلياً في سبيل الله تعالى بحيث تكون حياته ومماته وجميع أعماله لله رب العالمين، فيتخلى عن نفسه تماماً وتكون مرضاته تابعة لمرضاة الله تعالى. ثم يجب ألا يبقى الأمر مقتصرًا على عزيمة القلب فقط بل ينبغي أن تُستهلك جوارحه كلها وقواه كلها وعقله وفكره وكافة قدراته في هذا السبيل. ففي هذه الحالة يمكن القول بأنه محسنٌ، أي قد أدى حق الخدمة والطاعة بقدر ما كان ممكناً له كونه بشراً. فهذا هو الناجي، كما يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٤٣-١٤٤)

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي...﴾ فإذا بلغ الإنسان في محبة الله تلك الدرجة التي يصبح فيها موثقه وحياته لله لا لنفسه، فإن الإله الذي لم يزل منذ الأزل يحب محبيه، يشملهم عندئذ بمحبته، فينشأ في الإنسان من امتزاج المحبتين نور عجيب.. لا تعرفه الدنيا ولا تستطيع فهمه. ولقد سُفكت دماء آلاف الصديقين والأخيار.. فقط لأن الدنيا لم تعرفهم. ولقد رُموا بتهمة الاحتيال والأنانية لأن الدنيا لم تستطع أن تبصر وجههم النوراني. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٤)

أي قل إن صلاتي وتضحياتي، وحياتي وموتي، هي لله الذي تشمل ربوبيته كل الموجودات. لا شريك له من البشر ولا من غير البشر في أي نوع. هذا ما أمرني به، وأنا أول القائمين على مفهوم الإسلام أي أول من يضحي بنفسه في سبيل الله. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢٥)

...أي أعلن لهم أن عبادتي وتضحيتي وحياتي وموتي كلها في سبيل الله.. أعني لإظهار جلاله عز وجل، وتقديم الراحة لعباده.. كي ينالوا الحياة بموتي.

وأما ما ذُكر هنا من الموت في سبيل الله ولخير الإنسانية فلا يجدر أن يُسيء أحد فهمه ويظن أنه ﷺ كان ينوي -والعياذ بالله- الانتحار حقاً كالجهال والمجانين، زاعماً أن قتلَه نفسه هكذا بسلاح ما سوف ينفع الآخرين. كلا، بل كان ﷺ يعارض بشدة مثل هذه الأعمال العابثة، وإن القرآن الحكيم يعتبر من ينتحر هكذا مجرماً ارتكب جرماً عظيماً يستوجب العذاب...

فلمراد من الآية المذكورة آنفاً، أن النبي ﷺ كان قد نذر نفسه لإنقاذ الإنسانية، عن طريق المواساة الحقيقية لهم، وتحمل المشاق في سبيل ذلك. وضحى بنفسه وراحته متوسلاً بالدعاء والدعوة والصبر على الجور والظلم وبكل طريق لائق حكيم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٨-٤٤٩)

"فَلْأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَ الضَّحَايَا قُرْبَانًا، بِمَا وَرَدَ أَنَّهَا تَزِيدُ قُرْبًا وَلُقْبَانًا، كُلٌّ مِنْ قَرَبٍ إِخْلَاصًا وَتَعَبُّدًا وَإِيمَانًا. وَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ نُسُكِ الشَّرِيعَةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالنَّسِيكَةِ. وَالنُّسُكُ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَكَذَلِكَ جَاءَ لَفْظُ النُّسُكِ بِمَعْنَى ذَبْحِ الدَّيْحَةِ. فَهَذَا الْإِشْتِرَاكُ يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى أَنَّ الْعَابِدَ فِي الْحَقِيقَةِ، هُوَ الَّذِي ذَبَحَ نَفْسَهُ وَقُوَاهُ وَكُلَّ مَنْ أَصْبَاهُ لِرِضَى رَبِّ الْخَلِيقَةِ، وَذَبَّ الْهَوَى حَتَّى تَهَافَتْ وَانْمَحَى، وَذَابَ وَغَابَ وَاحْتَفَى، وَهَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفُ الْفَنَاءِ، وَسَقَتْ دَرَائِجَ شِدَائِدِ هَذِهِ الْهَوَاجِاءِ. وَمَنْ فَكَّرَ فِي هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ الْمُشْتَرَكَيْنِ، وَتَدَبَّرَ الْمَقَامَ بِتَقْطِطِ الْقَلْبِ وَفَتْحِ الْعَيْنَيْنِ، فَلَا يَبْقَى لَهُ خِفَاءٌ وَلَا مِرَاءٌ، فِي أَنَّ هَذَا إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ الْمُنْجِيَةَ مِنَ الْخُسَارَةِ، هِيَ ذَبْحُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَخَرْجُهَا بِمُدَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ ذِي الْأَلَاءِ وَالْأَمْرِ وَالْإِمَارَةِ، مَعَ تَحْمُلِ أَنْوَاعِ الْمَرَارَةِ، لِتَنْجُو النَّفْسُ مِنْ مَوْتِ الْغَرَارَةِ. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْإِسْلَامِ، وَحَقِيقَةُ الْإِنْقِيَادِ التَّامِّ". (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٣-٣٥)

"فَانْظُرْ كَيْفَ فَسَّرَ النُّسُكُ بِلَفْظِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى حَقِيقَةِ الْأَضْحَاةِ، فَفَكَّرُوا فِيهِ يَا ذَوِي الْحِصَاةِ. وَمَنْ ضَحَّى مَعَ عِلْمِ حَقِيقَةِ ضَحِيَّتِهِ، وَصَدَّقَ

طَوَّيْتَهُ، وَخُلُوصِ نِيَّتِهِ، فَقَدْ ضَحَّى بِنَفْسِهِ وَمُهَجَّتِهِ، وَأَبْنَائِهِ وَحَفَدَتِهِ، وله أجرٌ عظيم، كأجر إبراهيم عند ربه الكريم. وإليه أشار سيّدنا المصطفى، ورسولنا المجتبي، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، وقال وهو بعد الله أصدق الصادقين: إن الضحايا هي المطايا، تُوصِل إلى ربِّ البرايا، وتمحو الخطايا، وتدفع البلايا. (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٤٣-٤٥)

قل للذين يريدون أن يتبعوك إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، أي الذي يريد أن يتبعني عليه أيضا أن يقدم التضحية نفسها. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية المجلد ١٢، ص ٣٦٨)

أي أيها النبي أعلن للناس بأني أعبد الله وحده، ولا علاقة لي بشيء آخر قط، بل إن حياتي ومماتي لله رب العالمين. انظروا كيف أظهر في هذه الآيات عدم العلاقة بغير الله.

چنان زندگی کن کہ با صد عیال نداری بدل غیر آل ذوالجلال

أي: عِش مع كثرة الأهل والأولاد ولكن لا تعلّق القلب إلا مع الله ذي الجلال. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية المجلد ٢٣، ص ٣٠١)

كانت للصحابة الكرام ﷺ أيضا علاقات بالدنيا، فكان عندهم عقار وممتلكات، وأموال وذهّب. وأي انقلاب عظيم حصل في حياتهم حيث تخلّوا عن ذلك كله دفعة واحدة، وقرروا بحسب الآية ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن كل ما يملكون هو لله ﷻ. إذا كان في جماعتنا أفراد من هذا القبيل فأَي بركة سماوية أكبر من هذا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٣/٦/٣٠، ص ١٠)

آمنوا بالله واتخذوه معبودا وحيدا، إذ لا فائدة ما لم يؤمن الإنسان. كذلك إذا جعل المرء للدنيا نصيبا في الصوم والصلاة فلن تبلغه صلاته وصومه إلى غايته المتوخاة. بل يجب أن يكون المرء لله وحده ويكون مصداق حقيقيا ل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عندها يسمّى مسلما حقيقيا.

يجب على المرء أن يكون صادقا ومخلصا مثل إبراهيم عليه السلام الذي استعد لذبح ابنه، فما لم يضح الإنسان بجلّ أمانيه ورغباته الدنيوية لا ينفعه شيء. أقول صدقا وحقا بأنه عندما يؤمن الإنسان بالله تعالى ويتولد فيه جذبٌ إليه وَجَلَّ يتكفله الله ويتولاه. يجب ألا تسيئوا الظن بالله أبدا لأنه إذا وُجد نقص أو عيب فيكون فيكم.

اعلموا أنه لا تستوي أمور المرء ما لم يكن لله، ومن كان لله لا يتسرع. المشكلة هي أن الناس يضطربون سريعا ثم يشرعون في رفع الشكاوى. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٥م، ص ١٠)

يقول الله تعالى في آية أخرى عن مقام قربه ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ويقول الله تعالى في آية أخرى عن مقام قربه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أخبر الناس بأن وجودي قد فني تماما وصارت جلّ عباداتي لله تعالى. وهذه إشارة إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يعبد الله خالصا ما لم يكن كاملا بحيث تكون بعض عبادته لله وبعضها لنفسه؛ لأنه حينذاك يريد العظمة والتبجيل لنفسه كما يجب تعظيم الله وتبجيله. هذه هي حقيقة العبادة. وكذلك يكون جزء من عبادته للمخلوق أيضا؛ لأن العظمة والكبرياء والقدرة والسطوة التي يجب تخصيصها لله تعالى يعطي جزءا من تلك العظمة والقدرة للخلق أيضا. فكما يعبد الله، كذلك يعبد النفس والمخلوق، بل يخص جزءا من عبادته لجميع الأسباب السفلية أيضا بوجه عام، لأنه يُعَدّ تلك الأسباب شريكة في نظام الإفناء والإبقاء بإزاء مشيئة الله وقدره. فمثل هذا الإنسان الذي يُشرك نفسه تارة في عظمة الله ويشرك المخلوقات والأسباب تارة أخرى، لا يمكن أن يكون عابدا صادقا لله وَجَلَّ. بل العابد الصادق هو ذلك الذي يَرُدُّ كافة أنواع العظمة والكبرياء والقدرة إلى الله تعالى دون غيره. وعندما تبلغ عبادة أحد هذا المبلغ من التوحيد يُعَدّ عابدا حقيقيا لله. وهذا الإنسان كما يقول بلسانه أن الله واحد لا شريك له كذلك

يشهد على وحدانية الله بفعله، أي بعبادته أيضا. فإلى هذه المرتبة الكاملة أشير في الآية المذكورة آنفا حيث أمر النبي ﷺ أن يعلن للناس أن عباداتي كلها لله، أي ليس للنفس والمخلوق والأسباب نصيب منها.

ثم قال بعد ذلك بأن نسكي لله وحده، وكذلك حياتي ومماتي أيضا لله رب العالمين.

اعلموا أن النسيكة تعني في العربية الذبيحة، وجمعها نُسُكٌ كما ورد في الآية. ومعناها الآخر: العبادة. فقد استُخدمت هنا كلمة تعني العبادة والذبيحة أيضا. وهذه إشارة إلى أن العبادة الكاملة التي لا تشاركها النفس ولا المخلوق ولا الأسباب هي نسيكة في الحقيقة. والنسيكة الكاملة هي العبادة الكاملة في الحقيقة. وأما قوله بعد ذلك إن حياتي ومماتي لله رب العالمين؛ فهذه العبارة التي جاءت في الأخير هي شرحٌ للنسيكة لئلا يتوهم أحد أن المراد من النسيكة هو ذبح الماعز أو البقرة أو الإبل، وليُفهم بوضوح من العبارة: ﴿مَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن المراد من النسيكة أو قربان هنا هو التضحية بالروح. إن كلمة "قربان" مستمدة من القرب. وفي ذلك إشارة إلى أن قرب الله لا يُنال إلا حين يطرأ الموتُ على القوى والأعمال النفسانية كلها.

باختصار، إن هذه الآية لبرهانٌ عظيم على قرب النبي ﷺ التام، وإعلان بأن النبي ﷺ كان فانيا في الله إلى درجة صارت جميع أنفاس حياته وموئته لله وحده، ولم يعد في وجوده أي نصيب للنفس والمخلوق والأسباب. وخرَّت روحه على عتبات الله بإخلاص بحيث لم تبق فيها شائبة من غير الله. فبذلك أكمل ﷺ على أتم وجهه جانباً من الشرط الذي لا بد منه للشفيع. والجملة الأخيرة في الآية المذكورة آنفا هي: ﴿مَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفيها إشارة إلى أن تضحيته ﷺ إنما هي لمصلحة العالم كله. (عصمة الأنبياء، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٦٤-٦٦٦)

الآية ١٦٤: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

السبب وراء اعتبار نبينا الأكرم أول المسلمين هو أنه أعلم من غيره في علوم معرفة الله، أي أن علمه ﷺ بالمعارف الإلهية أكثر من غيره لذا فإن إسلامه ﷺ أيضا أرفع وأعلى من الجميع وهو أول المسلمين. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٦-١٨٧)

الآية ١٦٥: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

المبدأ المتبع عند المحدثين والمفسرين في حالة التعارض بين الآية والحديث هو أن يؤول الحديث قدر الإمكان ليوافق القرآن الكريم. فقد وردت في صحيح البخاري كتاب الجنائز رواية عن السيدة عائشة رضي الله عنها "أن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله" ولكنها تتعارض مع الآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فأول الحديث على أنه لا يتعلق بالمؤمنين، بل بالكفار الذين كانوا راضين ببكاء أهلهم، بل وكانوا يوصونهم بذلك. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٩)

القرآن الكريم لا يقدم أي تضحية لعينة، بل لا يُجيز في حال من الأحوال أن تُلقى لعنة أحد من الناس أو ذنبه على غيره، ناهيك عن تعليق لعنات مئات الملايين من الناس في عنق أحد، فقد قال القرآن الكريم بصراحة ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: ١٦) لكنني قبل أن أتناول بيان الهدى القرآني المتعلق بمسألة النجاة أرى من المناسب أن أثبت للناس أن مبدأ النصارى هذا خاطئ، ذلك لكي تسهل المقارنة بين تعليم القرآن الكريم والإنجيل على كل من يريدوها.

فليتضح أن مبدأ النصارى بأن الله دبر لنجاة العالم حبا به بحيث ألقى ذنوب العصاة والكفار والسيئين على عاتق ابنه الحبيب يسوع، فجعله لعينا لتخليص العالم من الذنب، وعلقه على خشبة اللعنة. فهذا المبدأ فاسد من كل النواحي ومخجل، فإذا فحصناه في ميزان العدل تبين لنا أن إلقاء ذنب زيد على بكر ظلم صريح، فالضمير الإنساني لا يقبل البتة أن يطلق سراح المجرم ويعاقب مكانه البريء، أما إذا أمعنا النظر في حقيقة الذنب من منطلق الفلسفة الروحانية فمن هذه الناحية أيضا يتحقق فساد هذه العقيدة، لأن الذنب في الحقيقة سُم ينشأ حين يكون الإنسان محرومًا من طاعة الله والحب الإلهي المتدفق، وحين يكون عديمَ الحظ من ذكره ﷺ بحب. وكما أنه إذا اجتثت شجرة من الأرض ولم تعد قادرة على امتصاص الماء من الأرض تبدأ بالجفاف يوما بعد يوم وتتلاشى خضرتها كلها، كذلك هو حال الإنسان الذي يتخلى قلبه عن حب الله فيستولي عليه الذنب كالجفاف. وهناك ثلاث وسائل في قانون الله للقضاء على هذا الجفاف: (١) الحب (٢) الاستغفار الذي يعني الرغبة في الدفن والتغطية، لأنه من المأمول أن تخضر الشجرة ما دام أصلها متأصلا في التراب (٣) الوسيلة الثالثة التوبة: أي العودة إلى الله بتذلل وضراعة لامتصاص ماء الحياة والتقرب إليه والخروج من وراء حجاب المعصية بالأعمال الصالحة، وليتضح أن التوبة لا تكون باللسان فقط بل إن كمال التوبة منوط بالأعمال الصالحة، وإن جميع الحسنات تُحرز تكميلا للتوبة، لأن الهدف منها كلها التقرب إلى الله. إن الدعاء هو الآخر توبة لأننا بذلك نبحث عن القرب الإلهي، ولهذا قد سمى الله الإنسان بعد خلقه روحا، لأن راحته الحقيقية وسكينته تكمن في الإقرار بالله ﷻ وحب وطاعته، كما سماها نفساً^١ لأنه يحب الوصال إلى الله. فإن إنشاء العلاقة بالله بحب كشجرة ثابتة الأصول في أرض البستان، هي جنة الإنسان. وكما تمتص الشجرة

^١ النفس في اللغة تطلق على عين الشيء. منه

ماء الأرض وتجذبه إليها وتطرد به موادها السامة، كذلك ينال قلب الإنسان القدرة على طرد المواد السامة من داخله بامتصاص ماء الحب الإلهي، فيتمكن من القضاء عليها بسهولة، ويتربى تربية طاهرة بالاتصال بالله وينمو كثيرا ويخضرّ ويزدهر ويثمر ثمارا طيبة. أما الذي لا يتمسك بالله ﷻ فهو لا يقدر على امتصاص ماء ينمي، فسرعان ما يجف تدريجيا، فتسقط الأوراق أخيرا وتظهر الأغصان اليابسة قبيحة المنظر. فلما كان جفاف الذنب ناتجا عن انقطاع العلاقة، فإن الوسيلة البسيطة لدفع هذا الجفاف هي إنشاء العلاقة الوثيقة، وهذا ما تشهد عليه سنن الكون أيضا، وإلى ذلك أشار الله ﷻ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٨-٣١).

فالوسيلة للتخلص من الذنب تكمن في حب الله وعشقه، فجميع الأعمال الصالحة التي تصدر بدافع الحب الإلهي وعشقه تطفئ نار الذنب، لأن الإنسان بإحراز الحسنات لوجه الله فقط يؤكد حبه له ﷻ، فإن إيمان المرء بالله ﷻ بحيث يقدّمه على كل شيء حتى على حياته، يمثّل الدرجة الأولى للحب، وهي تشبه حالة الشجرة حين تغرس في الأرض. والدرجة الثانية الاستغفار الذي يعني حرص الإنسان على ألا يفتضح نتيجة ابتعاده عن الله، وهذه الدرجة تشبه حالة الشجرة حين تتأصل جذورها في الأرض جيدا، أما الدرجة الثالثة - وهي التوبة - فتشبه حالة اقتراب جذور الشجرة من الماء فتمصه كالطفل. وفلسفة الذنب تتلخص في نشوئه نتيجة الانفصال عن الله، وإن التخلص منه منوط بإنشاء العلاقة بالله، فما أكبر غباء أولئك الذين يصفون انتحار أحد بأنه وسيلة للتخلص من الذنب.

من المضحك أن يشج المرء رأسه شفقة على غيره الذي يعاني الصداع، أو ينتحر ليخلص غيره من الهلاك؛ فلا أعتقد أن يكون في العالم عاقل يُعدُّ مثل هذا الانتحار من المواساة الإنسانية. صحيح أن المواساة الإنسانية خصلة رائعة في الإنسان، وتحمل

الأذى من أجل إنقاذ الآخرين من عمل الشجعان البواسل، لكن السؤال الذي ينشأ هنا: هل لتحمل الأذى طريق وحيد فقط، وهو الذي يُذكر بحق يسوع؟ ليت يسوع اجتنب الانتحار وتحمل الأذى بأسلوب عقلائي كالعقلاء لكان من الممكن أن ينفع الإنسانية. فمثلا إذا كان فقير بحاجة إلى البيت ولا يقدر على دفع أجور البناء، وتقدم في هذه الحالة بناء وتحمل المشقة لعدد من الأيام وبني له البيت مجانا شفقة عليه، فلا شك أن هذا البناء يستحق المدح، ولا شك أنه أحسن إلى مسكين بنائه بيتا له بالمجان، لكنه لو شجّ رأسه بحجر شفقة عليه فأى فائدة يجنيها ذلك المسكين؟ من المؤسف أن قليلا من الناس في هذا العالم يسلكون مسلكا معقولا في البر والرحمة، فلو كان حقا أن يسوع انتحر في الواقع زعما منه بأن الناس يتخلصون بموته، فإن يسوع جدير بالرحم الكبير، وإن هذا الحادث ليس جديرا بالإظهار بل يجب أن يُكتم.

ولو فحصنا مبدأ النصارى هذا من حيث مفهوم اللعنة التي نزلت بيسوع، فنضطرب للقول بمنتهى الأسف إن النصارى باتخاذ هذا المبدأ أساءوا إلى يسوع المسيح إساءة لا نعتقد أن أمة من الأمم في العالم قامت بها بحق نبيها أو رسولها؛ لأن من معتقدات النصارى أن المسيح صار ملعونا حتى لو كان لثلاثة أيام فقط، أما إذا لم نعدّ يسوع ملعونا فإن مسائل الكفارة والفداء كلها تبطل بحسب عقيدة النصارى، وكأن اللعنة هي العمود الذي يقوم عليه بناء العقيدة المسيحية.

أما القول بأن يسوع أرسل إلى العالم حبا ببني جنسه من الناس وضحى بنفسه من أجل بني البشر، فكل هذه الأعمال بحسب عقيدة النصارى لا تفيد المرء إلا إذا اعتقد أن يسوع صار ملعونا أولا بسبب ذنوب العالم، وعلق على خشبة اللعنة. ولهذا قد صرحنا فيما سبق أن تضحية يسوع المسيح تضحية لعينة، إذ قد جاءت اللعنة من الذنب واللعنة أدّت إلى الصلب. الآن جدير بالبحث والنقاش: هل

يمكن أن نعزو مفهوم اللعنة إلى صالح؟ فليتضح أن النصارى قد ارتكبوا خطأ فاحشا إذ أجازوا إطلاق اللعنة على يسوع، حتى لو كانت لثلاثة أيام فقط أو أقل من ذلك، لأن للعنة مدلولاً يخص قلب الملعون، وإن الرجل يسمى لعينا حين ينحرف قلبه عن الله تماماً ويعاديه، ولهذا يوصف الشيطان لعينا، ومن ذا الذي لا يعرف أن اللعنة تعني الحرمان من القرب؟ وتستخدم هذه الكلمة بحق إنسان قد انحرف قلبه عن حب الله وطاعته وصار في الحقيقة عدواً لله، فهذا هو مدلول كلمة اللعنة التي اتفق عليه أهل المعاجم. والآن نتساءل: إن كانت اللعنة قد حلت بقلب يسوع المسيح في الحقيقة فهذا يستلزم أنه كان مورد الغضب الإلهي وأن قلبه كان قد خلا من معرفة الله وطاعته وحبه وأنه كان عدواً لله وكان الله عدواً له، كما أنه قد تبرأ من الله وكان الله قد تبرأ منه، كما يقتضي مدلول اللعنة. وهذا يستلزم أن يكون في الحقيقة كافراً بالله في أيام اللعنة ومنحرفاً عنه وعدواً له وأن يكون قد نال نصيباً من الشيطان. فمثلاً هذا الاعتقاد بحق يسوع جعله أخاً الشيطان، والعياذ بالله. وفي رأيي لن يرتكب هذا التجاسر بحق نبي صالح إنساناً يخشى الله إلا من كان خبيث الطبع ونجساً.

وحين تبين بطلان كون قلب يسوع المسيح محلّ اللعنة في الحقيقة فهذا يستلزم الإيمان بأن التضحية اللعينة باطلة وأنها خطة اخترعها الأغبياء.

فلو كانت النجاة لا تُنال إلا بعد يسوع شيطاناً ومنحرفاً عن الله ﷻ وبرئاً منه، فللعنة الله على مثل هذه النجاة! فكان حرياً بالنصارى أن يتقبلوا الجحيم ولا يصفوا أحد مقربي الله ﷻ بالشيطان، فيا أسفاً عليهم كم اعتمد هؤلاء على أمور سخيفة وبذيئة وخبيثة؛ فمن ناحية يصفونه ابن الله ومنه، والمتصل بالله، ومن ناحية أخرى يطلقون عليه لقب الشيطان؛ لأن اللعنة تخص الشيطان، واللعين اسم الشيطان، وأن اللعين هو الذي يأتي من الشيطان ويتصل بالشيطان بل هو الشيطان نفسه.

فانطلاقاً من عقيدة النصارى كان في يسوع نوعان من التثليث، رحماني وشيطاني، وأن يسوع اقترن بالشيطان-والعياذ بالله- وكان منه، ومن خلال اللعنة نال خواص الشيطان، أعني قد صار عاصيا لله، وبريئاً منه وعدوا له! فقل الآن بإنصاف يا ميان سراج الدين: هل هذه المهمة التي تنسب إلى المسيح تتصف بطهارة روحانية أو هي معقولة؟ وهل يمكن أن تكون عقيدة في العالم أسوأ من أن يصف المرء، من أجل نجاته، صادقاً عدو الله وعاصيه وشيطانياً؟ فأأي حاجة طرأت على الله القادر المقتدر الرحيم والكريم إلى هذه التضحية اللعينة؟ (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٢٧-٣٣٣)

لا يهلك الله تعالى أحداً لذنب غيره. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ٧١٦)
أما الفكرة أن المسيح ابن مريم سيأتي إلى الدنيا بصورة التناسخ، فلا فكرة أردأ وأسخف وأحجل منها. إن القائلين بالتناسخ يعتقدون بعودة من كانت تزكية نفسه في الدنيا ناقصة. ولكن الذين يرحلون من هذه الدنيا بعد عبورهم مراحل الكمال كلها يُدخلون الجنة لمدة طويلة بحسب زعمهم.

إضافة إلى ذلك لقد وعد الله أهل الجنة، بحسب اعتقادنا، أنهم لن يُخرجوا منها أبداً. فأستغرب جداً لماذا يريد المشايخ أن يُخرجوا المسيح عليه السلام من الجنة؟ ثم إنهم بأنفسهم يقولون إن إدريس عليه السلام حين دخل الجنة بإذن من ملك الموت، أراد ملك الموت بعد ذلك أن يخرج منه مرةً، ولكن إدريس عليه السلام رفض ذلك وقرأ عليه آية: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٩). فأتساءل هنا: ألا يحق للمسيح عليه السلام أن يستفيد من هذه الآية؟ هل صارت هذه الآية بحكم المنسوخ في حقه؟ وإذا قيل بأنه سيُرسل إلى الدنيا بعد الانحطاط في مرتبته لأن الناس أهوه بغير حق، قلت: هذا ليس خطؤه: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٤٧-١٤٩)

فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُحَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَآخَاهُ وَآ صَاحِبَاهُ. فَقَالَ عُمَرُ
 ﷺ: يَا صُحَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ
 أَهْلِهِ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ﷺ ذَكَرْتُ ذَلِكَ
 لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ
 لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ... وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ. يقول الله تعالى: لَا
 تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. أي قد حلفت السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها مع
 علمها المحدود لأنه لو استنبط من الحديث معنى أن كلَّ ميتٍ يعذب دون مبرر
 وبسبب بكاء أهله فقط لكان الحديث معارضا ومخالفا للقرآن الكريم. والحديث
 الذي يعارض القرآن لا يُقبل. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤،
 ص ١٠٩ الحاشية)

إن اعتبار الحديث قاضيا على القرآن الكريم خطأ كبير وإساءة إليه. ذات مرة
 قدمت عجوز حديثا أمام عمر ﷺ فقال: لا أستطيع أن أترك القرآن الكريم من
 أجل امرأة عجوز. كذلك قال أحد أُمّام عائشة رضي الله عنها بأن الميت يعذب
 ببعض بكاء أهله فقالت: يقول الله تعالى في القرآن الكريم: لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿١﴾
 لقد أخطأ أهل الحديث في جعلهم الحديث قاضيا على القرآن. (الحكم، مجلد ٦،
 رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٥)

لا أريد أن أعلم قط كما لم يعط الإسلام أيضا تعلّما أن تحمّلوا الآخرين وزر
 ذنوبكم وتنغمسوا في حياة الإباحية. لقد حكم القرآن الكريم بكل وضوح: ﴿لَا تَزِرُ
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، أي ليس لأحد أن يحمل وزر غيره ولا يوجد له مثال في قانون الله
 العام. ولا يلاحظ قط في قانون الطبيعة مثال أن يتناول زيدٌ سما ويترك السم تأثيره
 السيئ على بكر ويموت، أو أن يشفى مريض بتناول غيره الدواء، بل كل واحد يتأثر
 بحد ذاته. فكيف يمكن إذاً أن يستمر أحد في الذنوب طول الحياة ويخالف أوامر الله

بكل جسارة ثم تُكتب ذنوبه لشخص آخر. ومن يعلّق مثل هذه الآمال يصدق عليه القول: دماغٌ بيده يَخْتِ وَيُخِيلُ بِالْأَبْطَالِ: أي العقل الغبي يتشبّه بالأبطال.

فالإسلام لا يشجّع الإنسان على أن يتكئ على غيره، لأن الاعتماد على غيره يُفضي إلى تعطيل العمل. أما إذا عاش المرء وهو يدرك أنه لا سند له إلا عمله، وأنه مسؤول عن نفسه، فإنه يُدفع إلى العمل فيسعى إلى أن يُنجز شيئاً على كل حال. لذلك قال القرآن الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. ولو لم يحرك الإنسان ساكناً لما استوت أموره. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٢)

أما القول بأن الأحران والمحن الإنسانية هي بسبب أكل حواء التفاحة، فليست عقيدة الإسلام، إنما علّمنا أنه ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فلا يعاقب بكر على ذنب ارتكبه زيدٌ، ولا تُرجى منه أي فائدة، فليس أكل حواء التفاحة سبب هذه المشاكل والحزن والعقوبة، بل القرآن الكريم قد بين لها أسباباً أخرى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٦، عدد ٢/٦/١٩٠٨ م، ص ٧)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الأعراف



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٥: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾

الآية: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... تحكم هذه الآية بكل جلاء وصراحة إذ يثبت منها بكل وضوح أن على المؤمن أن يتوجه إلى القرآن الكريم أولاً وقبل كل شيء. ثم إذا وجد حديثاً أو قولاً "من دونه"، فليعرض عنه. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤١-٤٢)

الآية ٩: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمِئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

يومئذ توزن الأعمال كلها. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣١)

الآية: ١٣: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

عندما استكبر الشيطان كان عنده أساس لذلك على الأقل؛ إذ كان يعدّ نفسه نجيب الخَلقة، مدّعيًا: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾ وينتقد صَفِيَّ الله ﷺ قائلاً: ﴿خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٥٩٩)

تذكروا أنّ التكبر يأتي من الشيطان ويجعل صاحبه شيطاناً. وإن لم يتخلّ عنه الإنسان كلياً لا يقدر على قبول الحق أو نيل فضل الله لأن الكبر يصير عائقاً في سبيله. فيجب ألا يتكبر المرء بأيّ شيء على الإطلاق لا بالعلم ولا بالثروة ولا بالمرتبة والدرجة ولا بالفئة والطائفة ولا بالنسب، لأن الكبر غالباً ما ينشأ ويتطور بسبب هذه الاعتبارات. ومالم يُزكَّ المرء نفسه من نوازع الكبر والغرور هذه، لن يكون عند الله من الصالحين ولن ينال تلك المعرفة من الله التي تحرق نوازع الأهواء التافهة لأنّ الغرور من الشيطان، وهو مكروه عند الله ﷻ. لقد استكبر الشيطان وحسب نفسه أعلى من آدم وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٣). فطُرد من حضرة الله. أما آدم فقد اعترف بضعفه عند الزلل (لأنه كان قد أُعطي المعرفة) وورث فضل الله. كان يعرف أنه لا يمكن أن يتم شيء دون فضل الله فدعا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٤) هذا هو السر أنه عندما قيل لعيسى ﷺ: يا أيها المعلم الصالح! قال: لماذا تدعوني صالحاً؟ يقول المسيحيون المعاصرون الجهلاء بأنه كان يقصد من هذا الكلام: لماذا لا تسميني إلهاً؟ بينما قال المسيح ﷺ كلاماً لطيفاً جداً كما هي خاصة فطرة الأنبياء. كان يعلم أن الحسنة الحقيقية تأتي من الله وحده، وهو منبعها ومنه تنزل فيعطيه من يشاء وينزعها ممن يشاء. ولكن هؤلاء الأغبياء جعلوا هذا المبدأ الجميل والجدير بالتقدير

معيبا وحاولوا إثبات أن عيسى ﷺ كان مستكبرا مع أنه كان إنسانا متواضعا.
(الحكم، مجلد ٩، رقم ٣، عدد ١/٢٢/١٩٠٥م، ص ٢)

لقد وُصفت بعض شعوب البلاد الغربية بـ **يأجوج ومأجوج** في التوراة، وُحدد زمن ظهورهما زمن المسيح الموعود. وإن القرآن الكريم قد كتب من علامتهما ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧)، أي سيتمتعون بكل تفوق أرضي وسوف ينتصرون على كل قوم. وثانياً أشير إلى العلامة أنهم يوظفون النار بمهارة في أعمالهم، أي ستكون معاركهم بواسطة النار وتسير محركاتهم بواسطة النار، وسيحوزون على مهارة كبيرة في استخدام النار. لهذا السبب سُموا **يأجوج ومأجوج**. لأن الأجيح هو لهيب النار، وإن خلق الشيطان أيضاً من النار كما يتبين من الآية: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾، لهذا لها علاقة فطرية بـ **يأجوج ومأجوج**. ولهذا السبب يتجلى اسم الشيطان الأعظم بهذا القوم، ويصلحون ليصبحوا مظهره الأتم. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٧٦-٢٧٧)

الكبر بلاء لا يكاد يترك الإنسان. تذكروا أنّ التكبر يأتي من الشيطان ويجعل صاحبه شيطاناً. وإذا لم يتعد منه الإنسان كل البعد لا يقدر على قبول الحق أو نيل فضل الله لأن الكبر يصير عائقاً في سبيله. فيجب ألا يتكبر المرء بأيّ مجال على الإطلاق لا بالعلم ولا بالثروة ولا بالمرتبة والدرجة ولا بالطبقة والطائفة والنسب، لأن الكبر غالباً ما ينشأ ويتطور بسبب هذه الاعتبارات. وما لم يُرك المرء نفسه من نوازع الكبر والغرور هذه، فلن يكون عند الله من الصالحين ولن ينال تلك المعرفة من الله التي تحرق نوازع الأهواء التافهة لأنّ الغرور من الشيطان ومكروه لدى الله وعجّل. لقد استكبر الشيطان أيضاً وحسب نفسه أعلى من آدم وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. فطرد من حضرة الله لذا يجب على كل واحد اجتنابه. ما لم تكتمل معرفة الإنسان فهو معرض للزلل دون أن ينتبه لذلك. ولكن الذي

يحظى بمعرفة الله يحميه الله تعالى وإن صدرت منه زلة. لقد اعترف آدم بضعفه عند الزلزل وأدرك أنه لا يتم شيء إلا بفضل الله تعالى لذا ورث فضله تعالى بالدعاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٤).
(خطاب في الجلسة السنوية، بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٠٤م، ص ١٩-٢٠)

الآية ١٥-١٦: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿

إن الذي سُمِّي في الأحاديث دجالاً ذُكر في القرآن الكريم باسم شيطان، كما يقول حكاية عن الشيطان: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿ أي التمس الشيطان من الله تعالى ألا يُهْلِكَ ما لم يُجَيِّ مرة أخرى الأموات الذين ماتت قلوبهم. فقال تعالى: إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. فالدجال الذي ورد ذكره في الأحاديث ليس إلا شيطانا سَيُقْتَل في الزمن الأخير، وهذا ما قاله النبي دانيال كما تبينه بعض الأحاديث أيضاً. ولما كانت النصرانية هي المظهر الأتم للشيطان، لذا لم يرد في سورة الفاتحة ذكر الدجال قط وإنما ورد أمر الاستعاذة بالله من شر النصارى. فلو كان الدجال مفسداً وهو غيرهم لقال الله تعالى في فاتحة القرآن الكريم: "ولا الدجال" بدلاً من: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وليس المراد من آية: ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ بعثة الأجساد لأن الشيطان لن يحيا إلا ما دام بنو آدم أحياء. وصحيح أيضاً أن الشيطان لا يقوم بأي عمل بنفسه بل يعمل بواسطة مظاهره. وهؤلاء المظاهر هم الذين ألهوا الإنسان. وبما أنهم يشكلون حزبا لذا سُمِّي هذا الحزب دجالاً لأن "الدجال" في اللغة العربية يُطلق على الحزب أيضاً. ولو اعتُبر الدجال غير وعّاظ النصرانية الضالين لحصل تناقض؛ وهو أن الأحاديث تبين أن الدجال سيسيطر على الأرض كلها في الزمن الأخير، ويتبين من الأحاديث نفسها أن قوة الكنيسة سوف تتغلب على الأديان كلها. فهذا التناقض لا يزول إلا باعتبارهما شيئاً واحداً. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤١)

الآية ٢٤: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

كثير من الناس يشكون الله تعالى دون أن يحاسبوا أنفسهم. الإنسان يظلم نفسه بنفسه، وإلا فإن الله تعالى رحيم وكريم. وبعض الناس يدركون حقيقة الذنب وبعضهم لا يدركونها، لذلك قد جعل الله تعالى الاستغفار واجباً في جميع الأوقات ليستمر الإنسان في طلب حماية الله من جميع الخطايا ظاهرة كانت أم باطنة، وسواء أعلمها المرء أم لا، وسواء ارتكبها بالأيدي أو الأرجل أو الأنف أو بالعينين. في هذه الأيام يجب ترديد دعاء آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقد قُبل هذا الدعاء سلفاً. (بدر، مجلد ١، رقم ٩، عدد ٢٦/١٢/١٩٠٢ م، ص ٦٦)

الدعاء شيء عظيم فحينما نشبت المعركة بين آدم والشیطان لم ينفع سلاح إلا الدعاء. فقد انتصر آدم على الشيطان بدعاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧/٣/١٩٠٣ م، ص ٧٧) إننا نعتقد أنه كما هزم آدم الشيطان بالدعاء فقط كذلك سيهب الله الغلبة والسيطرة عليه في الزمن الأخير بالدعاء حصراً وليس بالسيف... لقد انتصر آدم الأول على الشيطان بدعاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ كذلك آدم الثاني الذي يحارب الشيطان في الزمن الأخير سينتصر بالدعاء وحده. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣ م، ص ٨)

إذا كان إيمانكم بالله كاملاً يجب أن يكون مذهبكم: هرچه از دوست می رسد نیکوست. أي: كل ما يأتي من يد الصديق طيبٌ. والشیطان لا يقرب من كان يملك إيماناً مثله، بل يذهب حيثما يجد منفداً. إذا أثر الإنسانُ الله تعالى تنزل عليه البركات... ولكن هذه الأشياء والإيمان الكامل يحصل نتيجة التوبة والاستغفار فأكثرُوا

منهما، وأكثرُوا من قراءة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٤-٢٥، عدد ٢٤-٠١/١١/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٢٥: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ فكيف يمكن إذاً أن تكون السماء هي مستقر عيسى عليه السلام منذ مئات السنين؟ (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٠٠، الحاشية)

الآية ٢٦: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾

يقول القرآن الكريم بكلمات واضحة وصريحة بأنه لا يستطيع أي إنسان العيش في أي مكان غير الأرض، كما ورد: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، بينما يقول هؤلاء: "كلا بل يمكن أن يعيش الإنسان خارج هذه الأرض والغلاف الجوي كما يحيا عيسى عليه السلام في السماء منذ ما يقارب ١٩ قرناً؛ ومع أن أحداً من البشر لم يعيش على الأرض - رغم كونها مستقرّاً ومع توفر وسائل الحياة فيها - مدة ١٩ قرناً منذ البدء إلى يومنا هذا، فكم ينافي نصوص القرآن الكريم الصريحة ما يصّر عليه معارضونا بغير حق من اعتقاد حياة أحد في السماء لمدة ١٩ قرناً مع أن الإنسان لا يستطيع العيش هناك ولو قليلاً بحسب البيان القرآني. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ٢٢٣-٢٢٤، الحاشية)

وبالإضافة إلى ذلك فإن الجزء الثاني للآية أي ﴿فِيهَا تَمُوتُونَ﴾، قد قال بجلاء بأنكم ستموتون على الأرض حتماً، فهذا يستلزم اعتقاد معارضينا بأن إدريس عليه السلام أيضاً سوف ينزل من السماء في يوم من الأيام، مع أنه لا أحد في العالم يعتقد بذلك، ومن الطريف أن قبر إدريس موجود في الأرض كما يوجد قبر عيسى عليه السلام. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٣٨ الحاشية)

"أتكفر بالقرآن أو نسيت يوم المجازاة؟ وقد قال الله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾، فكيف عاش عيسى إلى الألفين في السماء.. ما لكم لا تفكرون؟". (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٥)

فإذا كان (عيسى عليه السلام) في السماء بجسمه العنصري وبحسب هذه الآية لن ينزل إلى الأرض إلى يوم القيامة، فهل سيموت في السماء، ويكون قبره أيضا في السماء؟ في حين أن موته يناقض قوله تعالى: ﴿فِيهَا تَمُوتُونَ﴾ فهكذا ثبت أنه لم يُرفع إلى السماء بجسمه العنصري بل رُفع بعد موته. فمادام كتاب الله قد حسم هذه القضية بصراحة كاملة، فماذا تكون مخالفة كتاب الله سوى المعصية؟ (الوصية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣١٣-٣١٤)

يقول الله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ فكيف يمكن أن يعيش أحد في السماء إلى مئات السنين. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٠٠، الحاشية)

والله بريء من أن يرفع البشر إلى السماء خلافا لسنة مع أنه قد وعد أن البشر كلهم سيعيشون على الأرض فقط ولكنه ﷺ رفع المسيح إلى السماء بالجسد ولم يهتم بوعد قط، وقد قال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٠)

لقد طلب الكفار من نبينا الأكرم ﷺ حالفين بال تكرار بأنك لو صعدت إلى السماء بالجسد المادي لآمنا بك فوراً، فَرَدَّ عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤) أي قل لهم: سبحان ربي أن يخلف وعده، فلا أستطيع أن أصعد إلى السماء بالجسد المادي لأن ذلك يناقض وعده. والسبب في ذلك أنه تعالى يقول: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨٧، الحاشية)

والدليل الآخر في القرآن الكريم على وفاة المسيح هو قوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾. أي يا بني آدم ستحيون في الأرض فقط وتموتون فيها ومنها تُخرجون. كيف يمكن إذاً- مع وجود نص القرآن الصريح والواضح إلى هذا الحد- أن يبقى عيسى عليه السلام في السماء بدلا من الأرض إلى نحو ألفي عام بل إلى مدة غير معلومة؟ إن ذلك يستلزم إبطال القرآن الكريم. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٩٣-٣٩٤)

لقد قال القرآن الكريم بكل وضوح في أكثر من آية بأنه لن يصعد أحد إلى السماء بالجسد المادي بل سيقضي الناس حياتهم كلها على الأرض. وهذا عهد من الله كما يقول: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾. يتبين من هذه الآية بكل وضوح أن صعود الإنسان إلى السماء بالجسد يتنافى مع عهد الله، والإخلاف في وعد الله مستحيل، وهذا الوعد لا استثناء فيه. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٨)

وقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾، الذي يُثبت أن الإنسان لا يمكنه العيش ولا الموت خارج الكرة الأرضية. كما أن اسم عيسى عليه السلام "المسيح" أي النبي السائح، يدل على موته؛ لأن السياحة في الأرض تقتضي أن يبقى على الأرض بعد النجاة من الصلب، وإلا لا يثبت أنه قام بسياحة في زمن غير الزمن الذي ساح فيه البلاد بعد النجاة من الصلب. لأن زمن النبوة كان ثلاث سنوات وستة أشهر فقط قبل تعليقه على الصليب، وهذا الزمن أقصر من أن يؤدي فيه مهمة التبليغ، دع عنك سياحة البلاد. كذلك وصفة "مرهم عيسى" المذكور في ألف كتابٍ طبي تقريبا تُثبت أن عيسى عليه السلام لم يُصعد إلى السماء عند حادثة الصلب، بل ظل يعالج جروحه بهذا المرهم، مما يستنتج منه أنه أقام على الأرض ومات على الأرض. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٧٣)

لقد مات المسيح ابن مريم ﷺ بعد قضاء حياته المادية على الأرض بحسب الآية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾. يتبين من ست عشرة آية قرآنية وكثير من الأحاديث الواردة في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح، أن الذين يموتون لا يُرسلون إلى الدنيا للسكن والعيش فيها مرة ثانية. كما لا تصيب أحدا موتتان على وجه الحقيقة والواقع، ولا يوجد في القرآن الكريم قانونٌ توريثٍ للعائدين إلى الدنيا بعد الموت (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٣، ص ٦٠٢)

"وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾، فخصص حياة الناس بالأرض كما خصص موتهم بالثرى. أتتركون كلام الله وشهادة نبيه وتتبعون أقوالاً آخر أخرى بُس للظالمين بدلاً! أيها الناس! قد أعثرتني الله على هذا السر وعلمني ما لم تعلموا، وأرسلني إليكم حكماً عدلاً، لأكشف عليكم ما كان عليكم مستتراً. فلا تماروا ولا تجادلوا". (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٣٣-٤٣٤)

ستعيشون في الأرض فقط. انظروا الآن، إذا قضى أحد جزءاً من حياته في السماء لاستلزم ذلك تكذيب هذه الآية. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٩٠-٩١)

لو سلّمنا بأن المسيح ﷺ قد صعد بجسمه المادي إلى السماء فكيف تصح آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨)، التي تعني أن النصارى ضلُّوا بعد وفاة المسيح ﷺ، وأنهم لم يضلوا ما دام المسيح حياً. ثم كيف تفسر آية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾؟ أفليس من الناس من يعيش في السماء منذ ثمانية عشر قرناً بحسب زعم معارضينا؟ فإذا كان المسيح إنساناً فحياته في السماء على مدى هذه المدة الطويلة تؤدي إلى بطلان هذه الآية والعياذ بالله. أما إذا لم يكن إنساناً في نظر معارضينا بل هو إله فهذه العقيدة لا يستقيم إسلامهم. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٩-٣١٠)

بعض الأغبياء يقولون إن من عقائد أهل الإسلام أن إلياس والخضر حيَّان على الأرض وإدريس في السماء، لكنهم لا يعلمون أن العلماء الباحثين لا يعدّونهم أحياء، لأن في حديث البخاري ومسلم قال النبي ﷺ: "أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ" (المشكاة، رواه مسلم). فالذي يعد الخضر وإلياس حيَّين فهو يكذب قسَم النبي ﷺ وإذا حسبنا إدريس حيا في السماء فلا بد من الإيمان بأنه سيموت أيضا في السماء لأن بعثته الثانية إلى الأرض غير ثابتة من النصوص، كما أن وفاته في السماء تنافي ﴿فِيهَا تَمُوتُونَ﴾. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٩٨-٩٩، الحاشية)

ثبت الموت من آية ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾، ثم ثبت الموت من آية القرآن الكريم ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (البقرة: ٣٧)، فقد ثبت من هاتين الآيتين أنه لا يمكن أن يستقر الإنسان بحياة جسمانية في السماء. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٨٥)

"اعلم أن وفاة عيسى ﷺ ثابت بالنصوص القطعية اليقينية، وإن تطلب الثبوت من القرآن فتجد فيه آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زِينَتَكَ﴾ (آل عمران: ٥٦)، وآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨)، وآية: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة: ٧٦)، وآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وآية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾. وهذه الآية الأخيرة تدل بمنطوقها على أن بني آدم يحيون في الأرض خاصة ولا يصعدون إلى السماء بجسمهم العنصري، لأن لفظ ﴿فِيهَا﴾ الذي هو مقدّم على لفظ ﴿تَحْيَوْنَ﴾ يوجب تخصيص الحياة بالأرض ويُقيّد بها، وفيه ردٌّ على الذين يقولون: لم لا يجوز أن يُرْفَعَ أحد بجسمه العنصري إلى السماء ويحيا فيها إلى

مدة أرادها الله؟ والعجب منهم أنهم يفترون علينا ويحسبون كأننا تركنا النصوص القرآنية في رفع المسيح بجسمه العنصري، فليتدبر العاقل ههنا؛ أنحن تركنا القرآن ونصوصه في هذه العقيدة أم هم كانوا تاركين؟ وقالوا إن الله ﷻ قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٥٩)، ويحتجّون بهذه الآية على رفع جسم المسيح، ولا يتدبرون أن الأمر لو كان كذلك لتعارض الآيتان.. أعني آية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٩) وآية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾. وأنت تعلم أن القرآن منزّه عن التعارض والتخالف، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٣)، فأشار في هذه الآية أن الاختلاف لا يوجد في القرآن، وهو كتاب الله وشأنه أرفع من هذا، وإذا ثبت أن كتاب الله منزّه عن الاختلافات فوجب علينا ألا نختار في تفسيره طريقا يوجب التعارض والتناقض". (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٥٤-٢٥٦، الحاشية)

الصحيح والصحيح تماما والقول الحق هو أن الأجسام توهب حتما ولكن الأجسام المادية تبقى في هذه الدنيا ولا تصعد إلى الأعلى، كما قال النبي ﷺ ردّا على الكفار: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (الإسراء: ٩٤) أي سبحان ربي أن يخلف وعوده التي قطعها من قبل، إن كنتُ إلا بشرا رسولا. لقد استخدمت كلمة "سبحان" للبيان أنه تعالى لا يخلف وعوده. وما هو ذلك الوعد؟ إنما هو: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٧) وكذلك قال ﷻ: ﴿أَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٦)، وقال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾، فلو أمعنا النظر في هذه الآيات بصورة جماعية لتبين بوضوح أن الجسم يحتاج إلى الأكل والشرب لا يصعد إلى السماء. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ٩)

الآية ٢٧: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

"ثم انظر أنه تعالى قال في مقام آخر: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ (الحديد: ٢٦)، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ (الزمر: ٧) ومعلوم أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء، فما عزاها الله إليها إلا إشارة إلى أن العلة الأولى من العلل التي قدّر الله تعالى لخلق تلك الأشياء وتولدها وتكونها تأثيرات فلكية وشمسية وقمرية ونجومية، وأشار ﷻ في هذه الآيات إلى أن الأرض كامرأة والسماء كبعليها، ولا تتم فعل إحداها إلا بالأخرى، فزوجهما حكمةً من عنده وكان الله عليهما حكيماً". (حماسة البشرى، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٨٩)

المراد من النزول هو إظهار العزة والجلال. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠١م، ص ٧)

لقد سمى الله تعالى التقوى "لباساً" في القرآن المجيد فقد ورد فيه: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾. وبذلك أشار إلى أن الزينة الروحانية والحسن الروحاني يتولد من التقوى فقط. والمراد من التقوى أن يراعي الإنسان جميع أمانات الله والعهود الإيمانية، ويراعي أيضاً جميع أمانات المخلوق والعهود بقدر استطاعته، أي يلتزم بأدق جوانبها بكل ما في وسعه. (البراهين الأحمدية، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢١٠)

التقوى هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُعَدَّ لبَّ الشريعة. فلو أردنا بيان الشريعة بإيجاز، فليس لبُّها سوى التقوى. والتقوى مدارج ومراتب كثيرة، ولكن لو تحطّى الإنسان المراحل الابتدائية بمثابرة وإخلاص، لارتقى إلى المدارج العليا نتيجة هذا السداد والطلب الصادق. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)... فيجب على كل فرد من جماعتنا أن يبذل أقصى جهده لسلوك

سبل التقوى، لكي ينال لذة استجابة الدعاء ومتعتها، ويزداد إيماناً على إيمان. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٣٣)

التقوى خلاصة تعاليم كل الصحف المقدسة والتوراة والإنجيل. لقد عبّر القرآن الكريم بهذه الكلمة الواحدة عن مرضاة الله العظيمة ورضاه الكامل. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٢٢، عدد ١٨٩٩/٦/٢٣، ص ٧)

التقوى ترياق فمن استخدمها نجا من السموم كلها. ولكن يجب أن تكون التقوى كاملة. مثل العمل بفرع واحد من التقوى كمثل جائع يأكل حبة واحدة، مع أن أكل حبة وعدم أكلها سيان. كذلك لا يمكن أن يخمد العطش بقطرة ماء واحدة. هذا هو حال التقوى. العمل بفرع واحد منها ليس مدعاة للاعتزاز. التقوى الحقيقية هي التي يقول الله عنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (النحل: ١٣٩)، إن معية الله توحى أن صاحبها تقي. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٩٠٧/٤/٢٥، ص ٨)

إن كنتم تطمحون إلى نيل رحمة الله الكريم مراراً وتكراراً، فاتقوه، وابتعدوا عن كل ما يُسخطه وَعَلَيْكُمْ. لا تُنال التقوى الحقيقية إلا بخشية الله. فاجتهدوا لتكونوا من المتقين. فعندما يُوشك الغافلون عن سبل التقوى على الهلاك، فإن معاصيهم تُهلكهم، ويُنقذ المتقون تقواهم. فمن ظن أنه سينجو بدهائه أو شروره أو خيانتته، فلن يكون له مهرب أبداً. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٧/٩/٢٤، ص ٣)

يجب أن تعلموا أيضاً أن الأدعية لن تُجاب ما لم تتقوا. التقوى نوعان: الأول يتعلق بالعلم والثاني بالعمل. لقد بيّنتُ ما يتعلق بالعلم وقلتُ بأن العلوم الدينية لا تتسنى ولا تنكشف الحقائق والمعارف ما لم تتقوا. أما فيما يتعلق بالعمل فتبقى الصلاة والصوم والعبادات الأخرى ناقصة ما لم تتقوا. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤، ص ١٠)

الآية ٣٠: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

لقد ضعفت حالة الإسلام الظاهرية والمادية أيضا. ولم تعد السلطنة الإسلامية حائزة على القوة والشوكة. ومن حيث الدين أيضا لا يلاحظ نموذج ما عُلِّم به في ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

لقد ضعفت جدا حالة الإسلام داخليا أيضا ويريد المهاجمون من الخارج أن يقضوا عليه، فالمسلمون عندهم أسوأ من الكلاب والخنازير. إنهم يهدفون ويريدون أن يدمروا الإسلام نهائيا ويهلكوا المسلمين.... الآن لا يمكن مواجهتهم بغير كتاب الله وتأييده وآياته المنيرة، ولهذا الغرض أقام الله تعالى هذه الجماعة بيده. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٢)

الأمر الذي يسمى إسلاما قد طرأ عليه الفتور في العصر الراهن، وانتشرت الأخلاق الذميمة كلها، والإخلاص المذكور في ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قد ارتفع إلى السماء. قد انعدم الصدق مع الله والوفاء والإخلاص والحب والتوكل على الله، وقد أراد الله ﷻ الآن أن يحيي هذه القوى من جديد. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٩)

لقد تفاقمت في زماننا هذا الصفات الرذيلة، كالرياء والعُجب والزهو، والكبر والغرور والرعونة وغيرها، وفي المقابل، ارتفعت إلى السماء الصفات الحسنة كقوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. وقد غاب التوكل على الله، وانعدم التفويض إليه. غير أن الله تعالى يريد الآن أن يُعيد بذر هذه القيم. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨/٣/١٩٠٤م، ص ٣)

الإخلاص شرط في الأعمال كما يقول تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. وهذا النوع من الإخلاص يوجد في الأبدال.

فإن أناساً أمثالهم يصبحون أبدالا ولا ييقنون على صلة مع هذا العالم. وتكون كل أعمالهم مبنية على الإخلاص واللياقة... اعلّموا يقينا أن الذين يكون لله يكون الله له. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٦م، ص ٥، و١٧/٦/١٩٠٦م، ص ٣)

طرح شخص سؤالاً: كيف يمكن أن يتصور الإنسان الله عند الصلاة؟ فقال ﷺ: القضية واضحة، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يجب أن يذكر الإنسان الله بإخلاص، ويتأمل في إحساناته بكثرة، ولتتحلّ بالإخلاص والإحسان والرجوع إليه ﷻ بأنه هو الرب والكفيل الوحيد والحقيقي. إن ملخص أصول العبادة أن يقوم الإنسان للصلاة وكأنه يرى الله تعالى، أو كأن الله يراه. عليه أن يتخلى عن الشوائب كلها ويتطهر من الشرك بكل أنواعه، ويفكر في عظمة الله تعالى وربوبيته فقط، ويكثر من الأدعية الماثورة وغيرها، ويتوب ويستغفر كثيراً، ويُقرّر بضعفه مرة بعد أخرى، ليحظى بتزكية النفس، وتنشأ علاقة صادقة مع الله تعالى، فيتفانى في حبه ﷻ. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٨، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٧م، ص ١١)

الآية ٣٢: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

هناك روابط شديدة للغاية بين الحالات الطَّبِيعِيَّة والحالات الأخلاقية والروحانية، حتى إن أسلوب المرء في الأكل والشرب يؤثر أيضاً في حالاته الأخلاقية والروحانية. ولو استخدم الإنسان أحواله الطَّبِيعِيَّة بمقتضى الشريعة لتحولت كل أحواله الطَّبِيعِيَّة أخلاقاً كما تتحول الأشياء في داخل الملح ملحاً، ولأثّرت في روحانيته تأثيراً عميقاً. ومن أجل ذلك اهتم القرآن المجيد أشد الاهتمام برعاية الطهارة الجسدية والآداب الظاهرية والحركات الجسدية في سائر العبادات وفي جميع الفرائض التي كان القصد منها إخضاع النفس وتزكية الباطن.

وإذا أمعنا النظر تبين لنا أن الفلسفة الصحيحة الصائبة للغاية هي أن للأوضاع الجسمانية تأثيراً قوياً في الروح. فنرى أن أفعالنا الطَّبْعِيَّة، وإن كانت جسمانية، لها أثراً محسوساً في حالاتنا النفسية والروحانية يقينا. فالعين مثلاً إذا أخذت في البكاء ولو تصنعاً.. فلا بد أن تنبعث من الدموع لوعة تسري إلى القلب، يخضع لها ويكتئب. وكذلك لو ضحكنا - وإن يكن تكلفاً - اكتسب الفؤاد فرحاً وانبساطاً. وكذلك نرى أن السجود الجسماني يولد في نفس الساجد حالة من التضرع والخشوع. كما نشاهد بالعكس أنه لو مشى الإنسان رافعاً رأسه مبرزاً صدره، فمشيته هذه تولد في نفسه كبرا وغطرسة. ومن هذه الأمثلة يتبين تماماً أن للأوضاع الجسمانية أثراً في الحالات النفسية والروحانية من دون ريب.

كذلك تثبت لنا التجارب أن الأغذية المتنوعة تؤثر أيضاً في الوظائف الفكرية والقوى النفسية دون شك. انظروا مثلاً إلى الذين لا يأكلون اللحوم أبداً.. كيف تضمحل فيهم قوة الشجاعة شيئاً فشيئاً حتى إنهم يصبحون جبناً للغاية، وهكذا يفقدون قوة محمودة هي إحدى مواهب الرحمن! ونجد على ذلك شاهداً آخر من السنة الإلهية الجارية في الحيوانات التي تقتات على الأعشاب، إذ لا يوجد من بينها حيوان واحد له مثلاً شجاعة الحيوان الذي يتغذى باللحوم. وهذا هو المشاهد أيضاً في الطيور. فلا شك إذاً أن الأغذية تؤثر في الأخلاق تأثيراً عظيماً.

أجل.. إن الذين يُغَرِّمون باللحوم ليل نهار، ولا يتناولون من الأغذية النباتية إلا قليلاً جداً، يتضاءل فيهم خلق الحلم والتواضع. أما الذين يتخذون طريقاً وسطاً بينهما فيكسبون كلا الخلقين. ولهذه الحكمة نفسها أمرنا الله تعالى بقوله ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي كُلُوا من اللحوم ومن الأغذية الأخرى أيضاً، ولا تُفَرِّطُوا في شيء مما تأكلون، لئلا تتضرر أخلاقكم من هذا الإفراط، ولا تتضرر به صحتكم أيضاً.

وكما أن الأفعال الجسمانية تؤثر في الروح، كذلك فإن للروح تأثيراً يثبت في الجسد أيضاً في بعض الأحيان. فمن أصابه الغم اغرورقت عيناه بالدموع، ومن أحس بالسُرور افترّ مبسمه. إن جميع أفعالنا الطَّبعية الضرورية - كالأكل والشرب والنوم واليقظة والحركة والسكون والاعتسَال وغيرها - تؤثر في حالاتنا الروحانية. ثمّة رابطة محكمة بين تكويننا الجسماني وتركيبنا النفسي، إذ تذهب الذاكرة فجأة عند إصابة مركزها في الدماغ، وقد يغيب الإنسان عن الوعي والحس تماماً بإصابة المركز الحسي في الدماغ. وكذلك ترون أن نَسمة من الهواء السام الموبوء سرعان ما تؤثر في الجسد، وتنتقل منه إلى القلب، فلا يلبث أن يحتل النظام النفسي الذي به قوام الأخلاق كلها، حتى يصبح الإنسان كالمختبط الذي مسه الجنون، فما يلبث أن يفرط في بضع دقائق. فالإصابات الجسمانية تُرينا مَشهداً عجيباً يُثبت أن بين الروح والجسد علاقة ليس في وسع الإنسان أن يكشف سِرّها المكنون. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣١٩-٣٢١)

لقد أمر الله المؤمنين: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾... إن كلمة "كلوا" صيغة الأمر، فعندما يعمل به المؤمن عادداً إياه أمراً ينال ثواباً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٩)

أي كُلُوا من اللحوم ومن الأغذية الأخرى أيضاً، ولا تُفَرطوا في شيء مما تأكلون. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦-٣٣٧)

كانت منة الله عليهم (أي على العرب) وعلى العالم كله أن حدد المبادئ للمحافظة على الصحة. وقد قال أيضاً: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، أي كلوا واشربوا ولا تُكثروا الطعام والشراب كيفاً أو كمّاً في غير المحل. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية المجلد ١٤، ص ٣٣٢)

الآية ٣٤: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

أقول بتحدٍ إن الإنجيل يخلو من هذا التعليم الرائع أيضا، حيث لم يذكر ذنب كل الأعضاء بتمييز بين العزيمة والأفكار ولم يكن ممكنا أن يكون هذا التعليم في الإنجيل، لأن هذا التعليم لطيف جدا ومبني على مبادئ الحكمة، وإن الإنجيل مجموعة أفكار سطحية بدأ ينفر منها الآن كل باحث. (نور القرآن، رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، رقم ٢، ص ٤٢٨)

الآية ٣٦: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

من الضروري لكون المرء تقيا أن يعزم على اجتناب كبائر الذنوب مثل الزنا والسرقة وغصب الحقوق والرياء والعجب والتحقير والبخل ويهجرها نهائيا ويحتب الأخلاق الرذيلة كلها، ويتقدم مقابلها في التخلق بالأخلاق النبيلة، وينبغي أن يلتقي بالناس بدمائة وحسن خلق ومواساة، ويؤدي الوفاء الحق والصدق لله ﷻ ويبحث عن مقام محمود في الخدمات، فبهذه الأمور يسمى المرء تقيا. والذين يجمعون هذه الأمور في نفوسهم هم المتقون في الحقيقة، (أي إذا كان أحد يتصف بإحدى هذه الأخلاق واتصف غيره بأخرى فلن يسمى متقيا ما لم تجتمع فيه هذه الأخلاق الفاضلة كلها) وبحقهم جاء: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٣) ماذا يريدون بعد ذلك؟ إذ يكون الله ﷻ وليا لأمثال هؤلاء كما قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٧) فقد ورد في الحديث أن الله يصبح أيديهم التي يَبْطِشُونَ بِهَا وَأَبْصَارُهُمُ الَّتِي يُبْصِرُونَ بِهَا وَأَذَانُهُمُ الَّتِي يَسْمَعُونَ بِهَا وَأَرْجُلُهُمُ الَّتِي يَمْشُونَ بِهَا. وفي حديث آخر: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب". وفي موضع آخر قال

وَعَلَّكَ: عندما يهاجم أحدٌ وليَّ الله فإن الله يصول عليه كما تصول اللبوة إذا أخذ أحدٌ شبلها. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤، عدد ١٣/٢/١٩٠٣ م، ص ٢٨)

الآية ٣٨: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاْفِرِينَ﴾

يقول الله تعالى إن المفتري على الله أكبر الكافرين: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي إن أكبر الكافرين نوعان، الأول: من يفترى على الله، والثاني: من يكذب كلام الله. فأنا على زعم المكذب مفترٍ على الله، وبالتالي أنا كافر بل أكبر الكافرين. وإن لم أكن مفترياً فسيعود الكفر عليه حتماً. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٧، الحاشية)

المراد من الظالم هنا الكافر. والقرينة الدالة على ذلك أن الله تعالى ذكر مكذب كلام الله مقابل المفتري. ومما لا شك فيه أن الذي يكذب بكلام الله، كافر. فالذي لا يؤمن بي ويعدني مفترياً ويكفّرني يصبح كافراً تلقائياً بتكفيره إياي. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٧، الحاشية)

الآية ٤١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾

هناك طريقة أخرى ثابتة من القرآن الكريم لذهاب الأرواح وعودتها وهي أن أبواب السماء لا تفتح لأرواح السيئين، فيُردّون إلى الأرض مرة أخرى، فقد قال الله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٠٨، الحاشية)

جميع المؤمنين والرسل والأنبياء يُرفعون روحانيًا بعد الموت، أما الكافر فلا يتمتع بالرفع الروحاني، فإلى ذلك تشير آية ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٣٧)

أما الكفار فقد جاء في حقهم: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لا يُرفعون. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٥٥)

لا يعتقد اليهود مطلقاً أن الذي لا يصعد إلى السماء بجسده المادي ليس مؤمناً، بل ما زالوا يؤكدون إلى اليوم أن الذي لم يُرفع روحانياً ولم تُفتح له أبواب السماء لا يكون مؤمناً. وهذا ما يقوله القرآن الكريم أيضاً: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لا تُفتح أبواب السماء للكافرين. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٠)

فليكن معلوماً أننا لا نؤمن قط بوجود عيسى في السماء بروح بلا جسد، بل نؤمن أنه موجود هناك مع الجسد، والفرق هو أن هؤلاء يعدّون ذلك الجسد جسداً مادياً بينما أنا أقول بأنه الجسد نفسه الذي أعطيه الرسل الآخرون. يقول الله تعالى عن أصحاب الجحيم: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ ويقول عن المؤمنين: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥١) إذن، إن كلمة "لهم" في هاتين الآيتين تقتضي الأجساد، فهل يذهب هؤلاء جميعاً بالجسد المادي؟ كلا، بل تكون الأجساد موجودة ولكنها أجساد تُوهب بعد الممات. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٨٩)

إن اعتقاد المسلمين واليهود المتفق عليه والمسلم به هو أن عباد الله الصالحين يحظون بعد الموت بالرفع الروحاني وهذا الذي يجدر بالعظمة، فهم لا يؤمنون بالرفع المادي كما أنه ليس فيه أي فضيلة. فقد بيّن القرآن الكريم هذا المبدأ حصراً في قوله ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥١) أي أن الله ﷻ يفتح أبواب رحمته السماوية للمتقين والورعين في نظره وهو يرفعهم روحانيًا بعد الموت، أما الذين هم مقابلهم من الخبيثين والبعيد عن الله، والذين لا تكون لهم أي علاقة بإخلاص وصدق معه

﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠، عدد ٢٢/٣/١٩٠٨ م، ص ٢)

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، المفسرون ترجموا هذه الآية حرفياً. أما أنا فأقول: إن طالب النجاة يجب أن يُنَحِّفَ نفسه الطليقة المتحررة بالمجاهدات في سبيل الله، حتى تتمكن من الدخول في سمّ الخياط. فما دامت النفس قد سمنت بالملذات المادية والمتع والشهوات فلا يسعها الدخول في الجنة عن طريق السبيل الطاهرة للشريعة. أوردوا الفناء على الملذات المادية وانحفوا بخوف الله وخشيته، وعندها يمكنكم الدخول. وهذا الدخول سوف يتسبب في دخولكم الجنة ويُكسبكم النجاة في الآخرة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣ م، ص ١٤)

الشريعة أَقَرَّتْ بطرفين؛ أحدهما إلى الله وهو أعلى ومنتهاه العرش، والثاني إلى الشيطان وهو سافل جدا وينتهي إلى الثرى. غاية القول أن الشرائع الثلاثة اتفقت على المسألة أن المؤمن يذهب إلى الله بعد الموت وتفتح له أبواب السماء كما تشهد عليه آية ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الفجر: ٢٩)، أما الكافر فإلى الأسفل وهو طرف الشيطان كما تشهد على ذلك آية ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾، فالذهاب إلى الله يسمى الرفع، أما الذهاب إلى الشيطان فيسمى اللعنة، فهاتان الكلمتان متضادتان. إن السفهاء لم يفهموا هذه الحقيقة، إذ لم يفكروا أنه إذا كان الرفع يعني الرفع بالجسم فأبي كلمة تقابلها كما تقابل اللعنة الرفع الروحاني؟ (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٠٨-١٠٩)

الآية ٤٤: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

مذهب الشيعة هو أن الصحابة رضي الله عنهم كانت بينهم عداوة شديدة، وهذا القول باطل، وقد فنده الله تعالى في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. بين الأقارب أيضا تكون العداوة أحيانا، ولكنهم يجتمعون بمناسبة الزيجات أو الوفيات. الأخيار لا تكون بينهم عداوة دموية أبدا. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١م، ص ٨)

يمكن أن تمحّصوا الأمر بالنظر إلى الذين أبدوا الصدق في سبيل الله ورسوله. النزاعات العائلية إنما هي أمور داخلية ولا يمكن أن تؤثر على الصحابة. يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٨). هذه نبوءة أنه ستكون هناك خصومات متبادلة في المستقبل ولكننا سننزع "الغل" من صدورهم، وسيجلسون على سُررٍ إخوانا. فاسألوا الشيعة الآن هل كانت هناك أية عداوة في زمن النبي ﷺ، وإن كانت على سبيل الافتراض لكان من المفروض أن يصلح النبي ﷺ بينهم. بل كان مقدرا أن يحدث ذلك في المستقبل، وإلا لكان ذلك مدعاة للاعتراض على النبي ﷺ أنه سعى لإصلاح ذات بينهم ولكنه لم ينجح.

وهذا الأمر هو دليل قوي ضد الشيعة. إنهم يذكرون شخصين اثنين كانا بعد النبي ﷺ. أما نحن فنقول بأن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وليس على عليّ عليه السلام أو غيره. وإن قلتم بأن "الغل" كان موجودا في ذلك الوقت فهذا يعني أن الصحابة كانوا قساة القلب والعياذ بالله لدرجة أن النبي ﷺ نصحهم مرارا وتكرارا ولكن لم يستجب له أحد. كيف يمكن ذلك؟ هذه إساءة كبيرة.

من هنا يتبين أن هذا نأ يتعلق بالمستقبل، ولكنه ليس بشيء يُذكر عند الله تعالى، لذلك قال تعالى ألا تنظروا إلى الخلافات، فإنما هي خلافات بشرية

عادية وسوف نجعلهم إخوة. وقد أنبأ الله تعالى بنفسه أن هذا سيحدث وسوف ينشأ شجارٌ فيما بينهم. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩٠٢م، ص ١٥)
 "وقد جرت سُنَّتُهُ أنه يقضي بين الصالحين على طريق لا يقضي عليه قضايا الفاسقين، فإنهم كلُّهم أحباؤه وكلهم من المحبين المقبولين، ولأجل ذلك أخبرنا ربنا عن مآل نزاعهم وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٨)، هذا هو الأصل الصحيح، والحق الصريح".
 (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٤٧-٣٤٨)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾. أي جميع المحامد جديرة بذلك الإله الذي وفقنا لدخول الجنة بنفسه، لم نكن لنهتدي بأنفسنا إلى الهدف المقصود لو لا يهدي الله لنا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٦٩، الحاشية رقم ١١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ... هو الله الذي وفقنا لكسب الأعمال لدخول الجنة، فقد وفقنا للإيمان والأعمال الصالحة، وطهر قلوبنا، وما كان بوسعنا أن نصل إلى هذه الدرجة لولا أن هدانا. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢١١-٢١٢)

الْحَمْدُ كُلُّهُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدَارِ السَّلَامِ وَمَنْ كُنَّا أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَيْهَا لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ١٢/٢٤/١٩٠٢م، ص ٥)

الآية: ٥٣: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

هو (القرآن الكريم كتاب مفصل) ... أين ذكرت للأحاديث هذه العظيمة والمحسن التي ذكرت للقرآن الكريم؟

فليس مذهبي كأصحاب المذهب الطبيعي الضالين حتى أرجح العقل وأنقد ما قاله الله ورسوله. إنني أرى الطاعنين مثلهم ملحدين وخارجين عن دائرة الإسلام. بل إنني أؤمن بكل ما بلغنا النبي الأكرم ﷺ من الله تعالى، غير أنني أقول بكل تواضع إن القرآن الكريم مقدّم على الأحاديث من كل الوجوه، وهو محك لاختبار صحة الأحاديث أو عدمها. ولقد أمرني الله تعالى بنشر القرآن الكريم لكي أكشف للناس منطوقه بدقة متناهية. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤ ص ٣٠، الحاشية)

الآية ٥٥: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

كلّما استُخدمت في القرآن الكريم كلمة "عرش" كان المراد منه عظمة الله وجبروته وسمّوه. لذلك لم يُصنّفه ﷺ في عداد المخلوقات. وهناك أربعة مظاهر لعظمة الله وجبروته التي تُعدّ أربعة آلهة بحسب الفيدا - وتسمّى الملائكة أيضا في مصطلح القرآن الكريم - وهي: السماء التي تسمّى "إندر" أيضا. ثم الإلهة الشمس، والقمر والأرض. فهذه الآلهة الأربعة كما ذكرْتُ في هذا الكتاب، تحمل صفات الله الأربع التي هي المظاهر الأتم لجبروت الله وعظمته والتي تسمّى العرش بتعبير آخر، أي تُجليها على العالم. ولا حاجة إلى شرح أكثر إذ قد بيّناها بالتفصيل آنفا. وقد ورد في القرآن الكريم أن للملائكة ثلاثة أنواع:

(١) ذرات الأجسام الأرضية وقوى الأرواح.

(٢) قوى السماء والشمس والقمر والأرض التي تعمل باستمرار.

(٣) القوى العليا فوقها التي تسمى جبريل وميكائيل وعزرائيل وغيرهم وقد سُمّيت

"جم" في الفيدا. ولكن المراد من الملائكة هنا هي الآلهة الأربعة، أي السماء والشمس وغيرهما التي تحمل صفات الله الأربع. وقد سُمّيت هذه الصفات نفسها "العرش"

بتعبير آخر. يعترف الفيدا أيضا بهذه الفلسفة، ولكن ما أغرب علماء الفيدات هؤلاء الذين ينكرون أيضا مسألة هم متمسكون بها!

باختصار، إن آلهة الفيدا الأربعة هذه، أي السماء والشمس والقمر والأرض، تحمل عرش الله أي صفته الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الدين. كلمة "الملائكة" الواردة في القرآن الكريم تفيد العموم؛ فكل ما يخضع لأمر الله هو ملاكه. إذًا، كل ذرة في العالم ملاك الله لأنها تخضع لأمره وتطيعه. وإذا لم تكن كل ذرة من ذرات العالم خاضعة لأمره ﷻ فكيف خلق الله أجرام الأرض والسماء؟ هذه الاستعارة التي ذكرتها توجد في كلام الله استعارات كثيرة مثلها وتحتوي على علم لطيف ودقيق وحكمة دقيقة جدا. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٥٥-٤٥٧)

فليكن واضحا الآن أن الله تعالى عَدَّ في هذه السورة هذه الصفات الأربع مظهرًا أتمَّ لألوهيته. وقد استنتج من هذا الذكر فقط أن الإله الذي يملك هذه الصفات الأربع هو وحده يستحق العبادة. والحق أن هذه الصفات الأربع كاملة من كل الوجوه وتحيط بكافة مقتضيات الألوهية وشروطها إحاطة الدائرة لأنها تتضمن ذكر صفات الله الابتدائية، وتشمل الرحمانية والرحيمية في الزمن الأوسط أيضا، ثم ذكرت صفة المجازاة أيضا للزمن الأخير. والحق أنه ليس هناك فعل من أفعال الله تعالى يخرج عن نطاق هذه الصفات الأربع مبدئيًا. فهذه الصفات الأربع تُري صورة الله كاملة. إن معنى "استوى على العرش" حقيقةً هو أنه عندما تجلّت هذه الصفات الإلهية بعد خلقه العالم، استوى الله على العرش؛ بمعنى أنه لم تبق صفة من صفاته خارج مقتضى الألوهية بل تجلّت الصفات كلها بالتمام والكمال. كما عندما يجلس الملك على عرشه تتجلّى شوكته بالكامل. فمن ناحية يصدر الأمر بإعداد أسباب متنوعة لسد الحاجات الملكية، فتتم على جناح السرعة -وهذه هي الربوبية العامة- ومن ناحية ثانية يُعنى الحضور كلهم بالجود والسخاء نتيجة الفيض الملكي دون أي عمل

منهم. ومن ناحية ثالثة يُرَوَّد القائمون بالخدمة بأساليب وأشياء مناسبة لإتمام خدماتهم. ومن ناحية رابعة يُفتح باب الثواب والعقاب، فيضرب عنقُ أحد ويعتق غيره. فهذه الصفات الأربع تستلزم الاستواء على العرش دائما. فإن تنفيذ الله تعالى هذه الصفات الأربعة في العالم هو المراد من الاستواء على العرش.

أما السؤال: ما معنى حمل أربعة ملائكة العرش؟ فجوابه أن هناك أربعة ملائكة موكلون بهذه الصفات الأربع ويظهرونها في العالم. وتحت إمرتهم تعمل أربعة نجوم تسمى "أربابُ النوع الأربعة" وقد سُميت في الفيدا باسم الآلهة. فهم ينشرون حقيقة هذه الصفات الأربعة في العالم وكأنهم يحملون هذا العرش الروحاني. كان الوثنيون يعتقدون بكل وضوح كما يتبين من الفيدا بأن هذه الصفات الأربع يملكها الآلهة بشكل دائم، لذلك جاء فيه مدحها والثناء عليها بكثرة وطُلب منها تحقيق المراتب. فقد وضح الله تعالى على سبيل الاستعارة أن هذه الآلهة الأربعة التي يحسبها الوثنيون معبودا لهم ليست مخدومة بل هي خادمة وتحمل عرش الله تعالى، أي تُظهر كالخدام صفات الله تعالى هذه من خلال مرآتها. والمراد من العرش هو مستلزمات صفات الاستواء على العرش كما بيّنت من قبل. (نسيم الدعوة، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٥٥-٤٥٨، الحاشية)

لذا بيّن القرآن الكريم من ناحية أن الله تعالى علاقة متينة مع المخلوق وهو بمنزلة الحياة لكل ذي نفس منفوسة وكل وجود قائم بسنده. ثم قال أيضا- للإنقاذ من الظن الخاطئ ألا يزعم أحد أن الإنسان عينه نظرا إلى علاقته مع الإنسان، كما يزعم أتباع الفيدانت^١ - بأنه تعالى أعلى وأسمى من الجميع ويحتل بالمقارنة مع المخلوق

^١ يعتبر الفيدانت من الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس. وهو أصغر حجماً، وأكثر تأثيراً على الفكر الهندي الفلسفي والصوفي من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسية، وهذا الكتاب يقال له أيضا: "برهما سوتر". (المترجم)

مقام وراء وراء الذي يسمَّى العرش في مصطلح الشرع. والعرش ليس بشيء مخلوق بل هو اسم لمرتبة وراء وراء فقط. فهو ليس عرشا ماديا لِيُتَصَوَّرَ أن الله جالس عليه كما يجلس الإنسان. بل العرش مقام التنزه والتقديس بعيدا جدا عن المخلوق كما ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى أنشأ علاقة الخالق والمخلوق مع الجميع ثم استوى على العرش. أي ظل منفصلا بعد إنشاء كل هذه العلاقات أيضا ولم يختلط مع الخلق.

باختصار، إن كون الله مع الإنسان وكونه محيطا بالأشياء إنما هي صفة تشبيهية، وقد ذكر الله هذه الصفة في القرآن الكريم ليثبت للإنسان قربه. وأما كون الله وراء وراء من الخلق وكونه الأرفع والأعلى والأبعد وعلى مقام التنزه والتقديس الذي يسمو على كونه مخلوقاً؛ ويُدعى بالعرش، فهذه الصفة إنما هي صفة "تنزيهية". وقد ذكر الله هذه الصفة في القرآن الكريم ليثبت توحيده وأنه واحد لا شريك له، وأنه منزّه عن صفات المخلوقات. أما الأمم الأخرى فقد نعتوه ﷻ إما بصفة تنزيهية، أي وصفوه "بِرُغْنٍ" (أي وجود دون أية صفة) أو عدّوه "سَرْعُنَ" (أي وجود متصف بكل صفة) وشبّهوه كأنه عين المخلوقات تماما ولم يجمعوا هاتين الصفتين. ولكن الله تعالى أظهر في القرآن الكريم وجهه في مرآة هاتين الصفتين، وهذا هو كمال التوحيد. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٨-٩٩)

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٥) أي خلق الله تعالى أولا الأجرام السماوية والأرضية كلها في ستة أيام (المراد من ستة أيام هو زمن طويل) ثم استوى على العرش أي استقرّ على مقام التنزه. اعلّموا أن المصدر "استواء" عندما يُستعمل مع حرف الجر "على" يفيد استقرار الشيء على مقام يناسبه تماما، كذلك هناك آية أخرى في القرآن الكريم: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ (هود: ٤٥) أي استقرت سفينة نوح بعد الطوفان على مقام كان يناسبها من حيث النزول على الأرض. فمن هذا المنطلق أُختيرت

كلمة "الاستواء" بحق الله، أي استوى الله تعالى على مقام هو وراء وراء ومناسب تماما لتنزهه وقديسيته. ولأن مقام التنزه والقدسية يقتضي فناء كل شيء سوى الله تعالى، ففي ذلك إشارة إلى أنه كما أن الله تعالى يخلق الخلق بمقتضى صفة خالقيته، كذلك يمحو أيضا آثار وجودهم كلها بمقتضى تنزهه ووحدانيته.

إذن، الاستواء على العرش إشارة إلى مقام التنزه حتى لا يتم الخلط بين الله وخلق. فأتى يثبت أن الله محدود وكالمقيدين على العرش أي في ذلك المقام وراء وراء؟ لقد ذكر في القرآن الكريم بكثرة أنه ﷻ حاضر وموجود في كل مكان. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١١٩)

ثم اعترض المحاضر على القرآن الكريم أنه قد ورد فيه أن الله جالس على كرسي على العرش. لقد رددت بالتفصيل على هذا الاعتراض اللغو من قبل بما يتلخص في أن الله ﷻ بين في القرآن الحكيم صفاته بطريقتين لئتيح لعباده الضعفاء إدراك معرفته الكاملة. الأول: بينها بصورة تشابه بها صفاته صفات المخلوق على سبيل الاستعارة، فإنه كريم ورحيم ومحسن، ويغضب ويحب أيضا، وله أيد وعيون وساقان وأذنان، وأن سلسلة المخلوق ظلت جارية معه منذ القدم، ولكن لا يحظى شيء بقدّم ذاتي مقابله غير أن القدم النوعي حاصل وذلك لا يستلزم صفة الله "الخلق" لأنه كما أن من صفاته الخلق كذلك إن تجلي الوحدة والتجرد في زمن من الأزمان أيضا من صفاته. لا يجوز أن تتعطل أية صفة من صفاته تعطلا دائما غير أن التعطل المؤقت جائز.

فلما خلق الله الإنسان وكشف عليه صفاته التشبيهية التي يشاركه فيها الإنسان في بادئ الرأي، ككونه خالقا، لأن الإنسان أيضا خالق بعض الأشياء أي تخترعها في نطاق سعته، كذلك يمكن القول إن الإنسان كريم لأنه يتصف بصفة الكرم إلى حده المحدود، وكذلك يمكن أن نصفه بالرحيم، لأن فيه صفة الرحم أيضا إلى حده

المحدود، كما توجد فيه قوة الغضب، كما أن الإنسان مزود بالسمع والبصر وغيرهما. ولما كان من الممكن أن تثير هذه الصفات التشبيهية شبهةً في نفوس البعض بأن الإنسان يشبه الله ﷻ في هذه الصفات وأن الله تعالى يشبه الإنسان، لذلك ذكر الله في القرآن الكريم، إلى جانب هذه الصفات التشبيهية، صفاته التنزيهية أيضاً، أي الصفات التي يثبت منها أن الله تعالى لا يشارك الإنسان بشيء في ذاته ولا في صفاته، كما أن الإنسان لا يشاركه فيها شيئاً، أي ليس خلقه تعالى كخلق الإنسان، وليست رحمته كرحمة الإنسان، ولا غضبه كغضب الإنسان، ولا حبه تعالى كحب الإنسان، ولا هو بحاجة إلى مكانٍ كمثل الإنسان....

ثم يقول تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾... أي خلق السماوات والأرض وما فيهما وتجلّى بالصفات التشبيهية، ثم لإثبات الصفات التنزيهية توجه إلى مقام التنزه والتجرد الذي هو وراء وراء وأبعد عن المخلوق، وهو المقام الأعلى الذي يُسمّى بالعرش. وتفصيل ذلك أن المخلوقات كلها كانت في حيزِ العدم من قبل وكان الله تعالى يتجلّى بتجلياته في مقام وراء وراء الذي هو العرش، أي المقام الذي هو أعلى وأسمى من كل عالم وكانت تجلياته وظله هو الموجود فقط، ولم يكن شيء موجوداً سوى ذاته ﷻ. ثم خلق السماوات والأرض وما بينهما، وحين ظهر الخلق للعيان أخفى نفسه وأحب أن يُعرف بواسطة المخلوقات. ولكن الجدير بالذكر أن صفات الله تعالى لا تتعطل بوجه دائم مطلقاً وليس لشيء سوى الله قِدمٌ ذاتي غير أن قِدماً نوعياً للأشياء ضروري. ولا يطرأ تعطلٌ دائم على صفة من صفاته ﷻ غير أن التعطل المؤقت ضروري. ولأن صفة الإيجاد والإفناء صفتان متضاربتان، لذا عندما تأتي مرحلة صفة الإفناء الكاملة تتعطل صفة الإيجاد إلى ميعاد معين.

فخلاصة الكلام أن في أول الأمر كانت فترة ظهور صفة وحدانية الله ﷻ وحدها، وليس لنا أن نحدد كم مرة تجلّت هذه الفترة بل تلك الفترة أزلية وغير متناهية. على كل حال إن فترة صفة الوحدانية سابقة في التجلي على سائر الصفات الأخرى من حيث الزمن، وعلى هذا الأساس يقال إنه تعالى كان في أول الأمر وحده ولم يكن معه شيء، ثم خلق الأرض والسماء وما فيهما، وبناء على هذه العلاقة أظهر أسماءه الحسنى؛ مثل الكريم والرحيم والغفور وقابل التوب، لكن الذي يصرّ على المعاصي ولا يرتدع عنها فلا يتركه من دون عذاب. ومن أسمائه التي تجلّى بها أنه يحب التوابين، ولا يثور غضبه إلا على الذين لا يكفّون عن الظلم والشر والمعصية. وقد ذكر صفاته هذه في كتابه أنه يرى ويسمع ويحب ويغضب، وقد ذكر يده وقدمه وعينه وأذنه أيضاً، ولكن إلى جانب ذلك قال أيضاً بأن رؤيته ليست كرؤية الإنسان وسمعه ليس كسمع الإنسان وحبّه ليس كحب البشر وغضبه أيضاً ليس كغضب الإنسان وأيديه وأقدامه وعينه وأذنه ليست كجوارح الخلق بل هو عديم النظير في كل شيء. وقد بيّن مراراً أن صفاته هذه كلها تليق بذاته، وليست كمثّل صفات الإنسان؛ فليست عينه وغيرها من الأعضاء جسمانية، ولا تشبه صفة من صفاته أية صفة من صفات الإنسان. فنرى مثلاً أن الإنسان عندما يغضب يعاني هو نفسه أولاً من ثورة الغضب فلا يلبث أن يغيب سروره فوراً في حالة الثورة والغضب، وتنشأ في قلبه حرقّة نوعاً ما، ويعلو عقله مادة سوداوية، ويطرأ عليه نوع تغير، لكن الله تعالى بريء من كل هذه التغيرات. إن غضبه يعني أنه يرفع عن الشرير المتعنت ظلّ تأييده، ويعامله طبق نوااميس قديمة لقدرته معاملة إنسان غاضب، فيُسمى عمله هذا غضباً على وجه الاستعارة والمجاز. كذلك حبه ﷻ ليس كحب الإنسان؛ لأن الإنسان يعاني عند شدّة الحبّ أيضاً، وتتألم نفسه بفراق حبيبه وهجرانه، لكن الله ﷻ بريء من هذه الآلام. كذلك قربه ليس كقرب الإنسان، لأن مقارنة الإنسان غيره تقتضي مغادرته مقامه الأول، ولكن الله تعالى بعيد مع

قربه وقريب مع بُعد. باختصار، كل صفة من صفاته تعالى مغايرة لصفات الإنسان، ولا مشاركة بينهما إلا باللفظ فقط وليس أكثر من ذلك، لذلك يقول الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١٢). أي ليس له مثل في ذاته ولا في صفاته.

فليكن واضحاً الآن للقراء العادلين أن الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ تشير إلى الأمر نفسه، أي خلق الله تعالى كل شيء في ستة أيام ثم توجه إلى مقامه الذي هو وراء وراء واستوى على العرش. لقد كتبت من قبل أيضاً أن المراد من العرش في القرآن هو المقام الأعلى من المرتبة التشبيهية وأعلى من كل عالم والخفي تماماً ومقام القدس والتنزه، فهو ليس مقاما مصنوعاً من الحجارة أو اللين أو من شيء آخر يجلس الله عليه. فلذا يُعدّ العرش غير مخلوق. فكما يقول الله تعالى بأنه يتجلى على قلب المؤمن أحياناً، كذلك يقول بأنه يتجلى على العرش ويقول بكل جلاء بأنه يحمل كل شيء ولم يقل في أي مكان بأن شيئاً ما يحمله. والعرش الذي هو مقام أعلى من كل عالم إنما هو مظهر صفات الله التنزيهية. لقد كتبت مراراً أن لله صفتين منذ الأزل والقدم، صفة تشبيهية وصفة تنزيهية. ولما كان بيان كلتا الصفتين، أي التشبيهية والتنزيهية، في كلام الله ضرورياً لذا نسب الله ﷻ في القرآن الكريم إلى نفسه اليد والعين والحب والغضب وغيرها من الصفات لبيان صفاته التشبيهية. وحين نشأ احتمال التشبيه قال مرة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الرعد: ٣)، كما وردت في سورة الرعد آية: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الرعد: ٣)، أي أن ربكم الله هو الذي رفع السماوات بغير أعمدة كما ترون ثم استقرّ على العرش. هناك إشكال في المعنى الظاهري لهذه الآية وهو: ألم يكن الله تعالى مستقرّاً على عرش من قبل؟ وجوابه أن العرش ليس شيئاً مادياً، بل هو حالة

كونه تعالى وراء وراء، وهي صفته ﷺ. إذًا، لقد خلق الله تعالى الأرض والسماء وخلق كل شيء، وأودع الشمس والقمر والنجوم نورا من نوره، وخلق الإنسان على صورته على سبيل الاستعارة ونفخ فيه من أخلاقه الكريمة ﷺ، وهكذا فكأنه تعالى قد جعل أشباهًا له، ولكن ما دام الله منزها عن كل تشابهِ وتماثلٍ، لذا ذكر ﷺ تنزُّهه بذكر استوائه على العرش. باختصار، إنه ليس عينَ المخلوق مع أنه خلق كل شيء، بل هو منفصل عن الجميع في مقام هو وراء وراء. ووردت في سورة طه آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٢) والمراد من الاستواء أو الاستقرار هو: مع أنه خلق الإنسان ووهبه قربه إلى حد كبير ولكن كل هذه التجليات خاصة بالزمان، بمعنى أن كافة تجلياته التشبيهية تتجلى في وقت معين ولم تتجلَّ من قبل. ولكن مقام استواء الله الأزلي هو العرش الذي هو مقام التنزيه لأن مقام التشبيه الذي يتولد نتيجة الصلة مع الأشياء الفانية لا يمكن أن يدعى مقرَّ الله تعالى، والسبب في ذلك أنه في طور الزوال ويحيط به الزوال في كل حين وآن. بل إن مقرَّ الله منزَّه عن الفناء والزوال، وذلك المقام هو العرش.

في هذا المقام يطرح المعارضون اعتراضا آخر وهو أنه يتبين من بعض آيات القرآن أن ثمانية ملائكة سيحملون عرش الله يوم القيامة، ويبدو منه كإشارة النص أن أربعة ملائكة يحملونه في الدنيا. والاعتراض في هذا المقام هو أن الله تعالى منزَّه وأسمى من أن يحمل عرشه أحدٌ. فقد سمعتم جوابه قبل قليل بأن العرش ليس شيئا ماديا حتى يُحمَل أو يكون قابلا للحمل، بل العرش مقام التنزه والتقديس لذا يُعَدُّ غير مخلوق. وإلا كيف يمكن أن يبقى شيء متجسد خارج نطاق خالقية الله؟ وكل ما قيل عن العرش مبني على الاستعارات. فمن هنا يستطيع كل عاقل أن يفهم أن هذا الاعتراض ليس إلا حمق بحت. والآن أبين للمستمعين الكرام حقيقة حمل الملائكة العرش، وهي أن الله تعالى في تنزُّهه - أي المقام الذي تغطي فيه صفة تنزُّهه صفاته الأخرى كلها وتجعله ﷻ وراء

الوراء وخافيا كليا، أعني في المقام الذي يسمى العرش في مصطلح القرآن الكريم- يصبح أسمى من عقول الناس، فلا يسع العقل أن يُدركه. عندها سَمِّيتُ بالملائكة صفاته الأربع التي تجلّت في الدنيا وتُظهر وجوده وَجَلَّ الخفي وهي:

(١) الربوبية التي بواسطتها يُكمل الله الإنسانَ روحانيا وجسديا. فقد ظهرت الروح والجسد للعيان بمقتضى الربوبية. كذلك إن نزول كلام الله وآياته الخارقة أيضا نتاج مقتضى الربوبية. (٢) إن رحمانية الله التي ظهرت للعيان، أي ما هيأ الله تعالى للإنسان من النعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى دون جزاء الأعمال، فهذه الصفة أيضا تُظهر وجوده الخفي. (٣) الصفة الثالثة هي رحيمية الله، ومعناها أنه يعطي الذين يكسبون الحسنات قدرةً على كسبها بمقتضى صفته الرحمانية أولا، ثم يوفقهم لكسب الأعمال الصالحة بمقتضى صفة الرحيمية وبذلك يحميهم من الآفات. هذه الصفة أيضا تكشف عن وجوده الخفي. (٤) الصفة الرابعة هي: "مالك يوم الدين". هذه الصفة أيضا تُظهر وجوده الخفي أي يعطي الصالحين أجرا حسنا ويعاقب الطالحين. هذه هي الصفات الأربع التي تحمل عرشه، أي بواسطتها يُعلّم وجوده الخفي في هذه الدنيا. وإن هذه المعرفة ستتضاعف في عالم الآخرة فكأنه سيكون الملائكة ثمانية بدلا من أربعة. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٢-٢٧٩) معنى هذه الآية هو أن الله جلّى صفاته التشبيهية ثم توجه إلى مقام كونه عديم المثال والنظير، ويسمى "العرش" في مصطلح الشريعة، وهو مقام أعلى من جميع العالمين ويفوق التصور والخيال. العرش ليس شيئا مخلوقا بل هو اسم مقام وراء الوراء، ولا يشاركه فيه مخلوق قط. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٦، الحاشية)

لقد خلق الله تعالى الأجرام السماوية والأرضية كلها ثم أخفى وجوده في مقام وراء الوراء الذي اسمه العرش، وهو مقام خفيّ إلى درجةٍ لو لم تظهر عندها صفات الله الأربع المذكورة في الآيات الأولى من سورة الفاتحة لما عُرف وجوده ﷻ. وتلك

الصفات هي: الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الجزاء. فهذه الصفات الأربع سمّيت على سبيل الاستعارة في كلام الله بأربعة ملائكة يحملون عرشه، أي أنهم يُظهرون الله من المقام الذي فيه الله وهو وراء وراء، وإلا لم تكن هناك وسيلة لمعرفة الله. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٩، الحاشية)

أما كلمة العرش فتستخدم لإظهار عظمة الله، لأنه فوق كل رفيع وصاحب الجلال. ولا يعني أنه بحاجة إلى العرش كإنسان، فالقرآن الكريم نفسه يقول إنه سُبْحَٰنَ اللَّهِ هو الذي يمسك كل شيء وهو قيوم لا يحتاج إلى أي سند. (الاستفتاء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ١١٦-١١٧)

والحق أن الله تعالى لا يعدّ عرشه كـ "محدّد" الإغريق، ولم يعتبره محدوداً، بل عدّه طبقة عليا بحيث لا طبقة أعلى منها كيفاً وكمّاً. وليس الأمر مستحيلاً ولا محالاً للمخلوق وللموجود بل الأقرب من القياس أن الطبقة التي تُسمّى عرش الله لا بد أن تليق بالله وغير محدودة، مثل الله، من حيث سعتها. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥ ص ١٤٨-١٤٩، الحاشية في الحاشية)

"وحقيقة العرش واستواء الله عليه سرٌّ عظيم من أسرار الله تعالى وحكمة بالغة ومعنى روحاني، وسمّي عرشاً لتفهيم عقول هذا العالم ولتقريب الأمر إلى استعداداتهم، وهو واسطة في وصول الفيض الإلهي والتجلي الرحماني من حضرة الحق إلى الملائكة، ومن الملائكة إلى الرسل". (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٢٩)

فحين نصّف الله سُبْحَٰنَ اللَّهِ برب العرش فلا نقصد منه أنه ماديٌّ وله جسم، ومحتاج إلى العرش. بل المراد من العرش المكان الرفيع المقدس الذي له علاقة بهذا العالم والعالم الآخر على حد سواء. أما وصّف الله بأنه على العرش في الحقيقة فيعني أنه مالك الكونين، فكما أن الإنسان إذا كان جالسا على مكان مرتفع أو صعد إلى قصر منيف وعال جدا، فيمكن أن ينظر إلى يمينه ويساره، كذلك قد سلّم —على سبيل

الحجاز - بأن الله ﷻ يستوي على عرش يفوق كل عال ومرتفع، بحيث لا يخفى عليه شيء في هذا العالم ولا في العالم الآخر. إلا أن هذه المكانة توصف بالعلو لإفهام عامة الناس، لأنه إذا كان الله ﷻ في الحقيقة فوق الجميع وكل شيء خاراً على قدميه فإن لذاته علاقة بالجهة العلوية. فلا أحد واقع في الجهة العلوية إلا الذي يقع تحته العالمان. وهو كالمحطة الأخيرة، بحيث يتفرع من تحته عالمان عظيمان يحتوي كل منهما على آلاف العوالم التي لا يعلمها غيره ﷻ الذي هو مستوٍ على تلك المحطة الأخيرة التي تسمى العرش. لهذا فإن أرفع مكان يُتصور، حتى في الظاهر في المحطة العليا الواقعة فوق العالمين، يسمى بالعرش في الشريعة، وهذا الارتفاع يتحقق له لكون ذاته جامعة، لتكون إشارة إلى أنه مبدأ كل فيض ومرجع كل شيء ويسجد له كل مخلوق، وهو فوق كل شيء في ذاته وصفاته وكمالاته. وإلا فالقرآن يقول: ﴿أَيْنَمَا تُولُوا فَتَنَّمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٦)، كما يقول: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٥)، ويقول: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٧). فهذا هو نموذج التعاليم الثلاثة. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠٠)

العرش هو المظهر الأتم لصفات الله تعالى الجلالية والجمالية.. أما عن كونه مخلوقاً أو غير مخلوق، فلا أدلي برأي، بل أفوض أمره إلى الله، فالذين حسبوا العرش مخلوقاً أخطأوا، إذ يستلزم ذلك كونه محدوداً. والذين يعدّونه غير مخلوق فقد خالفوا التوحيد لأن الله تعالى يقول: ﴿الذي خلق كل شيء﴾، فلو لم يكن العرش مخلوقاً لبقى خارج شمول هذه الآية وهو ما لا يقبله مؤمن موحد. فلا أخوض في هذا الأمر والله به عليم. العرش هنا يفهم على وجه الاستعارة كما جاء في إلهامي: "أفطر وأصوم: أو "أخطئ وأصيب". إن الله تعالى يستخدم في كلامه الاستعارات ونحن نؤمن بذلك ونفوض تفصيله إلى الله تعالى. ومذهبي بشأن العرش هو أن تمتنعوا عن الخوض في كونه مخلوقاً أو غير مخلوق. ونؤمن بأنه مظهر التجليات

الجلالية والجمالية العظيمة. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٤-١٥، عدد ٣٠/٤/-
١٠/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

النقاش حول كون العرش مخلوقاً أو غير مخلوق عبثٌ. لا يثبت من الأحاديث قط أنه متجسد. لقد عُبرَ بكلمة العرش عن مقام العلوّ. فلو حسبتموه متجسداً فلا بد من عدِّ الله أيضاً متجسداً. فليكن معلوماً أن علوّه ليس مادياً حتى تكون لها علاقة بالجهات بل هذا علوّ روحاني. إن النقاش حول كون العرش مخلوقاً أو غير مخلوق بدعة اخترعت فيما بعد. إن الصحابة لم يثيروا هذا البحث قط ولكن الناس يثيرونه الآن ويعطون قليلي الفهم فرصة الاعتراض. يمكن أن يفهم المرء المعنى الحقيقي للعرش إذا كان مطلعاً على صفات الله الأخرى أيضاً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢٥-٢٦، عدد ٣١/٧-١٠/٨/١٩٠٤م، ص ١٤)

بعض الناس يظنون لقلة فهمهم أن العرش مخلوق، فهم على خطأ. فليعلموا أن العرش ليس شيئاً مخلوقاً، إنما هو مقام التقديس والتزّه ووراء الورا. بعض الناس يظنون أنه كما يجلس الملك على عرش يتجلّى الله على العرش أيضاً مثله، فهذا يستلزم أن يكون ﷻ محدوداً. لكن يجب أن يتذكروا أن القرآن الكريم لم يذكر مطلقاً أن العرش سرير يجلس الله عليه، لأنه والعياذ بالله إذا اعتُبر أن المراد من العرش هو السرير الذي يجلس الله عليه، فكيف تُترجم الآيات التي ورد فيها إن الله محيط بكل شيء، وحيثما يوجد ثلاثة يكون الله رابعه، حيثما يوجد أربعة فخامسهم هو الله، ثم ورد ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٧) و﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٥)؟ باختصار، يجب أن يفهم جيداً أن في الكلام الإلهي استعارات كثيرة. ففي موضع سُمي الفؤاد أيضاً بالعرش، ذلك لأن الله يتجلّى على القلب، وكذلك يقال العرش للمقام وراء الورا حيث ينتهي حد المخلوق. أهل العلم يعرفون جيداً أن هناك تشبيها وتزيها أيضاً، فالقول مثلاً: هو معكم حيثما كنتم، والقول بأنه

حيثما يكون خمسة يكون الله سادسهم، فهذا نوع من التشبيه، وينخدع المرء منه هل الله محدود إذن، فقيل ردًا على هذه الشبهة: إنما هو على العرش، حيث تنتهي حدود المخلوق، فليس العرش كالسرير المصنوع من ذهب أو فضة الذي رُصِّع بالمجوهرات واللائئ. كلا بل هو مقام أرفع ووراء وراء، ومثل هذه الاستعارات من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم، كما قال الله ﷻ ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٣). فالآية في الظاهر تعني أن الذين هم عميان في هذه الدنيا سيقون عميانًا في الآخرة أيضًا. لكن مَنْ يمكن أن يقبل هذا المعنى، إذ قد ورد في موضع آخر بصراحة: سواء أكان أحد بصيرًا أو أعمى، إذا رحل من هذا العالم مؤمنًا وأخذ معه أعمالًا صالحة فسوف يكون بصيرًا. أما الذي يبقى في هذا العالم محرومًا من نور الإيمان ولن ينال معرفة الله فسبقى في الآخرة أيضًا أعمى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١، عدد ١٩٠٨/١/٢، ص ٦)

إن عرش الله مقام وراء وراء، وهو على بُعد مساوٍ من الأرض والسماء والجهات كلها. وليس صحيحًا أن عرش الله -والعياذ بالله- قريب من السماء وبعيد عن الأرض. ولعين من يعتقد ذلك. فالعرش مقام التنزيه، ولذلك إن الله موجود في كل مكان يسمع ويرى، كما قال: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٥)، وقال ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة: ٨)، وقال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٧). (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠، عدد ١٩٠٨/٣/٢٢، ص ٢)

قال ﷻ ردًا على السؤال حول "ثم استوى على العرش":

فقال ﷻ: الناس يتفننون في آرائهم حول هذا الموضوع، بعضهم يصفونه بالمخلوق وبعضهم يصفونه بغير المخلوق، ولكن لو لم نصفه بغير المخلوق لبطل الاستواء. لا شك في أن النقاش حول كون العرش مخلوقًا أو غير مخلوق عبث أصلاً، هذه استعارة، حيث بيّن الله فيه رفعة العلية، أي هو مقام منزّه عن كل

جسم ونقص، ويقابله هذه الدنيا وهذا العالم كله. وليس للإنسان اطلاع كامل عليه. هذا المقام يمكن أن يسمى "قديم"، فالناس يستغربون من ذلك ويحسبونه شيئاً مادياً. وانطلاقاً من القدم يرد الاعتراض على ورود الحرف ﴿ثُمَّ﴾. فالحقيقة أن القدم يشمل "ثم" أيضاً. كما عندما يكون القلم بيد الإنسان فتتحرك اليد أيضاً حيثما يتحرك القلم، لكن يكون التقدم لليد. يعترض الآريون على المسلمين عن قدم الله، ويقولون إن إله المسلمين موجود منذ ستة أو سبعة آلاف سنة. وهذا خطأهم، فمن الغباوة أن يقدّر عمر الله بالنظر إلى هذا المخلوق. فلا نعلم ما الذي كان قبل آدم ومن أي نوع كان ذلك المخلوق. والله ﷻ أعلم بذلك الوقت: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٣٠). صحيح أن صفاته قديمة، ولكن ليس لزاماً عليه أن يُطلعنا على كل صفة من صفاته. وهذه الدنيا لا تتسع لأعماله كلها. فبالقاء نظرة دقيقة على كلام الله والإمعان فيه يتبين أنه أزلي وأبدي، وإن ترتيب المخلوقات لا ينافي كونه أزلياً. إن حمل الاستعارات على المشهودات أيضاً غباء وحمق. ومن صفاته ﷻ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٤). نؤمن بالعرش والاستواء ونفوض حقيقته وكنهه إلى الله. حين لم يكن هذا العالم موجوداً كان العرش موجوداً يومذاك أيضاً، كما ورد في قوله ﷻ: ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود: ٨).

يجب أن تتذكروا أن العرش شيء مجهول الكنه، وإشارة إلى تجليات الله التي اقتضت خلق السماوات والأرض فخلقت أولاً ثم استوى على العرش. صحيح أن التوراة أيضاً أشارت إلى ذلك، لكن ليس بكلمات جيدة، وورد فيها أن الله قد تعب. ومثال ذلك أن الإنسان حين يكون مشغولاً في عمل ما لا يستبين وجهه وملامحه ولا تُعرف جيداً أعضاؤه الأخرى، لكنه حين يفرغ ويجلس على سرير أو عرش ويستريح يمكن رؤية كل عضو من أعضائه بوضوح. كذلك قد عُبر عن ظهور

صفات الله استعارةً بالاستواء على العرش، أي ظهرت الصفات الإلهية بعد خلق السماوات والأرض. إن صفاته وَعَلَى أزلية وأبدية، وبذلك يُعرف علمه وكونه قادراً على كل شيء. ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ إشارة إلى تجلي الله الذي ظهر بعد خلق السماوات والأرض.

وكذلك سيكون له تجلٍ آخر بعد هذا التجلي، حين يفنى كل شيء، ثم يكون تجلٍ ثالث حين يكون إحياء الموتى. باختصار، هو استعارة لطيفة ولا يجوز الخوض فيها ويمكن أن نعبر عنه بأنه تجلٍ. يتبين من القرآن الكريم أن الله سُبْحَانَهُ قد أدخل العرش في صفاته، كما في قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ فكأن الله بين علوه الكامل بتعبير آخر بالعرش. وهو ليس شيئاً مادياً وجسمانياً، وإلا لذكر خلق العرش أيضاً كخلق السماوات والأرض. لذا تنشأ الشبهة بأنه شيء غير مخلوق، فيتوجه الإنسان إلى الآريين منخدعاً بهذا الأمر. فكما أنهم يعدّون الأشياء الأخرى من دون الله غير مخلوقة، كذلك يؤمنون بأن العرش أيضاً شيء غير مخلوق ومنفصل عن وجود الله، وهذا ضلال. الواقع أنه ليس بشيء منفصل عن الله. والذين عدّوا العرش غير مخلوق، لا يحسبون الله أتم وأكمل. أما الذين عدّوه شيئاً مادياً فهم في ضلال إذ يؤمنون بأن الله محتاج إلى شيء متسجد، فيحمله الملائكة كما يُحمل الظعن. والله تعالى يقول: ﴿لَا يَأْوُدُهُ حِفْظُهُمَا﴾. (البقرة: ٢٥٦)

إن حمل أربعة من الملائكة العرش أيضاً استعارة، فالرب والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين هي مظاهر الصفات الإلهية، وهي في الحقيقة ملائكة. عندما تتجلى الصفات نفسها بنشاط أكبر يُعبّر عنها بثمانية ملائكة. والذي لا يقدر على هذا البيان فليقل إن العرش حقيقة مجهولة الكنه - ونحن نؤمن به - وليفوّض الحقيقة إلى الله. الطاعة تقتضي أن يفوض المرء أموراً إلهية إلى الله ويؤمن بها. وحقيقته الأصلية هي أنه إشارة إلى التجليات الإلهية الثلاثة.

"كان عرشه على الماء" أيضًا تجلٍّ، ولا نفسر الماء هنا بالماء المادي المعروف. بل الله أعلم ما المراد من الماء هنا في هذه الآية، وهو ﷻ يعلم كنهه. (بدر مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣ م، ص ٣٧-٣٨)

لا يعتقد المسلمون أن العرش شيء مادي ومخلوق يجلس الله عليه. اقرأوا القرآن من البداية إلى النهاية لن تجدوا فيه أن العرش شيء محدود ومخلوق. لقد قال الله في القرآن الكريم مرارا وتكرارا بأنه هو خالق كل شيء له وجود؛ فيقول بأنه هو خالق الأرض والسماء والأرواح وكافة قواها. وبأنه قائم بنفسه وكل شيء قائم به، وكل ذرة وكل شيء موجود خلقه هو. ولم يقل في أي مكان بأن العرش أيضا شيء مادي خلقته. وإذا استخرج أحد من الآريين من القرآن الكريم بأن العرش شيء مادي ومخلوق سأعطيه ألف روية جائزة قبل أن يغادر قاديان. أقول حلفا بالله الذي الحلف الكاذب به فعل الملعونين بأني سأسلم له ألف روية فور استخراجها تلك الآية من القرآن الكريم. وإلا أقول بكل أدب بأن الذي يفترى على الله سيكون محل لعنة. (نسيم الدعوة، الخزان الروحانية المجلد ١٩، ص ٤٥٣-٤٥٥)

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.. إذا خلق شيئا بحيث يكون له من قبل وجود في صورة أو هيئة أخرى، فاسم هذا النوع من الخلق "خَلْق". وملخص الكلام أن خلق شيء بسيط من العدم المحض هو من عالم الأمر، أما صياغة شيء مركب في صورة أو هيئة معينة فهو من عالم الخلق. كما قال الله في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، أي خلق أشياء بسيطة من العدم المحض وإظهار المركبات كلاهما من فعل الله ﷻ. فالبسيط والمركب كلاهما من خلق الله. فهل لاحظت أيها المدرس، ما أروع هذه الحقيقة وما أسماها التي قد بينها الله ﷻ في آية قصيرة وفي كلمات معدودة. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٧٥-١٧٦)

الآية ٥٧: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ أي رحيمية الله تعالى قريب من أصحاب الأعمال الصالحة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٤٥١، الحاشية رقم ١١)

الآية ٥٨: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

أي أن الله قانونا في الطبيعة أنه يسوق الرياح بين يدي رحمته أي قبل المطر... أي نسوق الرياح إلى مناطق جفّت فيها الأرض بسبب إمساك المطر، ثم ننزل الماء ونخلق الثمرات من أنواع مختلفة، كذلك نخرج الموتى الروحانيين من هوة الموت. وقد ضربنا هذا المثل لتذكروا وتفقهوا أننا كما نحيي الأرض الميتة، كذلك مبدأنا هو أنه كلما انتشر الضلال على نطاق واسع وماتت القلوب التي تشبه الأرض، نفخنا فيها روح الحياة... ومن الأرض الطيبة يخرج نباته كما يجب بإذن الله. أما ما كان خرابا من الأرض فلا يخرج منها النبات إلا قليلا ولا يخرج نبات جيد. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٢٨-٦٣٠)

الآية ٥٩: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

هذا تعبير عام وشائع في القرآن الكريم أن المراد من كلمة: "الأرض" يكون قلوب الناس وقواهم الباطنية. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٦٨)

"ومن علاماتهم أنك تراهم في سُبُل الله مسارعين كالِدَعْكَةِ، وأمّا أمور الدنيا فيترخّون عنها ولا يؤثرونها إلا بالكراهة. ويظهر الله بهم ما صلح من أخلاق الناس

وما كان كالدَّاءِ الدفين، فيشابهون مَطَرًا يُظْهِرُ خواصَّ الأرضين، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾، كذلك ضرب الله مثلاً للمؤمنين والفاسقين". (سيرة الأبدال، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٣١)

لقد ضرب القرآن الكريم مثل بعثة الأنبياء والرسول بالمطر: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾. هذا هو مثل الإسلام. عندما يأتي رسول تتبين خواص الفطرة الإنسانية كلها. ومن خواص وعلامات ظهورها أن المخلصين وسليمي الفطرة وذوي الطباع المستعدة يتقدمون في إخلاصهم واعتقادهم الحسن أما الأشرار فيتقدمون في شرورهم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ٣١/١٠/١٩٠٥ م، ص ٤)

﴿وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.. أي لا يخرج الزرع منه إلا قليلاً. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤١٩)

الآية ٨٣: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾

لقد بلغ قوم لوط في الفسق والفجور حد الجبر والإكراه، وعندما نُصَحُوا قالوا لرفقائهم عن لوط وأصحابه كما هو مذكور في القرآن الكريم: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾... وكذلك يقول معارضونا للناس أشياء مختلفة ضدنا. وقد حلَّ غضب الله بتلك الأقوام ومحاهم من وجه الأرض. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٥ م، ص ٦)

الآية ٨٦: ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ... أَي لَا تَضُرُّوا النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّورِ.﴾ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ٩٥: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾

... أي قد أخذنا أهلها بالقحط والوباء بسبب إنكارهم، لعلهم يتضرعون.
(البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤١٩، ورسالة الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٧٧)

الآية ١٠٢: ﴿تِلْكَ الْقَرْيُ نَقَضْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾

عندما أظهر الأنبياء آياتٍ في الأمم السابقة لم يؤمن بهم الناس حتى بعد مشاهدة الآيات لأنهم كانوا قد كذبوهم قبل رؤيتها. كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين لا يؤمنون قبل ظهور الآيات. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٣٤)

الآية ١٢٧: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّعْنَا مُسْلِمِينَ﴾

أي يا رب أنزل على قلوبنا في وقت المصيبة سكينَةً توفقنا للصبر، وقدر لنا الموت على الإسلام.

واعلموا أن الله تعالى يُنزل على قلوب عباده المحبوبين في وقت الآلام والمصائب نورًا يتقوون به، فيقاومون النوازل والبلايا بكل اطمئنان، ويقبلون -من حلاوة الإيمان- تلك السلاسل التي تُصَفِّد بها أرجلهم في سبيله تعالى. إن الإنسان الرباني عندما تحلَّ به

البلايا وتظهر له آثار الهلاك؛ فإنه لا ينازع ربه الكريم هكذا عبثًا سائلًا النجاة منها، لأن الإلحاح في الدعاء بالعافية حينئذ يكون بمنزلة حرب على الله تعالى، ويصبح منافيا للتوافق التام مع مشيئة الله. وإنما المحب الصادق من يزداد تقدمًا كلما نزل البلاء، ولا يقيم حينئذ لنفسه وزنا، ويدفع حب الذات ليتبع كلية مشيئة مولاه ابتغاءً لمرضاته. وفي حق ذلك المحب يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٨). أي أن محبوب الله تعالى يقدم نفسه فداء في سبيله تعالى ويشترى بها مرضاته تعالى. وأمثاله هم الذين يصبحون مورداً لرحمة خاصة من الله. هذه إذن هي روح الاستقامة التي بها يلاقي الإنسان ربه. فليفهمها من شاء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٢٠-٤٢١)

الآية ١٢٩: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

إن الذين يعيشون حياة بهيمية، إذا بطش الله بهم، فإنما يبطش بهم ليهلكهم. غير أن هذه ليست سنة الله عز وجل مع المؤمنين، إذ تكون عاقبة معاناتهم حسنة، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما يقول الله تعالى. فالمصائب التي تنزل بهم تُهيئهم للارتقاء وتصلقهم بالتجربة، ثم يبدل الله أيامهم بأيام أحسن. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢، ١٩٠٣، ص ٢)

فكيف نبالي بمعارضة معارضينا؟ إنهم يؤدون واجبهم واحداً بعد الآخر. البداية تكون لهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٢، ص ٧)

اجتنبوا سبل الحسد والبغض والضغينة والغيبة والكبر والرعونة والفسق والفجور الظاهرية والباطنية، واجتنبوا الكسل والغفلة. واعلموا يقينا أن العاقبة للمتقين دائماً، كما يقول الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. فحاولوا أن تكونوا متقين. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٢، ص ٥)

وليكن معلوما أيضا أن الحكم على الخواتيم. فقد قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، إن سنة الله جارية على أن الصادقين يُعرفون بعاقبتهم. قد لا تكون المبالغة في القول بأن الحالة الراهنة تنم عن بوادر الخسارة وعلاماتها بدلا من الفائدة أي الضلال، أي أن الضلال وسوء الظن يبدو سهلا بدلا من الهداية. ولكنني عندما أقرأ آيات القرآن الكريم من ناحية أرى أنه قد حلت بالأنبياء زلازل مخيفة في البداية إذ لم يظهر لهم النجاح إلى مدة من الزمن ثم بدأ نسيم نصره الله يهب؛ ومن ناحية ثانية ألتقي البشارات من خلال وعود الله تعالى الصادقة حينها يزول حزني كليا ويحصل لي بذلك إيمان متجدد بـ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. (المجادلة: ٢٢) (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ٩٢).

قال ﷺ عند ذكر مناظرة "مُدَّ": لقد كان الفتح من نصيبنا في الحقيقة. الحق أن الحضور كانوا قرويين لا يفقهون أمورا دقيقة. أشم أن الانتصار النهائي هو في نصيبنا. لعل هذا الفتح أيضا يكون معجزة من بين المعجزات العظيمة التي ستظهر إلى نهاية كانون الأول/ديسمبر. من سنة الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ فالنبي ﷺ أيضا واجه المكروهات إلى ١٣ عاما متتالية. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢م، ص ٢٠)

الآية ١٣٠: ﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾
لقد خوطب في هذه الآيات بصراحة تامة أناس من قوم موسى كانوا أحياء بين ظهرانيه، وقد شكوا مظالم فرعون وقالوا: ﴿أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ فقال موسى مخاطبا إياهم، عليكم أن تصبروا على هذه المصائب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. ولكن واضح للمؤرخين، ويعرف دارسو كتب اليهود والنصارى جيدا أنهم لم يصلوا في الأرض إلى سدة الخلافة، سواء

المادية أو الروحانية- مع أنّ عدوهم أي فرعون هلك أمام أعينهم بل أهلك معظمهم نتيجة عصيانهم وتمردهم إذ هلكوا بعد أن ظلوا تائهين إلى أربعين عاما في الفلوات الجرداء والبراري القفراء. ثم بدأت بعد هلاكهم سلسلة الخلافة في ذريتهم فكان فيهم كثير من الملوك وكان خلفاء الله مثل داود وسليمان عليهما السلام في القوم نفسه حتى انتهت سلسلة الخلافة في القرن الرابع عشر على المسيح عليه السلام.

فمن الواضح أن مخاطبة القوم لا يستلزم قط أن يبقى الخطاب مقصورا عليهم وحدهم، بل من أسلوب القرآن أيضا أنه كثيرا ما يخاطب قوما ولكن المخاطب الحقيقي هم أناس خلوا أو سيأتون في المستقبل. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦ ص ٣٢٥-٣٢٦)

أنجز موسى بعد بعثته ثلاث مهمات بارزة تجلت للعالم، والنبي الذي أنجز ثلاث مهمات جليلة مثلها ظهرت للعالم بداهة هو مثل موسى، وتلك المهمات هي: (١) أولا إن موسى أهلك العدو الذي كان يريد القضاء عليه وعلى شريعته. (٢) ثانيا إن موسى قد أعطى قوما غيبا يجهل الله وكتبه- وكانوا يعيشون كالوحوش منذ أربع مائة عام- الكتاب والشريعة الإلهية، أي وهب لهم التوراة وأقام فيهم الشريعة. (٣) ثالثا بعد أن كانوا يعيشون حياة الذلة قد أعطاهم الحكم والملك وجعل منهم الملوك. وكل هذه الإنعامات الثلاث مذكورة في القرآن الكريم كما يلي: ﴿قَالَ عَسَىٰ رُبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ثم قال في موضع آخر: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٥٥).

لاحظوا الآن بالتأمل أن عيسى عليه السلام ليس له أدنى مماثلة بموسى عليه السلام في هذه المهمات الثلاث، إذ لم يتمكن بعد ولادته من القضاء على أعداء اليهود، ولم يأتمم بشريعة جديدة، ولم يؤت بني إسرائيل أو إخوتهم ملكا. أما الإنجيل فهو ملخص عدد من أحكام التوراة ولم يكن اليهود يجهلونها من قبل، وإن كانوا غير عاملين بها. صحيح

أن أكثر اليهود كانوا في زمن المسيح ﷺ سيئي السلوك، لكنهم مع ذلك كانت عندهم التوراة. فالإنصاف يجبرنا على الإدلاء بالشهادة أن عيسى ﷺ لا يماثل موسى ﷺ في شيء. أما الزعم بأنه نجى أتباعه من الشيطان كما نجى موسى ﷺ أتباعه من الشيطان، فهذه الفكرة سخيفة وبذيئة لدرجة أن لا يتمالك الإنسان نفسه من الضحك عند اطلاعه عليها مهما كان مغمضا. فأي برهان يقدم للعدو على أن عيسى خَلَّص أتباعه من الشيطان حتما كما كان موسى قد نجى بني إسرائيل من فرعون؟ فإنقاذ موسى بني إسرائيل من فرعون حدث تاريخي لا يقدر على إنكاره أي يهودي ولا مسيحي ولا مسلم ولا مجوسي ولا هندوسي، لأن ذلك من الأحداث المشهورة في العالم. أما تخليص عيسى أتباعه من الشيطان فاعتقاد يوجد في أذهان النصراني فحسب، وليس له في الخارج أي وجود واضح يقتنع بملاحظته كل إنسان، ليقرَّ بأن هؤلاء في الحقيقة قد نجوا من الشيطان ومن كل سيئة وأن حزهم تطهر من أنواع السيئة.... فهذه النبوءة تعني أن ذلك النبي سينجي بني إسرائيل أو إخوانهم من عذاب كما كان موسى قد نجاهم من العذاب. ولن ينجيهم فحسب، بل سوف يهب لهم الملك بعد أيام الذلة كما كان موسى قد نجى بني إسرائيل بعد ذلة أربع مائة عام ثم أعطاهم الملك. ثم سوف يجعل أولئك القوم الوحشيين متحضرين بشريعة جديدة كموسى، وأولئك القوم سيكونون إخوة بني إسرائيل. انظروا الآن بأي جلاء ونور تحققت هذه النبوءة بحق سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ولو غُرِضت هذه الأحداث التاريخية لكليهما على هندوسي ذي عقل سليم؛ أي قد نجى موسى قومه من فرعون ثم أعطاهم ملكا ثم وهب الشريعة للوحوش الذين كانوا يعيشون عبيدا، كذلك نجى سيدنا محمد المصطفى ﷺ أولئك الفقراء والضعفاء الذين آمنوا به من السباع العرب الهمجيين السفاكين وأعطاهم سلطنة، ثم بعد تلك الحالة الوحشية أعطاهم الشريعة - فلا شك أن ذلك الهندوسي سيرى كلا الحدثين من نوع واحد ويشهد على مماثلتهما.

ثم حين نلاحظ نحن شخصيا كيف خلص النبي ﷺ أتباعه من العرب الظالمين السفاكين وأخذهم تحت أجنحته، ثم أعطى الذين كانوا يعيشون حياة الوحوش من قرون شريعةً جديدةً وأعطاهم ملكا بعد أيام الذلة والعبودية؛ تمثل أمام أعيننا فورا مشاهدُ زمن موسى. ثم عندما نتدبر أكثر ونلقي نظرة بإمعان على سلسلة خلفاء موسى ﷺ الذين كانوا في العالم لأربعة عشر قرنا على التوالي، نجد مقابلها السلسلة المحمدية بالعدد نفسه. حتى إننا لنجد في نهاية هذه السلسلة، المشابهة لسلسلة موسى كمًّا ومدة، مسيحا أيضا كما كان في آخر خلفاء السلسلة الموسوية مسيحٌ يسمى ابن مريم. وكلتا السلسلتين تتراءى متقابلتين ومتجاورتين كما تكون رجلًا المرء متقابلتين. فما معنى المماثلة أكثر من هذا؟ وتكشف هذه الحقيقة نفسها الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (المزمل: ١٦). (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ٢٩٩-٣٠٣)

تشبه السلسلة المحمدية، وفق القرآن الكريم، السلسلة الموسوية في كل خير وشر، وهذا ما أشير إليه في الآيات التالية التي ورد فيها عن اليهود: ﴿فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وفي موضع آخر ورد عن المسلمين: ﴿لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٥). والمراد من هاتين الآيتين أن الله تعالى سيهبكم الخلافة والملك، ثم يرى هل تتمسكون بالصدق أم لا. ولقد استُخدمت في هاتين الآيتين الكلمات نفسها عن اليهود والمسلمين، أي كأنهما ذُكرا تحت آية واحدة. فأى دليل أقوى من ذلك لإثبات أن الله تعالى شبه بعض المسلمين باليهود. وأشار بكل صراحة أن بعض السيئات التي ارتكبتها علماء اليهود سيرتكبها علماء المسلمين أيضا؛ وإلى ذلك تشير الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٧). (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٣)

أمثال ملوك اليهود الذين وُلدوا في الإسلام، كما يفهم من الآيتين التاليتين اللتين تتشابه مفرداتهما أيضا وهما:

عن ملوك اليهود	عن ملوك الإسلام
﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عِذُّكُمْ وَيَسْتَحْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠)	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ حَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٥)

هاتان الجملةتان: أي "فينظر كيف تعملون" الواردة بحق ملوك اليهود، والتي تحاذيها جملة أخرى أي "لننظر كيف تعملون" الواردة بحق ملوك المسلمين توضّحان بجلاء أن أحداث ملوك هاتين الأمتين أيضا ستتشابه، وهكذا حدث. فكما صدرت من ملوك اليهود الحروب الأهلية والمعارك المخجلة، وفسد سلوك الكثيرين حتى صار بعضهم مثلا في ارتكاب الفواحش وشرب الخمر وسفك الدماء وأعمال الظلم الشرس، كذلك اتخذ معظم الملوك المسلمين أيضا هذه الأعمال نفسها، كما كان بعض ملوكهم صالحين وعادلين أيضا على شاكلة ملوك اليهود الصالحين والعادلين، مثل عمر بن عبد العزيز. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٦-٣٠٧)

قد أشير إلى هذه الأمور في القرآن الكريم من قبل، واستخدم بحق مسلمي الزمن الأخير الكلمة نفسها التي استخدمها في حق اليهود فقال: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ والتي تعني أنكم ستعطون الخلافة والسلطنة، ولكن ستُنزع منكم تلك السلطنة في الزمن الأخير نتيجة سوء أعمالكم كما انُزعَت من اليهود. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٣)

﴿وَيَسْتَحْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فإحداها عن المسلمين والثانية تخص اليهود. إذن يتبين من المقارنة أن الله ﷻ يقول: إني سوف أمّتعكم بكل أنواع الإنعامات لأنظر كيف تشكرون.

الجدير بالانتباه هنا، ما هي المصيبة الكبرى التي واجهها اليهود؟ ألا إنها مصيبتان، إحداها أنهم أنكروا عيسى عليه السلام والثانية أنهم كفروا بالنبي محمد ﷺ. فنظرا

للمماثلة بين الأمتين كُتب للمسلمين أيضا إنكاران، إلا أن هناك كانا شخصين منفصلين، بينما هنا قد اجتمع البروزان في شخص واحد؛ أحدهما بروز عيسوي، والثاني بروز محمدي. فمن ناحية الاسم سمي المسلمون بروزَ اليهود الذين كفروا بالمسيح ﷺ ومحمد ﷺ وتحققت المماثلة. وثابت من الآيات الأخرى أن تصرفات اليهود نفسها ستصدر في هذه الأمة بروزا، وفي ذلك إشارة إلى أن القادم سيأتي بصبغتين. ولذلك علامات زمن المهدي والمسيح ماثلة، كما أن عملهما أيضا واحد. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ٤/٩/١٩٠٣ م، ص ٣٥٨-٣٥٩)

الآية ١٣٢: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

يقول البعض بأن الطاعون نتيجة سوء أعمالي، ولكن هذا الصوت ليس بمجديد، فقد قيل لموسى ﷺ أيضا: ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى﴾، أستغرب من أنهم يقولون بأن الطاعون نتيجة سوء أعمالي ولكن هم الذين يصابون به. فإذا كان وبال أعمالي كان من الواجب أن تُخبروا به أنتم. ولكن ما الذي حدث أنني أنا الذي أُخبرْتُ به وتحدثت الوفيات فيكم أنتم، وعلى النقيض من ذلك وعد الله بحمايتنا منه وجعله آية. اتقوا الله قليلا أيها الناس! (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢ م، ص ١٣)

الآية ١٤٣: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

نقول مرة أخرى إن تأخر موعد تحقق الوعد ثابت من نصوص القرآن القطعية اليقينية كما تشهد على ذلك بقوة آية: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾. فتأخر مواعيد الوعيد التي تدل على نزول العذاب وإلغاء العذاب بالتوبة والاستغفار

والصدقات ثابتٌ باتفاق جميع الأنبياء عليهم السلام، فقد ثبت تأخر هذه المواعيد بدرجة أولى، وإنكار ذلك من عمل السفیه الغبی لا أهل البصيرة. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١١٩-١٢٠)

الآية ١٤٤: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾... أي سهلت عليه جبال المصائب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٥-٦١٦، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

عندما سيتجلى الله تعالى على جبال المصائب سيمزقها إربا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٦٥، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

تجلى ربك على جبل المشاكل ودكّه دكّا، وخرّ موسى مغشيا عليه، أي كان تجليه مهيبا وأثّرت هيئته على موسى أيضا. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١٣/٤/١٩٠٥م، ص ٢)

إن طالب الوصال الكامل عندما ينفصل عن ذاته لله انفصالاً تاماً لوجه الله، ولا يبقى أيّ عمل من أعماله لنفسه، بل يصبح كل شيء لوجه الله فقط، يتعرّض في هذه الحالة لموت روحاني يستلزمه البقاء، فكأنه في هذه الحالة يُحيا بعد الموت، فلا يبقى في نظره وجود غير الله، فيحسب نفسه أيضا فانية بسبب غلبة مشاهدة وجود الله. فهذا هو مقام العبودية والفناء الأتم الذي هو غاية سیر الأولياء. وفي هذا المقام ينزل بإذن الله على قلب السالك نور يتعسر بياؤه باللسان والقلم. فحالة غلبة الشهود تفوق درجة علم اليقين وعين اليقين لأن صاحب الشهود

التام يتمتع بعلم ينزل على نفسه، كأن أحدا يحترق في النار. مع أن لديه أيضا علما بالاحتراق ولكنه يفوق علم اليقين وعين اليقين. أحيانا يؤدي الشهود التام إلى عدم الوعي فتغلب صاحبه حالة السكر والإغماء. هذه الحالة تشبه ما ذكر في الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾. وهذه الحالة التامة هي تلك التي أشار الله إليها في الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٨) هذه الحالة ستكون في نصيب أهل الجنة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٨، الحاشية)

إن حادثة سقوط موسى ﷺ مغشياً عليه لم تكن نتيجة ظلمة مادية، بل كانت حادثة نورانية؛ إذ إن تحليلات الصفات الإلهية ظهرت مشعة متألثة إلى أقصى الحدود، فكان نورها الباهر هو سببها. وبسبب هذا النور المبهر، خر عبدا عاجز ابن عمران مغشياً عليه، ولولا أن تداركه العناية الإلهية ل بقي على تلك الحال ولفني. ومع ذلك، فهذه المرتبة ليست غاية الكمال في مدارج الرقي، بل مرتبة كمال الرقي هي: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٨). (الحكم المجلد ٢، رقم ٣١، عدد: ١٥/١٠/١٨٩٨، ص ٣)

الآية ١٤٩: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾

... لما طلب ليكهرام بإصرار شديد نبوءة عن موته، تلقيت بعد الدعاء إلهاما: "عجل جسد له خوار، له نصب وعذاب". أي سيصدر منه عند القتل صوت مثل صوت العجل. لا روح فيه، وله نصب وعذاب. وقد ورد في "لسان العرب"، وهو قاموس قديم وموثوق به في لغة العرب، إضافة إلى معاني أخرى: "يقال نَصَبَ فلانٌ لفلان نَصْبًا إذا قَصَدَ له وعاداه وَتَجَرَّدَ له". (انظر لسان العرب تحت "نصب") أي إذا قيل: نصب فلان لفلان فمعناه أنه هاجمه لقتله وبذل قصارى

جهده للقضاء عليه لعداوته. وكلمة "خوار" تُطلق في لغة العرب على صوت العجل. غير أنها تُطلق على الإنسان حين يُصدر صوتا مثل صوت العجل عندما يُقتل. فقد ورد في "لسان العرب" قولٌ يؤيد هذا المعنى، جاء فيه: "وفي حديث مقتل أبي بن خلف: فَحَرَّ يَحْوُرُ كما يَحْوُرُ الثور". وأحيانا تطلق "خوار" على صوت السلاح عند استخدامه. فقد ورد في "لسان العرب" تحت المصدر نفسه بيت لشاعر معروف بهذا المعنى يقول:

يَحْوُرْنَ إِذَا أَنْفَذْنَ فِي سَاقِطِ النَّدى وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا أَهَاضِيبٍ مُحْضِلَا

المراد من عبارة "ساقط الندى" في البيت المذكور هو الماء الذي يتجمع على أوراق الأشجار عند المطر ثم يسقط على الأرض. فالماء هو "الساقط"، ومعنى "الندى" هو الأشجار الصحراوية، ويقال لها بالهندية: "بَن". والشاعر يريد هنا أن يثني على جلاء سهامه وسدادها وسرعتها، ويذكر صوتا كصوت العجل يصدر منها عند إطلاقها. ومهما استمر الطقس غائما وماطرا باستمرار، فهو لا يضر السهام بشيء، لجودة صنعها وجودة خشبها.

باختصار، يتبين من قاموس "لسان العرب" الموثوق به أن كلمة "خور" و "خوار" تُطلق أيضا على صوت الإنسان حين يستغيث عند القتل، وكذلك يطلق على الصوت الذي يصدر من السلاح عند القتل. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٣٧٩-٣٨١)

يثبت من سفر الخروج إصحاح ٣٢ أن قرار القضاء على عجل السامري اتخذ في يوم العيد، أما إضرام النار به وتمزيقه ونسفه- كما ورد في الخروج ٣٢: ٢٠- فكان يتطلب وقتا. فلا بد أن هذه العملية الطويلة استغرقت هزيعا من الليل أيضا، لأن موسى ﷺ كان قد نزل عندما كان الاحتفال بعبادة العجل في أوجه، وأغلب الظن أن الوقت كان بعد الظهر ثم استغرق إبداء الغضب والعتاب وقتا، فمن المحتمل

المؤكد أن الانتهاء من أعمال حرق الذهب ونسفه أخذ جزءا من الليل وهو يعد من اليوم التالي. (السراج المنير، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٦٨ الحاشية)

الآية ١٥٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾

أي إن الذين عبدوا العجل سيحل عليهم عذاب غضب الله وتناهم ذلة في الحياة الدنيوية، وكذلك سنعاقب المفتريين الآخرين، وهذه إشارة لطيفة إلى عبدة العجل الآخرين الذين بلغوا درجة الظلم والقتل في عبادة هذا العجل الآخر أعني ليكهرام. وإن الله عليم بكل شيء؛ فكان يعرف جيدا أن الهندوس أيضا سيجعلون من ليكهرام "العجل" بعبادتهم له، لهذا قد أشار باستخدام كلمة "كذلك" إلى حادث ليكهرام. يثبت من سفر الخروج إصحاح ٣٢ عبارة ٣٥ أن الله أنزل الموت على بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل، أي قد أصابهم وباء قضى عليهم. وعند الإخبار عن هذا العذاب كان الله قد قال إنه سينجي المؤمنين، حيث قال ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أي إن الذين ارتكبوا السيئات رغبة في عبادة العجل ثم تابوا وآمنوا فسوف يغفر الله لهم ويرحمهم. (السراج المنير، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٧٠)

الذين احترمو العجل وعبدوه سيحل بهم الغضب وستنزل عليهم الذلة. فالمراد من نزول الغضب في الدنيا هو الطاعون. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٣٣)

الذين يصدون عن سبيل الله سيحل بهم غضب الله قريبا. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٣٣٦)

إن الذين لا يتورعون عن العداوة سيحل بهم غضب الله قريبا. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٧١٩)

الآية ١٥٧: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

...﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي للذين يجتنبون كل نوع من الشرك والكفر والفواحش...

(البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٦٤)

يتبين من هذه الآية أن الرحمة واسعة وعامة، أما صفة العدل أي الغضب فتظهر للعيان نتيجة سبب معين، بمعنى أنها تظهر للعيان بعد أن ينقض أحد قانون الله. وإن وجود قانون الله ضروري لظهورها، أي أن يُرتكب ذنب نتيجة نقض قانون الله. عندها تظهر هذه الصفة للعيان وتحقق مقتضاها. (الحرب المقدسة الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٠٧)

الوعيد لا يكون وعدا بل يريد الله بمقتضى قدوسيته أن يعاقب مجرما، وفي كثير من الأحيان يُطلع ملهميه على هذه الإرادة. ثم حين يؤدي المجرم حق هذا المقتضى بالتوبة والاستغفار والتضرع والبكاء تسبق رحمة الله غضبه وتحجب الغضب وتستره. هذا هو معنى الآية: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي رحمتي سبقت غضبي. وإن لم يُعترف بهذا المبدأ لبطلت الشرائع كلها. (التحفة الغزنوية، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٣٧)

إن عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ في ظروف خاصة ولكن رحمتي تصيب كل شيء.

(ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية المجلد ٢٣، ص ٢٥)

إن اعتراض الآريين وغيرهم على وصف القرآن الكريم لله بالغاضب هو خطأهم الصريح. كان يجب عليهم أن ينظروا إلى آيات أخرى من القرآن الكريم أيضا فقد ورد فيها صراحة: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فرحمة الله تشمل كل شيء، لكن مشكلة هؤلاء أنهم لا يؤمنون برحمة الله أصلا، فبحسب

مبادئهم الدينية حين يحظى الإنسان بالنجاة بعد مواجهة مئات المشاكل فلا يجد بداً من الخروج منها. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢، عدد ١٩٠٨/١/٦٥٤، ص ٣)

الآية ١٥٨: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

لا تُنال علوم القرآن الكريم بالخذلة، وليست القوة العقلية أو الترقى الذهني بالوسيلة لجذب علوم القرآن ومعارفه، إنما وسيلته الحقيقية هي التقوى. والله تعالى يعلم المتقي بنفسه، لذلك فإن الأممية تكاد تكون السمة الغالبة على الأنبياء، لهذا السبب بُعث نبينا الكريم ﷺ أمياً. إنه لم يتعلم في مدرسة، ولم يتلمذ على يد معلم، مع ذلك قد بين من المعارف والحقائق ما أذهل البارعين في علوم الدنيا. لقد جرى على شفتيه المباركتين كتاب مقدس كامل، القرآن الكريم، الذي أفحمت فصاحته وبلاغته العرب قاطبة. ما الذي جعل النبي ﷺ يفوق الجميع في العلوم؟ إن سببه الوحيد هو التقوى. وما أدل على طهارة حياة رسول الله ﷺ من أنه أتى بكتاب مثل القرآن الكريم الذي أذهلت علومه ومعارفه العالم كله! وكون النبي ﷺ أمياً لمثال واضح ودليل بين على أن الحصول على العلوم القرآنية أو السماوية يقتضي التقوى وليس الخدلة الدنيوية. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٢، العدد ٣١/٣/١٩٠١م، ص ٢ - ٣)

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ... يأمرهم بالمعروف: أي ما لا يخالف العقل، وينهاهم عن المنكر: أي ما ينهي عنه العقل.

أي يضع عن الأقوام أثقالهم التي كانوا يوزحون تحتها، ويحررهم من الأغلال التي كانت في أعناقهم وتمنعها من الاستقامة، فالذين يؤمنون به ويقوون به بالانضمام إلى جماعته ينجون من كربوب الدنيا والآخرة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٢٠)

﴿يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ...﴾ أي يؤمنون بالرسول النبي الذي يتحلى بآتي قدرتي الكاملة، وأولاهما: الآية الخارجية؛ أي أنه توجد بحقه نبوءات في التوراة والإنجيل يجدونها في كتبهم. أما الآية الثانية فهي موجودة في شخص الرسول نفسه، وهي أنه مع كونه أُمِّيًّا وغير دارس، فقد أتى بهداية كاملة، وبين هداية الناس كافة الحقائق الحققة التي يعرفها العقل والشرع ولم يُعَد لها وجود على وجه الأرض وأمرهم بالعمل بها، ومنعهم من كل ما هو غير معقول ولا يصدق العقل والشرع. ويضع عن اليهود والنصارى إصرهم الذي كان عليهم ويحررهم من الأطواق التي كانت تحيط بهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ٥٦٤-٥٦٦)

الآية ١٥٩: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

وأما الشبهة أن الله تعالى قد أنزل كتابه للأميين والبدو، لذا يجب أن يكون على قدر عقولهم فليست صحيحة. فأولا وقبل كل شيء فهي شبهة تضم في طياتها كذبا وهو أن ذلك الكلام نزل لتعليم الأميين فحسب، بينما قال تعالى بنفسه بأن هذا الكتاب قد نزل للعالم كله ولإصلاح مختلف الطبائع. فكما خوطب فيه الأميون كذلك فإن خطابه موجّه إلى النصارى واليهود والمجوس والصابئين والملحدين وغيرهم من أتباع الفرق كلها. وفيه ردّ على الأفكار الفاسدة للجميع، وقيل للجميع: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩).

فلما ثبت أن القرآن الكريم موجّه إلى طبائع الناس كافة، ففكّروا في أنفسهم، هل كان ضروريا له في هذه الحالة أم لا، في أن يُظهر عظمته وصدقه على كافة الطبائع، ويزيل جميع أنواع الشبهات؟

صحيح تماما أن هذا الكلام موجّه إلى الأميين أيضا، ولكن هذا لا يعني أنه ﷺ أراد أن يُثقي الأميين على ما هم عليه من الأميّة. بل كان في مشيئته أن يخرج من مكنن القوة إلى حيّز الفعل كل ما يوجد في فطرته من القوى الإنسانية والعقلية. أما إذا كان المقصود أن يُترك الجاهل جاهلا إلى الأبد، فما الفائدة من التعليم أصلا؟ والحق أن الله تعالى بنفسه قد رغب في العلم والحكمة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٤٩٣-٤٩٨)

ليس من الحق البتة القول إن القرآن الكريم لا يحتوي على أكثر من المعارف التي بيّنها النبي ﷺ فقط. فهذه الأقوال لمعارضينا تدل صراحة على أنهم لا يؤمنون بعظمة القرآن الكريم ومحاسنه غير المحدودة. وأن قولهم بأن القرآن الكريم نزل للذين كانوا أميين يُثبت أكثر أنهم لا حظ لهم من بصيرة معرفة القرآن الكريم نهائيا. فهم لا يدرون أن نبينا ﷺ لم يُبعث إلى الأميين فقط. كلا بل إن أمتة تشمل الناس وكل مرتبة وطبقة. يقول الله ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، فقد ثبت من هذه الآية أن القرآن الكريم نزل لإكمال كل نوع من الكفاءة، وإلى ذلك في الحقيقة تشير الآية ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١). (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٦١)

الشرعية العامة التي نزلت في العالم في العدل والإحسان والمواساة العامة هي القرآن الكريم فقط. يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٧١)

لم يقل نبينا الأكرم ﷺ قط بأنه أرسل إلى العرب فقط، بل جاء في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٦٩)

لم يرد في القرآن الكريم أن النبي ﷺ أرسل إلى قريش فقط بل ورد فيه أنه أرسل للعالم كله كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي أرسلت للعالم كله وليس لقوم واحد. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٨٧-٣٨٨)

يا أيها الذين تسكنون الأرض قد جئتُ رسولا إليكم جميعا، وليس إلى قوم معين، وإن هدي هو مواساة الجميع. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٥)

إن جميع المشايخ المعارضين المعاصرين لن يجدوا بدا من الإيمان بأن النبي ﷺ كان خاتم الأنبياء، وأن شريعته كانت لكافة الناس، وقيل بحقه: ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١)، وقد خوطب بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وصحيح أن جميع أنواع الهداية المتفرقة من آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ قد جمعت في حياة النبي ﷺ في القرآن الكريم، لكن مضمون الآية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لم يتحقق في حياة النبي ﷺ عمليا، لأن النشر الكامل كان يتوقف على أن يصل القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ إلى جميع البلدان المختلفة من آسيا وأوروبا وأفريقيا وأميركا وإلى أقصى أنحاء المعمورة. وكان ذلك مستحيلا في ذلك العصر، بل كانت بلدان العالم لم تُكشف كلها بعد حتى ذلك العصر. وكانت وسائل السفر إلى أماكن بعيدة نائية متعذرة وكأنها معدومة. وحتى قبل ستين عاما، وهو عمري، كانت الوسائل الكاملة للنشر كأنها معدومة، أي حتى عام ١٢٥٧ من الهجرة. وإلى ذلك الزمن كانت أميركا بأسرها ومعظم بلاد أوروبا محرومة من دعوة القرآن وبراهينه، بل كانت المناطق الشاسعة من البلاد البعيدة

لم تكن سمعت حتى اسم الإسلام. باختصار؛ حين قيل في الآية المذكورة آنفا: يا سكان الأرض إني رسول الله إليكم جميعا، فلم تصل هذه الرسالة عمليا إلى العالم كله قبل هذا قط، وما أقيمت عليهم الحجة أيضا، لأن وسائل النشر كانت غير متوفرة، كما كان عدم معرفة اللغات الأجنبية عائقا كبيرا في ذلك. كما كانت معرفة أدلة صدق الإسلام تتوقف على أن تترجم التعاليم الإسلامية إلى لغات أجنبية أو يتمكنوا هم من معرفة لغة الإسلام، وكلا الأمرين كان مستحيلا في ذلك العصر. بينما قول القرآن الكريم ﴿وَمَنْ بَلَغْ﴾ (الأنعام: ٢٠٠) كان يعقد أملا أن هناك كثيرين لم تصلهم دعوة القرآن الكريم بعد، كذلك كانت آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤) أيضا تفصح أنه صحيح أن ذخيرة الهداية اكتملت في حياة النبي ﷺ لكن النشر ما زال ناقصا. وكانت كلمة ﴿مِنْهُمْ﴾ في هذه الآية توحى إلى أن شخصا مناسباً لإكمال نشر الهداية سيبعث في ذلك الزمن وسيكون على سيرة النبي ﷺ، وأن رفقاءه سيكونون متصبّغين بصبغة الصحابة المخلصين.... وفي ذلك الوقت بحسب منطوق الآية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وبحسب منطوق الآية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، مسّت الحاجة إلى البعث الثاني للنبي ﷺ، وجميع هؤلاء الخدام من القطار والبرقية والباخرة والمطابع ونظام البريد الرائع وعلم اللغات الأجنبية ولا سيما اللغة الأردنية في الهند التي كانت قد صارت لغة مشتركة بين المسلمين والهندوس؛ قد حضروا إلى النبي ﷺ والتمسوا منه بلسان حالهم قائلين: يا رسول الله! نحن الخدم حاضرون جميعا وتنشط لإنجاز مهمة النشر قلبا وقالبا، فتعال من فضلك وأنجز مهمتك، لأن دعواك أنك أتيت للناس كافة، وآن الوقت الذي تستطيع فيه أن توصل رسالة القرآن الكريم إلى جميع الشعوب التي تسكن على الأرض، وتقدر على أن توصل مهمة النشر إلى الكمال، ويمكن أن تنشر دلائل صدق القرآن الكريم في الناس كافة لإتمام الحجة عليهم.

فَرَدَّتْ عَلَيْهِم رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ: ها أنا قادم بـروزا^١ إلا أنني سآتي إلى بلاد الهند، لأن الحماس الديني واجتماع جميع الأديان ومواجهة جميع الملل والنحل والأمن والسلام كله مهياً هنا، وكذلك كان آدم ﷺ أيضاً قد نزل هنا. فعند ختم دورة الزمن أيضاً كان ينبغي أن يأتي من يأتي على شاكلة آدم في هذا البلد حصراً، لتكتمل الدائرة بقاء الأول والآخر في مكان واحد. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ٢٦٠-٢٦٣) كان هدف القرآن هو الارتقاء بالإنسان من حالته الوحشية ليكون إنساناً، ثم إنساناً مهذباً متحلياً بالآداب الإنسانية، لكي يكون قادراً على العمل بمحدود الشرع وأحكامه، ثم ليكون إنساناً ربانياً. إنها كلمات موجزة إلا أن لها آلاف الفروع والشُعَب. لما كان اليهود والطبيعيون والمجوس وغيرهم من الأمم يعيشون عيشة انحراف وسوء، فخطبهم النبي ﷺ جميعاً بإعلام رباني وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فكان لزاماً أن يكون القرآن الكريم جامعاً للأحكام الصادرة في الماضي من حين لآخر، وشاملاً لكافة الحقائق التي وصلت من السماء إلى أهل الأرض على أيدي الأنبياء عبر العصور الغابرة. لقد أخذ القرآن الكريم في الحسبان جميع البشرية، لا أمة معينة أو بلداً خاصاً، أو عصرًا خاصاً. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٨٦)

ويكشف التدبر في آيات أخرى من القرآن الكريم أن الله تعالى قد وصف النبي ﷺ أُمِّيًّا، إذ لم يكن له معلّم سوى الله تعالى. ورغم كونه ﷺ أُمِّيًّا فقد أدخل الله

^١ لما كانت المهمة الثانية المؤكدة إلى النبي ﷺ، وهي إكمال نشر الهداية، مستحيلة التحقق في زمنه بسبب انعدام وسائل النشر، وعُد بمجيء النبي ﷺ ثانياً في آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤). وقد ظهرت الحاجة لهذا الوعد؛ لأن الواجب الثاني للنبي ﷺ، أي إكمال نشر الهداية الدينية، الذي كان يجب أن يتحقق على يديه، لم يتحقق في زمنه، لعدم توفر الوسائل. وقد أدى النبي هذا الواجب ببعثته الثانية بـروزا في زمن توفرت فيه الوسائل لإيصال الإسلام إلى جميع شعوب العالم. منه

تعالى في دينه كبار الفلاسفة والعلماء، بالإضافة إلى أميين وأناس متوسطين. وهذا ما يكشف لنا، وعلى أروع وجه، معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩). فلفظ "جَمِيعًا" له معنيان، الأول: البشر كلهم، أو الخلق كلهم، والثاني: الناس من كل شريحة، أي بسطاء العقل، ومتوسطو الذكاء، وكبار الفلاسفة أيضا. وكأن النبي ﷺ قال: إن كل شخص، أيا كان طبعه، يمكنه الارتباط والتعلق بي. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٣-١٤٤)

إن الذي كان مقدرا له أن يُبعث لإصلاح العالم كله، كيف كان ممكنا أن يكون إنسانا عاديا؟ جميع الأنبياء الذين جاؤوا قبل النبي ﷺ بُعثوا إلى قوم معينين لذا كانت شريعتهم خاصة بقوم معين أو بزمان معين. ولكن نبينا الأكرم ﷺ كان النبي العظيم الذي قيل بحقه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨) و: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فجميع أنواع العظمة التي ذكرت بحق النبي ﷺ اقتضتها حكمة الله تعالى، لأن الذي كان مقدرا أن تنتهي عليه النبوة لو وُجد في كمالاته نقص لُوجد النقص نفسه في أمته. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ١٩٠٣/١/٢٤، ص ٨)

لما كان نطاق قوة النبي ﷺ وعزيمته وكفاءته واسعة جدا، فإن كلام الله الذي تلقاه كان عالي المرتبة جدا، ولن يولد شخص بمثل قوته ﷺ وعزيمته وكفاءته، لأن دعوته ما كانت لزمن محدد أو قوم معينين مثل الأنبياء الذين سبقوه، لذا قيل بحقه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقيل أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، فأنتي لأحد أن يباري من كان نطاق بعثته ورسالته واسعا إلى هذا الحد؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ١٩٠٣/٥/٣١، ص ٢)

من سنة الله المستمرة أن الزمن يتطور، فجاء في الأخير زمن خاتم النبيين، وهو الشخص الوحيد الذي أعلن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. إنها

بضع كلمات بادِي الرأي، ويمكن للأعمى أن يقول إنه إعلان بسيط، ولكن الذي يملك قلبًا يفهم وأدنا تسمع وعينا ترى، فلن يراها كلمات عادية بسيطة. إذا كانت هذه كلمات عادية، فلماذا لم يجرؤ موسى أو المسيح عليهما السلام أو أي نبي سواهما على التفوه بها. الحق أن الذي لم يُعطَ هذه القدرة وهذا المنصب لا يقدر على التفوه بها. أقول مرة أخرى: لم يُعطَ أي نبيّ الشوكة والجلال اللذين أُعطيتهما نبينا الأكرم ﷺ. لو أُطعمت الشاة اللحم كل يوم فلن تصبح أسدا بأكل اللحم، إنما الشبل هو الذي يصير أسداً. فاعلموا يقينا أنه لم يكن مستحقاً لهذا الاسم ولا أهلاً له إلا إنسان واحد فقط، وهو مَنْ سُمِّي محمداً ﷺ. إنما يودع الله بمحض فضله هذه القوى في قلبٍ وعقلٍ مَنْ يشاء، وهو الأعلم بمن هو أهلٌ لهذه القوى ومحلّها. ليس بوسع كل إنسان أن يفهم هذا السر، ولا يملك كل نبي لسانا يعلن به: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ من المحال أن يخرج هذا الكلام من فم أحد ما لم يحالفه تأييد خاص من الروح القدس.

لقد أُعطي رسولُ الله ﷺ كلّ الكفاءات والقدرات الضرورية التي تجعل المرء محمداً، لكي تتجلى فيه بالفعل هذه الأمور التي كانت مودعة فيه بالقوة، ومن أجل ذلك أعلن النبي ﷺ: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. كم يواجه المرء من المصائب والمحن عند سعيه لإصلاح قوم واحد؟ وكم يعاني السيد في إصلاح خادم واحد شرير، حتى إنه يضطر أحياناً لعزله بعد أن يضيق منه ذرعاً ويفشل في إصلاحه، ولكن كم يستحق المدح والثناء مَنْ يتمكن من إصلاح هذا الخادم. أما الذي يتمكن من إصلاح قومه، فهو بطل عظيم بلا شك، وإن كان هذا أيضاً ليس بإنجاز عظيم. أما هذا الذي قد أُرسِلَ لإصلاح شتى الأمم فيمكنكم تقدير القوى الكاملة والعظيمة الموهوبة له! وفكّروا الآن في رسول الله ﷺ وجماعته، وسوف يتبين لكم بكل جلاء أنه وحده كان الأحقّ والأجدَر بأن يسمّى محمداً، إذ أثبت بعمله ما أعلنه

بلسانه إذ قال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ثم جاء الوقت الذي تحقق فيه قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ٢-٣).

وإن في ذلك إشارة صريحة إلى أن النبي ﷺ قد جاء إلى الدنيا حين لم يكن أحد يعرف عن دين الله شيئا، وكان الظلام سائدا على مستوى العالم أجمع، ولم يغادر ﷺ الدنيا إلا بعد أن رأى مشهد: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ٣). (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١م، ص ٣)

عندما تتولد الطهارة والنزاهة في القلب تتولد فيه قوة وقدرة خارقة للتقدم وتيسر له أسباب من كل نوع فيظل يتقدم. انظروا إلى النبي ﷺ أنه كان وحيدا فريدا وفي تلك الحالة من عدم الحيلة ادّعى قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، مَنْ كان له أن يتصور حينئذ أن هذا الادعاء لشخص عديم الحيلة مثله سيكون ناجحا؟ وإضافة إلى ذلك واجه من المصائب ما لم نواجه جزءا من ألف منها. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٣، عدد ٢٤/٩/١٩٠٥م، ص ١٠)

والقرآن الكريم وحده ادّعى بكل وضوح أنه جاء للأمم كلها كما يقول ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. ثم يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، ويقول: ﴿لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ٢). ولكننا نقول بكل قوة وشدة بأنه ما من كتاب موحى به ادّعى ذلك قبل القرآن الكريم، بل جعل كل واحد منها رسالته محدودة على قومه فقط إلى درجة أن النبي الذي اتخذه النصارى إلها قال: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ". وقد شهدت أحداث الزمان أيضا أن ادعاء القرآن الكريم الدعوة العامة في محله تماما، لأن باب الدعوة العامة كان قد فُتح في زمن النبي ﷺ. فبعد نزول الآية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ كتب النبي ﷺ بيده رسائل إلى كبار ملوك

العالم لدعوتهم إلى الإسلام. بينما لم يكتب أيّ نبي آخر رسالة إلى ملك قوم آخرين قط يدعوهم إلى دينه لأنهم ما كانوا مأمورين بتبليغ الدعوة إلى أقوام أخرى. بل الدعوة العامة بدأت بيد النبي ﷺ فقط، ثم بلغت ذروة كمالها في زمن المسيح الموعود وبيده. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٧٦-٧٧)

لم يدع عيسى ولا موسى - عليهما السلام - قط أنه مبعوث إلى العالم بأسره، بل كانا يَخَصَّان تعليمهما بخراف بني إسرائيل فقط، وإقرارهما الشخصي موجود^١، فالكتاب الذي أعطياه بحسب الحاجة كان قانونا مختصا بذلك الزمان وذاك القوم. فمن البين الآن أن الشيء الذي أتى لحاجة خاصة وزمن ومكان معينين، إذا عُدَّ عنوة وعبثا وبتكلف أنه للعالم بأسره، فسيؤدي بالضرورة إلى عجزه عن إنجاز مهمته. وأنى له أن يتحمل الحمل الذي لم يخلق من أجله. فلهذا السبب ثمة نقائص في هذه التعاليم في ضوء الأوضاع المعاصرة، لكن القرآن الكريم ليس مختصا بزمان وقوم، وليس مختصا بمكان محدد أيضا، بل قد أعلن من أنزل إليه هذا الكتاب الكامل والمكمل ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقد ورد في آية أخرى: ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ٢٠) أي يكون من اللزام على كل من بلغه هذا التعليم أن يتبعه ويتحمل نير طاعته، مهما كان وحيثما كان يسكن. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨ م، ص ٧)

لقد ادعى النبي ﷺ: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فكان لزامًا أن يواجهه من المعارضين كل مكر وكيد وحيلة توجد في الدنيا، ومع ذلك انظروا كيف تحدى الأعداء بمنتهى الشجاعة والبسالة: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ (هود: ٥٦)، أي لا تألوا

^١ من بدر: فقد قال عيسى عليه السلام شخصيا بأنه لم يرسل إلى غير خراف بني إسرائيل الضالة، والقرآن الكريم أيضًا يصدق ذلك بقوله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠). (بدر؛ مجلد ٧، العدد ٢٥، ص ٦ بتاريخ ١٩٠٨/٦/٢٥). (المدون)

جهدًا ولا تدخروا حيلةً ولا خدعةً ولا تأمرًا لقتلي، وامكروا كل مكر من أجل إخراجي أو أسري، ولكن اعلّموا أنه ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٦)، أي سيكون النصر حليفي في النهاية، وستبوء خططكم كلها بالفشل، وستتفرق جمعكم، ويتشتت شملكم، وتولون كلكم مدبرين. ليس ثمة نبي من الأنبياء قام بهذه الدعوى العظيمة: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ولم يجرؤ أحد منهم على أن يقول: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ (هود: ٥٦)، كما لم يعلن أحد منهم: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٦)، إنما خرجت هذه الكلمات من فم ذلك النبي الذي كان ملتفتًا برداء الألوهية تحت ظل الله تعالى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٨)

الآية ١٦٨: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قد قطع الله على نفسه الوعد بحق اليهود أنه سيظل يبعث عليهم ملوكا يصيبونهم بأنواع العذاب. ومن هذه الآية عرفنا أيضا أن أكبر سبب لكون اليهود ﴿الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ حصرا أنهم آذوا عيسى عليه السلام أشد الأذى، وكفّروه وفسقوه وأهانوه، ونعتوه مصلوبا، ليعدّ والعباد بالله من الملعونين، وآذوه لدرجة أن ألصقوا بأمه بهتاناً عظيماً كما يتبين من الآية ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧)، باختصار؛ قد أصابوه بكل أنواع الإيذاء الممكن من التكذيب وإطلاق الشتائم وإلصاق التهم الكثيرة افتراءً، وإصدار الفتوى بكفره، وبذل المساعي لتشيت جماعته ورفع الشكاوى الكاذبة لدى الحكومة، وعدم ادّخار أي جهد في الإساءة، ثم عقد العزيمة أخيراً على قتله. فكل ذلك صدر من اليهود الأشقياء بحق عيسى عليه السلام. ونعلم بتدبر الآية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦) أن العقوبة المذكورة في آية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦٢) أصيب

بما اليهود على إيدائهم المسيح عليه السلام أيضا. لأن الآية المذكورة آنفا تتضمن وعيدا دائما بحق اليهود أنهم سيخضعون دوما لسيطرة غيرهم في الحياة، وهي أصل كل عذاب وذلة. كما ثبت حتى الآن بملاحظة الأوضاع البائسة لليهود أنه لم يهدأ بعد غضب الله الذي ثار عليهم حين ذهبوا بذلك النبي الوجيه معتقلا إلى موضع "جلجثة"، ليصلبوه. وأصابوه بشتى ألوان الهوان قدر ما استطاعوا، وبذلوا السعي ليكون مصلوبا لكي يُعَدَّ من الملعونين بحسب النصوص الصريحة للتوراة ويُكتب من الذين ينحطّون إلى تحت الثرى بعد الوفاة ولا يكون رفعهم إلى الله. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٩٧-٢٠٠)

الآية ١٧٣: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى... أي أن كل روح قد أقرت بربوبية الله دون استثناء، وهذه أيضا إشارة إلى الإقرار الفطري. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٤-١٨٥، الحاشية رقم ١١)

الشيء الذي هو مظهر جميع عجائب الصنعة الإلهية لا يمكن أن يخرج من نطاق المصنوعات والمخلوقات. بل هو يحمل ختم المصنوعية على وجوده أكثر من الجميع. ويدل على وجود الصانع الأزلي بوجه أقوى وأكمل. فمن هذا الدليل لا يثبت كون الأرواح مخلوقة نظرياً فقط، بل هو من أجلى البديهيات في الحقيقة أيضاً. بالإضافة إلى ذلك ليس للأشياء الأخرى علم بكونها مخلوقة. أما الأرواح فتعرف بالطبع أنها مخلوقة. فروح أي بدوي أيضاً لا ترضى بأن تكون من تلقاء نفسها، وإلى ذلك أشار الله تعالى في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، أي سألت الأرواح: ألسنت بربكم، أي خالقكم؟ قالوا بلى. فهذا السؤال والجواب في الحقيقة إشارة إلى تلك العلاقة

التي تتحقق بين المخلوق وخالقه بالطبع، التي شهادتها قد نُقشت على فطرة الأرواح.
(الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٦٨)

معرفة هذا الدين بالله واضحة ونقية وملائمة للفطرة الإنسانية. فلو أُبديت كتب جميع الأديان وانمحت أفكارها العلمية والتصورات فسيبقى الإله الذي يدل عليه القرآن الكريم متجليا في مرآة قانون طبيعته، وستظهر صورته الفيضة بالحكمة والقدرة لامعة في كل ذرة. باختصار؛ إن الإله الذي يكشفه القرآن الكريم لا يملك سلطة جبرية على ما أوجده بل تخضع لحكمه كل ذرة بطبعها وروحانيتها بحسب الآية الكريمة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. وفي كل طَبْع يوجد انجذاب للإنابة إليه، فلا تخلو أية ذرة من هذا الانجذاب. وهذا يشكّل برهانا عظيما على أنه خالق كل شيء لأن نور القلب يقبل أن الميل الذي يوجد في كل شيء للخضوع له ﷻ هو بلا شك منه ﷻ. كما قد أشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٥) أي كل شيء يقدره ويبين محامده، فلو لم يكن الله خالق هذه الأشياء فمن أين هذا الانجذاب إليه ﷻ؟ ليدرك كل متدبر أن سبب هذا الجذب صلة خفية. وتلك الصلة إذا لم تكن تتمثل في كونه ﷻ خالقا لها، فليبين لنا أي من الآيين ما هو السبب الذي بيّنه الفيدا لهذا الجذب، وما اسمه؟ فهل من الحق القول بأن الله ﷻ قد فرض سلطته على كل شيء قسرا؟ وأن هذه الأشياء تخلو من أي قوة طبيعية للانجذاب والحنين إلى الإنابة إلى الله؟ كلا والعياذ بالله ليس الأمر هكذا، بل إن هذا التفكير ليس ناتجا عن الحمق فحسب بل هو من الخبث من الدرجة القصوى. لكن الأسف أن فيدا الآيين بإنكاره كون الله خالقا، لم يقبل هذه العلاقة الروحانية، التي يترتب عليها الطاعة الطبيعية لكل شيء. ولما كان هناك بونٌ شاسع بين الفيدا والمعرفة الدقيقة والعلم الدقيق، فقد خفيث عليهم هذه الفلسفة الحقّة، وهي أن من المؤكد أن لجميع الأجسام والأرواح علاقة فطرية بتلك الذات الأزلية، وأن حكومة الله ليست

جبرية ومصطنعة بل كل شيء يسجد له بروحه. لأن كل ذرة مدينة لمنه التي لا حصر لها، وهي منه. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٩٦-٢٩٧)

ثم يقدم الله في القرآن الكريم دليلا آخر على وجوده قائلا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ أَي سَأَلْتُ الْأَرْوَاحَ فَأَجَابَتْ كُلُّهَا بِأَنِّي رِبْهَا. وفي هذا الحوار يشير الله تعالى إلى خاصية غرسها في فطرة الأرواح، وهي أنه ليس هناك روح تستطيع بفطرتها أن تنكر وجود الله، وإنما ينكره الجاحدون لأنهم لا يجدون في زعمهم دليلا على وجوده تعالى، ولكنهم مع هذا الجحود يسلّمون بأنه لا بد لكل حادث من مُحدث. لا يوجد في العالم أحق واحد يصاب بدنه بداء فيصّر على أنه ليس وراء هذا الداء من علّة خفيّة. والحق أنه لولا انضباط نظام هذا الكون بسلسلة العلل والمعلولات، لما أمكن الإنباء أنه في وقت كذا سيأتي الفيضان، أو تهبّ العاصفة، أو يحدث الخسوف أو الكسوف، أو يموت المريض، أو أنه في وقت كيت وكيت يصاب المريض بكذا وكذا من الأعراض. ولذلك فمثل هذا العالم الملحد يقرّ بوجود الله تعالى ضمّنيًا وإنْ أنكره علنًا، لأنه يظل - كمثّلنا - في البحث والتفتيش عن الأسباب للمسبّبات، وهذا أيضا نوع من الإقرار، وإن كان غير كامل.

ثم إننا لو وضعنا المنكر لوجود الله تحت تأثير مخدر بحيث تتعطل منه جميع إراداته، ويذهل عن أفكار الحياة الدنيا، ويصبح في تصرف ذي سلطان أعلى، لاعترف عندئذ بوجود الله تعالى، ولما كفر به، وقد شهدت بذلك اختبارات كبار المجريين. وإلى هذه الحالة تشير هذه الآية، والمراد منها أن الجحود بوجود البارئ يتم بتأثير الحياة الدنيا.. وإلا فإن الفطرة السليمة لتعترف تماما بوجود الله ﷻ. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧١)

إن مدار النجاة هو على حب الله الذاتي. والمراد من الحب الذاتي هو ذلك الحب الذي خلقه الله تعالى في فطرة الأرواح. فما دام الإله لم يخلقها أصلا فكيف يمكن

أن يكون لها حبٌّ فطري تجاه الإله؟ ومتى أدخل الإله هذا الحب بيده في فطرتها؟ هذا مستحيل، لأن المراد من الحب الفطري هو الحب الذي يلزم الفطرة دائماً ولا يلحقها فيما بعد، كما يشير الله تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، أي سألت الأرواح: ألسنتُ أنا خالقكم؟ قالوا: بلى. المراد من هذه الآية هو أن هذه الشهادة موجودة في فطرة روح الإنسان بأن الله تعالى هو خالقها. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٣-٣٦٤)

قد وُضعت في روح البشر خصائص وتغييرات عجيبة وغريبة لا توجد في الأجسام. وبالتأمل في الأرواح يمكن للإنسان أن يعرف ربه سريعاً، كما جاء في حديث: "مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه". ثم يقول الله تعالى في آية أخرى من القرآن الكريم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾. أي سألت الأرواح: ألسنتُ خالقكم؟ فأجابت الأرواح كلها، بلى. معنى هذه الآية أنه منقوش ومرتسخ في فطرة الأرواح أنها معترفة بخالقها. ثم تطرأ ظلمة الغفلة على بعض الناس ويتأثرون بتعاليم نجسة، فيلحد بعضهم وينضم بعضهم إلى الآريين وينكرون خالقهم على النقيض من مقتضى فطرتهم. من المعلوم أن كل شخص يحب والديه إلى درجة أن بعض الأولاد يموتون على إثر موت الأم. فإذا كانت الأرواح ليست مخلوقة بيد الله فمن رشح حبه ﷻ على فطرتها؟ ولماذا ينجذب قلب الإنسان إلى الله تعالى، ويجري في باحة صدره بحر حبه ﷻ عندما تفتح عينه ويزول عنها حجاب الغفلة؟ لا بد أن للأرواح مع الله تعالى علاقة تجعلها في حب الله كالمجنون، فتفنى في حب الله إلى درجة تكون عندها جاهزة للتضحية بكل شيء في هذا السبيل. بل الحق أنها علاقة غريبة ولا نظير لها في العلاقة مع الأم ولا مع الأب. فإذا وُجدت الأرواح من تلقائها كما يزعم الآريون فكيف إذا نشأت هذه العلاقة؟ ومن أودع الأرواح قوى الحب والعشق هذه مع الله تعالى؟ إنه لمقام التأمل والتدبر، وهذا المقام هو مفتاح المعرفة الصادقة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٦-١٦٧)

لقد خلق الإنسان للتعبد الأبدي، وحب الله موجود في قلبه فطرةً. فلذلك هناك علاقة أزلية بين الله وبين روح الإنسان كما يتبين من الآية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٠٠)

إن قوى الأرواح التي تولّد فيها حب الله تعالى تشهد بلسان حالها أنها خلقت بيد الله ﷻ. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، ج ٢١، ص ٤٢٠) الواقع أن حقيقة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ محفورة في فطرة الإنسان، أما الثالوث فلا علاقة له بجبلّة الإنسان ولا بأي شيء في الكون. انظروا مثلاً إلى قطرة الماء فإنها تتراءى كروية الشكل لا مثلثة الشكل، وهذا أيضاً دليل بين على أن نقش التوحيد موجود في كلّ شيء في الكون. لو أمعنتم النظر في قطرة الماء وجدتموها كروية الشكل، والشكل الكروي يشير إلى التوحيد لأن الشكل الدائري لا يقبل الجهة، أما المثلث فيقبل الجهة. ثم انظروا إلى النار مثلاً، فهي مخروطية الشكل ومع ذلك فيها كروية، ويسطع منها أيضاً نور التوحيد. وخذوا الأرض مثلاً، واسألوا الإنجليز عن شكلها، سيقولون لكم إنها كروية الشكل. باختصار، كلما تقدمت البحوث العلمية الطبيعية فلسوف تؤكد التوحيد وحده. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٧١)

طُرح سؤال: إذا كان أحد قد حصل على شيء فما الذي يستفيده من الحصول عليه مرة أخرى؟

قال عليه السلام في الجواب: نحن نصف هذا المبدأ بـ "لا نسلم" فهو ليس صحيحاً، فقد ورد في القرآن الكريم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، فهنا ينشأ السؤال أن الأرواح ما دامت على علم فلماذا بعث الله الأنبياء؟ فكأنه تحصيل حاصل، فالمسألة خاطئة. فهناك تحصيل عابر بسيط، وهناك تحصيل مفصّل ودقيق،

فبينهما فرق. فللعلم الذي يتلقاه الناس من النبيين ثلاثة صنوف: علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين.

ومثال ذلك أن يرى المرء من بعيد دخاناً فيدرك أن هناك ناراً. لأنه يعرف أنه حيثما وُجدت نار وجد هناك دخان أيضاً، وكلاهما متلازمان. فهذا نوع من العلم، ويسمى علم اليقين. لكنه حين يقترب أكثر يرى النار بعينه فهذا عين اليقين. ثم إذا وضع يده فيها وشعر بالحرارة فلن تبقى لديه أي شبهة في وجودها، فالعلم الذي يحصل له بهذه الطريقة يسمى حق اليقين. فهل يمكن أن نسميه تحصيلاً؟ كلا! (بدر، مجلد ٢، رقم ١٨، عدد ٢٢/٥/١٩٠٣ م، ص ١٣٧)

إن للإنسان علاقة طبيعية مع الله تعالى لأن فطرته قد أقرت في حضرته قائلة "قالوا بلى" رداً على: "ألسن بربكم". (بدر، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ١٤/٣/١٩٠٧ م، ص ٦)

الآية ١٧٧: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

يريد الله أن يدعو إليه عبده بالرؤيا أو الإلهام الذي يعطيه في البداية، ولكن تلك الحالة ليست حالة الاطمئنان للإنسان، إذ كان بلعام باعور أيضاً يتلقى الإلهام، ولكن الثابت من قول الله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ أنه لم يتم رفعه، أي لم يكن قد صار عبداً صفيّاً أو مرضيّاً عند الله بعد، فسقط أخيراً. بمثل هذه الإلهامات لا يصير الإنسان شيئاً يُعتدّ به. من المحال أن يكون الإنسان لله تعالى ما لم يمت آلاف المرات، وما لم يخرج من بيضة البشرية. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠١ م، ص ١٤)

النجاة الكاملة تُنال بالرفع إلى الله وحده، ومن لم يُرفع صار: "أخلد إلى الأرض".

(الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠١ م، ص ٧)

الآية ١٨٠: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

إذا لم ينذر المرء نفسه لله تعالى فليعلم أن الله قد خلق جهنم لأمثال هؤلاء. لقد اتضح من هذه الآية بكل جلاء ظنُّ البعض من قليلي الفهم أن كل إنسان سيدخل جهنم لا محالة؟ كلا، هذا ظن خطأ، غير أنه مما لا شك فيه أن قليلا هم الذين في مأمن من عذاب جهنم تماما. ولا غرابة في ذلك، إذ قال الله تعالى: ﴿قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٤). هنا يجب أن تفهموا ما هي جهنم؟ هناك جهنم توعَّد بها الله تعالى بعد الممات، وهناك جهنم أخرى وهو أن حياة المرء تصير جحيما إذا لم تصبح لله تعالى، والله تعالى لا يتولى مثل هذا الإنسان فلا ينجيه من المعاناة ولا يوفر له الراحة. لا تظنوا أن الثراء والمال أو الحكم أو العزة أو كثرة الأولاد مدعاة لسعادة المرء وطُمَأْنِينته وسكينته، وتجعله وكأنما هو في الجنة في هذه الدنيا. كلا، بل إن الطُمَأْنِينَة والسكينة التي هي من نعماء الجنة لا تُنال بهذه الأشياء، وإنما تتسنى إذا صارت حياة المرء ومماته كلها لله تعالى، وهذا ما وصَّى به الأنبياء لاسيما إبراهيم ويعقوب عليهم السلام قائلين: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣). أما ملذات الدنيا ومُتَعها فتخلق في الإنسان جشعا نجسا يزيده طلبا وطمعا، فلا يزول عطشه، بل يشتد ويزداد كالمصاب بمرض الاستسقاء حتى يهلك.

إذن، فنار الأُماني الزائفة والحسرات هي أيضا نوع من نار جهنم التي لا تدع قلب الإنسان يقرّ ويرتاح، بل تجعله دائم القلق والاضطراب. فلا يغيث عن أنظار أحبائي أبدا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتلهف ويتحمس لحب المال والثراء والزوجة والأولاد بحيث يصاب بنوع من النشوة والجنون يُفقد الصواب، فيصير بينه وبين الله حجاب. ومن أجل ذلك قد عُذَّ المال والأولاد فتنَةً، وإنهما أيضا تُعِدَّان للإنسان

نوعاً من الجحيم بحيث إذا فُصل عنهما أُلقيَ في قلق واضطراب شديدين، وهكذا يصبح قول الله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة: ٧-٨) أمراً معقولاً متحققاً، ولا يبقى مجرد قول منقول.

فالنار التي تحرق الإنسان وتشويه كباباً، وتغادره أشدَّ سواداً من الفحم المحروق، إنما هي محبة غير الله تعالى. ومن المعلوم أن اجتماع شيئين واحتكاكهما يولد نوعاً من الحرارة، فاحتكاك حبِّ المرء للناس وللدنيا ومتعها يُحرق ما فيه من حبِّ الله، فيسودُّ قلبه ويتعد عن الله تعالى، ويصبح غرضاً للقلق والاضطراب أشكالا وألوانا. ولكن إذا كانت علاقة الإنسان مع أشياء الدنيا تابعة لعلاقته مع الله تعالى، وكان حبه لها تابعا لحب الله تعالى، أحرَقَ هذا الاحتكاك حبَّ غير الله فيه، وحلَّ محله ضياء ونور، وأصبح رضا الله رضا الإنسان، وصار رضاه مشيئة الله تعالى، وعند بلوغ هذا المقام يصبح حبُّ الله بمنزلة الروح له، وكما أن استمرار الحياة لا بد لها من لوازمها، كذلك يصبح الإنسان لبقائه بحاجة إلى الله، وإلى الله وحده. وبتعبير آخر تكمن سعادته وراحته في الله تعالى وحده. وفي هذا المقام إذا أصابه ألم أو كرب في أعين أهل الدنيا، فإنه يجد في هذه الحالة من الهم والغم أيضا لذة وطمأنينة وسكينة من عند الله تعالى لا يحظى بها أحد مهما كان عائشا في مجبوحة من العيش في أعين أهل الدنيا. أما كل ما سواه من حالة الإنسان فهو جهنم. وبتعبير آخر إن العيش من دون الله تعالى نوع من جهنم.

ويظهر من الحديث الشريف أن الحمى أيضا من فيح جهنم. والحق أن صنوف الأمراض والمحن التي تصيب الإنسان هي أيضا نماذج لجهنم، لتكون شاهدة على وجود العالم الآخر، وهي تشكّل دليلاً على حقيقة مسألة الجزاء والعقاب، وتفند عقيدة الفداء الباطلة. خذوا الجذام مثلاً، فلو صارت أعضاء المجذوم متأكلة، وسالت منها المادة الرقيقة، وبَحَّ صوته، فهذا بحمد ذاته جهنم له، إذ ينفر منه الناس ويتركونه، حتى يتحاشاه أعزُّ أعزته كالزوجة والأولاد والآباء.

ثم بعض الناس يصاب بالعمى والصمم، والبعض يمرض بأمراض خطيرة أخرى، وبعضهم تتكون في بطنه الحصوات أو الأورام. فكل هذه البلايا والآفات تحلّ بالإنسان لأنه يعيش بعيداً عن الله تعالى، ويتجاسر على الوقاحة والإساءة في الحضرة الإلهية، ولا يعظّم أوامره ولا يبالي بها، فينشأ فيه نوع من الجحيم.

أعود الآن إلى صلب الموضوع ثانية وأقول: لقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، وقال أيضاً إنهم قد خلقوا هذا الجحيم بأيديهم مع أنهم كانوا يُدْعَوْنَ إلى الجنة. فصاحب القلب الطاهر يسمع الكلام بطهارة، وصاحب الأفكار الخبيثة يعمل بعقله الأعمى، فهناك جهنم في الآخرة، ولكن مثل هذا الإنسان لن ينجو من جهنم الدنيا أيضاً، لأن هذا الجحيم إثبات ودليل على جحيم الآخرة. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٣، عدد ١٦/٩/١٩٠٠م، ص ٦-٧)

﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا...﴾ أي الذين يقلدون الآباء فقط لهم قلوب لا يبصرون بها... فهم كالأنعام بل أسوأ منها أيضاً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١ ص ٩٠-٩١، الحاشية رقم ٥)

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ أي أن نور فطرتهم تضاعل لدرجة أنه لا فرق بينهم وبين الدواب إلا قليلاً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٥، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٨١: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لله الأسماء الحسنى فادعوه بها؛ أي لا يجوز إشراك الغير في أسمائه، فادعوه بِحَسْبِكَ بالأسماء التي لا يشاركه فيها أحد، أي لا تُطلقوا عليه ﷺ أسماء مخلوق أرضي أو سماوي ولا تُطلقوا أسماءه ﷻ على مخلوق فابتعدوا عن الذين يشركون في أسماء الله

وصفاته فإنهم سينالون جزاء أعمالهم قريبا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٢-٥٢٣، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ١٨٦: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾. أي بعد القرآن، والمعلوم أن النص القاطع واليقيني من الدرجة الأولى عندنا هو القرآن الكريم وحده. أما الأحاديث، وإن كانت صحيحة أيضا، فإن معظمها يفيد الظن. والظن لا يغني عن الحق شيئا. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٣)

كل حديث يعارض آية قرآنية صريحة، جدير بالردّ بحسب الآية: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ والآية: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٧). وكانت وصية النبي ﷺ الأخيرة بأن عليكم بالتمسك بكتاب الله. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦١٠)

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾. إن تنكير لفظ "حديث" هنا -الذي يفيد العموم- يبين بكل جلاء أنه يجب أن تردوا الحديث الذي يعارض القرآن الكريم وينافيه إن لم يكن من سبيل للتوفيق بينهما. وفي كلمة "حديث" في الآية المذكورة نبوءة أيضا تترشح منها إشارة، وهي أن الله تعالى يشير فيها إلى أنه سيأتي على هذه الأمة زمان يهجر فيه بعض أفرادها القرآن الكريم وسيعملون بالأحاديث التي بياناتها تعارض بيانات القرآن الكريم. (تعليق على المباحثة بين البطالوي وجكرالوي، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٠٧)

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٧) ففي هذه الآية إشارة صريحة إلى أنه إذا حكم القرآن الكريم في أمر ما حكما قاطعا و يقينيا دون أن يبقى فيه أدنى شك وتبين المقصود تماما فلا يليق بالمؤمن أن يؤمن بحديث يعارضه صراحة.

ثم يقول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، ولهاتين الآيتين معنى واحد فلا حاجة إلى شرحه أكثر. فمن منطلق الآيتين المذكورتين يجب أن يكون مذهب كل مؤمن هو الإيمان بكتاب الله حجة شرعية بدون أي شرط، وأن يؤمن بالحديث حجة شرعية مشروطة، وهذا هو مذهبي.

.... ما ذكر في الأحاديث منسوبا إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً سوف نختبره أيضاً بالمحك نفسه، وسنرى من منطلق الآية: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ إذا كان ذلك الحديث المبني على القول أو الفعل أو التقرير يعارض آية من آيات القرآن الصريحة والبيّنة أم لا. فإن لم يكن معارضا فسنقبله على الرأس والعين، ولكن إذا كان معارضا في الظاهر فسنحاول قدر المستطاع لتوفيقه، وإن لم ننجح في ذلك مع بذل الجهود المضنية ووجدناه معارضا للقرآن الكريم بصراحة تامة فلسوف نرد ذلك الحديث متأسفين لأن مكانة الحديث لا تبلغ مكانة القرآن الكريم. القرآن وحي متلو، وقد اهتّم بجمعه وحفظه اهتماما بالغاً بحيث لا مجال للمقارنة بينه وبين الاهتمام بحفظ الأحاديث. إن غاية ما يفيد كثير من الأحاديث هو الظن ويؤدي إلى نتيجة ظنية. وإن كان هناك حديث يحظى بمرتبة التواتر فإنه مع ذلك لا يساوي تواتر القرآن الكريم قط. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية المجلد ٤، ص ١٢-١٣)

لا بد أن يكون مذهبنا أن نعرض كل حديث وقول على القرآن الكريم حتى نعلم على وجه اليقين هل يستمد النور في الحقيقة من مشكاة الوحي نفسه الذي خرج منه القرآن الكريم أو يعارضه؟ (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية المجلد ٤، ص ٢٢) ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾. ففي هذه الآية ترغيب صريح في أنه يجب عرض كل قول وحديث على كتاب الله، وإذا كان كتاب الله قد أصدر حكما واضحا غير قابل للتغيير والتبدل في أمر معين فكل حديث يعارضه لن يُعتبر صحيحا. ولكن إن لم يُصدر كتاب الله حكما قاطعا ومؤيَّدا لا يقبل التبدل وثبت أن ذلك

الحديث صحيح بحسب قانون الرواية كان جديرا بالقبول. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية المجلد ٤، ص ١٠٧-١٠٨)

الآية ١٨٨: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

"والكلام المفصل في ذلك أن أمارات القيامة على قسمين: الأمارات الصغرى، والأمارات الكبرى. أما الأمارات الصغرى فقد تبدو وتظهر على صورتها الظاهرة، وقد تنكشف وجودها في حُلل الاستعارات. ولكن الأمارات الكبرى فلا تظهر على صورتها الظاهرة أصلاً، ولا بد فيها أن تظهر في حُلل الاستعارات والمجازات. والسر في هذا الأمر أن الساعة لا تأتي إلا بغتة كما قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٣٠٢-٣٠٣)

طُرِح سؤال: الذين يشتركون في الحروب ويقتلون الناس فيها هل عليهم ذنب القتل أم لا؟

الجواب: علمها عند ربي، لا أستطيع أن أقول في هذا الموضوع شيئاً. والله أعلم فيما إذا كان فعله حسناً أو سيئاً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ١٠)

الآية ١٩٦: ﴿أَلْهَمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾

... قل لهم أن ادعوا مقابلي شركاءكم الذين تعبدوهم، ثم كيدوا لإفشالي كل كيد ولا تُثهلوني قط. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٠، الحاشية رقم ١١)

من أساليب معرفة الحق بل هو المعيار الأمثل لمعرفة أن ينقُصَ على عداوة المبعوث الإلهي العالم كله بكل أسلحته وُعُدّته وعتاده، أي بالنفس والمال والأعضاء والعرض، ويهبطُ لمعارضته جميع الناس من الداخل والخارج والمعارف والأغيار، ومع ذلك يتقدم الحق إلى الأمام خطوة بعد خطوة ولا يقدر أحد على الحيلولة دون تقدمه. لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (هود: ٥٦) فلو مُحِصَّ أمر جماعتنا على هذا المعيار لما بقي شك للباحث عن الحق. ترون أنه ليس لدينا واعظ ولا محاضر، ومن ناحية ثانية ترى الأعداء من الداخل والخارج يسعون جاهدين لإبادتنا مجتمعين، ولكن الله تعالى رزقنا النجاح في كل موطن وواجه الأعداء خزيا. لقد أصدرنا ضدي فتاوى الكفر ورفعوا قضية القتل الزائفة. باختصار، لم يدّخوا جهدا لتدميرنا، ولكن هل لأحد أن يحارب الله تعالى؟ الحق أن الأعداء هم الدافع والسبب وراء تقدمنا. هناك كثير من الناس الذين بايعوا نتيجة قراءة كتبهم. لو كان عندنا وعاظ لكنا ممتنين لهم، ولكان ذلك أيضا شعبة من الشرك، ولكن الله تعالى أنقذني من ذلك. الفلاح يزرع بذرة ويسقيها من ناحيته، وهناك بذرة يزرعها الله ويسقيها. أنا وجماعتي بذرة زرعها الله وسقاها، ومن يستطيع أن يقتلع غراسا يزرعه الله تعالى؟ (بدر، مجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١/١١/٢٠١٩م، ص ٢٧)

الآية ١٩٧: ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾

... أي إن كفيلي هو ذلك الإله الذي أنزل كتابه، وهذا هو قانونه الجاري في الطبيعة هو أنه يتم أمور الصالحين بنفسه ويتكفل مهماتهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ٢٥٠، الحاشية رقم ١١)

اعلموا أن وكيلي ونصيري ووليي هو الله الذي أنزل القرآن وهو يتولى رسله الصادقين والصالحين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ص ٥١٩ الحاشية في الحاشية رقم ٣)

ومن جعلتها مقام التوكل الذي يُثَبِّتُون عليه بقوة وشدة، ولا يتسنى لغيرهم هذا الينبوع النقي قط، بل يُجَعَلُ هنيئاً ومستساغاً لهم وحدهم فقط. ويتداركهم نور المعرفة بحيث يعيشون ببشاشة وانسراح صدر مع عدم حيلتهم ويُعَدِّدُهم عن الأسباب العادية كل البعد في معظم الأحيان، ويقضون أيامهم براحة بالٍ ومحبوحة وكأنهم يملكون آلاف الكنوز. ترى في وجوههم نضرة الغنى، واستقرار أهل الثراء، وفي أيام الضراء يتوكلون على مولاهم الكريم بأقصى رحابة صدر ويقين كامل. الإيثار سيرتهم وخدمة الخلق شيمتهم، ولا يتطرق إليهم الانقباض قط حتى لو صار العالم كله عيالا لهم. والحق أن ستر الله تعالى الذي يستترهم في كل موطن ويأخذهم في حضن عطوفته قبل أن تحل بهم آفة تفوق طاقتهم يوجب الشكر له عز وجل، لأن الله تعالى يتولى أمورهم جميعاً كما قال بنفسه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. أما غيرهم فيتركون متخبطين في أسباب الدنيا المؤذية. والمعاملة الخاصة التي يُعَامَلُ بها هؤلاء الخواص لا يُعَامَلُ بها غيرهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٣٨، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

أن الله يتكفل حياة المؤمن المتقي: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، أما الذين هم بعيدون عن سبيل الله ويشابهون الأنعام، فلا يتكفل الله حياتهم. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٠م، ص ٣)

إن الله تعالى بنفسه يتولى الصالحين، فمن يستطيع أن يضر صالحاً؟ (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٢، عدد ١٧/١١/١٩٠١م، ص ١٤)

إن القرآن الكريم زاخر بالآيات التي تؤكد أن الله تعالى يتولى الصالحين ويتكفل أمورهم. غير أن الإنسان إذا اعتمد على الأسباب وحدها، وتوكل عليها، فكأنه

بذلك ينكر صفات الله هذه، وينسب إلى الأسباب شيئاً من تلك الصفات فيجعلها كأنها إله آخر له. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٧، عدد ١٩٠٢/٧/٣١ م، ص ٦)

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، كما تتولى الأم أولادها كذلك تماماً يتولى الله الصالحين.

(بدر، مجلد ٢، رقم ١٢، عدد ١٩٠٣/٤/١٠ م، ص ٩٢)

يقول الله تعالى بأنه يتكفل الصالحين كما تتولى الأم ولدها. يخزي الله أعداءه ويبارك في ماله أنواع البركات. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٨، عدد ١٩٠٣/٧/٣١ م، ص ٢١٧)

ما لم يؤمن المرء بالله إيماناً كاملاً ويوقن بوعوده يقينا صادقا يحسبه واهب كل مقصود وما لم يتخذ الصلاح والتقوى الكاملة لن يحظى بالسعادة الحقيقية. يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ مَنْ كَانَ لَهُ مَتَوَلٍّ خَفَّتْ أَعْبَاؤُهُ وَقَلَّتْ مَسْئُولِيَّاتُهُ كَثِيرًا. ففي الصغر تتولى الأم ولدها فلا يقلق على حاجاته لأنها تتكفلها وتهتم بشؤون لباسه وطعامه وتتنبه إلى صحته، فتغسله وتنظفه وتطعمه حتى في بعض الأحيان تقسو عليه أيضا لتطعمه وتسقيه وتلبسه. الطفل لا يدرك حاجاته بل الأم تفهمها جيدا وتتولى أمرها. وعندما يخرج من ولاية الأم يحتاج بطبيعة الحال إلى من يتولى أمره، فيتخذ أولياء له أناسا مختلفين وهم ضعفاء بحد ذاتهم ويكونون قلقين من سد حاجات أنفسهم لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يهتموا بغيرهم. ولكن الذين يتعدون عنهم جميعا ويختارون التقوى والصلاح يتولاهم الله تعالى بنفسه ويتكفل حاجاتهم فلا يبقون بحاجة إلى تصنع. فيفهم الله تعالى حاجاتهم بأسلوب لا يفهمونه هم أنفسهم. وينزل عليهم أفضاله بأسلوب يترك الإنسان في حيرة من أمره. وتنطبق عليه حالة شخص يتحقق طلبه دون أن يسأل. ولكن الإنسان يمر بأزمة عديدة، ثم يأتيه زمان يتولاه الله فيه. أي يضطر المرء ليخضع لتولي المتولين الكثر، قبل أن يحظى بولاية الله كما يقول

تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس: ٢-٧). فأولا يكون محتاجا إلى الأم والأب، وعندما يكبر قليلا يكون بحاجة إلى الملوك والحكام. وعندما يتقدم على ذلك ويعترف بخطئه ويدرك أن الذين كان يحسبهم أولياء هم ضعفاء بأنفسهم وأن عدّه إياهم أولياء كان خطأ منه لأن حاجاته لم تكن لتتحقق إثر إتخاذهم إياهم أولياء، وما كانوا كافين له. عندها يرجع إلى الله تعالى فيجده ﷻ وليا له، وحين يُظهر الثبات يجد الله قد تولاه، فينعم بسعادة كبيرة ويحظى بحياة مطمئنة كبيرة. إذا قال الله تعالى لأحد خاصةً بأبي ولئيك، فإن السعادة والطمأنينة التي ينالها حينذاك تخلق حالة لا يمكن بياها. هذه الحالة تكون بريئة من كل نوع من المرارة، أما الحالات الدنيوية فلا يتخلص فيها الإنسان من المرارة. إن فلاة الدنيا مليئة بالأشواك والمرارة.

دشت دنیا جزد و جزدام نیست جز بخت و گاه حق آرام نیست

أي: لا تخلو فلاة الدنيا من السباع والشراك، ولا ينعم الإنسان بسعادة إلا في كنف الله وحده.

إن الذين يتولاهم الله تعالى ينجون من الآلام الدنيوية ويدخلون في حياة السعادة الحقة والطمأنينة الصادقة. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١٩٠٤/٧/١، ص ٤-٥) إن ابتلاء الأولاد خطير جدا. إذا كان الأولاد صالحين فلا يُقلق الإنسان شيء. يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي إن الله بنفسه يتكفل الصالحين ويتولاهم. ولو كان الأولاد أشقياء وتركتم لهم الملايين من الأموال لبدّروها في السيئات ولأصبحوا مفلسين فقراء ولواجهوا المشاكل والمصائب المقدّرة لهم. أما الذي يجعل رغبته منسجمة مع مشيئة الله ومرضاته يبقى هادئ البال بشأن الأولاد. ولتحقيق ذلك يجب عليه أن يسعى جاهدا ويدعو لإصلاحهم. ففي هذه الحالة يتكفلهم الله

بنفسه. أما إذا كانوا سيئين فيتركهم وشأنهم دون أن يعير لهم أدنى اهتمام. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥ م، ص ٦)

لقد أقام الله ﷻ سلسلة الأنبياء في العالم لشرح هذا الموضوع أكثر وتوضيحه جيداً، كان الله ﷻ قادراً ولا يزال قادراً على ألا يترك إذا أراد، أي نوع من الحاجة والنصرة للرسول، لكنه مع ذلك يأتي عليهم زمن يضطرون للقول: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٣). هل هم يتكلمون كالشحاذا المتسول لكسرات الخبز، كلا، بل لقولهم ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ هذا أيضاً شأن، يريدون أن يعلموا العالم أسلوب الأخذ بالأسباب، وهو أيضاً شعبة من الدعاء، وإلا يكون لديهم إيمان كامل بالله ﷻ وبقين تام بوعوده. إنهم يعرفون أن وعد الله المذكور في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر: ٥٢)، محتوم ومؤكد، لكنني أقول إن لم يلق الله في بال أحد فكرة النصر أنى له أن ينصر. فالحق أن المعين الحقيقي والناصر الحق هو ذلك القدوس الذي ورد بحقه: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الأنفال: ٤١)، إن الدنيا ونصرة أهلها تكون في نظرهم كالميت، ولا تكون لها أي قيمة حتى بقدر دودة ميتة. لكنهم يختارون هذا الطريق العام لإطلاع العالم على أسلوب الدعاء. ويرون أن الله وحده يتولى شؤونهم في الحقيقة. وصدق الله إذ قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. (مقارنة الأديان، المجلد ٣، رقم ١، ص ٨)

الآية ١٩٩: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

عندما يصبح موث المرء وحياته لله لا لنفسه، فإن الإله الذي لم يزل منذ الأزل يحب محبيه، يشملهم عندئذ بمحبته، فينشأ في الإنسان من امتزاج المحبتين نور عجيب لا تعرفه الدنيا ولا تستطيع فهمه. ولقد سُفكت دماء آلاف الصديقين والأخيار فقط لأن الدنيا لم تعرفهم. ولقد رُمُوا بتهمة الاحتيال والأنانية لأن الدنيا لم تستطع

أن تبصر وجههم النوراني، كما يشير قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٤)

أي ينظرون إليك ولكنك لا تتراءى لهم فهلك العمهون جميعا في نهاية المطاف. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ص ٢٢١)

كان النبي ﷺ على علم بمراتب صحابته، وكان مستوى النور الباطني لكل منهم مكشوفاً لذلك القلب المنير. أما الغافلون فلا يقدرّون على معرفة الله الواحد الأحد كما يقول الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. أي يرفعون أبصارهم إليك أيها الرسول ﷺ ولكنك لا تتراءى لهم ولا يستطيعون أن يروا صورتك النورانية.. وقد يقع أحياناً بريق الأنوار الروحانية القوي حتى على الآخرين؛ فحين رأى مسيحي وجه النبي ﷺ عندما واجهه المسيحيين هو والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم بغرض المباهلة؛ قال ذلك المسيحي لإخوته ما معناه: لا تباهلوا فوالله إنني أرى وجوها لو قالوا لهذا الجبل أن يزول من مكانه لزال فوراً. فالله تعالى وحده يعلم أي قدر من نور النبوة والولاية كان متجلياً يؤمئذ، حتى رآه ذلك الكافر على ظلمة طويته. (الحكم، المجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٨٩٩م، ص ٤)

الآية ٢٠٠: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

تحضرني هنا حكاية ذكرها "سعدي" في كتابه "بوستان"، وهي أن كلباً عض رجلاً صالحاً، فعاد إلى البيت فعلم أهله أن كلباً عضه، وكانت بينهم بنت صغيرة وبريئة، فقالت له: لماذا لم تعضه أنت؟ قال: يا ابنتي، لا يمكن للإنسان أن يعمل عمل الكلاب. هكذا يجب أن يتصرف المؤمن، فإذا شتمه شرير فعليه أن يعرض عنه وإلا سينطبق عليه مثل الكلب المذكور آنفاً. لقد تعرّض المقربون إلى الله تعالى لشتائم بذيئة وأوذوا أذى شديداً، ولكن قيل لهم دوماً: ﴿أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٠). لقد أودى الإنسان الكامل، أعني نبينا الأكرم ﷺ أشد الأذى،

وواجه أنواع السباب والبذاءة والوقاحة، فكيف تصرف ذلك الإنسان الذي كان خُلُقًا متجسداً تجاه ذلك؟ لقد دعا لهم فقط. كان الله تعالى قد وعده أنه لو أعرض عن الجاهلين فسوف يعصمه ويحافظ على شرفه ولن ينجح هؤلاء السوقة في الهجوم عليه، وهكذا حصل تماماً، إذ لم يتمكن المعارضون من المسّ بكرامة النبي ﷺ قط، بل خرّوا على قدميه أذلاء مهانين أو هلكوا أمام عينيه في نهاية المطاف. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٩)

الآية ٢٠٤: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

أي عندما لا تُسمعهم آية يقولون لماذا لم تخترع اليوم أي آية؟ قل لهم إني أتبع ما ينزل عليّ من ربي، ولا أخترع شيئاً من عند نفسي. وهذه ليست بالأمر التي يمكن للإنسان أن يخترعها افتراءً منه. إنها بصائر أي حجج بينة على كونها من الله تعالى وهداية ورحمة للمؤمنين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، الحاشية رقم ١١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الأنفال



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٨: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ... أي يستأصل المعتقدات الباطلة من جذورها. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٢٥٧، الحاشية رقم ١١)

الآية ٩: ﴿لِيَحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

لُيُثَبَّتْ صَدَقُ الدِّينِ الصَّادِقِ وَكَذَبُ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٢٥٧، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٣: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾

"أي هاتوا قلوبهم وألقوا فيها كلمات التثبيت، يعني قولوا: ﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، وكمثله من كلمات تطمئن بها قلوبهم. فهذه الآيات كلها تدل على أن الله قد يكلم أوليائه ويخاطبهم ليزداد يقينهم وبصيرتهم وليكونوا من المطمئنين". (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٩٩)

الآية ١٨: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

إن سيدنا ومولانا سيد الرسل خاتم الأنبياء ﷺ حين رمى بحفنة من الحصى إلى الكفار في معركة بدر، فما رماها بواسطة دعاء بل رماها ﷺ بقوته الروحانية هو، ولكن تلك الحفنة أظهرت قدرة الله تعالى وتركت في صفوف جيش العدو تأثيرا خارقا للعادة بحيث لم يبق منهم أحد لم يصب تأثيرها عينه، فصاروا جميعا كالعميان وسادتهم الحيرة حتى بدأوا يهربون كالمذهولين. فإلى هذه المعجزة يشير الله جل شأنه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾؛ أي قد عملت قدرة الله تعالى في الخفاء، ولم يكن ذلك من صنع الإنسان. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥، ص ٦٥)

الجدير بالذكر أنه كما كان لله يدا الجلال والجمال، فاقتداءً بذلك قد وهب الله ﷻ نبينا الكريم ﷺ أيضا يدي الرحمة والشوكة كليهما لكونه مظهرا أتم لله ﷻ. فإلى يد الجمال تشير آية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، أما يدُ الجلال فتشير إليها آية ﴿وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. (ملحق التحفة

الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٦٨، الحاشية؛ وأربعين رقم ٣، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٤٢١ الحاشية)

إن أولياء الله يبلغون من قرب الله مقاما تُورِي فيه صبغة الألوهية في طياتها صبغة بشريتهم كلية، وكما أن النار تُورِي الحديد في طياتها حتى لا يترأى شيئا سواها بادي الرأي، كذلك فإنهم يتصبغون بصبغة الصفات الإلهية على وجه الظلّية، فعندها تصدر منهم بدون أي دعاء والتماس أفعال متصبغة بخواص الألوهية، وتخرج من أفواههم كلمات تتحقق كما يقولون تماما. وقد تحدث القرآن الكريم صراحة عن صدور مثل هذه الأمور على يد ولسان رسول الله ﷺ حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤١)

الآية ١٩: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾

أي سيضعف كيد الكافرين ويجعلهم مغلوبين وأذلاء. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٦، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٢٤: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مُعْرِضُونَ﴾

من حكمة الله أن كذا وكذا من مشايخ المسلمين لم يدخلوا جماعتنا، ولو دخلوها، والله أعلم أي فتن كانوا سيحدثونها؛ فقد قال الله تعالى. ﴿لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ١٩٠٧/٥/٩م، ص ٤)

الآية ٢٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾

قال الله ﷻ بحق النبي ﷺ: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، والجميع يعرفون أن المراد منه الإحياء

الروحاني. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩، عدد ١٩٠٨/٥/٢٤م، ص ٥)

... كما أن من صفات الله أنه بعيد وقريب كذلك الحيلولة بين المرء وقلبه أيضا

من صفاته. (القول الحق، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٢٣٢)

الآية ٢٩: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ﴾

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. انظروا! إذا قال الله لأحد: يمكن

أن أحيي جميع أولادك الذين ماتوا بشرط ألا تبقى لك أي صلة بي، فهل يخطر بباله إذا كان عاقلا أن يختار أولاده؟

فسعادة الإنسان تنحصر في أن يؤثر الله على كل ما سواه. أما الذي يستاء من وفاة أحد أولاده فهو بخيل، لأنه يخل في إعادة الأمانة التي كان الله ﷻ قد سلمها له، وقد ورد عن البخيل في الأحاديث أنه لن يدخل الجنة حتى لو كانت عبادته بحجم أنهار الغابات. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٨، عدد ٢٢/٨/١٩٠٨م، ص ١-٢)

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. والنساء ضمن "أموالكم". فلأن المرأة تبقى في

الحجاب فترك اسمها هنا مستورا، وأيضا لأن الإنسان يأتي بالزوجة ببذل المال. وكلمة المال مأخوذة من "المائل"، أي ما يميل إليه المرء ويرغب فيه طبعاً، فلأن الرجل يميل إلى المرأة طبعاً، فضمن الله ذكرها في المال. وقد اختار كلمة "المال" ليشمل الأشياء المحببة كلها. لو استخدم كلمة "النساء" فقط لغطت الأولاد والمرأة فقط، ولو فصل الأشياء المحببة كلها لم ينته ذكرها في عشر مجلدات أيضاً. باختصار، المال هو كل ما يميل إليه القلب، وقد ذكر الأولاد لأن الإنسان يحسبهم فلذات كبده وورثاءه.

لباب القول إن الله تعالى والأشياء المحببة للإنسان ضدان لا يجتمعان في مكان

واحد.

ولكن لا تظنوا من قولي هذا أن المرأة يمكن اعتبارها شيئاً محتقراً وذليلاً. كلا، ثم

كلا، فقد قال هادينا الكامل رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله"، أي أن أفضلكم

مَنْ يَحْسَنَ مَعَامَلَةَ زَوْجَتِهِ. فكيف يمكن أن يُعَدَّ صالحاً مَنْ لا يحسن معاملة زوجته ومعاشرتها. إنما يُمكن أن يحسن المرء إلى الآخرين إذا كان يحسن معاملة زوجته وعشرتها، وليس أن يضرها لأتفه الأمور. نسمع أحيانا عن حالات بأن شخصا تآثر الغضب سخط على امرأته لسبب تافه جدا وضررها، فأصابته الضربة جزءاً حساساً من جسدها، فماتت. ومن أجل ذلك قال الله تعالى في حقهن: ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. غير أنها إن ارتكبت عملاً غير لائق فلا بد من تنبيهها. من واجب المرء أن يرسخ في قلب المرأة أنه لن يرضى بأي عمل منافٍ للدين والشريعة أبداً، كما أنه ليس قاسياً جباراً بحيث لا يستطيع التغاضي عن أي خطأ منها. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٦، عدد ١٢/٢٤/١٩٠٠م، ص ٢)

الآية ٣٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

الآيات التي جاءت في القرآن الكريم عن روح القدس يتبين منها أن المؤمنين الكامل يعطون روح القدس للأبد؛ فمن جملتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ (الحديد: ٢٩) أي إذا تحليتُم بالتقوى وخشية الله فسيعطيكُم الله تعالى روح القدس الذي به تمتازون عن غيركم كلياً، ويجعل لكم نورا أي روح القدس الذي سيمشي معكم. إن اسم روح القدس في القرآن هو "النور". (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٩٧-٩٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا...﴾ أي إذا داومتُم على التقوى وتمسكتُم بها وثبتم عليها لوجه الله، فسوف يجعل الله بينكم وبين غيركم فرقا واضحا وهو أنكم ستعطون نورا تسلكون به في جميع مسالككم بمعنى أن ذلك النور سيعم أفعالكم وأقوالكم وقواكم وحواسكم؛ فسيكون في عقولكم نور وفي كل ما تقولونه تخميناً نور، وفي عيونكم نور، وفي آذانكم نور، وفي لسانكم نور، وفي

كلامكم نور، وفي كل حركة من حركاتكم وسكناتكم نور، والسبل التي تسلكونها ستصبح نورانية. باختصار، ستملأ كافة السبل لقواكم وحواسكم نورا وستمشون في النور كلياً.

يتبين من هذه الآية بكل جلاء أن التقوى لا يمكن أن تجتمع مع الجهل قط، غير أن فهم المرء وإدراكه يمكن أن يزيد أو ينقص بحسب مراتب التقوى. ومن هنا ثبت أيضاً بأن الكرامة العظيمة والعليا التي يُعطاهها الأولياء البالغون درجة الكمال من التقوى هي أن كافة حواسهم وعقولهم وفهمهم وقياسهم يودع نورا، وتُغسل قوتهم الكشفية بمياه النور وتُطهر لدرجة لا تكون في نصيب غيرهم، وتغدو مرفهة جداً وتُفتح عليهم الينابيع المقدسة من المعارف والحقائق، ويجري فيض سائغ من الله تعالى في كل ذرة من كيانهم مجرى الدم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٧٧-١٧٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، أي يجعل بينكم وبين غيركم فرقا واضحا. وما أدراكم ما ذلك الفرق؟ إنما هو أنكم ستعطون نورا لن يوجد في غيركم قط؛ وهو نور الإلهام ونور إجابة الدعاء ونور كرامات الاصطفاء. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٩٦)

قد صرح القرآن المجيد مراراً أن القيامة إنما هي موعد المجازاة الكبرى، إذ إن نوعاً من المجازاة يبدأ ويتم في هذه الدنيا نفسها، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٢)

إن الإنسان ببركة اتباع النبي ﷺ وتصديق رسالته يصبح حبيب الله، ويرث الإنعامات التي نالها الأنبياء السابقون. فقد وصف الله ذلك بالفرقان، إذ قال ﷺ: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾. يجب أن يظهر الفرقان بين الإسلام والأديان الأخرى في هذا العالم. (بدر مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨م، ص ٥)

إن المتبعين الحقيقيين سيؤيدون بروح القدس، أي سيعطى عقلهم وفهمهم نورا من الغيب وتُجعل كشوفهم صافية جدا. ويوضع في كلامهم وأعمالهم تأثير ويُقوّى إيمانهم كثيرا. ثم قال ﷻ بأنه سيضع بينهم وبين غيرهم فرقا بينا، أي ستكون الأمم الأخرى كلها عاجزة أمام ما يُعطون من المعارف الدقيقة والكرامات والخورق. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية المجلد ٢٣، ص ٤١٠)

الآية ٣١: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

..... خَيْرُ الْمَاكِرِينَ... أي في مكره الخير كله للخلق. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية المجلد ٢٣، ص ٢٣٤-٢٣٥)

﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، أي يقوم بمكر لا شر فيه مطلقا. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية المجلد ٢٣، ص ٣٢)

فليكن واضحا أنه لم تكن حروب الإسلام كما يغزو ملك قوي قوما ضعيفا ويقتلهم بلا هوادة، بل حقيقتها أنه عندما ظل نبي الله المقدس وأتباعه يتحملون الأذى على يد المعارضين إلى مدة طويلة حتى قُتل كثير منهم، وأهلك كثير منهم بأشنع أنواع التعذيب حتى خططوا لقتل نبينا الأكرم ﷺ أيضا. وحملوا كل هذه الانتصارات على أن أوثانهم آلهة صادقة. ولم يتركوا النبي ﷺ في سلام بعد الهجرة أيضا بل جاءوا للقتال قاطعين مسافة ثمانية منازل. عندها أمر المسلمون بالقتال درءا لهجومهم ولتأمين الذين كانوا في أيديهم كالأسرى، ولإثبات زيف الآلهة التي حُمِلت الفتوحات السابقة على تأييدها، كما يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٤٤)

الآية ٣٤: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

أي ما كان الله ليعذبهم بعذاب كامل وأنت ساكن فيهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٢٧٦، الحاشية رقم ١١)

أي ما كان الله ليعذب أهل مكة وأنت فيهم، لأنه كان سراجاً، ومن المستحيل أن تحل ظلمة العذاب بحضور السراج. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٥٥)

ما كان الله ليهلكهم بالعذاب وأنت فيهم. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٤٣)

إن الاستغفار يعمل عمل الثرس إزاء عذاب الله والمصائب الشديدة. قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٧، عدد ٢٤/٨/١٩٠١م، ص ١)

اعلموا أن كل الأقوام يعتقدون أن البلاء يزول نتيجة الصدقة، وهذا ما يقوله الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، الاستغفار وسيلة اجتناب العذاب. وإذا تأمل أحد في تجاربي فسيرى أن أمراً منذراً يظهر للعيان صباحاً ويزول مساءً. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥/٤/١٩٠٧م، ص ٤)

لقد أجمع الأنبياء كلهم على أن الصدقة والاستغفار يرد البلاء. ما هو البلاء؟ هو أمر مؤلم قدير في مشيئة الله. وإذا أخبر نبي بذلك البلاء سمي نبوءة. ولكن الله أرحم الراحمين، يتوب على المتضرعين برحمته. لذا لا نعتقد أن نبوءات الوعيد حتمية بل يمكن أن تزول. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية ٣٥: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

بالتقوى تتزين الأعمال، وبها يُنال قرب الله، وبها وحدها يصبح الإنسان وليّ الله. فقد قال ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ التقوى موت في الحقيقة. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٧، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

التقوى وحدها جزء من الولاية. فاقضوا حياتكم خائفين خاشعين لله تعالى، فلو نلتُم هذه الدرجة لوصلتم إلى الكمال. (بدر، المجلد ٣، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٣٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

أي جميع الكفار الذين يُنفقون أموالهم لعرقلة الإسلام وصدّه، سينفقونها بقدر ما استطاعوا ولكن إنفاقهم كله سيكون مدعاة للتأسف والحسرة لهم، ثم يُغلبون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٣، الحاشية رقم ١١)

الآية ٤٠: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

أي قاتلوهم حتى يخمد تمردهم وتزول العراقيل في سبيل الدين، ويكون الحكم لدين الله. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٥)

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي اقتلوا مشركي العرب حتى لا تكون فتنة... كيف يثبت الجبر من هذه الآيات؟ ما يثبت منها هو أن قاتلوهم إلى أن تُكسر شوكتهم، ويخمد الشر والفساد، حتى يستطيع الناس الذين أسلموا في الخفاء أن يمارسوا أحكام الإسلام علنا أيضا. إذا كان الله تعالى يريد الإكراه على الإيمان كما يزعم السيد آثم لما أجاز الجزية والصلح والمعاهدات، ولما أذن لليهود والنصارى أن يأمنوا بأداء الجزية ويعيشوا بسلام وأمان في كنف المسلمين. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٣)

الآية ٤٣: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

كلمة "يضع الحرب" بحد ذاتها تكشف حقيقة كسر الصليب.... أن كسر الصليب لا يعني كسر الصلبان الخشبية أو المصنوعة من أشياء أخرى، بل يعني إلحاق الهزيمة بالملة الصليبية. وهذه الهزيمة ستتم بالبينات والبراهين، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠٣ م، ص ٢) ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ ليهلك من هلك برؤية الآيات البينات وليحيا من حيي برؤية الآيات البينات. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٨/٧/١٩٠٤ م، ص ٤)

الآية ٤٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

من فطرة الإنسان ألا يتذكر أمرا ما لم يكرره مرارا. لماذا أمرنا بتكرار "سبحان ربي الأعلى" و"سبحان ربي العظيم"؟ كان يكفي أن يقال مرة واحدة. كلا، بل السر في ذلك أن التكرار يترك تأثيره الخاص ويحدث النشاط في القوى مهما كانت غافلة وخامدة. لذلك قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، كما تكون علاقة ذهنية بشيء فتحفظه كثرة التكرار في الذهن، كذلك هناك علاقة روحانية أيضا، وهناك حاجة إلى التكرار فيها أيضا. ولا تبقى الصلة والعلاقة الروحانية قائمة بدون التكرار. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥ م، ص ٩)

معنى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ هو أن اذكروا الله بكثرة حتى تحفظوا اسمه. في كلام الأنبياء عليهم السلام أسلوب بوجه عام أنهم يبينون الكلام بالتكرار وبأساليب

مختلفة ويكون الهدف من ورائه أن ينفع الناس. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٩)

الآية ٤٧: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

الفرق الإسلامية تفترق كل يوم، فالفرقة ضارة جداً للإسلام، فقد قال الله ﷻ: ﴿لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، فالمسلمون يتخلفون تدريجياً منذ حصول الفرقة والنزاع فيهم، لذا قد أقام الله هذه الجماعة لكي يتخلص الناس من النزاعات والافتراق، وينضموا إلى هذه الجماعة المحفوظة تماماً من المعارضات السخيفة البذيئة، والتي تسير على الصراط المستقيم الذي دلَّ عليه النبي ﷺ. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩ - ٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية ٤٨: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

أي أن الشجعان حقاً هم أولئك الذين إذا... رأوا مقاومة العدو أقرب للمصلحة حاربوه، لا بسبب حماس نفسي فقط، بل دفاعاً عن الحق. ويتحلون بالشجاعة لا متكلين على نفوسهم وإنما متوكلين على الله وحده. وتكون بسالتهم غير مشوبة بشوائب الرياء أو الكبر أو هوى النفس، بل يبتغون بها مرضاة الله من جميع الوجوه. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٩)

الآية ٥٣: ﴿كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ أي عائلة فرعون... كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أي اختاروا أن يكفروا بآيات الله. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٣)

الآية ٦١: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

أي يجب أن تُعدّوا أية خطة تستطيعون لمواجهة العدو، وتستخدموا أية قوة تستطيعون لإعلاء كلمة الإسلام.

انظروا الآن، كيف ترشدنا هذه الآية الكريمة بأعلى صوتها أن نستخدم كل خطة مفيدة لخدمة الإسلام، ونبدل في هذا السبيل كل قوة، بما فيها قوة الفكر وقوة اليد والقوة المالية وقوة حسن الإدارة وغيرها، لننال الفتح والانتصار. ولكن المشايخ الجهلاء والعمهين وأعداء الإسلام يسمّون بذل القوة والحكمة بدعةً، إنهم يُعدّون علماء في العصر الراهن مع أنهم لا يعرفون من القرآن شيئاً، إنا لله وإنا إليه راجعون. إن المتدبرين في هذه الآية يستطيعون أن يفهموا أن التفكير في خطة حُسن الإدارة لخدمة الإسلام من منطلق الحديث: "إنما الأعمال بالنيات" ليس بدعة ولا ضلالاً، بل نضطر لإعداد خطط جديدة كلما واجه الإسلام مصاعب جديدة بمرور الزمن، أو هاجمه الناس بأساليب جديدة. فلو فكرنا في تخطيط أو مشروع لدرء هذه الهجمات ودحضها بحسب مقتضى الظروف الراهنة فما هو إلا تخطيط، ولا صلة له بالبدع. ومن الممكن أيضاً أن نواجه مشاكل جديدة أخرى بسبب تقلبات الدهر لم يواجه مثلها سيدنا رسول الله ﷺ. فمثلاً لا نستطيع في هذه الأيام أن نختار أساليب مسنونة في الحروب السابقة، لأن أساليب الحروب في هذا الزمن قد تغيرت تماماً، وصارت الأسلحة السابقة بلا جدوى وحلت محلها الأسلحة الجديدة. فلو حسب الآن ملوك الإسلام حمل الأسلحة الجديدة واستخدامها بدعةً وعدّوا استخدامها ضلالة ومعصية مصغين إلى قول شيخ مثل الشيخ رحيم بخش، وقالوا بأن النبي ﷺ ما اختار هذا الطريق للحرب ولا صحابته ولا التابعون؛ فماذا عسى

أن تكون نتيجة ذلك إلا أن يُجْرَجُوا بالذلة والخزي من بلادهم الممزقة أصلاً وأن ينتصر العدو عليهم؟ ففي مثل مناسبات التخطيط والتنظيم هذه سواء أكانت شبيهة بالحرب والقتال الظاهري أم الباطني، وسواء أكان القتال بالسيف أم بالقلم؛ تكفيها هذيا الآية التي سبق ذكرها أي: ﴿اعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾. لقد أعطانا الله تعالى جلَّ شأنه خياراً عاماً في هذه الآية؛ وهو أن نختار أي أسلوب حَسَن نراه أفضل وأكثر تأثيراً مقابل العدو.

فمن الواضح أن حسابان حسن الإدارة والتخطيط بدعةً ومعصية، وعدَّ أنصار الدين مردودين وهم الذين يشتغلون في إعلاء كلمة الإسلام ليلَ نهار والذين قال النبي ﷺ عنهم: حب الأنصار من الإيمان؛ ليس عملاً طيب الطوية، بل عمل مَن مُسَخَّتْ صورُهم الروحانية في الحقيقة. ولو قلتَ بأن المراد من الحديث: حُب الأنصار من الإيمان، وبُغْضُ الأنصار من النفاق هم الأنصار الذين كانوا يسكنون في المدينة وليس الأنصار كلهم وبوجه عام؛ لاستلزم ذلك بأن بُغْضَ أنصار النبي ﷺ الذين جاؤوا بعد ذلك الزمن جائز. كلا، ثم كلا، بل الحق بأن هذا الحديث يفيد العموم، وإن قيل في فئة معينة، كما هو حال كثير من الآيات القرآنية التي نزلت في فئة معينة وهي تفيد العموم.... إن هؤلاء الأغبياء لا يفكرون أن التخطيط والنظام ليس من البدعة في شيء، بل كل مرحلة وزمن يقتضي تخطيطاً جديداً، وإذا أطلَّت المشاكل الجديدة فماذا نستطيع فعله إلا أن نقوم بتخطيط جديد؟ فهل سَتُعتبر هذه التخطيطات بدعات؟ إذا كانت السُّنَّةُ المسنونة محفوظة، ويقوم المرء ببعض التدابير للمحافظة عليها، فهل سَتُعدُّ تلك التدابير بدعات، والعياذ بالله؟ كلا. إنما البدعة هي التي تعارض وتنافي - في حقيقتها - السنة النبوية وتُنَاقِضُها، وجاء التهديد والزجر في الآثار النبوية على القيام بهذا العمل. إذا وُصفَ أي تنظيم جديد أو أي تخطيط جديد بالبدعة، فحدِّث عن البدعات في الإسلام ولا حرج! ولن تقدر على أن

تحصي البدعات في الإسلام. فسيكون علم الصَّرف بدعة، وعلم النحو بدعة، وعلم الكلام وتدوين الأحاديث وتبويبها أيضا بدعة، وكذلك كل عمل؛ مثل ركوب القطار وارتداء اللباس المنسوج في المصانع وإرسال الرسائل بالبريد، وتلقّي الخبر بواسطة البرقية، والقتال بالبنادق والمدافع يكون أيضا بدعة. ولن يكون القتال بالبنادق والمدافع مجرد بدعة، بل سيُعَدُّ إثما عظيما؛ لأنه قد ورد في حديث صحيح أن القتل حرقا ممنوع بتاتا. مَنْ هو أكثر اتباعا للسنّة من الصحابة؟ ولكنهم لم يفهموا منها ما فهمه الشيخ رحيم بخش، بل قاموا بأعمال جديدة بكثرة على سبيل التدبير والتنظيم والإدارة لم يفعلها النبي ﷺ ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم.

لو جمعنا محدّثات عمر رضي الله عنه وحده لكانت كتابا، فقد بدأ بالتقويم الهجري في الإسلام، وعيّن الحراس لحماية المدن، وأقام مكتبا رسميا لبيت المال، ووضع قوانين الإجازة والتجنيد ووضع قوانين القتال ودوّن تعليمات خاصة تتعلق بالقضايا المالية وغيرها، ووضع من عنده قواعد كثيرة لحماية الرعية ونشرها. وكلّف نفسه بوجه خاص في عهد خلافته بتفقد أمور الرعية بالتجول خفية ليلا. ولكني لم أفعل شيئا جديدا، بل اقترحْتُ عقد جلسة فقط لتحصيل العلم والتشاور ونصرة الإسلام ولقاء الإخوة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٦٠٩-٦١٢)

الرباط هي الخيول التي تُربط على حدود العدو. فالله تعالى يأمر هنا الصحابة بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة العدو دائما، وتبّهم باستخدام لفظ الرباط إلى الاستعداد التام والحقيقي. قد عُهدت إليهم مهمتان: محاربة العدو الظاهري، ومحاربة العدو الروحاني. والرباط يُطلَق في اللغة على نفس الإنسان وقلبه، ومن لطائف الأمور أنه لا يعمل من الخيل إلا ما يكون مرّوضا ومعلّما. في هذه الأيام يتم ترويض الخيل وتعليمها على هذا النحو، فثُرِّي وتعلّم كما يعلم الأطفال ويُربّون بحيلة وعناية كبيرتين، لأنها إذا لم تُروّض وتُدرب فلا تصلح لشيء على الإطلاق،

وتكون مجلبة للخطر والضرر بدلاً من النفع والفائدة.

وفي ذلك إشارة إلى أن النفوس البشرية، وهي الرباط، يجب أن تكون هي الأخرى مروضة مدربة بحيث تعمل قواها وكفاءتها ضمن حدود الله تعالى، إذ لولا ذلك فإن نفس الإنسان لا تجديه نفعاً في القتال الدائر في الخفاء كل حين بينه وبين عدوه اللدود أعني الشيطان. وكما أنه لا مناص من المعرفة بفنون القتال والتدريب في القتال المادي، علاوة على القوة البدنية، كذلك لا بد للنفوس البشرية في القتال والجهاد الباطني من ترويض وتدريب إلى حد مناسب، وإلا فإن الشيطان سيتغلب عليها، فتلقى الذلة والإهانة جدا. إذا كان أحد يمتلك المدافع والبنادق وغيرها من الأسلحة، ولكنه يجهل كيفية استعمالها تماماً، فلن يفلح في مواجهة العدو أبداً. ولو كان أحد يمتلك المدافع والبنادق وغيرها من أسلحة الحرب، ويتقن استعمالها، ولكن لا يملك السواعد القوية، فهو أيضاً لن ينجح في الحرب. فثبت من هنا أن تعلم استعمال السلاح أيضاً لا يجدي شيئاً ما لم يقو المرء عضده بكثرة الرياضة، فإن الذي يعلم استعمال السيف، ولكن لا يمارس الرياضة ولا يتدرب، فإنه إذا خاض الحرب فسوف يضرب بالسيف بعض الوقت، ثم تشل يداه وتحور قواه، فيسقط على الأرض مرهقاً متعباً، ويصبح فريسة للعدو.

فاعلموا جيداً أن مجرد العلم لا ينفع شيئاً ما لم يكن مقروناً بالعمل والمجاهدة والترويض. انظروا إلى الدولة كيف إنها لا تدع الجيوش عاطلة عملاً بهذا المبدأ نفسه، بل في أيام السلم والأمن أيضاً تعمل على تدريبهم وترويضهم بمناورات حربية في قتال مصطنع لكيلا يظلوا عاطلين. أما تدريبهم العادي وإطلاقهم النيران خلاله فيتم كل يوم.

وكما بينت آنفاً فإن النجاح في ساحة القتال يتطلب الخبرة والمهارة في استعمال السلاح من جهة، ومن جهة أخرى يتطلب إلى حد كبير الرياضة البدنية ومعرفة الحل

الأنسب لاستعمال سلاح معين. كما لا بد للحرب والضرب من الخيل المدربة، أي تلك التي لا يخيفها دويُّ المدافع وأزيزُ البنادق، ولا يجعلها الغبار الثائر خلال القتال تتشتت أو تتخلف، بل تمضي قدما. وبالمثل فإن النفوس البشرية أيضا لا تتغلب في معركة القتال على أعداء الله بدون رياضة كاملة وتدريب كامل وتعليم حقيقي.

اللغة العربية عجيبة، فلفظ الرباط في هذه الآية الكريمة يبين فلسفة الحرب وفنون القتال من جهة، ومن جهة أخرى يميّط اللثام عن حقيقة الحرب الروحانية ومجاهدة النفس. وهذه ميزة عجيبة للعربية.... خذوا مثلاً كلمة "الرباط" هذه، فهي تُطلق على الخيول المربوطة على الحدود لحمايتها من الأعداء، كما تُطلق على النفوس المدربة استعداداً للحرب الدائرة في باطن الإنسان بينه وبين الشيطان كل حين. والحق أن الإسلام قد أُعطي قوتين للحرب؛ والقوة الأولى هي التي استُخدمت في صدر الإسلام دفاعاً وانتقاماً، أي عندما آذى مشركو العرب جماعة المسلمين وعذّبوهم، تصدى ألف مسلم فقط لمئة ألف كافر، وأبلوا بلاء حسناً، وفي كل امتحان أثبتوا تلك القوة والشوكة الظاهرة. ثم ولى ذلك الزمن كاشفاً ما تتضمنه كلمة "الرباط" من فلسفة لقوة الحرب المادية وفنونها.

أما هذا العصر الذي نعيشه اليوم، فلا ضرورة ولا داعي فيه للحرب المادية أبداً، بل تقتضي هذه الأيام الأخيرة تقديم نماذج الحرب الباطنية والمقاومة الروحانية، إذ قد اخترعت في هذا العصر وسائل هائلة وأسلحة عظيمة لنشر الارتداد الباطني والإلحاد، فكان لزاماً مقاومتها بالأسلحة نفسها. إن هذا العصر عصر الأمن والسلام، ونعم فيه بكل نوع من الراحة والأمن، وكل إنسان يستطيع أن ينشر دينه ويبلغ دعوته ويعمل بأحكامه بحرية، فكيف يمكن للإسلام، والحال هذه، أن يرضى بتقديم نموذج القوة الأول في زمن الأمن والحرية هذا، مع أن الإسلام هو الداعم الحقيقي للأمن والسلام، بل هو الدين الذي نشر الأمن والسلم والوثام بصورة حقيقية. فالمطلوب في

هذه الأيام هو النموذج الثاني أي المجاهدة الروحانية، فقد قيل: كه حلوه چيک بار خوروند و بس أي: ما داموا قد أكلوا الحلوى مرة فهذا يكفي.

هذا، وكان هناك هدف آخر لتقديم ذلك النموذج الأول، وهو إبداء الشجاعة التي كانت تُعدّ في ذلك العصر أكبر الخصال المحمودة المرضية في العالم. أما اليوم فقد أصبحت الحرب فناً من الفنون إذ يستطيع الجميع إطلاق النار من البندقية أو المدفعية عن بعد، أما في تلك الأيام فما كان لأحد أن يُعدّ بطلاً مغواراً ما لم يواجه السيوف المسلولة. لقد أصبح فن الحرب اليوم سترًا للجبناء، ولا تُكسب الحروب اليوم بالشجاعة، بل كل من امتلك الأسلحة الحربية الحديثة من مدافع وغيرها وبرع في استخدامها غلب. أما تلك الحروب فكان هدفها إظهار الشجاعة الكامنة في المسلمين، وقد كشفها الله على العالم على أحسن وجهٍ أرادته، أما الآن فلم تعد هناك حاجة لذلك، لأن الحرب تحولت اليوم إلى فن ومكيدة وخديعة، وقد قضت أنواع الأسلحة الحديثة والفنون الحربية المعقّدة المعاصرة على جوهر الشجاعة الثمين الجدير بالاعتزاز قضاءً نهائياً.

وكان من الأسباب الداعية إلى الحروب الدفاعية والقتال الظاهري في صدر الإسلام أن الأعداء ما كانوا يجيئون من يدعوهم إلى الإسلام بالأدلة والبراهين، إنما كانوا يردّون عليه بالسيف، فحُمِل السيف مقابل السيف على سبيل الاضطرار. أما اليوم فلا يُردّ على الإسلام بالسيف، بل يُطعن فيه بالقلم والأدلة، ومن أجل ذلك أراد الله تعالى الآن أن يُستخدَم القلم مكان السيف ويُهزَم الأعداء بالكتب. لذا فلا يجوز لأحد الآن أن يسعى للرد على القلم بالسيف.

گر حفظ مراتب نہ کنی زندیقی

أي: إذا لم تراعى المراتب لأصبحتَ زنديقاً.

اعلموا يقيناً أن الوضع الراهن لا يقتضي السيف بل القلم. إن الشبهات التي

أثارها معارضونا ضد الإسلام، والهجمات التي أرادوا أن يشنّوها على دين الله الحق بأنواع العلوم والمكاييد، قد وجهتني إلى النزال في مضمار العلوم والتقدم العلمي هذا متوشحاً سلاح القلم، لأريهم معجزة الشجاعة الروحانية والقوة الباطنية للإسلام. متى كنتُ قادراً على أن أخوض هذا الغمار، إنما هو فضل الله العظيم ولطفه الجمّ أنه أراد أن تظهر عزة دينه على يد إنسان ضعيف مثلي. مرة عددتُ الهجمات والمطاعن التي أثارها المعارضون على الإسلام، فبلغتُ ثلاثة آلاف حسب تقديري، وظني أن عددها قد زاد على ذلك الآن. لا يظنّ أحد أن الإسلام أساسه على أمور ضعيفة بحيث يمكن أن يثار ضده ثلاثة آلاف اعتراض بالفعل. كلا، ليس الأمر كذلك، وإنما هذه الأمور اعتراضاتٌ عند قصيري النظر وقليلي الفهم هؤلاء. أقول والحق أقول إني حين أحصيت تلك الاعتراضات، كنتُ تأملتُ فيها أيضاً، فوجدت أن نفس الأمور التي طعن فيها الطاعنون تكمن في طياتها حقائق عظيمة ونادرة وكثيرة لم يروها لعدم بصيرتهم. إنه لمن حكمة الله العظيمة أنه قد وضع كنزاً خفياً للحقائق والمعارف حيثما تعثر المعترضُ العمي.

لقد بعثني الله تعالى لكي أكشف للعالم تلك الكنوز الدفينة وأزيل عن تلك الجواهر اللامعة ما أهيل عليها من وحل الاعتراضات النجسة، وأنظفها منها. إن غير الله تعالى نائرة في هذه الأيام بشدة لتنزيه ساحة كرامة القرآن الكريم وقديسيته عن وصمة اعتراضات كل عدو خبيث.

باختصار، ما دام المعارضون يريدون الهجوم علينا بالقلم، بل هم يهاجمون بالفعل، فمن الصفاقة أن ننبري لمقاومتهم بالعصي. وها إني أقول لكم بمنتهى الصراحة والوضوح أن أحداً لو اختار في الظرف الراهن طريق الحرب والقتال باسم الإسلام ردّاً على الطاعنين، فإنه سيلطّخ سمعة الإسلام. لم يشأ الإسلام قط أن يُرْفَع السيفُ دونما ضرورة ولا حاجة. وكما أسلفت، إن أهداف الحروب

لم تُعدْ دينية بعد أن تحولّت إلى فن من الفنون، وإنما صارت الأغراض المادية هدف الحروب. لذا فمن الظلم العظيم أن نشهر السيف على المعارضين بدلاً من الرد على مطاعنهم. لقد تغيّر أسلوب الحرب بمرور الزمان، فالآن هناك حاجة لأن نستعين بالعقل والفتنة أولاً، ونزكي أنفسنا، ونستعين بالله ونستفتحه بالسداد والتقوى. إنها سنة الله الثابتة المحكمة لا تبديل لها، أما إذا أراد المسلمون النصر والفتح بمجرد القيل والقال والكلام الفارغ فهذا محال، لأن الله تعالى لا يحب ثثرة اللسان والكلام الفارغ، إنما يريد التقوى الحقيقية ويجب الطهارة الحقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٦٥-٦٩)

الآية ٦٢: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

الواقع أن على المؤمن أيضاً أن يراعي المراتب في تبليغ الدين، فلا يمارس القسوة والغلظة في محل يقتضي اللين. أما المحل الذي لا يصلح فيه غير القسوة، وبدا أن الأمر لا يستقيم بدون القسوة فاللين أيضاً معصية.

گر حفظ مراتب کنی زندیقی، أي: لو لم تراعى المراتب لأصبحت زنديقاً.

فانظروا كم كان فرعون في ظاهر الأمر كافراً عنيداً ومع ذلك أمر الله موسى عليه السلام: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ (طه: ٤٥) فالخطاب المماثل موجود في القرآن الكريم للنبي ﷺ أيضاً وهو: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، بينما أمر بالشفقة والرحمة تجاه المؤمنين والمسلمين، فقد ذكرت حالة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين نفسها حيث ورد: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٣٠). (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٧، عدد ١٤/٤/١٩٠٨م، ص ٣)

الآية ٦٣: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ عِنْدَ الصَّلَاحِ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ لِتَدَارِكَ خَدَاعَهُمْ. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٢١)

الآية ٦٤: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

التضحيات التي قدّمها صحابة هاديننا الأكمل عليهم السلام في سبيل الله ورسوله. لقد أُخرجوا من ديارهم، واضطُهدوا بصنوف المصائب والمحن وقُتلوا، ومع ذلك لم يبرحوا يمحضون قدماً بصدق وصفاء. فما الذي جعلهم يفدون بأرواحهم هكذا؟ إنما سبب ذلك أن لمعان فورة حبّ الله الصادق كان قد وقع على قلوبهم. ولذلك لو قارنتم النبي ﷺ بأي نبي، فلن تجدوا له مثيلاً من حيث التعاليم، وتزكية النفس، وتكريه أتباعه الدنيا وحطامها، وجعلهم يندرون نفوسهم في سبيل الحق بشجاعة. هذه هي مكانة أصحاب الرسول ﷺ. أما المحبة والألفة المتبادلة بينهم فقد رسمها الله تعالى في كلمتين إذ قال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (الأنفال: ٦٤)، أي: لولا أن الله أَلَّفَ بين قلوبهم لاستحال عليك تأليفها ولو بإنفاق جبلٍ من ذهب. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٥٤-٥٥)

إن مثل مساعينا كمثل لعبة أطفال، إذ لا نستطيع أن نطهر قلوب الناس من الرجز المنتشر في العالم بوجه عام، ولا نستطيع أن نرسخ في قلوبهم حب الله بالكامل، ولا نستطيع أن نخلق فيهم الألفة المتبادلة ليصبحوا بسببها جسداً واحداً. هذا الأمر بيد الله تعالى. يقول الله تعالى عن الصحابة مخاطباً النبي ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ

بَيِّنْ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيِّنَةٍ لَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فالله الذي أنجز ذلك من قبل قادر أن يفعل الآن أيضا. وعليه التكالان في المستقبل أيضا. ما كان حدوثه مقدرا تُنفخ فيه روح فضل الله تعالى. كما أن البستاني عندما يسقي بستانه يصبح خضرا نضرا كذلك يهب الله تعالى جماعة مرسله أيضا تقدما ونضرة. أما الفرق التي تتكون بتخطيط الناس فقط فتتطرق إليها الفرقة سريعا - كما أحرزت طائفة البراهمو تقدما لفترة وجيزة ثم توقفت، والآن لا تزال تنقرض يوما إثر يوم - لأنها تكون مؤسسة على أفكار البشر فقط. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٠، عدد ١٧/٨/١٩٠٥م، ص ٢)

ماذا كانت حالة العرب عند بعثة النبي ﷺ من حيث التمدن والأخلاق والروحانية؟ كانت الخصومات وشرب الخمر والزنا والنهب والسرقة، بل كل نوع من السيئة كان موجودا في كل بيت. لم تكن لهم أدنى علاقة بالله والأخلاق الفاضلة. كل شخص كان فرعوناً بحذ ذاته، ولكن عندما دخلوا الإسلام بمجيء رسول الله (تولد فيهم حب الله وروح الوحدة لدرجة أن أصبح كل واحد منهم جاهزا للموت في سبيل الله. لقد حققوا حقيقة البيعة وضربوا هذه الأمثلة بعملهم. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٠، عدد ١٧/٨/١٩٠٥م، ص ٢)

هل كان لأحد أن يتصور أن هؤلاء القوم يمكن أن يتحدوا ويخلقوا علاقة قوية مع الله تعالى على هذا النحو مع كونهم ذوي سيرة فرعونية، وأنهم سيفنون في طاعة الله لدرجة يضحون بحياتهم العزيزة في سبيله؟ فكروا هل كان ذلك سهلا؟ إنه نجاح عظيم ﷺ. إن خلق حب الله في قوم مثلهم حتى أصبحوا جاهزين للموت في هذا السبيل يدل على قوته ﷺ القدسية من الدرجة العليا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٥م، ص ٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة التوبة



الآية ٢: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنَّهُ اللَّهُ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾

وَاعْلَمُوا باليقين أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ وَاللَّهُ مُحْزِيكُمْ. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٢، الحاشية رقم ١١)

الآية ٦: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

.... أي إلى أن يسمع كلام الله بكل هدوء وطمأنينة ويفهمه، ثم أبلغوه مأمنه.

هذا التخفيف عليهم ضروري لأنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام. من الواضح أن القرآن

الكريم لو كان يعلم الإكراه لما أمر أن الكافر الذي يريد أن يسمع القرآن ولا يعتنق الإسلام بعد سماعه عليك أن تبلّغه مأمّنه، بل لأمر القرآن الكريم أن مثل هذا الكافر إذا وقع في قبضتك يجب عليك إكراهه على الإسلام في الحال. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٣)

إذا أراد مشرك أن يسمع القرآن الكريم فقدموا له الأمان. فليسمع كلام الله إلى ما شاء ثم أبلغوه مأمّنه. ثم تقول الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٣-٢٦٤)

.... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أنهم لا يعلمون ضد من يحاربون. (ينبوع المعرفة الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٣)

الآية ٧: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

... معنى ذلك أنه لا يمكن الثقة بقولهم بعد نقضهم العهد. (الحرب المقدسة الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٤)

الآية ١٠: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾

إن هؤلاء المشركين لا يهتمون بعهد ولا قرابة بل يتجاوزون الحدود كلها. (الحرب المقدسة الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٤)

الآية ١٢-١٣: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

من الإجحاف الشنيع وصِف الإسلام بأنه ظالم، مع أن هؤلاء القائلين هم أنفسهم ظالمون حيث يعترضون على الإسلام باطلا دون تفكر وتأن، ولا يفهمون مع أننا شرحنا مرارًا وتكرارًا أن جميع الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون كانت بقصد الدفاع عن المال والنفس بعد التضاييق جدًّا من مظالم كفار مكة. ولم يصدر من المسلمين أي تصرف لم يرتكبه الكفار أولاً. وليس ذلك فحسب بل قد أمر النبي ﷺ بمقتضى أخلاقه الواسعة المسلمين بالتخلي عن بعض التصرفات المقرفة في المقابل. فمثلاً كانت في الكفار تسود عادة كريهة جدًّا بحق موتى المسلمين، لكن النبي ﷺ نهى المسلمين منعًا باتًّا عن هذا الفعل القبيح. لقد ذُكر ذلك في القرآن الكريم بكل إسهاب وتفصيل، بشرط أن يتمتع أحد بقلب متدبر خال من التعصب وظامئ للصدق. لقد ورد في القرآن الكريم هذا الأمر بصراحة في آية: ﴿وَهُمْ بَدْءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. أي كانت بادرة كل فتنة وفساد من الكفار أولاً. ...

فالجدير بالتأمل هنا، أن الأوضاع الاضطرارية التي أذن القرآن الكريم فيها بالقتال، لا توجد ولا واحدة منها في العصر الراهن. فالبديهي أنه لا يمارس علينا أي إكراه وتشدد في أي أمر ديني، بل كل إنسان يتمتع بحرية تامة، فلا أحد يفرض الحرب بسبب قضية دينية، ولا يجعل أحدا عبداً أو أمة. ولا أحد يمنع من الصلاة والصيام ورفع الأذان والحج وممارسة شعائر الإسلام، فلم الجهاد وأخذ العبيد والإماء؟ (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٢، عدد ٢٦٦/٣/١٩٠٨ م، ص ٧-٨)

كل عاقل يستطيع أن يفهم بكل سهولة بالتأمل في جميع الآيات المذكورة آنفاً بأنه لا مجال فيها للإكراه، بل استحق مشركو العرب بحسب قانون موسى في الجهاد- نتيجة إيدائهم وسفك الدماء إلى هذا الحد إذ قتلوا المسلمين والمسلمات وأولادهم دون هوادة- أن تُقتل نساؤهم وأولادهم وتُسفك دماء شبابهم وشيوخهم، ويُنفوا من أوطانهم وتُحرق مدنهم وقراهم ولكن نبينا الأكرم ﷺ لم يفعل ذلك مع أنهم كانوا

يستحقون القتل بسبب سفكهم الدماء دون هوادة، بل ساعهم وخفف عنهم إلى درجة أنه إذا أسلم أحدهم طوعاً أمِن.

والعجب كل العجب أن يوجّه اليوم اعتراضٌ على هذا الأسلوب اللين والرحيم وتُقَدَّس حروبُ موسى! ثم الأسف كل الأسف أنه لو وُجد اليوم شيء من العدل لما تعذر استيعاب الفرق بين الأمرين. واللافت في الموضوع أن الإله الذي أمر موسى أن يستعير بغير حق أواني وخُلّي من الناس في مصر ويستولي على تلك الأشياء كذباً وزوراً ثم يحسبها ملكه هو ويُظهر تجاه أعدائه ظلماً لدرجة قتلِ مئات الآلاف من أولادهم وسلبِ أموالهم، ويُخرج منها نصيباً لله، وأن يجتبي لنفسه امرأةً يريدّها، وفي بعض الحالات يجب أن تؤخذ الجزية أيضاً، وأن يحرق مدن العدو وقراه؛ يقول الإله نفسه في زمن النبي ﷺ بكل ليونة ورحم ألا تقتلوا الأولاد ولا النساء، ولا تتعرضوا للرهبان، ولا تحرقوا الزروع، ولا تهدموا الكنائس، ولا تتصدوا إلا للذين بدأوا بقتلكم، ثم إذا أدوا الجزية، أو إذا كانوا من فئة العرب الذين وجب قتلهم نتيجة سفكهم الدماء من قبل، فخلّوا سبيلهم بعد إيمانهم. وإذا أراد أحد أن يسمع كلام الله فقدّموا له الأمان، ثم أبلغوه مأمّنه بعد أن يسمعه. ولكن من المؤسف حقاً أن الإله نفسه جعل اليوم عرضة للاعتراض. ومما يؤسف له أكثر أن المعارضين على هذا التعليم الجميل هم أولئك الذين يحسبون تعليم التوراة الدموي الذي لم يسلم منه حتى الأطفال الصغار أنّه من الله. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ٢٦٤-٢٦٦)

الإسلام لم يبدأ بالقتال قط، كما يقول تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. أي أن العدو هو الذي بدأ بالقتال. ثم حين شتّوا الحرب أولاً وأخرجوا المؤمنين من الوطن، وقتلوا مئات الأبرياء، ولاحقوا وروجوا انتصار أوثانهم فأَي سبيل كان أقرب إلى الحق والحكمة سوى ملاحقتهم؟ ثم انظروا بحذائها إلى حروب موسى عليه السلام، وانظروا إلى

معاناة وآلام صُبَّت على الذين شُنت عليهم تلك الحروب؟ وكيف قُتل دون رحمة مئات آلاف الأطفال الأبرياء. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ٢٥٦) لم يرد الله الذي هو مؤسس الإسلام أن يفنى الإسلام نتيجة هجمات الأعداء فأذن بالحرب الدفاعية وأذن بالمواجهة دفاعاً عن النفس كما يقول في القرآن الكريم: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ويقول أيضاً: ﴿وَإِنْ جَحَحُوا لِّلْسَلَامِ فَاْجَنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال: ٦٢). (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٤)

الآية ٢٤: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

توضح هذه الآية بجلاء أن الذين يحبون الأقارب والأموال على حساب مرضاة الله هم الآثمون في نظر الله تعالى، الهالكون لا محالة. ذلك لأنهم آثروا على الله غيره. فهذه هي المرتبة الثالثة التي يصير فيها ربانيا من يتنازع في سبيل الله آلاف البلايا، ويميل إلى الله بصدق وإخلاص فلا يبقى له أحد سواه، وكأن الجميع دونه قد ماتوا. فالحق أننا لن نرى الإله الحي ما لم نمت نحن. إن يوم تجلي الله هو ذلك اليوم الذي يطرأ فيه الموت على حياتنا المادية. إننا عمياناً ما لم نصبح عمياناً عن رؤية غير الله؛ وإننا أموات ما لم نصبح كالموتى في يد الله. فإذا ما استوى وجهنا تجاهه تماماً ظفرنا حينئذ بالاستقامة الحقيقية التي تغلب الشهوات النفسانية كلها، أما قبل ذلك فلا. وهذه هي الاستقامة التي تجلب الموت على حياة يعيشها الإنسان لنفسه. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٣)

الآية ٢٩: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

...أي الذين هم متورطون في الفسق والفجور عمليا ولا يحرمون الحرام ولا يختارون سبل الصدق والحق. لاحظ الآن ماذا ثبت من هنا، لا يثبت من هذه الآية إلا أن الذين يصدون عن الحق تمردا ويهاجمونكم بغير حق يجب أن تقتلوهم وتنجّوا منهم الذين يبتغون دين الحق. أين يثبت من ذلك أن الحرب اندلعت دون أن يسبق هؤلاء القوم بشن الهجوم؟ لا بد من النظر في سلسلة الحروب. وما لم تتأمل في سلسلتها لوقعت في أخطاء فادحة عمدا أو سهوا. الحقيقة أن الكفار خططوا أولا لقتل نبينا الأكرم ﷺ، ثم أخرجوه من مكة في نهاية المطاف نتيجة صولاتهم، ثم لاحقوه. وحين تجاوزت المعاناة حدودها كان الأمر الأول الذي نزل للقتال هو: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج: ٤٠-٤١) ... إن أهل الكتاب عرقلوا سبيل دعوة الحق، ونصروا المشركين، وأرادوا أن يقضوا على الإسلام متكاتفين معهم كما ورد هذا الذكر مفصلا في القرآن الكريم. فما كانت في اليد حيلة إلا القتال ودفع الهجوم، ومع ذلك لم يأمر الله ﷻ بقتلهم بل قال: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ... وقال بصراحة تامة بأن الإسلام لم يبدأ بالقتال قط. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٤-٢٥٦)

.... يزعم قليلو الفهم من مثل هذه الآيات أن فيها أمرا بالحرب للإدخال في الإسلام، ولكن اقرواها إلى النهاية، لم يرد فيها أمرٌ للإدخال في الإسلام قط. بل إذا قرأتم هذه الآيات إلى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ (التوبة: ٣٦) ستعلمون أنها تذكر أهل الكتاب الذين امتنوا بالإجرام بصورة واضحة ولم تبق فيهم اليهودية والمسيحية

إلا بالاسم فقط، ولم يعودوا يؤمنون بالله.... يتبين من هذه الآيات أن اليهود والنصارى العرب كانوا فاسدين وساء سلوكهم إلى درجة أنهم كانوا يعملون برغبة قلبية كل ما حرمه الله في كتبه من أعمال غير مشروعة مثل السرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وسفك الدماء، وشهادة الزور، والإشراك بالله، كأنهم اتخذوا تلك الأعمال السيئة مذهبا لهم.... وكان وجودهم يشكل خطرا على البلد.... فللعامل أن يدرك أن تدارك المجرمين مثلهم كان ضروريا لإقامة الأمن العام. أما النبي ﷺ فما كان يحتل منصب النبوة فقط بل جعله الله تعالى مسؤولا كملك مختار لحماية مصالح الدولة أيضا، لذا كان من واجبه في هذه الحالة كملك ووال أن يؤدب الأشرار والخبثاء في البلد تأديبا مناسبا ويحرر من برائتهم المظلومين الذين دُمرُوا على أيديهم. فيجب أن يفهم أن الله تعالى قد أوكل إليه ﷺ منصبين: منصب الرسالة؛ بمعنى أنه كلما تلقى أمرا من الله تعالى كان يبلّغه الناس، والمنصب الثاني كان منصب الحكومة والخلافة؛ فبموجب هذا المنصب كان يقيم الأمن العام في البلاد بمعاينة كل مفسد ومخلّ بالأمن. وكانت حالة بلاد العرب في تلك الأيام قد آلت إلى أن معظم العرب كانوا نهابا وقطّاع طرق ويرتكبون جرائم متنوعة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الذين يسمّون أهل الكتاب ذوي تصرفات سيئة جدا، فكانوا يأكلون أموال الناس بالباطل. إذا كان العرب ينهبون ليلا، كان أهل الكتاب يُطلقون السكين على رقاب الفقراء حتى في النهار. فعندما أعطى الله تعالى النبي ﷺ حكومة بلاد العرب كان من واجبه دون أدنى شك أن يردع الأشرار والمجرمين واللصوص والنهاب والمفسدين، ويعاقب الذين لم يرتدعوا عن ارتكاب الجرائم. كل واحد يستطيع أن يفهم أن من واجب الملك أنه إذا صال الناس على رعية ملك ونهبوا أموالهم أو أخذوا أموالهم بنقب يبوّتهم أو قتلوا الناس طمعا في نفوسهم، أفلا يكون من واجب الملك أن يغزو هؤلاء المفسدين ويعاقبهم بما يستحقونه ويقيم الأمن في البلاد؟ فالحرب ضد

أهل الكتاب لم تكن لإدخالهم في الإسلام بل لحماية البلاد من شرورهم. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٨-٢٤١)

الآية ٣٠: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

... "الذين كفروا": أي الذين اتخذوا البشر آلهة وأبناء الإله سيهلكون لأنهم انحرفوا عن التعليم. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٦٧)

.... هذه الآية تشير صراحةً إلى اليونانيين والهنود، وتُخبر أن هؤلاء هم الذين أُهْوَأ الناس أول الأمر، ثم انتقلت هذه المبادئ إلى النصارى لسوء حظهم، فقالوا لماذا نتخلف عن هذه الشعوب، وكانت التوراة لشقاوتهم تضم سلفاً نصوصاً وُصف فيها في بعض المواضع بعض الناس أبناء الله، بل بنات الله أيضاً، بل قد وُصف بعض السابقين آلهةً أيضاً، فبحسب هذا التعبير الشائع قد استُخدمت الكلمات نفسها في الإنجيل بحق المسيح أيضاً، فصارت الكلمة نفسها سماً قاتلاً للسفهاء، فالكتاب المقدس يُصَرِّحُ بملء الصوت أن هذه الكلمة لا تخص ابن مريم فقط، بل قد استُخدمت بحق كل نبي وصالح، بل قد سمي يعقوبُ ابنَ الله البكر، غير أن الشقي حين يقع في عُقْدَة مرة فلا يسعه التخلص منها، والأغرب من ذلك أن القواعد التي ذكرت لألوهية المسيح، أنه إلهٌ وإنسان أيضاً، فكلها مسجلة في كتب الهندوس سابقاً بحق كرشن ورام شندر، وهي توافق هذا التعليم الجديد، لدرجة أن لا يسعنا غير القول بأنه تقليد لمعتقدات الهندوس بأسرها. فكانت لدى الهندوس عقيدةٌ ثلاثة آلهة؛ والمراد منها مجموعة "برهما، بشن ومهاديو" فيبدو الثالث انعكاساً لهذه العقيدة، ومن العجيب أنه كما يسعى المسيحيون جاهدين لإثبات ألوهية المسيح وتفاديهم الاعتراضات العقلية بحيث يربطون بشرية المسيح بالألوهية ليجتنبوا

الاعتراضات العقلية، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون التخلص منها، وأخيرا يهربون من وصفه في نهاية المطاف بأنه من أسرار إلهية. كذلك هي صورة الهندوس الذين يتخذون رام شندير وكرشن إلهين؛ أي إنهم أيضا يتحدثون كما يتحدث النصارى. ثم حين يعجزون من كل النواحي يقولون إنه من أسرار الإله ولا ينكشف إلا على الذين يتصوفون ويهجرون الدنيا ويقومون بمجاهدات. لكن هؤلاء لا يعلمون أن هذا السر كُشف حين لم يقدم هؤلاء الآلهة الباطلة لأعمالهم الإلهية أي مثال لم يقدمه الإنسان، صحيح أن كتاب غرنته مليء بقصص أن هؤلاء المقدسين أحرزوا أعمالا جبارة، فقد أحيوا الموتى وحملوا الجبال على رؤوسهم، لكننا إذا اعتبرنا هذه القصص صادقةً فهؤلاء أنفسهم يعترفون بأن بعضا من الناس الآخرين من الذين لم يدعوا الألوهية أيضا، أظهروا هذه الأعمال. فتدبروا مثلا هل كانت أعمال المسيح أكثر من موسى عليه السلام بل الحقيقة أن قصة البركة قد فضحت آيات المسيح، ألا تعرفون البركة التي كانت تظهر منها المعجزات وكانت في الزمن نفسه، ثم ألم يكن في بني إسرائيل أنبياء عادت الحياة إلى الموتى بلمسهم؟ ثم ما هي دواعي التباهي بألوهيته؟ يا للخجل!

وصحيح أن الهندوس كتبوا كثيرا عن أعمال جبارة لمقدسيهم وحاولوا إثباتهم آلهة عبثا، غير أن تلك القصص أيضا لا تقل سخافة عن قصص النصارى، ولو افترضنا أن شيئا منها صحيح، مع ذلك لا يمكن أن يكون الإنسان الضعيف العاجز بطبعه إلهًا، أما الإحياء الحقيقي فباطلٌ أصلا وينافي الكتب السماوية، إلا أن الإحياء الإعجازي الذي لا يتضمن العودة إلى هذا العالم والعيش مرة أخرى فيه، هو ممكن لكنه لا يشكّل دليلا على الألوهية، لأن الذين يدعون ذلك كثيرون، وقد خلا الكثيرون الذين كانوا يستنطقون الموتى، لكن ذلك من قبيل "كشف القبور"، غير أن للهندوس فضلا على النصارى ونعترف به نحن أيضا وهو أنهم قادوا النصارى إلى اتخاذ

البشر آلهة، فقد قلّدهم النصارى. لا يسعنا الإخفاء أن كل ما اختلق النصارى من الأقوال للتخلص من الاعتراضات العقلية، فلم يتكروها بتفكيرهم بل قد سرقوها من "شاسترات" و"غرنتهاث"^١، وكل هذا الطوفان كان قد أعدّه البراهمة لكشّن ورام شندر واستفاد منه النصارى، فالفكرة أن الهندوس ربما هم قد سرقوا من كتب النصارى بديهيّة البطلان، ذلك لأن نصوصهم هذه من العصر الذي لم يكن فيه أي أثر للمسيح في هذا العالم، فلا بد من الاعتراف بأن النصارى هم السارقون؛ فقد اعترف السيد "بورت" أيضا "أن أفلاطون كان يرى الثالث نتيجة اتباع فكرة خاطئة، لكن الحقيقة أن اليونان والهند كانتا كمرايا متقابلة لبعضها البعض من حيث الأفكار، ومن الأقرب إلى القياس أن هذا الشرك المتراكم انتقل أولا من الهند إلى اليونان في صورة معارف الفيدا، ومن هناك سرقها النصارى السفهاء ودسّوها في الإنجيل وحسّنوا كتاب أعمالهم. (نور القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٦١-٣٦٤)

الآية ٣١: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي جعل اليهود مشايخهم ودراويشهم الذين مخلوقون وليسوا آلهة كأرباب وقاضي حاجاتهم. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٦٣، الحاشية رقم ١١)
كيف ترك هؤلاء الملعونون طريق الحق.... ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ، سبحانه؛ أي أنه كامل في ذاته وليس له حاجة لأن يتخذ ولدا. ليس فيه من نقص لئسّد باتخاذ الولد. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١ ص ٥٢٤، الحاشية ٣)

^١ هي كتب مقدسة هندوسية. (الناشر)

الآية ٣٢: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

أي يقولون على سبيل التباهي والتبجح بأن هذا الدين لن ينال أي انتصار، بل سيبور بأيدينا، ولكن الله لن يضيعه ولن يتركه ما لم يتم أمره. ... إن القرآن الكريم موجود، وحفاظه موجودون، ولكم أن تروا بأية شدة وتحدي أظهر الكفار آراءهم أن هذا الدين سينعدم حتما، وسنقضي عليه. ثم جاءت مقابل ذلك نبوءة وهي مذكورة في القرآن الكريم بأنه لن يبور أبدا بل سيصبح كدوحة عظيمة وسينتشر وسيكون فيه ملوك. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٩٠-٢٩١)

ما هو المراد من نفخات أفواههم؟ المراد أن بعضهم يتهم مبعوث الله بالخداع، وبعضهم يسميه كاسب الدنيا وكافرا وملحدا. فبمثل هذا الكلام يريدون أن يطفئوا نور الله، ولكنهم لا ينجحون في ذلك أبدا، بل يحترقون كمدا، ويكون مآل سعيهم لإطفاء نور الله الذل والهوان. (الحكم، مجلده، رقم ٣، عدد ٢٤٤/١/١٩٠١م، ص ٣)

الآية ٣٣: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ... هذه الآيات القرآنية نزلت إلهاما بحق هذا العبد المتواضع، والمراد من "رسوله" المأمور والمبعوث الذي ظهر لتأييد دين الإسلام. وملخص هذه النبوءة أن الله ﷻ بعث هذا المأمور كي يغلب الإسلام بيده على جميع الأديان، فلا بد أن يتعرض هو وجماعته في البداية للظلم والاعتداء غير أن الفتح في نهاية المطاف حليفهم ويصبح هذا الدين بمساعيه غالبا على سائر الأديان، وجميع الملل الأخرى ستهلك عن يمينه. انظروا ما أعظم هذه النبوءة وهي النبوءة نفسها التي قال بحقها أغلبية العلماء من البداية على مر التاريخ الإسلامي بأنها تخص المسيح الموعود وأنها تتحقق في زمنه

وهي منشورة قبل دعواي بأني أنا المسيح الموعود في البراهين الأحمدية قبل سبعة عشر عاما من اليوم لكي يُنجّل الله أولئك الذين يحسبون دعوى هذا العبد المتواضع افتراءً إنسان. إن البراهين الأحمدية نفسه يشهد على أنني لم أكن حتى أتصور بأني أنا المسيح الموعود، وكنت أعتقد بمعتقدات شائعة، غير أن الإلهام الإلهي كان قد شهد في الزمن نفسه على أنني أنا المسيح الموعود، فكل ما كان قد ورد في الآثار النبوية بحق المسيح الموعود قد أكّده الإلهام الإلهي لي. (السراج المنير، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٤٢-٤٣)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ. ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ أي ليُظهر دين الإسلام بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة على كل دين سواه؛ أي ينصر الله المؤمنين المظلومين بإشراق دينهم وإتمام حجتهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، المجلد ١ ص ٢٦٥، الحاشية في الحاشية رقم ١)

هو القادر الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق "... هذه النبوءة سُجلت من قبل في القرآن الكريم، وهي تشير إلى هذه الأيام. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٩٣)

لاحظوا الآن، فقد قال جلّ شأنه في هذه الآيات بكل صراحة بأنه قد سبق أن عدّ بعض اليهود أيضا عزيزا ابن الله قبل النصارى. وليس ذلك فحسب بل الكفار في الأزمنة السابقة قد أعطوا زعماءهم وأئمتهم المنصب نفسه. فما الدليل عندهم إذاً على أن هؤلاء الذين ألّهُوا أئمتهم كانوا كاذبين أما هؤلاء (المسيحيون) فصادقون؟ ثم يشير ﷺ إلى أن هذه المفاصد قد تطرقت إلى الدنيا التي أرسل هذا الرسول لإصلاحها لكي يزيلها بالتعليم الكامل لأنه إذا كان في أيدي اليهود تعليم كامل لما ألّهُوا علماءهم ورهبانهم أبدا مخالفين في ذلك تعليم التوراة. فتبين من ذلك

أنهم كانوا بحاجة إلى تعليم كامل كما أقرّ المسيح عليه السلام أيضا: إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ * وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُجَبِّرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. يقول المسيحيون إن المراد من روح الحق هو روح القدس، ولا يتنبّهون إلى أن روح القدس بحسب مبدئهم هو الله، فممن سيسمع؟ بينما ورد في النبوءة: كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٦٧-١٦٨)

الآية ٤٠: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

"ومن حسنات الصديق ومزاياه الخاصة أنه حُصِّ لمرافقة سفر الهجرة، وجعل شريك مضائق خير البرية وأنيسه الخاص في باكورة المصيبة، ليثبت تخصّصه بمحسوب الحضرة. وسرّ ذلك أنّ الله كان يعلم بأن الصديق أشجع الصحابة ومن الثقة وأحبّهم إلى رسول الله ﷺ ومن الكُماة، وكان فانيا في حُبِّ سيّد الكائنات، وكان اعتاد من القديم أن يمونه ويراعي شؤونونه، فأسلى به الله نبيّه في وقتٍ عبوس وعيش بوسٍ، وحُصِّ باسم الصديق وقربِ نبي الثقلين، وأفاض الله عليه خلعة: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾". (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٣٨-٣٣٩)

لقد ظهر صدقُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند نشوب تلك النار، أي حين حوَصَرَ النبي ﷺ. لا شك أن بعض الكفار كانوا يريدون إخراجه من مكة أيضا، ولكن أكثرهم كانوا متفقين على هدفهم الأصلي، أي قتله. وفي هذا الوقت العصيب قد قدّم أبو بكر رضي الله عنه نموذج صدقه ووفائه الذي سيظلّ أسوةً إلى أبد الآباد. إن اختيار

النبي ﷺ أبا بكر ﷺ في ساعة العسرة هذه في حد ذاته يشكّل دليلاً قوياً على عظيم صدقه ووفائه. لو أنّ حاكم الهند -مثلاً- اختار شخصاً لمهمة فمن ذا الذي يكون أصوب وأفضل رأياً، أهذا الذي اختاره الحاكم، أم أحد الحراس العاديين؟ لا بد من أن نقول إن اختيار الحاكم هو الأنسب والأصح في كل حال، ذلك لأن السلطنة البريطانية قد اختارته نائباً للملك واثقةً بعظيم وفائه ووافر فراسته وسديد رأيه، وسلّمت زمام الحكم في يده، فلذا لا يجوز لنا أن نغض الطرف عن سداد رأي الحاكم وحسن إدارته وفراسته، ونقول إن رأي الحارس العادي هو الأصوب والأفضل.

هذا هو حال اختيار نبينا ﷺ أبا بكر ﷺ. كان عند النبي ﷺ في ذلك الوقت ما بين ٧٠ إلى ٨٠ صحابياً، بمن فيهم سيدنا علي ﷺ أجمعين، ولكنه ﷺ لم ينتخب لمرافقته منهم إلا أبا بكر. فما السرّ في ذلك؟ السر هو أن النبي يرى بعين الله، ويؤتي الفهم من عند الله تعالى، فكان الله نفسه قد أخبر النبي ﷺ بالكشف والإلهام أن أبا بكر الصديق ﷺ هو خير وأفضل شخص لهذه المهمة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٦، عدد ١٠/٥/١٩٠٥م، ص ٢)

لقد رافق أبو بكر ﷺ النبي ﷺ وسانده بكل وفاء، واختفى النبي ﷺ في غار يسمى غار ثور، ووصل إلى الغار الكفار الأشرار الكائدون لإيذائه. فقال أبو بكر: لقد وصل العدو على رأسنا تماماً، ولو نظر أحدهم إلى الأسفل قليلاً فسوف يرانا ويقبض علينا. فقال ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، فكروا في هذه الكلمة، فقد ضمّ فيها النبي ﷺ أبا بكر إليه، حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا). ولفظ (مَعَنَا) يشمل الاثنين، أي أن الله معك ومعني أيضاً. لقد جعل الله النبي ﷺ في كفة والصديق في كفة أخرى. كان الاثنان في الاختبار في ذلك الوقت، لأنه هو الموقف الذي كان سيوضع فيه أساس الإسلام أو يُقضى عليه. كان العدو على فم الغار، وكانوا يتشاورون ويدلون بآرائهم، فقال بعضهم: علينا أن نفتش الغار، لأن آثار الأقدام تنتهي إليه

ثم تختفي، لكن قال بعضهم أئى لإنسان أن يدخل في هذه المغارة؟ ذلك لأن العنكبوت كان قد نسج بيته على فم المغارة وكانت الحمامة قد باضت هناك. كانت أصواتهم هذه تصل داخل المغارة، وكانا يسمعانها بكل وضوح. لقد جاء الأعداء بنية القضاء عليهما، وجاءوا مسرعين كالمجانين، ولكن انظروا إلى كمال شجاعة النبي ﷺ حيث قال لرفيقه وصاحبه الصادق والعدو على رأسهما: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. تكشف هذه الكلمات بجلاء تام أن النبي ﷺ قد قال هذه الكلمات بلسانه، إذ كان الموقف يتطلب صوتا مسموعا، وكانت الإشارة لا توفي الغرض منها. كان الأعداء يتشاورون في الخارج، وكان الخادم ومخدومه يتحاوران داخل المغارة، غير مكترئين بأن العدو سيسمعهما. وهذا يدل على كمال الإيمان بالله تعالى والمعرفة. كان النبي ﷺ واثقا بوعود الله ثقة تامة. والحق أن هذه الواقعة لتكفي كنموذج على شجاعته ﷺ. وهناك واقعة أخرى تشهد على شجاعة أبي بكر الصديق ﷺ.

(الحكم، مجلد ٩، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٥م، ص ٢)

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وهذه المعية تشمل أبا بكر الصديق ﷺ أيضا، بل كأنها شملت جماعة النبي ﷺ كلها. لم يقل موسى عليه السلام ذلك بل قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ (الشعراء: ٦٣). ماذا كان السر في ذلك إذ ذكر كون الله معه فقط؟ السر هو أن الله جامع الشؤون كلها وهو الاسم الأعظم. إن معية الاسم الأعظم كانت تحالف رسول الله ﷺ وجماعته مع جميع الصفات، ولكن قوم موسى كانوا أشرارا وفساقا وفجارا وكانوا يستعدون للشجار والتراشق بالأحجار لأتفه الأمور، لذلك لم تُنسب المعية إليهم بل جعلها مقتصرة على نفسه. وكان المقصود من ذلك إظهار عظمة النبي ﷺ وعلو مدارجه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٣م، ص ٧)

إن نظير هجرة النبي ﷺ موجود أماننا، مع أن أصحابه الأوفياء والمستعدين للتضحية بأرواحهم كانوا موجودين في مكة ولكنه ﷺ عندما هاجر اصطحب أبا

بكر الصديق عليه السلام فقط. ولكن عندما وصل إلى المدينة وصل إليه أصحابه الآخرون واحداً بعد الآخر. وورد أنه حين خرج النبي عليه السلام مهاجراً واختفى في الغار وصله الأعداء بحثاً عنه. قلق أبو بكر عليه السلام بسماع صوت أقدامهم فأوحى الله إلى النبي عليه السلام فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. يُروى أن الأعداء كادوا أن يروه بل ونزلوا لرؤيته ولكن شاء قدر الله أن نسج العنكبوت شبكة على باب الغار. وقال أحدهم بالنظر إلى الشبكة: يبدو أن الشبكة أقدم حتى من زمن ولادة (النبي عليه السلام) فرجعوا من هناك. لهذا السبب ظل معظم السلف الصالح يحبون العنكبوت. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ٥)

الآية ٤١: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

لقد جعل الله تعالى المجاهدة للفوز بالمرام الأصلي، أي أن نطلب الله بإنفاق أموالنا في سبيله، وتسخير قوانا من أجله، والتضحية بنفوسنا وبذل عقولنا في سبيله، كما يقول عليه السلام: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٨-٤١٩)

الآية ٥١: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

لقد اعترضت جريدة: "اللواء" المصرية على آية في "سفينة نوح"، وقالت بأن هؤلاء الناس لا يفقهون القرآن ولا يدرون أنه ورد في الحديث: "ما من داء إلا وله دواء"، وهم لا يؤمنون به. فقال عليه السلام:

هو لم يفهم قصدي، وبدأ يكتب المقال بالنظر الأولي إلى آية بسبب بغض باطني وعلى غرار مذاق الشعراء. متى أنكرنا ضرورة الأدوية؟ بل نقول بأنه تعالى أودع في كل شيء فوائد، ولكن لما أخبرنا الله تعالى عن الطاعون قبل الأوان بأن هذا هو علاجه

الحقيقي، وأعطانا هذا الأمر كمعجزة فأتي لنا أن نجعل المعجزة مشبوها فيها. إذا أعطى الله تعالى معجزة فإن الاستخفاف بها ليست معصية فقط بل يؤدي إلى الكفر.

هر مرتبه از وجود اثری دارد گر حفظ مراتب نه کنی زندیقی

أي: لكل شخص مرتبة وقيمة، ولو لم تراع المراتب لأصبحت زنديقًا. (بدر

مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨ - ١٢/٥/١٩٠٢ م، ص ٣٨)

الآية ٥٤: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

واضح من هذه الآية أيضا بأن الذين لا يؤمنون بالرسول تضعيع أعمالهم ولا يقبلها الله تعالى قط. وإذا ضاعت الأعمال فكيف تمكن النجاة. (حقيقة الوحي،

الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٢)

هذه الآيات كلها تشير إلى الذين اطلعوا على وجود الرسول وبلغتهم دعوته. أما الذين لم يطلعوا على الرسول ولم تبلغهم دعوته فلا نستطيع أن نقول فيهم شيئا؛ فالله أعلم بظروفهم وسيعاملهم بما تقتضيه رحمته وعدله (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٢)

الآية ٦٠: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

يجب أن يلاحظ في توزيع أموال الصدقات وغيرها أن توزع أولا على المحتاجين. نعم، يمكن أن ينفق شيء منها أيضا على من يقومون بجمعها وحفظها وتوزيعها. كما يمكن إنفاق جزء منها على من يراد إنقاذه من السيئات. كما ينفق أيضا على تحرير الأسرى والرقيق وعلى مساعدة الغارمين والمنكوبين المحتاجين، وعلى كل سبيل

آخر هو من سبل الله تعالى حقيقةً. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٧-٣٥٨)

الآية ٧٢: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

إن السعادة الأسمى التي ما بعدها سعادة إنما هي في الله تعالى. ومعنى الجنة الشيء المستور، وتسمى الجنة جنة لأنها مغطاة ومستورة بالنعيم. والجنة الحقيقية إنما هي الله تعالى الذي نسبة المعاناة والألم إليه محال، لذا قد قيل بشأن أعظم نعم الجنة: ﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. والإنسان -بصفته إنساناً- يبقى عرضة للمعاناة والألم دائماً، ولكنه كلما ازداد قرباً من الله وتخلّق بأخلاق الله ازداد سعادةً وراحة، وكلما تقرب من الله أكثر نال من نعم الله نصيباً أكبر. وهذا هو معنى الرفع. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧٠١/٢/١٩٠١م، ص ٧)

الآية ٧٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

إن مفهوم السباب والشتائم هو ما كان خلاف الواقع، وقد قيل كذبا وللإيذاء المحض. وإن جاز حمل كل كلام قاسٍ وجارحٍ محمل الشتيمة بناء على مرارته وقسوته وإيذائه، فلا بد من الاعتراف أن القرآن كله مليء بالشتائم، لأن كلمات الاستنكار والاحتقار واللعن والطعن التي استُخدمت في القرآن الكريم في حق الأوثان ليست مما تفرح لسماعه قلوب عبدة الأوثان على الإطلاق، بل مما لا شك فيه أن قلوبهم قد ثارت غضبا لسماعها. ألا يُعَدُّ قول الله تعالى وهو يخاطب كفار مكة: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: ٩٩) شتيمة بحسب مبدأ اختلقه المعارض

من عنده؟ أولاً يدخل اعتبار الله تعالى الكفار شرّ البرية، واعتبارهم أسوأ من أرذل المخلوقات وأنجسها، في السباب والشتائم بحسب زعم المعترض؟ ألم يقل الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾؟ (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٠٩) يُستشف من هذه الآية أن الله ﷻ أيضاً راعى المراتب، فأمره بحق المؤمنين يتسم بعطف كبير، أما الكفار فتحْتَاج طباع بعضهم للقسوة مثلما يُضطر الطبيب الحاذق للعمل الجراحي في علاج بعض المرضى والجرحى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٧، عدد ١٤/٤/١٩٠٨م، ص ٣)

الآية ٨١: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾

يجب أن يكون إيمان أفراد جماعتنا مثل إيمان الصحابة الذين قبلوا أن تُقطع رؤوسهم في سبيل الله.

لو قيل لأفراد جماعتنا اليوم أن اذهبوا إلى أوروبا وأميركا لنشر الإسلام لقال كثير منهم إن أهلنا وأولادنا سيواجهون المصائب بعد ذهابنا، ولقالوا: ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ (الأحزاب: ٤١). لا نطلب منهم أن يتقدموا لتُقطع رؤوسهم بل نطلب منهم فقط أن يتحملوا عناء السفر ومصاعبه من أجل الدين، ولكن يقول الكثيرون إن الحر شديد ونخاف شدة المعاناة. ولكن الله يقول: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾. إن في الصحابة أسوة كاملة لكون المرء مسلماً. (الحكم، عدد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٦)

الآية ٨٢: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

يجب أن يكون نصيب التمتع الدنيوي ضئيلاً جداً في حياة الإنسان لتكونوا مصداق: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾. أما الذي يتمتع بالدنيا كثيراً وتشغله

بالزوجاتُ ليل نهار متى ستكون الرقة والبكاء في نصيبه. (بدر مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٨/٧/١٩٠٤م، ص ٢)

لقد كتب الصوفية أن المرء إذا لم ييكِ لمدة أربعين يوما فاعلموا أن قلبه قد قسا. يقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ لكن الملاحظ عكس هذا إذ يضحك الناس كثيرا. فانظروا الآن إلى حالة الزمن، لكن ذلك لا يعني أن يذرف الإنسان الدموع كل حين وأن، كلا بل الباكي من يبكي قلبه. فعلى الإنسان أن يغلق الباب وينشغل في الدعاء بخشوع وخضوع، ويخر على عتبات الله بمنتهى التواضع والخشوع لئلا ينطبق عليه موضوع هذه الآية. فالذي يضحك كثيرا ليس مؤمنا. لو حاسب المرء نفسه على مدى اليوم الكامل لتبين له أن كفة الضحك والسخرية راجحة وأن كفة البكاء مرتفعة، بل تخلو هذه الكفة تماما عند الأغلبية. فانظروا في أي غفلة تنقضي الحياة، وكم هو وعر طريق الإيمان، وكأنه نوع من الموت، وهذا ما يسمى إيمانا في الحقيقة. (بدر مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١٦/١١/١٩٠٣م، ص ٣٣٤)

الآية ٩٨: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

دُكر غلام دستغير القصورى وقيل بأن بعض المعارضين يقولون إنه لم يباهل. فقال المسيح الموعود عليه السلام: أقبل على طريق التنازل أنه دعا علي فقط، ولكن قولوا بالله عليكم ماذا كانت نتيجة دعائه؟ ألم ترد عليه الكلمات التي قالها بحقي، والدعاء الذي دعا به علي؟ قولوا الآن، هل علامة المقبولين عند الله هي أن تكون نتيجة دعائهم الذي يدعونه بالتضرع والابتهال معاكسة تماما؟ ويكون تأثيره أن يهلكوا بأنفسهم وبذلك يختموا على كذبهم، ولا سيما مقابل شخص يظنونه مفتريا وما إلى ذلك! لقد ضرب غلام دستغير مثال مؤلف "جمع البحار" وأراد أن يصبح مثيله، ولكن لو لحق بي ضرر نُشرت إعلانات طويلة وعريضة، ولكن الله لم

يعطِ العدو أية فرصة ليحتفل بأية فرحة. يجب أن تتذكروا جيدا أنه دعا عليّ وطلب من الله أن يُقطع دابري أنا، ولكن كانت النتيجة أن قُطع دابره هو ورزقي الله تعالى تقدما يوما إثر يوم. أليس هذا مقام عبرة للعدو العنيد؟ من المؤسف حقا أن هؤلاء الناس لا يفكرون قط. انظروا كيف تنطبق عليه هنا الآية القرآنية: ﴿وَيَرْبِّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥/٤/١٩٠٧ م، ص ٨) اعلموا جيدا أنه ليس في نبوءاتي أي أمر لم يسبق له نظير في نبوءات الأنبياء السابقين، فهؤلاء الجهلة الوقحون يندفعون للاعتراض بجيشان العناد قبل أن يطلعوا على سنة الله، حيث ليس لهم أي حظ من علوم الدين الدقيقة والمعارف. ويتربصون بي دوما بحسب الآية الكريمة: ﴿وَيَرْبِّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾، ويتغافلون عن مضمون ﴿عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.... يجب أن يتذكروا أن الأنبياء أيضا لم يأمنوا بالبلايا في الفترة المتوسطة، إلا أنّ عاقبتهم كانت محمودة، وهكذا إذا تعرضنا نحن أيضا لأي حزن أو مصيبة فمن الخطأ اعتبار ذلك قرارا نهائيا من الله. لقد وعدني الله ﷻ وعدًا مؤكدًا بأنه سيبارك في جماعتنا وسيبارك في عبده هذا بركات كثيرة حتى إن الملوك سيتبركون بشيابه، فهو سيجعل عاقبة كل ابتلاء في المستقبل أيضا حسنةً ومحمودةً وسيبرئ ساحتنا من كل اتهام للعدو في نهاية المطاف. (حقيقة المهدي، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤٤٢ - ٤٤٣) إن سنة الله تعالى بحسب منطوق هذه الآية هي أنه مَنْ دعا على صادق رُدَّ عليه دعاؤه. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٤٥)

الآية ١٠٠: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

الصفات كلها في الحقيقة صالحة وطيبة، لكنها حين تستخدم في غير محلها وبأسلوب غير شرعي تصبح سيئة وتلطّخ. وحين يستخدم المرء الصفات نفسها في

محلّها مجتنباً التفریط والإفراط تجلب لصاحبها ثواباً. يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿مَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وفي آية أخرى قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. فالسابق أيضاً نوع من الحسد إذ لا يرضى السابق أن يسبقه أحد. هذه الصفة موجودة في الإنسان منذ الطفولة. إذا لم يرغب الأطفال في الاستباق لا يجتهدون ولكن الساعين وباذلي الجهود يزدادون كفاءةً. فكأن السابقين حساد نوعاً ما. لكن في هذه الحالة يكون الحسد صفة نقية وتجعل صاحبها من السابقين، كذلك سيسبق هؤلاء الحساد في الجنة. (بدر مجلد ٢، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٣ م، ص ٨٩/١)

الآية ١٠٣: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ هذه هي فلسفة الشفاعة، أي أن تخمد ثوائر النفس التي تدفع إلى اقتراف الذنوب. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣ م، ص ٢-٣)

لقد أعطى رسول الله ﷺ أحد المنافقين قميصه وصلى عليه صلاة الجنازة أيضاً، إذ من الممكن أن يكون قد تاب في الغرغرة. يجب على المؤمن أن يحسن الظن دائماً. لذا فقد أجاز في صلاة الجنازة أنه يمكن أن تُصلى على كل شخص. أما إذا كان معانداً بشدة أو كان هناك خطر للفساد فينبغي تحاشيها. وهي ليست واجبة على أفراد جماعتنا غير أنه يمكن لأفراد جماعتنا أن يصلوا صلاة الجنازة على غير الأحمديين إحساناً إليهم. إن المراد من الصلاة في: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ هو صلاة الجنازة، وكلمة: ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ تدل على أن دعاء النبي ﷺ يهب المذنب السكينة والطمأنينة. (بدر مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٣ م، ص ١٩)

نؤمن بأن الشفاعة حق، وقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ نص صريح على ذلك. هذه هي فلسفة الشفاعة، أي أن تخمد ثوائر النفس التي تدفع إلى اقتراف الذنوب. لقد بين الله تعالى هنا نتيجة الشفاعة وهي القضاء

على حياة الآثام وأن تحمد ثوائر النفس وحواجزها. فمسألة الشفاعة لم تُبطل الأعمال، بل تحفّز على الأعمال الحسنة. (الحكم مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠٥٠٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٢) الصدقة مستمدة من "صدق". والذي يتصدق في سبيل الله يتبين من تصرفه أنه صادق مع الله. والأمر الثاني هو الدعاء. فبالدعاء تنشأ الحرقه والذوبان والرقه في القلب. الدعاء أيضا تضحية إذا تيسر للمرء أمران أي الصدق والدعاء فهما له إكسير. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢٢، عدد ١٠٥٠٤/٧/١٩٠٤ م، ص ١٢)

الآية ١١٢: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

السعداء هم الذين يرجعون إلى الله تاركين كل شيء ويعكفون على عبادته وحده يسيرون في العالم منادين في سبيل الله ويركعون أمام الله ويسجدون له، هم المؤمنون الذين بُشِّروا بالنجاة. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٤٢)

الآية ١١٦: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

إنّ ابتهال المسيح عليه السلام ودعائه لنجاته في البستان طول الليل وعدم استجابة الله له وعدم قدرته على إنقاذه -بحسب ما ورد في العبرانيين ٥: ٧- قد يكون في زعم المسيحيين برهاناً على أن ملكوت الله لم يكن قائماً يومئذٍ على الأرض. أما نحن فقد واجهنا ابتلاءات أشدّ من ذلك، ونجونا منها كلها، فكيف ننكر ملكوت الله على الأرض.

فهل كانت قضية القتل التي رفعها عليّ القسيس "مارتن كلارك" في محكمة "النقيب دوغلاس" من أجل قتلي أخفّ من القضية التي رفعها اليهود ضد المسيح عليه السلام في

محكمة "بيلاطس"، وكانت بسبب اختلافٍ دينيٍّ فقط، لا بتهمة القتل؟ فقد أنبأني الله -وهو ملك الأرض كما هو ملك السماء- عن هذه القضية سلفًا وأخبرني أن هذا الابتلاء آتٍ، ثم تبّأني أنه سيُبرّئني منه، فنشرت تلك النبوءة بين مئات الناس قبل تحقّقها، وبالفعل قد صدر الحكم ببراءتي في نهاية الأمر. فالحق أن ملكوت الله هو الذي خلّصني من هذه القضية المرفوعة عليّ بتواطؤ المسلمين والهندوس والنصارى جميعًا.

وكذلك فقد شاهدتُ ملكوت الله على الأرض لا مرة واحدة بل عشرات المرات حتى لم أجد بدءًا من الإيمان بقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي أنّ ملكوت الله قائم في الأرض وفي السماء أيضًا. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٧٤ ٣٧-٣٨)

الآية ١١٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

إن كتب الشريعة تمثّل كنز الحقائق والمعارف، ولكن لا يمكن الاطلاع الكامل على الحقائق والمعارف ما لم يختَر المرء صحبة صادق بإخلاص وصدق، لذلك يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، يتبين من هنا بجلاء أن مدارج الإيمان والارتقاء الكاملة لا تُنال ما لم تتيسر معيّة الصادق وصحبته، لأن الإنسان بالبقاء في صحبته يستفيد من أنفاسه الطيبة وعزمته وتركيزه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ٣/٣١٩٠٢م، ص ٧)

الأنبياء يكونون بعدد قليل، ويأتون في وقتهم المناسب، لذا فقد أخبر الله تعالى العالم للنجاة من العادات والتقاليد، وللحصول على الإخلاص والإيمان الصادق سبيلا وهو: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، هذا صحيح تماما ويجب ألا تنسوا أبدا أنّ من أطاع النبي فقد أدى حق عبادة الله. لا يمكن للإنسان أن يخرج من عبودية التقليد والعادة إلا إذا بقي في صحبة الصادقين إلى فترة طويلة وتأسى بأسوتهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ٨/١٠١٩٠٢م، ص ٧)

ذكر السيد خان نواب خان زعيم مالير كوتله أن شخصا يحسن الاعتقاد ولكنه يريد أن يصبح تركيزه إلى الصلاة. فقال ﷺ: لماذا يضع الناس مثل هذه الشروط مع الله تعالى، بل عليهم أن يحاولوا أولا بأنفسهم. إن الجملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مقدّمة في القرآن الكريم. ليس لأحد حق واجب على الله تعالى. فإذا كان يريد أن يسعى بنفسه فعليه أن يمكث عندي لشهر. يقول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ فسيرى هنا المصلين ويسمع أيضا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٩)

الحق أن عملا ينتج عن عمل آخر، هذا هو القانون الجاري منذ القدم. عندما بُعث رسول الله ﷺ حالفته الأنوار والبركات ونال الصحابة أيضا نصيبا منها، فظل العدد يزداد رويدا رويدا حتى بلغ إلى مئة ألف نسمة. (بدر، مجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١/١١/١٩٠٢م، ص ٣١)

ما حقيقة حياة الملعونين (البعيد من الله) وما حقيقة حياة الملوك والسلاطين؟ إن حياتهم حياة البهائم لدرجة أنّ الإنسان عندما يصبح مؤمنا يكره تلك الحياة..... إن أول دليل على الإيمان وعظمة الله في القلب هو أن يحسب الإنسان هؤلاء الناس مثل الديدان ولا يتحسر بالنظر إليهم وهم يركبون الأحصنة ويلبسون لباسا فاخرا. الحق أن حياتهم سيئة كحياة الكلاب (إذ يأكلون جيفة الدنيا). فلينظر الإنسان -إن كان من الناظرين- إلى المنقطعين الذين جاؤوا إلى الله، فبزيارتهم نزول المصائب. الذي يأتي إلى الفائز برحمة الله سيكون أقرب إلى الرحمة. الجدير بالتأمل في هذا العالم هو أن الله تعالى يقول: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ١١، عدد ٩/١/١٩٠٣م، ص ٨٦)

الإقامة هنا تشبه العيش بكنف الله، وبهذا الكوثر يتوفر الماء الذي باستقائه يكتسب المرء الحياة الخالدة التي لا يأتيتها الفناء للأبد. اسلكوا الصراط المستقيم هذا بمنتهى الصبر والثبات والدوام. كونوا تماما مع المبعوث الصادق من الله غير مبالين مطلقا بأي نوع من

العقبات المادية والأهواء النفسانية، لكي تنالوا الوسام الذهبي للاستجابة لأمر: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٥، عدد ١/١٢/١٩٠٣م، ص ٣٥٢-٣٥٤) و(الحكم مجلد ٧، رقم ٤٤-٤٥، عدد ٣٠/١١-١٠/١٢/١٩٠٣م، ص ٧-٨)

لقد تقرر في العام الماضي - بالتشاور مع معظم الإخوة - أن يقابلني الإخوة من الجماعة مرة في العام على الأقل للاستفادة في الأمور الدينية والتشاور لإعلاء كلمة الإسلام والشرع المتين، ورؤي أنّ الحضور إلى قاديان لهذا الغرض بتاريخ ٢٧ ديسمبر/كانون الأول - هو الأنسب والأولى حيث إن تلك الأيام أيام عطلة، فيجد الموظفون بعض الفراغ فيها، كما أنّها مناسبة للسفر بسبب موسم الشتاء.... ما دمْتُ قد كتبت في إعلائي بكلمات صريحة وواضحة تماما أن هذا السفر الذي يقوم به كل مخلص يكون بنية طلب العلم، فكم هو بعيد عن الأمانة والتقوى والعدل والطهارة الإفتاء أن الذي يُحدث أمرا مثله في الإسلام فهو رَدُّ؟

أما اجتماع الإخوة في يوم محدد فهذا أمر يتعلق بالإدارة والنظام فحسب. والقيام بأي عمل بحسب النظام ليس مذموما أو بدعة في الإسلام؛ إنما الأعمال بالنيات. عليك أن تفكر، نابذا مادة سوء الظن الفاسدة؛ آية بدعة في الاجتماع في يوم محدد ما دام المخلصون يستطيعون أن يقابلوني بتاريخ ٢٧ ديسمبر/كانون الأول بسهولة؟ كما أنهم يستطيعون أن يتقابلوا أيضا. فما معنى التحريم من الاستفادة من هذا الطريق السهل؟ من الغريب حقا أن الشيخ المحترم قد سماني بـ المردود، ولكن لم يتذكر الأحاديث التي حثّ النبي ﷺ فيها على السفر لطلب العلم، والتي عدَّ ﷺ فيها سفر المسلم للقاء أخيه مدعاة لرضى الله ﷻ، وجاء فيها أيضا أن في السفر لزيارة الصالحين مغفرةٌ للذنوب وكفارةٌ عنها....

واضح أن كل المسلمين يضطرون للسفر لأهداف مختلفة؛ منها طلبا للعلم أو لزيارة الأقارب أو زيارة الأخ أو الأخت أو الزوج، أو سفر النساء مثلا لزيارة آبائهن

أو سفر الوالدين لملاقة بناتهم....

يسافر المرء في بعض الأحيان لمشاهدة عجائب العالم أيضا، حيث تشير إلى ذلك الآية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٢). والسفر يكون تارةً بهدف صحبة الصادقين الذي ترشد إليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٦٠٥-٦٠٧) السفر من أجل زيارة الصالحين سنة السلف الصالح منذ القدم. وقد ورد في حديث أن شخصا سيواجه مؤاخذه شديدة يوم القيامة فيسأله الله جلّ شأنه: وقد ذهبت لزيارة شخص صالح؟ فيقول: لم أسافر لزيارته قصدا بل زرته مرة في الطريق صدفة، فيقول الله تعالى: ادخل الجنة فقد غفرت لك بسبب ذلك اللقاء. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٦٠٨)

لا يمكن للإنسان أن يتطهر ويتزكى بنفسه ما لم تحالفه فيوض التربية الإلهية وبركاتها. والحق أن التطهر والسلوك على مسالك التقوى ليس سهلا، بل هذه النعمة تنال بفضل الله تعالى وتأنيده فقط. التقوى الصادقة التي تُرضي الله وجهه الله تعالى مرارا للحصول عليها قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وقال أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٩). (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٢، عدد ٢٤٦/٦/١٩٠٦م، ص ٢-٣)

لا يغيث عن البال أيضا أن من شروط الصبر العمل بقول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. إن المكوث في صحبة الصالحين ضروري. هناك كثيرون يعيشون بعيدين متقاعسين ويقولون: نعم، سوف تأتي لزيارتك في يوم من الأيام، ولسنا متفرغين في الوقت الحالي. إن الذي يجد جماعة الموعود المنتظر منذ ١٣٠٠ عام، ثم لا ينصرها ولا يحضر مجلس هذا الموعود من عند الله ورسوله، فأنى له أن ينال الفلاح؟ كلا، لن يناله. والله دُرُّ القائل:

ہم خدا خواہی وہم دنیائے دوس ایں خیال است و محال است و جنوں

أي: تريد وصال الله والدنيا الدنية أيضا! هذا خيال ومحال وجنون.

إنما يريد الدِّينُ المكوثَ في الصَّحبة، فمن لم يرد الصَّحبة فكيف يتوقع التدين والصلاح؟ لقد نصحت أحبائي مرارا وها إني أنصحهم مرة أخرى وأقول: عليهم أن يأتوا هنا مرة بعد أخرى، ويمكثوا ويتنفعوا، ولكني أرى أن الاهتمام بهذا الأمر قليل جدا. يعاهدني الناس على إثارة الدين على الدنيا واضعين أيديهم في يدي، ثم لا يبالون بعهدهم هذا شيئا.... إن الذين لا يأتون هنا بكثرة، ولا يمكثون في صحبتي، ولا يسمعون ولا يرون ما يُظهره الله تعالى كل يوم من الآيات لتأييد جماعته هذه، فإنهم مهما كانوا صالحين وأتقياء وورعين إلا أُنِي أقول إنهم ما قدرُوا هذه الجماعة حق قدرها. لقد قلت آنفاً إن الإنسان بحاجة لتكميله العملي بعد التكميل العلمي، والتكميل العملي محال بدون التكميل العلمي، وتكميلهم العلمي صعبٌ ما لم يأتوا ويمكثوا هنا. تصلني رسائل كثيرة بأن فلانا أثار كذا وكذا من الاعتراض، ولكننا لم نستطع الردّ عليه. ما سبب ذلك؟ إنما سببه أن هؤلاء لا يحضرون هنا ولا يسمعون الأمور العلمية التي يُريها الله تعالى لتأييد جماعته. إن كنتم قد عرفتم صدق هذه الجماعة حق المعرفة، وآمنتم بالله تعالى وعاهدتم بصدق على إثارة الدين على الدنيا، فأسألكم: ما الذي عملتم بهذا الصدد؟ هل تظنون أن حُكم الله ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قد نُسخ؟ إن كنتم مؤمنين حقًا، وترون أن هذه هي السعادة الحقيقية، فأثروا الله على كل شيء. أما إذا استهنتم بهذه الأمور واعتبرتموها عبثًا، فاعلموا أنكم سَتُعَدُّون من المستهزئين بالله تعالى. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣١، عدد ٤٤٨/٢/٨/١٩٠١ م، ص ٣)

الصدق ينجي من أحلك الظروف. وقد قال "سعدي" حقًا وصدقًا:

کس ندیدم کہ گم شد از راه راست

أي: لم أر أحدًا سلك الصراط المستقيم ثم ضلّ.

فكلما تمسك المرء بالصدق وأحبّه تولّد في قلبه حبٌّ ومعرفةٌ كلام الله وأنبيائه، لأنهم النموذج للصادقين وينابيعهم. ونظرًا لهذا المبدأ نفسه قيل: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٥م، ص ٢)

لم يأمر الله تعالى بالذهاب إلى الموتى قط، بل أمر بصحبة الأحياء فقال: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (التوبة: ١١٩). لذا ننصح أحبائنا أن يأتوا هنا مرارا ويمكثوا. ويعلم الله تعالى أنني لا أنصح أحدا بالملكوث هنا إلا مواساةً ونصحًا له ورحمةً به.

أقول والحق أقول: لا يصحّ إيمان المرء ما لم يمكث في صحبة صاحب الإيمان، ذلك أن الناس ذوي طبائع مختلفة، ولا يتكلم الناصح في وقت واحد بما يتلاءم مع طبيعة كل شخص، إنما يتكلم في بعض الأحيان ما يكون وفق فهم السامع ومذاقه، فيستفيد منه. فإذا لم يأت هنا أحدكم مرارا ولم يمكث عندنا أياما كثيرة، فمن الممكن أن نتكلم أحيانا بكلام غير منسجم مع مذاقه، فيؤدي به إلى السأم والملل، فيحيد عن حسن الظن ويهلك. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٥)

إن الله تعالى هو الذي يعين القوم أولاً، ثم يعينهم المبعوثون من الله تعالى ثانياً، لأن الله تعالى قد أودع في قلوبهم حماساً، فيسعون لخير خلق الله نتيجة هذا الحماس وبمقتضى فطرتهم جاهدين، كما تُرضع الأم ولدها بل أشدّ منها، لأن الأم لا تملك نفساً مزكّية، ولكن هؤلاء القوم يكونون مزكّي النفوس، وهم الصادقون المذكورون في قول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٦)

اعلموا أنني قد جئت لإصلاح الخلق، فمن أتاني ورث الفضل بحسب كفاءته. وأقول بمنتهى الصراحة إن الذي يبايع بيعة في الظاهر وينصرف، ثم لا نعلم عنه أين يسكن وماذا يعمل، فإنه لا يجني من البيعة شيئاً، بل يرجع صفر اليدين كما جاء صفر اليدين. إنما تُنال هذه الأفضال والبركات بالصحبة. جلس الصحابة في صحبة

النبي ﷺ، فماذا كان المال؟ قال فيهم النبي ﷺ: "الله الله في أصْحَابِي"، فكأنما تصبغوا بصبغة الله. أما لو ظلوا بعيدين عن النبي ﷺ لما حازوا هذه الدرجة.

ألا إنها قضية في غاية الأهمية. إن قرب الله في قرب عباد الله، ويشهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إن هذا سرٌّ، وقليلٌ هم الذين يدركونه.

ليس بوسع المبعوث الرباني بيان كل شيء في مناسبة واحدة، إنما يقوم بتشخيص أمراض رفاقه ويقوم بإصلاحهم بالوعظ والنصيحة بحسب مقتضى الأمر، ويزيل أسقامهم بين الفينة والفينة. فمثلاً، لا أستطيع بيان كل شيء في هذه المناسبة، ومن الممكن أن ينصرف بعض منكم بعد سماع كلمتي اليوم فقط، ويكون بعض ما ورد فيها منافياً لمذاقهم ورغباتهم، فيرجعون محرومين. أما الذي يمكث هنا بلا انقطاع، يُحدث في نفسه تغييراً طيباً باستمرار، فينال بُعْثُهُ في نهاية المطاف. (الحكم، مجلد ٦،

رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/٢٠١٩م، ص ١١)

لا مناص للمرء من طهارة القلب، ولكنها لا تتأتى من دون أن يجلس المرء في صحبة شخص طاهر جاء على منهاج النبوة. ولا يوفِّق المرء لصحبة مثل هذا الإنسان إلا إذا أيقن أولاً أنه عرضة للفناء. هذا هو الأمر الوحيد الذي يوفِّقه لصحبة الإنسان الصادق. ورد في الحديث الشريف أن الله تعالى إذا أراد لعبده خيراً جعل في قلبه واعظاً. وإن أكبر واعظ هو أن يدرك المرء حقيقة قول الله تعالى ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. انظروا إلى الصحابة الكرام، كيف إنهم لم يألو جهداً في أن يعيشوا في صحبة النبي ﷺ. فمن واجب أفراد جماعتنا أيضاً أن يتصبغوا بصبغة الصحابة ويفعلوا ما فعلوا، وبدون ذلك لن يستطيعوا تحقيق الهدف الذي بُعثت من أجله. هل حاجات أبناء جماعتي أكثر من حاجات الصحابة؟ ألا ترون كم كانوا حريصين على الصلاة خلف النبي والاستماع لكلامه ﷺ؟ (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٦، عدد

٢٤/١٢/٢٠١٩م، ص ٣)

ليس المراد من الصادق مَنْ لا يكذب باللسان فقط، فهذا الأمر يمكن وجوده في كثير من الهندوس والملحدين أيضاً، بل المراد من الصادق هو مَنْ كان كل قوله صدقاً وحقاً، كما كانت كل حركاته وأفعاله أيضاً زاخرة بالصدق، أو بتعبير آخر مَنْ صار صدقاً متجسداً، وشهدت على صدقه كثير من الآيات المؤيدة والخوارق السماوية.

وما دام للصحة تأثير حتمي، لذا فَمَنْ بقي - بصحة النية والإرادة النقية والبحث المستقيم- إلى مدة في صحة مَنْ يتصبغ بصبغة صفات الله في حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله، فنونق يقيناً كاملاً بأنه سيؤمن بالله تعالى وإن كان ملحداً من قبل، لأن الصادق يُري وجه الله. إن كلمة "إنسان" أصلها "أنسان"، أي هو مجموعة أنسين: أنس يأنس بالله، وأنس بالناس. عندما يكون المرء قريباً من إنسان آخر ويراها، فإنه يتأثر منه فوراً لكونه إنساناً، لذا فإن معية الإنسان الكامل والصادق تهبه نوراً يرى به الله تعالى ويجتنب الذنوب. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٤، عدد ١١/٣/١٩٠١م، ص ١١)

يقول الله ﷻ ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وهذه المعية تقتضي أن يصاحبهم المرء مدة معينة لأنه إذا لم يقيم مدة معينة في الصحة لا تنكشف الحقائق والأسرار، ويبقى أجنبياً كما كان، ولا يستطيع أن يتبنى رأياً معيناً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٣)

لقد قيل: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أيضاً، فمن الضروري أن يعايش المرء الإمام كإنسان بسيط رغم حيازته علوماً وقدرة وشوكة ليتصبغ بصبغة حسنة. القماش الأبيض يُصبغ جيداً، أما الذي يكون متسخاً بأوساخ الأنانية والعلم سلفاً فلا يتصبغ جيداً. ففي صحة الصادق تنحل عقدة الإنسان وتوهب له آيات تنور جسمه وتنعش روحه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ٣٠/٣/١٩٠٣م، ص ١٣)

لا بد من صحبة الصادقين لكسب الأعمال الصالحة، هذه سنة الله. وإلا لو شاء الله لأنزل القرآن مباشرة من السماء دون أن يأتي رسول، لكن الإنسان بحاجة إلى أسوة لكسب الأعمال الصالحة. فلو لم يكن إرسال الأسوة من سنته لالتبس الحق. (بدر، مجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٦٠)

﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي كونوا في صحبتهم مدة طويلة لأنه من الممكن أن يقيم عندهم أحد إلى بضعة أيام ولا يظهر فيها شيء لحكمة من الله، لأن الصادقين لا يقدرّون على إظهار آية بحسب رغبتهم متى ما أرادوا. لذا يجب أن يقيم المرء في صحبتهم مدة طويلة. بل إن هؤلاء يُعَدُّون إظهار علاقتهم بالله أيضًا إثماً ناهيك عن إظهار آية. فقد ورد أنه إذا كان ولي ينجي ربه في الخلوة في حالة خاصة، وكان في نشوة وحماس، وإذا اطلع عليه أحد في هذه الحالة يخجل ويتصب عرقاً ويشعر كما يشعر الزاني حين يُقبض عليه في جرم مشهود، لأن هؤلاء يريدون أن تبقى أسرارهم خافية.

فلما كان هذا هو الحال لذلك قال الله: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. حين قال الكفار: ﴿قَالَ هَذَا الرُّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٨)، إنما تفوهوا بهذا الكلام نظراً إلى حالة النبي ﷺ الظاهرية أنه بشر مثلنا، ويأكل ويشرب ويتجول في الأسواق. وكان السبب وراء ذلك أنهم لم يحظوا ببركة صحبة النبي ﷺ حتى يشاهدوا أمراً يتعلق بالنبوة، فكانوا معذورين. فإنما قالوا بحسب ما شاهدوا. لذا يجب أن يقيم المرء في صحبة المبعوث من الله مدة طويلة. فمن المحتمل أن يقول الذي لم يشاهد أي آية: إن النبي يصلي ويصوم مثلي فبم يفوقني؟ اعلموا أنّ الذهاب إلى الحج حباً وإخلاصاً سهلاً لكن العودة في الحالة نفسها صعبة. هناك كثيرون يعودون من هنالك قساة القلوب وخاسرين. والسبب وراء ذلك هو أنهم لا يطلّعون هناك أيضاً على الحقيقة، ويتبنّون الرأي بعد رؤية القشر فقط، ويُحرمون من بركات

ذلك المكان بسبب سيئاتهم. ثم يهتمون الآخرين؛ لذا من الضروري أن يقيم المرء في صحبة المبعوث من الله مدة بصدق وإخلاص ليطلع على أحواله الداخلية ويتبين صدقته كاملاً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣ م، ص ٤)

هناك أمران، أولهما الدعاء، والثاني ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، أي صاحبوا الصادقين لكي يتبين لكم أن ربكم قادر، وبصير، وسميع، وهو يجيب الأدعية، ويهب عباده مئات النعم رحمة منه. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٨، عدد ٣١/٧/١٩٠٣ م، ص ٢١٧)

فمن الوسائل التي أخبرنا الله عنها لإصلاح النفس قوله: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، أي كونوا مع الذين يتمسكون بالصدق قولاً وفعلاً وعملاً وحالاً. وقبل هذا قال ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، فالمراد من ذلك أن يكون الإيمان أولاً ثم يهجر المرء مكان السيئة اتباعاً للسنة ويعايش الصادقين، فللصحبة تأثير قوي يتزايد داخلياً؛ إذا كان أحدهم يتردد على المومسات ثم يقول هل أزي؟ فينبغي أن يقال له نعم سترني، وسوف تتورط يوماً من الأيام في هذه الفعلة، لأن الصحبة تؤثر. ومثل ذلك فالذي يرتاد الخمار، فمهما كان تقياً وقال إني لا أشرب، سيأتي يوم حتما يشرب فيه.

إذن يجب أن لا يغفل المرء عن تأثير الصحبة القوي، ولذلك أمر الله ﷻ لإصلاح النفس ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فالذي يعايش الصالحين فلا بد أن تؤثر فيه الصحبة حتى لو كان معارضاً، فسوف يتخلى عن المعارضة يوماً ما. أقول بأسف إن معارضينا ظلوا محرومين بعدم مصاحبتهم لنا، فلو أقاموا عندي واستمعوا إلى كلامي لأتى عليهم زمن ينبههم الله فيه على أخطائهم، ولوجدوا الحق. لكن الآن لما كانوا محرومين من هذه الصحبة، وأضاعوا الفرصة للاستماع إلى كلامي، لذا مرة يقولون (بحق أبناء الجماعة) إنهم ملحدون ويشربون الخمر ويزنون وأحياناً يتهمونهم بأنهم والعياذ بالله

يسيئون إلى النبي ﷺ ويسبونه والعياذ بالله، فلماذا يقولون ذلك؟ لأنهم لا يعيشون في صحبتي، ومن الغضب الإلهي أن يحرم المرء من الصحبة.

لقد ورد أن النبي ﷺ حين عقد صلح الحديبية فمن النتائج المباركة لهذا الصلح أن الناس تسنى لهم زيارته ﷺ والجلوس معه، فاستمعوا إلى كلام النبي ﷺ فأسلم المئات منهم. ففي العصر الذي لم يكونوا قد استمعوا إلى كلام النبي ﷺ كان يحول بينهم وبين النبي ﷺ جدارٌ يمنعهم من الاطلاع على حسن النبي ﷺ وجماله، وكما كان الآخرون يسمونه كذابا -والعياذ بالله- قد سماه هؤلاء أيضا كاذبا، وكانوا لبُعدهم محرومين من الفيوض والبركات التي جاء بها، لكن لما زال الحجاب ورأوه من قريب واستمعوا إليه ارتفع ذلك الحجاب، ولم يبقوا محرومين وانضموا إلى جماعة السعداء. وهذا هو سبب شقاوة وحرمان الكثيرين الآن أيضا. حين يُسألون لأي مدى استوعبوا دعواه وأدلة صدقه، لا يقولون سوى عدد من المفتريات والبهتانات التي يقصها عليهم بعض المفترين، ويصدّقونهم ولا يسعون بأنفسهم شخصا بمجيئهم إلى هنا للبحث ليتأكدوا بالملكوث في صحبتنا. وبذلك تسودّ قلوبهم، ولا يقدرّون على إدراك الحق، لكنهم لو تحلّوا بالتقوى لما كان عليهم أي ذنب لو زاروني وقابلوني واستمعوا إلى كلامي بانتظام، إنهم يزورون ويلاقون المسيحيين والهندوس أيضا، ويستمعون إلى أقوالهم ويجالسونه، فأبي شيء منعهم من المجيء إلينا حتى امتنعوا من ذلك؟

باختصار، إن ذلك لمن الشقاوة الكبيرة وبسببها يكون الإنسان محروما، ولذلك أمر الله ﷻ ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، ونقطة المعرفة العظيمة فيه أنه لما كانت الصحبة تؤثر حتما لذا فالإنسان يتعلم الصدق بالعيش مع الصادقين، وتؤثر فيه أنفاسه الطيبة في الخفاء تأثيرا يرزقه اليقين الصادق بالله والبصيرة، وبالعيش في الصحبة بصدق القلب يشاهد المرء آيات الله ﷻ وخوارقه التي هي وسيلة لازدياد الإيمان.

(الحكم، مجلد ٨، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٤م، ص ٤)

حين يجالس الإنسان صالحا وصادقا يؤثر فيه الصدق، أما الذي يختار مجلس الأشرار والسيئين تاركا صحبة الصالحين فإن السيئة تؤثر فيه رويدا، ولذلك توصي الأحاديث والقرآن الكريم أيضا بالامتناع عن الصحبة السيئة، وحذّر منها أيضا، وقد ورد أن المكان الذي تصدر فيه الإساءة إلى الله والرسول فانصرفوا منه فورا، أما الذي لا يتركه حتى بعد الاستماع إلى الإساءة فهو يُعدّ مسيئًا.

فالذي يصاحب الصادقين والأبرار يعدّ منهم. إذن كم يحتاج المرء إلى أن يعمل بالهدي الإلهي الطيب: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾؟ قد ورد في الحديث أن الله ﷻ يبعث الملائكة إلى الدنيا فيحضرون مجلس الطيبين، وعندما يعودون يسألهم الله ماذا رأيتم هناك؟ فيقولون قد رأينا أناسا في مجلس يذكرونك ورأينا شخصا لم يكن منهم. فيقول الله ﷻ كلا بل هو أيضا منهم، إنهم قوم لا يشقى جليسهم. يتبين من هنا جليا أن فوائد جمعة تكمن في صحبة الصادقين، فالذي يتعد عن الصحبة لشقي جدا.

باختصار؛ من تأثيرات النفس مطمئنة أن أصحابها يطمئنون في صحبة الحائزين على الاطمئنان، وفي صاحب الأمانة تأثيرات النفس الأمانة، وفي صاحب اللوامة تكون تأثيرات النفس اللوامة، فالذي يجالس الحائزين على النفس مطمئنة، تنزل عليه أيضا أمارات السكينة والطمأنينة، وينال الاطمئنان في الخفاء. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢، عدد ١٧٠٤/١/١٩٠٤م، ص ١)

إحدى الوسائل المثلى لتزكية النفس والأخلاق هي صحبة الصادقين التي أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ أي صاحبوا عباد الله الصادقين والصالحين لتنالوا نصيبا من أنوار صدقهم. الأديان التي تحب الفرقة وتعلم أتباعها العيش منعزلين تبقى محرومة دون أدنى شك من بركات وحدة الجمهور. لذلك قدّر الله أن يكون هناك نبي يؤسس جماعة ويخلق التعارف والتوحد بالأخلاق. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨/٩/١٩٠٤م، ص ٥)

الجانِب الثالث الذي يثبت من القرآن الكريم هو صحبة الصادقين كما يقول الله: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ففي صحبة الصادقين تأثير خاص، ويؤثر نور صدقهم وصمودهم في الآخرين ويساعدهم على إزالة ضعفهم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٥ م، ص ٣)

الوسيلة الثالثة للحصول على النجاة والتقوى هي صحبة الصادقين التي أمر بها القرآن الكريم: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، أي لا تكونوا وحدانا لأنه في هذه الحالة تنطلي حيلة الشيطان على الإنسان، بل عليكم أن تختاروا صحبة الصادقين ومعيتهم ليقع عليكم ظل أنوارهم وبركاتهم، ولتحرق نار حب الله كل عشب وكلاء من القلب وتملأه بنور الله. (بدر، مجلد ٤، رقم ٢، عدد ١٠/١/١٩٠٥ م، ص ٢)

إن المتقي يحظى بمعية الله تعالى، فيستولي رعبه على العدو أيضا. لكن اعلما أن التقوى الحقيقية لا تنسى للمرء أبدا ما لم يختَر صحبة الصادقين ورجال الله، وما لم يَفَن في طاعة المرسلين من عند الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. لقد تبين من هنا بكل جلاء أن حقيقة الإيمان الكاملة لا تنكشف للمرء إلا بعد أن يصير متقيا، ولا تيسر له حقيقة التقوى ما لم يمكن في صحبة إنسان طاهر فإن في الله تعالى، وما لم يستفد منه. ولا تنسوا أيضا أن مجرد الصحبة لا تنفع شيئا ولا تجدي فتىلا، بل الأمر بالمكوث في صحبة الصادقين يتضمن الإشارة إلى طاعتهم. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٥، عدد ١٠/٢/١٩٠١ م، ص ١)

إن صحبة الصادقين تترك في القلب آثارا وأنوارا تحب الطهارة وتوصل إلى ينبوع النجاة، فالقاعدة الجارية في العالم هي أن للصادقين جذبا مؤثرا حتما، فقد كان وجود النبي ﷺ مباركا جدا فانعكس تأثيره في الصحابة، وقد جعل الله تعالى سلسلة التأثير هذه الآن أيضا، فهو قانون الله القائم في الطبيعة لنيل فضل الله، وهو مدعاة للنجاة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٢ م، ص ٧)

إن في الصحبة شرفا كبيرا، وتأثيرها ينفع إلى حد ما حتما. إذا كان عند أحد عطرٌ تصل رائحته إلى جليسه أيضا. كذلك إن صحبة الصادقين تنفخ روح الصدق. أقول صدقا وحقا بأن الصحبة العميقة تجعل النبي وصاحبه سواسية، لذلك قال ﷺ في القرآن الكريم: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ومن مزايا الإسلام الفريدة أنه يكون فيه الصادقون في كل عصر. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣، عدد ١٩٠٦/١/٢٤، ص ٥)

إذا بقي الإنسان في صحبة الصادقين حُلَّت كثير من المشاكل بفضل الله تعالى. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٦، عدد ١٩٠٦/١١/١٥، ص ٥)

مع أن العلوم الدنية والكشوف الصادقة والتأييدات الإلهية الخاصة والتوجيهات الجليلة من الله الصمد لا تُحصل لغير الفانين تلقائيا بل تتسنى بواسطة صحبة الشيخ الفاني بمعنى أنها لا تُنال مباشرة ولكن السالك يرى تلك التأييدات السماوية في شيخه الكامل. وهذه الرؤية تصبح مدعاة لكمال يقينه وتزول من قلبه ظلمة الشكوك والشبهات نتيجة الصحبة الطويلة وإن لم تُزل سريعا. لذلك ورد التأكيد الشديد في القرآن الكريم على معية الفانين فيقول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، والصادقون هم الفانون دون غيرهم. أما الذي ليس فانيا وليس على علاقة مع الفانين فهو في خطر الهلاك، ويُخشى عليه سوء الخاتمة. (مكتوبات أحمد، مجلد ١، ص ٥٦٠)

أما القول بأنه يكفينا القرآن والأحاديث ولا حاجة إلى صحبة الصادقين فهو ينافي تعليم القرآن لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. والصادقون هم أولئك الذين عرفوا الحق على وجه البصيرة، ثم استقاموا عليه بالقلب والروح. ولا يمكن الحصول على درجة عليا هذه من البصيرة ما لم يحالف المرء التأييد السماوي ويبلغه إلى أعلى مراتب حق اليقين. إذًا، الصادقون الحقيقيون من منطلق هذا المعنى هم الأنبياء والرسل والمُحدِّثون والأولياء الكاملون المكملون الذين نزل عليهم نور من السماء، والذين رأوا الله تعالى بأعين اليقين في هذا العالم. وتشير الآية المذكورة آنفا

إلى أن الدنيا لا تخلو من وجود الصادقين في حين من الأحيان، لأن دوام الأمر: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يستلزم دوام وجود الصادقين.

إضافة إلى ذلك توحى المشاهدة بجلاء أن الذين يقضون حياتهم غافلين عن صحبة الصادقين لا تستطيع علومهم وفنونهم أن تنقيهم من عواطفهم المادية أبداً. ولا يتأتى لهم حتى أقل درجات الإسلام قط بأن يحصلوا على يقين قلبي بوجود الله؟ ولا يحظون باليقين بالله كما يوقنون بثروتهم في صناديقهم أو بمنزلهم التي تحت تصرفهم. يخافون تناول سم الفأر لأنهم يعلمون يقيناً أنه سم فتاك، ولا يخافون سم الذنوب. (شهادة القرآن الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٤٧)

واعلموا أن من دواعي بعث الأنبياء أيضاً أن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى أسوة كاملة، لأن الأسوة الكاملة تزيد الإنسان شوقاً وترفع همته، ومن يفقد القدوة يتكاسل ويضل الطريق، وإلى ذلك يشير الله جل شأنه في قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤١-٤٤٢)

إن كنتم تريدون أن تصلوا إلى الله فادعوه واسعوا أيضاً وكونوا مع الصادقين لأن الصحبة أيضاً من شروط هذا السبيل. (محاضرة لاهور، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٩-١٦٠)

أنزلوا الله منزله، وأنزلوا الرسول منزله، واتخذوا كلام الله دستوراً للعمل. لم يأمر القرآن الكريم إلا: "كونوا مع الصادقين". لا شك أن صحبة الصادقين والفانين في الله تعالى ضرورية، ولكن لم يقل القرآن أن تحسبوا هذا الأمر هو كل شيء. لقد قال الله تعالى لرسوله في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، ولم يأمره بأن يقول لهم: عليكم أن تحسبوني أنا الإله، بل قال إن كنتم تريدون أن تكونوا أحباء الله فسيبيله الوحيد أن تتبعوا هذا النبي ﷺ. لقد أمر

الله هنا باتباعه ﷺ، ولكن لا يوجد في القرآن الكريم شيء من قبيل "تصور الشيخ".
(الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٩، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠١م، ص ٢)

الآية ١٢٠: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
اعلموا أن الله تعالى لا يضيع عباده الأصفياء، إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠). اسم الأخيار والأبرار يبقى حيًا خالدًا إلى الأبد. لا أحد يذكر الملوك السابقين حتى قصير وكسرى، ولكن عباد الله الصالحين والأصفياء فيمدحهم العالم كله. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٤، عدد: ٣٠/٦/١٩٠١م، ص ١)
صحيح أن الله تعالى لا يضيع حسنة أحد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)، ولكن الذي يعمل الحسنة يجب ألا يكون هدفه الثواب. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٥، عدد: ٢٤/٩/١٩٠١م، ص ١١)

الدنيا بمنزلة مسرحية فحينما يصل الإنسان إلى الأفلاك في التقدم والرقى، ويسقط في التراب أحيانا أخرى. ولكن الذين يخضعون أمام الله ويميلون إلى عبادته لا يضيعون، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ٣٧٦)
الآية ١٢٢: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾
يجب أن يكون هناك أناس ليتفقهوا في الدين الذي علمهم النبي ﷺ آياه، وليس أن يرددوا مثل البغاء دون أن تكون فيهم عادة التفكير ومذاقه، لأن ذلك لا يفي بغرض أراده النبي ﷺ. ... ولكن لا يمكن أن يكون الجميع سواسية، فلم يقل الله

أن يصبح الجميع هكذا بل قال: يجب أن يكون من كل جماعة وحزب شخص على الأقل، أي يجب أن تكون هناك جماعة من القادرين على تبليغ الدعوة ونشرها. لا يكون الناس جميعاً على مستوى واحد من حيث الطبيعة والمذاق. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٦م، ص ٤)

الآية ١٢٨: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

يُعطى الإنسان هذا الجذب والعزيمة حين يصير تحت رداء الله ويصبح ظلاً لله تعالى، فيشعر في باطنه اضطراباً والتباعد لمواساة خلق الله وخيرهم. ولقد فاق نبينا الكريم ﷺ كل الأنبياء في هذا الأمر، فلذلك ما كان يطبق رؤية معاناة الناس، حيث قال الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي أن هذا الرسول لا يطبق رؤية معاناتكم، بل إنها تشق عليه جداً، وأنه دائم الحرص على أن تنالوا منافع عظيمة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤٤/٧/١٩٠٢م، ص ٦)

القرآن الكريم يعلمنا أن نحب الأبرار والأخيار ونشفق على الفساق والكفار، ويقول الله ﷻ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي يا أيها الكفار إن هذا النبي يشفق عليكم لدرجة أنه لا يتحمل أن تحزنوا وهو يطمع في أن تتخلصوا من البلايا. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٣)

إن الله تعالى كما هو قادر فهو حكيم أيضاً، وحكمته تقتضي أن يرسل الأنبياء والمرسلين من أقوام وعوائل شريفة، قائمين على أسوة حسنة حتى لا يستكره قلب أحد طاعتهم. ولهذا السبب بُعث جميع الأنبياء عليهم السلام من أقوام عظيمة وعوائل شريفة دائماً. وللإشارة إلى هذه الحكمة ذكر الله تعالى في القرآن الكريم مزيّتين لسيدنا ومولانا النبي ﷺ إذ قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾. أي جاءكم رسول هو أعلى الناس جميعاً أسرةً وقبيلةً

وقومًا، وأطهرهم أرومةً وأشرفهم نسبًا. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٨١)

إن لكلمة "أنفس" قراءة أخرى أيضا وهي بفتح الفاء أي "أنفس". ولقد أشرتُ إلى هذه القراءة هنا. أما القراءة الأولى -أي بضمّ الفاء- فتعطي المعنى نفسه لأن الله تعالى يخاطب قريشا ويقول إنكم يا مَنْ تنحدرون من عائلة عظيمة، إن هذا الرسول أيضا من عائلتكم أي من عائلة شريفة. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٨١ الحاشية)

"فأشار الله في قوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ وفي قوله: ﴿حَرِيصٌ﴾ إلى أنه ﷺ مظهر صفته الرحمن بفضله العظيم، لأنه رحمة للعالمين كلهم ولنوع الإنسان والحيوان وأهل الكفر والإيمان. ثم قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فجعله رحمانًا ورحيمًا". (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ١١٨-١١٩)

الآية ١٢٩: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

حين نصف الله ﷻ برب العرش فلا نقصد منه أنه مادي وله جسم، ومحتاج إلى العرش. بل المراد من العرش المكان الرفيع المقدس الذي له علاقة بهذا العالم والعالم الآخر على حد سواء. أما وصف الله بأنه على العرش في الحقيقة فيعني أنه مالك الكونين، فكما أن الإنسان إذا كان جالسا على مكان مرتفع أو صعد إلى قصر منيف وعال جدا، فيمكن أن ينظر إلى يمينه ويساره، كذلك قد سلّم -على سبيل المجاز- بأن الله ﷻ يستوي على عرش يفوق كل عال ومرتفع، بحيث لا يخفى عليه شيء في هذا العالم ولا في العالم الآخر. إلا أن هذه المكانة توصف بالعلو لإفهام عامة الناس. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠٠)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة يونس



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿الرَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

إنها آيات الكتاب الذي هو جامع العلوم الحكيمة كلها. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٢٤٣، الحاشية)

الآية ٣: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾

إن الذين يرجعون إلى الله بإخلاص القلب أعمالهم مقبولة ولهم قدم صدق.

(مكتوبات أحمد، مجلده، رقم ٥، ص ١٠ مكتوب إلى المنشي أحمد جان رحمته الله)

الآية ٤: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

هناك اعتراض آخر يقدمه "الآريا" الجاهلون في هذا المقام وهو أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، فلماذا حُصِّصت ستة أيام بالذات؟ نسلم بأن معظم أفعال الله تتسم بالتدرج كما أن خالقيته التي تعمل عملها الآن أيضا في الجمادات والنباتات والحيوانات تبلغ كل شيء إلى خلقه الكامل بالتدرج، ولكن لا نفهم تحديد ستة أيام بالضبط.

أما الجواب: فليكن واضحا أن ذكر "ستة أيام" يشير في الحقيقة إلى مراحل الخلق والتكوين؛ بمعنى أن كل ما صدر من الله تعالى كخلق -وهو مادي وملك جسمًا- فإنه يبلغ كمال خلقته مجتزأً مراتب الخلق الستة بحسب حكمة البارئ تعالى وقدرته سواء أكان مجموعة العالم أم فردا واحدا من أفراد العالم، وسواء أكان عالما كبيرا؛ أي الأرض والسماء وما فيهما، أم كان عالما صغيرا؛ أي الإنسان. وهذا هو القانون في الطبيعة بوجه عام وليس خاصا بالزمن الأول. فيذكر الله جل شأنه هذه المراتب الستة نفسها فيما يتعلق بخلق كل إنسان أيضا؛ فقد ورد في سورة المؤمنون قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا* ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٣-١٥) أي خلقنا الإنسان من طين كان خلاصة ومغزى كافة أنواع الأرض وأقسامها، وكان يملك جميع قدراتها، لكي يكون عالما صغيرا من حيث الجسد أيضا، وتكون فيه القوة والخاصية لكل شيء في الأرض، كما أنه عالم صغير من حيث الروح من

منطلق الآية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٣٠)، وهو مظهر تام لروح الله من حيث الشؤون والصفات الكاملة والظلية التامة. ثم بدأنا طريقا آخر لخلق الإنسان؛ إذ خلقنا في الإنسان نطفةً وجعلنا النطفة تستقر فور تكوينه في كيس قوي؛ أي الرحم. وهذا ما عُيِّرَ عنه بـ "قرار مكين" لينطبق على الرحم والكيس معا. ثم خلقنا من النطفة علقهً، ومن العلقه مضغةً، ومن بعض أجزاء المضغة خلقنا العظام، وكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر؛ أي نفخنا فيه الروح، فتبارك الله أحسن الخالقين من حيث الصنعة والكمال وعجائب الخلق.

انظروا الآن، فقد بيّن الله تعالى هنا أيضا القانون نفسه في الطبيعة بأن الإنسان يبلغ كمال إنسانيته بعد أن يجتاز مراحل الخلق الستة. والمعلوم أن هناك تشابها كبيرا بين العالم الصغير والعالم الكبير. وكون الإنسان عالما صغيرا ثابت من القرآن الكريم كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٥). أي أعطى الإنسان كلَّ جزء من المحاسن والميزات المختلفة الموجودة في تقويم العالم وجعله أحسن بسبب كونه جامعا لجميع شمائل العالم وشؤونه. فلا بد من الإيمان - بسبب التشابه بين العالمين وبسبب ضرورة التناسق في أعمال الخالق الواحد - أن توجد في العالم الكبير أيضا مراتب التكوين نفسها التي توجد في العالم الصغير. ونرى بأعيننا بكل وضوح أن العالم الصغير هذا الذي يُسمَّى بالإنسان، فيه ست مراحل من حيث خلقه. ولا شك أن هذا العالم بمنزلة المرأة لمعرفة تفاصيل العالم الكبير الخافية، فلما ثبتت ست مراحل لخلق فلنا أن نحكم بالقطع أن للعالم الكبير أيضا ست مراتب للتكوين، متحققة عقليا، من حيث المؤثرات؛ أي التجليات الستة التي بقيت آثارها الباقية محفوظة في النجوم الستة. وإن علاقة النجوم الستة مع اكتمال الجنين لا تزال معترفا بها في علوم الحكماء. فقد ورد في "السديدي" بحث مستفيض بهذا الشأن.

يعترض بعض قليلي الفهم على ذلك ويقولون بأن هذا الأسلوب لتكوين الجنين في رحم المرأة لا يثبت من البحوث الطبية الحالية بل يثبت عكسه. ولكن هذا الاعتراض مبني إما على قلة العلم الشديدة أو على التعصب الصريح، ولا حاجة لطبيب أو غيره من أجل هذه التجربة، بل يستطيع كل واحد أن يصل إلى صلب الحقيقة ببذل بعض الوقت وبالنظر إلى أولاد يُخلقون خِلقة تامة أو ناقصة أو تُسقطها الأرحام. وصحيح تماما دون أدنى شك كما نعرف من خلال تجربتنا الشخصية أنه عند إرادة الله تعالى تكوّن الجنين في الرحم من النطفة، تستقر في الرحم أولا نطفة الرجل والمرأة. وبسبب بعض التغيّرات خلال بضعة أيام من امتزاج مَيَّين يتكون شيء يشبه الدم المتخثّر تحيط به طبقة رقيقة، وتتعاظم هذه الطبقة بتعاظم الجنين إلى أن تتحول إلى كيس بُيّ اللون وتترأى كصُرة يبقى الجنين فيها إلى اكتمال خلقه. يتبين من القرآن الكريم، وتصدقه البحوث الحالية أيضا؛ أن العالم الكبير أيضا كان كصُرة إلى اكتمال خلّقه، كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (الأنبياء: ٣١). فالكافرون لم يروا تَخْلِيق السماء والأرض ولم يروا تلك الصُرة، ولكن الإشارة هنا هي إلى السماء الروحانية والأرض الروحانية التي فُتحت صرّتها أمام كفار العرب وفاضت البركات السماوية على الأرض.

والآن أعود إلى كلامي السابق وأقول: إن اجتماع النطفتين، أي نطفة الرجل والمرأة، يشكل المرحلة الأولى للتكوين. ثم ينشأ هياج في مجموعة النطفتين بما فيها من قوة عاقدة ومنعقدة وتميل إلى الحمرة، وكأن المني الذي تكوّن من الدم من قبل يعود مجددا إلى لونه الأصلي؛ أي اللون الدموي. وهذه هي المرحلة الثانية. ثم يتحول الدم المتخثر الذي سُمّي بالعلقة، إلى مضغة لحم فيها رسم دقيق لصورة الإنسان. وهذه هي المرحلة الثالثة. ولو سقط الجنين في هذه المرحلة ولوحظ بالدقة والإمعان

لشوهدت فيه بعض الأمارات لتكوين الإنسان، حيث يسقط كثير من الأجنة في هذه الحالة أيضا. والسيدات اللواتي تعرضن لذلك، أو اللواتي يعملن قابلات يعرفن هذا الأمر جيدا. ثم تأتي المرحلة الرابعة التي تتكون فيها العظام من المضغة كما تقول الآية: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ (المؤمنون: ١٥)، ولكن "ال" التعريف في المضغة يفيد التخصيص، والمراد من ذلك أنه ليس كل المضغة تتحول إلى عظام، بل حيثما كانت الحاجة إلى العظام يتصلّب اللحم الرخو نفسه بإذنه تعالى ويأخذ صورة العظم، ويبقى بعض من ذلك اللحم الرخو على حاله. وفي هذه المرحلة تتكوّن صورة الإنسان بكل وضوح ولا حاجة لرؤيتها بمجهر. وإن صورة الإنسان التي كان تكوينها واجبا تكون قد تكوّنت سابقاً، ولكنه يكون عاريا عن اللحم الذي هو للإنسان بمنزلة لباس سميك وجميل ولا مع، وبسببه تتبين ملامح الإنسان كلها، وتطراً النظرة على الجسد ويزر جماله وتتسم أعضاؤه بالاعتدال. ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الخامسة التي تُكسى فيها المواضع المناسبة باللحم السميك بحسب مقتضى الأمر. وعندما يمرض الإنسان بالحمى أو غيرها يتحلل هذا اللحم نتيجة الجوع ومعاناة المرض الشاقة، وفي كثير من الأحيان يصاب الإنسان بالضعف والهزال حتى لا يبقى منه إلا الهيكل العظمي الذي يمثّل المرحلة الخامسة التي سبق ذكرها، وذلك كما يحدث للمصابين بالحمى والسّل والسكري في المرحلة الأخيرة من مرضهم. وإذا كانت الحياة مقدّرة لأحدهم فيكسو الله تعالى جسده لحما.

باختصار، هذا هو اللحم نفسه الذي يتأتى منه الجمال والاعتدال والرونق في الأعضاء. ولا شك أن الجنين يُكسى بهذا اللحم رويدا رويدا بعد تكوين صورته، وعندما ينال منه جزءا لا بأس به تُنفخ فيه الحياة بإذنه تعالى. عندها ينتقل من الحالة النباتية التي ليست إلا النمو فقط ويحرز خاصية الحالة الحيوانية، فيبدأ بالتحرك في البطن.

فمن الثابت المتحقق أن الجنين يتحول من حالته النباتية إلى الحالة الحيوانية كاملة بعد أن يُكسى جسده باللحم السميك بحسب مقتضى الأمر. هذا ما أثبتته تجارب الناس ومشاهداتهم المتتالية، وهذا ما بينه القرآن الكريم بتفصيل، وهو ثابت بتواتر التجارب والمشاهدات. وما الاعتراض عليها بعد ذلك إلا فعل الجهال.

أعود إلى كلامي السابق مجددا وأقول: لما كانت سنة الله الثابتة في العالم الصغير أي (الإنسان) أن وجوده يكتمل بعد المرور بست مراحل، فنجد بإرشاد هذا القانون الجاري في الطبيعة دليلا عقليا على أن العالم الكبير الذي خلقه الله جلّ شأنه في بداية الدنيا قد خلقه مراعيًا هذه المراحل الست حتما، ويكون قد خصّص كل مرحلة من أجل التفريق والتقسيم بيوم واحد أو مرحلة واحدة كما خُصّصت مراحل خلق الإنسان بست فترات. وإن اتفاق أقوام العالم كلها على ستة أيام، وتخصيص ستة أيام للعمل بطرح يوم واحد عطلةً يشير إلى أن هذه الأيام الستة ما زالت تذكّرا لتلك الأيام الستة التي خلقت فيها الأرض والسموات وما فيهما.

وإن لم يسلم بذلك أحد الآن ولم يرتدع عن الإنكار، لقلنا له بأنا أثبتنا للعالم الكبير مراحل خلق العالم الصغير الست، وأثبتنا أيضا أن أيام العمل المسلم بها في كل قوم هي ستة أيام، وكذلك أثبتنا أن أفعال الله تعالى المتعلقة بالخلق في هذا العالم تتسم كلها بالتدرّج، فإذا لم يكن هذا الدليل كافيا في نظر منكر فقد وجب عليه أن يقدم دليلا على ادّعائه أن الله تعالى قد خلق هذا العالم المادي في لمح البصر ولم يخلقه تدريجا.

يعلم الجميع أن الإله الذي كان موجودا في السابق ما زال موجودا الآن أيضا، وأن سلسلة الخلق التي وُجدت من قبل ما زالت على حالها الآن أيضا. نرى بالبدهة أن الله تعالى يبلغ كل مخلوق ذروة كماله تدريجا، فلا يمكننا القول بأنه وَعَلَىٰ كان قويا من قبل وكان قادرا على إنجاز العمل سريعا أما الآن فقد ضعف فصار ينجزها

بطء. بل سنقول حتماً بأن قانونه **وَعَلَى الْجَارِي مِنْذُ الْأَزَلِ** هو أنه يخلق كل شيء بالتدريج؛ فإن أفعال الله الحالية تخبرنا أن التدريج الحالي كان موجوداً في الزمن السابق والابتدائي أيضاً، ولو لم نر صورة الحال في مرآة الماضي لكننا أغبياء تماماً. إن إلقاء نظرة على أسلوب الخلق الحالي لا يُثبت فقط أن الله تعالى قد أبلغ سلسلة خلقه إلى كماها بالتدريج، بل يُثبت أيضاً أنه **وَعَلَى** قد حدد لكل مخلوق ست مراتب للخلق. وقد اقتضت حكمة الله في خلق كل مخلوق أن تكون لخلق ست مراتب وتُنجز في ستة أوقات. أمعنوا النظر في أيّ مخلوق لتروا هذه المراتب الستة متحققة فيه؛ بمعنى أنه سيثبت بنظر البحث والتحقيق أن وجود كل مخلوق مادي يكتمل بعد المرور بست مراحل. وهذا لا يقتصر على الإنسان، بل ستجدون أن اكتمال وجود آلاف الحيوانات الموجودة على الأرض أيضاً يتوقف على تلك المراحل الست. والأمر الآخر اللافت هو أن سلسلة المراتب الست التكوينية لا تنحصر في الخلق المادي فقط بل تلاحظ في الأمور الروحانية أيضاً. فمثلاً يتبين بشيء من التدبر أن لخلق الإنسان الروحاني أيضاً ست مراتب: أولاً، في حالة النطفة يملك الإنسان في نفسه استعداداً ضئيلاً فقط لقبول الحق. ثم حين تبرز مع هذا الاستعداد قطرة رحمة الله، كما تُمنى نطفة الرجل في بويضة المرأة، عندها تتحول حالة الإنسان الباطنية من حالة النطفة إلى حالة العلق، وتبدأ العلاقة نوعاً ما بالنشوء مع البارئ تعالى كما يترشح مفهوم العلاقة من كلمة "العلقة". ثم تتحول هذه العلقة إلى مضغة بدعم دم الأعمال الصالحة كما تصير العلقة مضغة بدم الحيض، ولكن تكون أعضاؤه غير مكتملة. فكما تكون الأعضاء -التي فيها العظام- غير متكوّنة في حالة المضغة، كذلك فإن أعضاء **تَحْمِلُ** الشدة لوجه الله والثبات لله والاستقامة لله لا تكون قد تكوّنت فيه بعد كما هو حقها، وإن كان التواضع واللين موجوداً. ومع أن الشدة والصلابة المطلوبة لا تكون قد نشأت في هذه المرحلة، لكنه يكون قابلاً لمضغ

القضاء والقدر إلى حد ما مثل المضغة تماما؛ بمعنى أنه يكون جديرا بأن تعمل فيه أسنان القضاء والقدر ويبقى مستقيما تحت وطأتها، لأن العلاقة التي تقارب القوام السائل لا تكون قابلة لتُسحَق تحت الأسنان ومع ذلك تبقى مستقيمة، ولكن المضغة قابلة للمضغ، فلذلك سُمِّيت مضغة.

ففي حالة المضغة يقع على القلب شيء من حلاوة حب الله ويتوجه التجلي الجلالي إلى ابتلائه بالبلايا؛ فيمضغ، مثل المضغة تماما، تحت أسنان القضاء والقدر ويُسحَق سحقا.

باختصار، إن مرتبة السالك الثالثة هي كحالة المضغة. ثم المرتبة الرابعة هي تلك التي ينال فيها الإنسان إنعام نقوش البشرية كاملة بعد الاستقامة وبركة تحمل البلايا؛ بمعنى أنه يُعطى صورة الإنسان من حيث الروحانية، ويُعطى مثل الإنسان تماما العينين والأذنين والقلب والدماغ وجميع القوى والأعضاء الضرورية الأخرى، وبحسب مقتضى الآية: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٣٠) تظهر الشدة والرحمة في مواضعها المناسبة؛ أي يصدر كل خُلق في محله، وتكون آداب السلوك كلها مصنونة، ويُثم كل عمل وكلام بمراعاة الحدود بمعنى أنه يقوم بالرحمة في محلها المناسب وبالشدة في محلها المناسب، ويتواضع في محل التواضع ويرتفع في مقام الترفع، كذلك يستخدم كل قواه في محلها المناسب. وهذه الدرجة تشبه درجة الجنين حين يرتقي من حالة المضغة وينال صورة الإنسان كاملة، ويظهر عظم في مكان العظم ويبقى اللحم محل اللحم دون أن يكون فيه عظم، ويتميز كل عضو عن غيره تماما دون أن ينشأ جمال ونضرة واعتدال في الأعضاء في هذه المرحلة، بل يكون هناك نقش فقط لا يُرى إلا بنظر دقيق. وفي مرحلة تالية (أي الخامسة) توفقه رحمة الله بالتوفيقات المتواترة وتوصله إلى كمال تركية النفس وتجذبه إلى النقطة النهائية؛ أي الفناء في الله، وتكسو صورة الجسم بلحم البركات من عدة أنواع، وبهذا اللحم توهب صورته لمعانا،

ويوهب هيكله كله رونقا وبهاء عندها يحطر على وجهه نور الكاملية، ويُرى في بدنه رونق الكمال التام وبهاؤه. وهذه المرتبة -وهي الخامسة- تشبه درجة الخلق التي تُكسى فيها عظام الجنين لحماً ويُظهِر الجمال واعتدال الأعضاء. ثم تأتي بعدها المرتبة السادسة للخلق الروحاني التي ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥) وهذه هي مرتبة البقاء التي تُنال بعد الفناء، ويُعطى فيها روح القدس على وجه الكمال. وتُنْفَخ في الإنسان روح الحياة الروحانية.

كذلك قد اجتمعت هذه المراتب الست في كلام الله تعالى المقدس، أولاً: مرتبة الحروف التي هي بمنزلة البذرة لحامل كلام الله وكلمات كتاب الله تعالى، وليس لها نصيب من المعاني المقصودة. غير أنها تملك استعداداً ضعيفاً.

ثانياً: مرتبة الكلمات التي ظهرت خارجاً بواسطة تلك البذرة، وليس لها نصيب من المعاني المقصودة، ولكنها وسيلة قريبة للحصول عليها.

ثالثاً: مرتبة تلك الفقرات الناقصة التي لم تبلغ بعد درجة الكلام المقصود الكاملة، لأن سلسلة التنزيل كانت لاتزال ناقصة، ولم يُظهر كلام الله تعالى وجهه على الوجه الأكمل بعد، ولكن نالت تلك الفقرات حظاً وافراً من المعاني المقصودة، لذا صارت بمنزلة بعض الأعضاء لكلام الله التام، وُثِّمَت آيات أو سُوراً من حيث قلتها أو كثرتها. رابعاً: مرتبة كلامه الجامع والتام والمفصل والمتميز الذي اكتمل نزوله، وشمل جميع المضامين المقصودة والعلوم الحكيمة والقصص والأخبار والأحكام والقوانين والمبادئ والحدود والمواعيد وكافة أنواع الإنذار والتبشير والقسوة واللين والشدة والرحم والحقائق والنكات كاملة.

خامساً: مرتبة الفصاحة والبلاغة التي ألبسها هذا الكلام منذ الأزل بُغية الزينة والتجميل. سادساً: مرتبة البركة والتأثير وجذب الروح الذي يوجد في هذا الكلام المقدس الذي ألقى بضوئه على الكلام كله وجعله كلاماً حياً ومنوراً.

كذلك يمكن أن تجتمع هذه المراتب الست في كلام كل عاقل وأديب فصيح، وإن لم يبلغ كلامه مرتبة الإعجاز لأنه لا بد أولاً من وجود الكلمات التي تُستخدَم لكتابة كلامه؛ سواء أكانت العربية أم الإنجليزية أم الهندية. فهذه هي المرتبة الأولى؛ وهي الوسيلة البعيدة لإظهار المضامين المقصودة، ولكن ليس لها منها نصيب. والمرتبة الثانية هي مرتبة الكلمات التي تنشأ من الحروف المحددة، وهي لم تنل من المعاني والمضامين المقصودة نصيباً بعد ولكنها وسيلة قريبة للحصول عليها. ثم المرتبة الثالثة هي مرتبة الفقرات التي لم تُعدَّ إلى الآن جامعة تماماً للمعاني المقصودة، ولكن لها نصيب منها إلى حد ما، وهي بمنزلة بعض الأعضاء لمضمونٍ في ذهن الأديب. والمرتبة الرابعة هي الكلام الجامع والتام الذي خرج من قلب الأديب وأُدرج على الورقة بالتمام والكمال وشمل جميع المعاني والمضامين المقصودة. ثم المرتبة الخامسة هي أن تُكسى تلك الفقرات والعبارات البسيطة صبغة الفصاحة والبلاغة وتُجَعَلَ مليحة بمُلح حُسن البيان. ثم الدرجة السادسة التي تلي هذه الدرجة دون أدنى توقف هي أن تنشأ في الكلام روح التأثير الذي يجذب القلوب إلى نفسه ويطرسخ في الطباع. تأملوا الآن، فتجدوا أن هذه المراتب الست تشبه تماماً وتماثل تلك التي سُمِّيت في القرآن الكريم نطفة وعلقه ومضغة، وبعضها مضغة وبعضها عظاما، أي سُمِّيت رسم نقش صورة الإنسان، وشكله الكامل والإنسان الحي. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥ ص ١٧٢-٢١١، حاشية في الحاشية، الطبعة الأولى)

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي خلق الله تعالى أولاً الأجرام السماوية والأرضية كلها في ستة أيام (المراد من ستة أيام هو زمن طويل) ثم استوى على العرش أي استقرَّ على مقام التنزه. اعلّموا أن المصدر "استواء" عندما يُستعمل مع حرف الجر "على" يفيد استقرار الشيء على مقام يناسبه تماماً، كذلك هناك آية أخرى في القرآن الكريم: ﴿وَأَسْتَوَتْ

عَلَى الْجُودِيِّ ﴿هُود: ٤٥﴾ أي استقرت سفينة نوح بعد الطوفان على مقام كان يناسبها من حيث النزول على الأرض. فمن هذا المنطلق أُختيرت كلمة "الاستواء" بحق الله، أي استوى الله تعالى على مقام هو وراء وراء ومناسب تماما لتنزهه وقديسيته. ولأن مقام التنزه والقدسية يقتضي فناء كل شيء سوى الله تعالى، ففي ذلك إشارة إلى أنه كما أن الله تعالى يخلق الخلق بمقتضى صفة خالقيته، كذلك يحو أيضا آثار وجودهم كلها بمقتضى تنزهه ووحدانيته.

إذًا، فالاستواء على العرش إشارة إلى مقام التنزه حتى لا يتم الخلط بين الله وخلقه. فأتى يثبت أن الله محدود والمقيدين على العرش أي في ذلك المقام وراء وراء؟ لقد ذُكر في القرآن الكريم بكثرة أنه ﷻ حاضر وموجود في كل مكان. (بينوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١١٩)

لهذا السبب نجد القرآن الكريم منزها عن كل نوع من الخداع إذ قد بين صفات الله تعالى بحيث تبقى وحدانية الله تعالى نزيهة من شوائب الشرك كليا، لأنه بين أولا صفات الله التي تثبت كيفية قربهِ من الإنسان، وكيف ينال الإنسان نصيبا من أخلاقه ﷻ. هذه الصفات تسمى صفات تشبيهية. ولكن لما كان هناك خطر أن يُعَدَّ الله محدودا بالنظر إلى صفات تشبيهية أو يُشَبَّه بالمخلوقات؛ بين الله تعالى لدرء هذه الأوهام صفته الأخرى أي صفة الاستواء على العرش التي تعني أن الله أعلى وأرفع من كل المخلوقات ولا يشبهه شيء ولا يشاركه في صفاته شيء، وبذلك تثبت وحدانية الله تعالى بوجه كامل. (بينوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣ ص ١٢١-١٢٢)

الآية ١٣: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

من المسلّم به والمشهود أنه حين تتجلى الهيبة الإلهية يتغير وضع الفاسق، ثم حين تنقضي الهيبة يعود بسبب شقاوته الطبيعية إلى وضعه الأصلي. وربما شاهدتم الكثيرين الذين حين ترفع عليهم أي قضية يخشون أن تؤدي إلى السجن الشاق الشديد أو الشنق أو الإعدام، وإن كانوا في الوقت نفسه يتوقعون أن يُفَرَّج عنهم، فهم يغيّرون سلوكهم الفاسق بمشاهدة تلك الهيبة ويصلّون ويتوبون ويطيلون الدعاء لله، ثم حين ينجيهم الله من ذلك البلاء رحمة عليهم بسبب ضراعتهم، يخطر ببالهم فوراً أن هذا الخلاص لم يكن من الله بل كان وليد المصادفة، فيزدادون فسقا أكثر من ذي قبل، ويعودون إلى عاداتهم السابقة خلال بضعة أيام. فهناك أمثلة أخرى على ذلك، لكن هنا يكفي الكلام الإلهي حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٢-٤٣)

الآية ١٥: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

كذلك تشبه السلسلة المحمدية، وفق القرآن الكريم، السلسلة الموسوية في كل خير وشر، وهذا ما أشير إليه في الآيات التالية التي ورد فيها عن اليهود: ﴿فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠) وفي موضع آخر ورد عن المسلمين: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. والمراد من هاتين الآيتين أن الله تعالى سيهبكم الخلافة والملك، ثم يرى هل تتمسكون بالصدق أم لا. ولقد استُخدمت في هاتين الآيتين الكلمتان نفسها عن اليهود والمسلمين، أي كأنهما ذُكرا تحت آية واحدة. فأی دليل أقوى من ذلك لإثبات أن الله تعالى شبه بعض المسلمين باليهود. وأشار بكل صراحة أن بعض السيئات التي ارتكبتها علماء اليهود سیرتکبها علماء المسلمين أيضاً؛ وإلى

ذلك تشير الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، لأن جميع المفسرين متفقون على أن المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود الذين نزل عليهم الغضب بسبب رفضهم عيسى ﷺ، وكذلك في الأحاديث الصحيحة: المراد من عبارة ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود الذين حل بهم غضب الله في الدنيا. ويشهد القرآن الكريم أن اليهود لعنوا على لسان عيسى ﷺ لبيان أنهم مغضوب عليهم. فالمراد أن المغضوب عليهم -بصورة قاطعة ويقينية- هم اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى على الصليب. إن تعليم الله دعاء ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ -ومعناه ألا نكون يا ربنا مثل اليهود الذين حاولوا قتل عيسى على الصليب- يبين بكل جلاء أن "عيسى آخر" سيُبعث في الأمة المحمدية أيضا، وإلا فما الحاجة لتعليم هذا الدعاء؟ (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٣-١٤)

إن بعثة عدد من الناس كانت مقدرة بروزا من القرآن الكريم.... مثل ملوك اليهود الذين وُلدوا في الإسلام، كما يُفهم من الآيتين التاليتين اللتين تتشابه مفرداتهما أيضا وهما:

عن ملوك اليهود	عن ملوك الإسلام
﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠)	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٥)

هاتان الجملتان: أي ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الواردة بحق ملوك اليهود، والتي تحاذيها جملة أخرى أي ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الواردة بحق ملوك المسلمين توضّحان بجلاء أن أحداث ملوك هاتين الأمتين أيضا ستتشابه، وهكذا حدث. فكما صدرت من ملوك اليهود الحروب الأهلية والمعارك المخجلة، وفسد سلوك الكثيرين حتى صار بعضهم مثالا في ارتكاب الفواحش وشرب الخمر وسفك الدماء وأعمال الظلم الشرس،

كذلك اتخذ معظم الملوك المسلمين أيضا هذه الأعمال نفسها، كما كان بعض ملوكهم صالحين وعادلين أيضا على شاكلة ملوك اليهود الصالحين والعادلين، مثل عمر بن عبد العزيز. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٦-٣٠٧)

سأل سائل عن حقيقة البروز فقال المسيح الموعود عليه السلام في الجواب:

حضرت عليه السلام: إن مثل البروز كمثل انعكاس صورة الإنسان في المرآة رغم استقلالها.... وإلى ذلك تشير الآيتان: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٥) و﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠). فأحدهما عن المسلمين والثانية تخص اليهود. إذن يتبين من المقارنة أن الله تعالى يقول: إني سوف أمتعكم بكل أنواع الإنعامات لأنظر كيف تشكرون.

الجدير بالانتباه هنا، ما هي المصيبة الكبرى التي واجهها اليهود؟ ألا إنها مصيبتان، إحداها أنهم أنكروا عيسى عليه السلام والثانية أنهم كفروا بالنبي محمد ﷺ. فنظرا للمماثلة بين الأمتين كُتب للمسلمين أيضا إنكاران، إلا أن هناك كانا شخصين منفصلين، بينما هنا قد اجتمع البروزان في شخص واحد؛ أحدهما بروز عيسوي، والثاني بروز محمدي. فمن ناحية الاسم سمي المسلمون بـبروز اليهود الذين كفروا بالمسيح عليه السلام ومحمد ﷺ وتحققت المماثلة. وثابت من الآيات الأخرى أن تصرفات اليهود نفسها ستصدر في هذه الأمة بروزا، وفي ذلك إشارة إلى أن القادم سيأتي بصبغتين. ولذلك علامات زمن المهدي والمسيح ماثلة، كما أن عملهما أيضا واحد.

(بدر، مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٣ م، ص ٣٥٨-٣٥٩)

الآية ١٦: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾

حين بدأ بعض جهلاء مكة يقولون بأن التوحيد المذكور في القرآن لا يعجبنا، فأثروا بقرآن يعظم الأوثان ويذكر عبادتها، أو غيروا في القرآن الموجود واملأوه بتعليم الشرك بدلا من التوحيد، فنقبله ونؤمن به.. عندها -ردًا على تساؤلهم- علم الله تعالى نبيه جوابا يتبين عند التدبر في سوانح حياته ﷺ، وهو:

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي...﴾
(البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٧٢-٥٧٥)

الآية ١٧: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

أي قد عشت فيكم أربعين عاما من عمري أفلا تعقلون؟ أي ألا تعرفون جيدا أن الافتراء ليس من شيمتي والكذب ليس من عادتي؟ (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٧٥)

الأنبياء أناس قدموا براهين ساطعة على صدقهم الكامل وبذلك أقاموا حجة على أعدائهم، كما ذكرت هذه الحجة في القرآن الكريم على لسان سيدنا خاتم الأنبياء في الآية ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي لست من الكاذبين المفترين. انظروا: لقد عشت بين ظهرائكم أربعين عاما من قبل، فهل أثبتم عليّ أيّ كذبٍ أو افتراء؟ أفلا تعقلون إذن؛ كيف لمن لم يكذب أية كذبة قط إلى هذا اليوم أن يأتي ويكذب على الله الآن؟

إذن، فإن وقائع حياة الأنبياء وسلامة سيرتهم ثابتة وبديهية تماما بحيث لو تأملنا في أحداث حياتهم وحدها تاركين الأمور الأخرى كلها جانبا لكانت في سيرتهم وحدها كفاية لإثبات صدقهم. فمثلا لو تأمل منصف وعادل في سيرة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ غاضا الطرف عن كافة الأدلة والبراهين التي سنوردها في هذا الكتاب

على صدقه ﷺ لأيقن من الأعماق - بالنظر إلى وقائع سيرته فقط - أنه نبي صادق دون أدنى شك. وكيف لا يوقن إذ تتعطر تلك الوقائع بكمال الصدق والصفاء بحيث تنجذب إليها قلوب طلاب الحق تلقائياً؟

يجب التأمل كيف استقام النبي ﷺ وصمد على إعلان النبوة من أول يوم إلى آخر لحظة من حياته مع ظهور آلاف الأخطار ونحو مئآت الآلاف من المعاندين والمعارضين والمخوفين، وواجه إلى سنين عديدة من المصائب وتحمل من الإيذاء ما كان من شأنه أن يؤدي إلى اليأس والقنوط من النجاح تماماً. وقد ظلت تلك المصائب تزداد يوماً إثر يوم بحيث ما كان ليُتصور أو يخطر على البال تحقق أي هدف دنيوي نتيجة الصبر عليها، بل الحق أنه ﷺ فقد أصدقاءه السابقين أيضاً بسبب إعلان النبوة. وبقيامه بإعلان واحد فقد اختار لنفسه مئآت الآلاف من المعارضات، واستدعى لنفسه آلاف البلايا والآفات؛ فقد نُفي من وطنه، ولوحق للقتل، وقطعت أسباب معيشته، ودُسَّ له السمُّ مراراً. لقد تحول المتعاطفون إلى أعداء، وعكف الأصدقاء على العدا. واضطر ﷺ لتحمل أنواع المراتة والمعاناة إلى زمن طويل لا يسع مكاراً ومزقاً أن يصبر خلاله عليها بأقدام راسخة. ثم حين حصلت للإسلام الغلبة بعد مدة، فما جمع ﷺ لنفسه كنزاً في أيام الازدهار والتقدم، وما شيد بناء وما أعدّ بلاطاً، وما اختار أسباب الرفاهية وعيش الملوك، وما جلب لنفسه منفعة. بل أنفق كلّ ما جاءه على رعاية اليتامى والمساكين والأرامل والمثقلين بالديون، ولم يأكل ﷺ ملء بطنه ولا مرة واحدة. كان شديد القول لدرجة أنه حوّل جميع الأقوام والفرق وكافة الناس الغارقين في الشرك إلى معارضين له نتيجة وعظهم بالتوحيد. أما أقاربه ﷺ فجعلهم قبل غيرهم أعداء له نتيجة معارضته لهم في عبادة الأوثان. أفسد علاقاته مع اليهود أيضاً بمعارضته إياهم في أمر عبادة المخلوق بأنواعها المختلفة والأعمال السيئة الأخرى؛ مثل تكذيب المسيح ﷺ والإساءة

إليه، مما أدى إلى احتراق قلوبهم إلى أقصى الدرجات، فاستعدوا للعداوة المبررة وبدأوا يتحسّنون الفرص لقتله. كذلك أسخط المسيحيين أيضا لأنه ﷺ لم يعتبر عيسى عليه السلام إلهًا ولا ابن إله ولا منجّي الآخرين نتيجة موته على الصليب كما كانوا يزعمون. ثم سخط منه عبدة النار والكواكب أيضا لأنه عارض عبادة آلهتهم، وعدّ التوحيد وحده مدار النجاة.

والآن قولوا عدلا وإنصافا، هل تعدّ خطة لكسب مواساة الدنيا بأن يقال لكل حزب أقوال صريحة وجارحة مثل ما جاء في أقواله ﷺ أدت إلى أن شتم الجميع عن سواعدهم للمعارضة وانكسرت قلوب الجميع من السخط؟ وقد جعل الجميع يخدمون - قبل أن يكون لنفسه جماعة وإن كانت صغيرة، أو يجرز قوة لذب الهجوم عن نفسه - حتى صاروا عطاشى لدمه. بل كانت الخطة الذكية لكسب مواساة الدنيا أن يصدّق ﷺ بعضهم أيضا كما كذب بعضهم الآخر لكي يوافقهم بعضهم عندما يعارضه بعضهم الآخر. ولئن قال للعرب إن اللات والعزى حق لسقطوا جميعا على قدميه ﷺ ولاستغلهم كما شاء، لأنهم كانوا من أقاربه ومعارفه وعدمي المثل في الحميّة العشائرية، فلو فعل ذلك لصار كل شيء على ما يرام؛ إذ كان العرب سيفرحون بتعليم عبادة الأوثان ولأطاعوه ﷺ قلبا وروحا.

ولكن يجب التأمل؛ أكان لمصلحة دنيوية أن يفسد النبي ﷺ علاقته مع الأقارب وغيرهم دفعة واحدة وأن يتمسك بالتوحيد الذي ما كان هناك شيء أبغض منه في نظر العالم في تلك الأيام وكان مآل الاعتصام به يؤدي إلى مواجهة مئات المشاكل، بل كان الهلاك نفسه يحدق به بسبب ذلك؟ أي هدف كان ﷺ ينوي تحقيقه نتيجة الإصرار على ذلك المعتقد المثير للبلايا الذي بإظهاره سُجن المسلمون وصُفّدوا وضُربوا ضربا مبرحا خاصة حين جعل ﷺ الدنيا كلها تعارضه للسبب نفسه وخسر من كان معه؟ هل هو أسلوب لكسب مواساة الدنيا بأن يقال لكل شخص كلام

مرير يعارض طبعه ومرضاته وعاداته واعتقاده، وبذلك يحوّل كل شخص إلى عطشٍ لدمه في ملح البصر، دون أن يبقى على أدنى صلة مع أي قوم قط؟ هل يقوم الطماعون والمكاريون بما يحوّل أصدقاءهم إلى أعداء لهم؟ هل يقوم الذين يريدون أن يكسبوا الدنيا بالمكائد بعمل يثيرون به الدنيا كلها لعداوتهم دفعةً واحدة ويوقعون أنفسهم في خطر داهم ودائم؟ بل الحق أنهم يسلكون مسلك الصلح والوئام مع الجميع لنيل مبتغاهم، ويشهدون بصدق كل فرقة، ولا يلاحظ فيهم الإخلاص لمرضاة الله تعالى، ولا يبالون بوحداية الله وعظمته؛ فما لهم ولتحمل الضرب والمعاناة في سبيل الله دونما سبب؟ إنهم ينصبون شراكتهم مثل الصياد حيثما يتسنى لهم قتل فريستهم بكل سهولة. ولا يختارون سبيلا إلا الذي تقل فيه المشقة وتكثر الفائدة الدنيوية. النفاق سيرتهم، والتملق طبعهم، والمعاملة مع الجميع بكلام معسول عادتهم، والتعامل مع اللص وصاحب البيت على السواء شيمتهم. إذا كانوا مع المسلمين كانوا على أتم الاستعداد لترديد: الله الله، وإذا خلوا إلى الهندوس كالوا المديح لأهنتهم. وفي كل مجلس يوافقون الرأي بحسب مصلحتهم ومقتضى الحال. فمثلا إذا سمى رئيس المجلس النهار ليلا لَهَبُوا لَيُروا الناس قمرا ونجوما أيضا. ما لهم والعلاقة بالله تعالى! وما لهم والوفاء والإخلاص له وَعَلَيْكُمْ!! وما حاجتهم ليلقوا بنفوسهم الفرحة المسرورة في أتون أحزان شتى!! لقد علّمهم معلّمهم درسا واحدا فقط؛ وهو أن يقولوا للجميع: إن صراطك هو الصراط المستقيم، وإن رأيك هو الأصوب، وما فهمته هو الحق والسداد.

باختصار، لا ينظرون قط إلى الصحيح والخطأ أو إلى الحق والباطل أو إلى الصالح والطالح، بل كل من أطعمهم شيئا خلّوا كان هو التقى والزاهد والطيب في نظرهم. ومن بمدحه تمتلئ جحيّم بطونهم، يعدّونه ناجيا ووارثا الجنة وفائزا بالحياة الأبدية. ولكن النظرة إلى وقائع حياة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ توحى بجلاء تام أنه كان مخلصا

وطاهر الباطن وجاهزا للتضحية بروحه في سبيل الله ﷻ من الدرجة العليا، وراغبا تماما عن أي أمل أو طمع في المخلوق، وكان متوكلا على الله وحده. فقد فنى في مشيئة الله تعالى ومرضاته تماما، ولم يبال قط بما يمكن أن يقع على رأسه من بلايا نتيجة إعلان التوحيد، وما سيتحمله من إيذاء ومعاناة على أيدي المشركين. بل حمل على عاتقه كل المشاق والمعاناة والمصائب في سبيل تنفيذ أمر ربه. وأوفى بشروط المجاهدة والوعظ والنصيحة كما هو حقها، ولم يبال بتخويف أحد. ونقول صدقا وحقا: إنه لا تثبت مواضع الخطر في وقائع حياة الأنبياء أجمعين كما تثبت في حياته، كما لا يثبت أن أحدا منهم عارض الشرك وعبادة المخلوق بهذا الحسم والوضوح متوكلا على الله مثله ﷺ، أو كان لأحدهم أعداء بهذه الكثرة ثم أبدى رسوخ القدمين والاستقامة والصمود مثله ﷺ. يجب التدبر بشيء من الأمانة كيف تدل هذه الأحداث كلها على صدق باطن النبي ﷺ. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٠٧-١١٢)

والمزية الثانية التي لا بد من وجودها في المبعوثين من الله كشرط واجب هي سيرتهم الطيبة، لأن السيرة السيئة تؤدي إلى خلق النفور والكراهية في القلوب. وهذه المزية أيضا توجد بالبداية في نبينا الأكرم ﷺ على أحسن وجه، إذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. أي قل لهؤلاء الكفار إني قضيت بين ظهرانيكم عمرا طويلا من قبل، أفلا تعلمون كم أنا أمينٌ وصادقٌ؟!!

لاحظوا الآن أن القرآن الكريم قد أثبت بوجه أتم وجود كلتا الصفتين الأساسيتين لمنصب النبوة والرسالة في نبينا الأكرم ﷺ، وهما كون الرسول من عائلة شريفة وكونه آمينا وصادقا وخاشعا لله وذا سيرة طيبة، وقد شهد الله بنفسه على سمو سيرته وعراقته عائلته. لا يسعني هنا إلا أن أشكر الله تعالى على أنه كما أتم الحجة على الكفار - بوحيه تأييدا لنبينا ﷺ وقال إن رسولي هذا على خلق عظيم بحيث لا تقدر

على أن تعيبوا أو تطعنوا في حياته السابقة الممتدة إلى أربعين عاما التي قضاها بين ظهرا نيكم، ولا تستطيعون أن تعثروا على أدنى عيب في عائلته العريقة والنبيلة والطاهرة التي تحظى بالسؤدد والإمارة؛ ثم فكّروا، أيُّ شئٍ يخالجمكم بصدق نبوة من ينحدر من أرفع عائلة وأطهرها وأنفسها مثل عائلته؟ وحياته الممتدة إلى أربعين عاما التي قضت بين ظهرا نيكم تشهد على أنه ليس من سيرته الافتراء والكذب، فما دام يُرى آيات سماوية إلى جانب تحليّه بالصفات الحسنة المذكورة، وتحالفه تأييدات الله تعالى، وجاء بالتعليم الذي وُجدت معتقداتكم مقابله خبيثة ونجسة وملئمة بالشر كذلك وعلى المنوال نفسه أتم الله الحجة على معارضيّ ومكذبيّ. ففي الصفحة ٥١٢ من كتابي: "البراهين الأحمدية" ورد إلهام يخصني وقد مضى على نشره عشرون عاما نصه: "ولقد لبثتُ فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون؟" أي قل لهؤلاء المعارضين إني عشتُ بين ظهرا نيكم أربعين عاما، وقد شاهدتموني أثناء هذه المدة الطويلة أن الافتراء والكذب ليس من عادتي، وقد عصمني الله تعالى من الحياة النجسة. فكيف لمن ظل محفوظا ومصونا من كل نوع من الكذب والافتراء والتجاسر والمكر السيّء والخبث إلى تلك المدة المديدة، أي أربعين عاما، ولم يكذب على الخلق قط؛ أن يبدأ في الافتراء على الله تعالى مخالفاً عادته القديمة؟ (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٨١-٢٨٣)

الآية ١٨: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾

اعلموا يقينا أن الإنسان ضعفٌ كُلُّهُ ... فليس السبيل لسلامته وعافيته إلا أن تكون معاملته مع الله تعالى نزيفة تماما، وأن يصبح عبداً لله صادقا. وهذا يحتم عليه التمسك بالصدق. إن النظام المادي أيضا منوط بالصدق نفسه. إن الذين لا يصدقون بل يخونون ويعدّون الكذب جنةً تحميهم من طائلة جرائمهم فإنهم مخطئون جدا.

قد ينفع الكذب صاحبه نفعًا قليلًا مؤقتًا، ولكن الواقع أنه يجعل قلب صاحبه مظلماً، فيتآكل قلبه من حيث لا يدري، ويضطرّ بسبب الكذبة الواحدة لنحت كذبات كثيرة، لإضفاء صبغة الصدق على كذبه الأولى، وهكذا تُدَمَّرُ قواه الأخلاقية والروحانية من حيث لا يدري، فيتجاسر حتى على الافتراء على الله وتكذيب المرسلين والمأمورين الربانيين أيضاً، ويصير أظلم الناس عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾. واعلموا أن الكذب بلاء سيئ يهلك الإنسان. وما أدلّ على خطورة مآل الكذب من أن المرء يستحق بتكذيب رسل الله وآياته العقاب. فلا بد لكم من التمسك بالصدق.... فكلما تمسك المرء بالصدق وأحبّه تولّد في قلبه حبٌّ ومعرفةٌ كلام الله وأنبيائه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٥ م، ص ٢)

الآية ٢١: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

يقول هؤلاء الناس: لماذا لم تنزل عليه من ربه آية لتأييد الدين؟ فقل لهم إنما الغيب لله تعالى، فانظروا الآية إني معكم من المنتظرين.

الآية ٢٣: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

هذه الآيات تفيد أن الله ﷻ حين يخلق الطوفان في النهر الذي تجري فيه سفينتهم غضبا منه لإهلاك بعض المذنبين، فهو ينجيهم عند رجوعهم وضراعتهم مع علمه أنهم سيعودون مرة أخرى إلى أعمال الفساد. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١١٨-١١٩)

الآية ٢٤: ﴿فَلَمَّا أَتَجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعِثْنَاكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

عندما ينجيهم من العذاب يعودون إلى الظلم والفساد الذي اعتادوه سابقا.
(أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣)

الآية ٢٥: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

...أي أن الإنسان يُخلق على غرار النبات، فيتجه بادئ ذي بدء إلى الكمال، ثم ينحدر إلى الزوال. فهل استثنى المسيح من ناموس الطبيعة هذا؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٠)

الآية ٢٨: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

... أي ستلحقهم ذلة من النوع والقدر الذي أرادوا إلحاقها. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ٣٣٧)

الآية ٣٧: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

الذي يتشبث بالظن البحت فهو منحط كثيرا عن مقام الحق السامي. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي أن الظن ليس بشيء مقابل

حق اليقين. (تعليق على المناظرة بين البطالوي والجكرالوي، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٠٨)

الآية ٥٠: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي يقول الكفار متى يوفى هذا الوعد إن كنتم صادقين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١ ص ٢٥٢، الحاشية رقم ١١)

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي يقول الكفار متى تظهر تلك الآيات ومتى يوفى هذا الوعد فقل لهم ليس لي دخل في هذه الأمور حتى لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ولكل أمة أجل لن يقدر أحدهم أن يغيره. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٣٣)

يريد الله أن ينقذ الأبرار ويهلك الأشرار، وإذا أخبر بالوقت والتاريخ فيمكن لكل شرير أن يأخذ الحذر والحيلة. وإذا كانت النبوءة تصبح عرضة للاعتراض لعدم تحديد الموعد فهذه هي حال نبوءات القرآن الكريم أيضا، وقد اعترض عليها أناس أمثالهم وقالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، أي أخبرونا بالوقت والتاريخ؟ ولكن الحق أن الوقت لا يُجَدَّد في نبوءات الوعيد وإلا لوقى الكافر أيضا نفسه بالهروب. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ١٩٠٥/٦/٨، ص ٢)

أي عندما يأتي نداء الأجل لا يتأخر ولا يتقدم. يجب على الإنسان أن يوطد علاقته مع الله قبل ذلك. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٧/٩/٢٤، ص ٣)

إِذَا جَاءَ الْأَجَلُ فَيَأْتِي فَجْأَةً دُونَ خَيْرِ سَابِقٍ وَسَيَكُونُ الْإِنْسَانُ مَشْغُولًا فِي أُمُورِهِ وَأَعْمَالِهِ الْأُخْرَى مُعْتَقِدًا أَنَّهُ سَيَفْعَلُهُ كَذَا وَكَذَا فَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ وَمَنْ ثُمَّ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٠٩/١٩٠٧ م، ص ٩)

عندما ينزل عذاب الله تعالى يستحيل أن يزول إلا بعد تكميل التنفيذ. ويُستنبط من هذه الآية أن العذاب يزول قبل نزوله بالتوبة والاستغفار. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠/٠٤/١٩٠٣ م، ص ١١)

الآية ٥: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِي اللَّهِ مِنْ إِيفَائِهِ وَعُودِهِ. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزانة الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٤٣)

من الخطأ تماما القول بأن الحلف ممنوع في الإسلام إذ ظل الصلحاء من المسلمين يحلفون عند الضرورة. وقد حلف الصحابة عند الضرورة، كذلك حلف رسولنا الأكرم ﷺ أيضا أكثر من مرة، بل قد حلف الله تعالى بنفسه أيضا. وقد طُلب من المجرمين في محكمة النبي ﷺ أن يحلفوا. لقد ذُكرت الأحلاف في القرآن الكريم بكل صراحة. إذا كان باب إثبات آخر مغلقا أو معقدا يُعَدّ الحلف هو المدار في الإسلام. ولقد ورد في صحيح البخاري -وهو أصح الكتب بعد كتاب الله- أن النبي ﷺ خاطب الصحابة وقال حالفا بأن المسيح الموعود المقبل الذي هو إمامكم سيكون منكم أي من هذه الأمة ولن ينزل من السماء. ثم هناك باب منفصل في صحيح البخاري وردت فيه عدة أحلاف للنبي ﷺ التي لا تقل عن عشرة أحلاف. كذلك ذُكرت أحلاف النبي ﷺ في صحيح النسائي كتاب الإيمان والنذر أيضا. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾. كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ (المائدة: ٩٠) أي عندما تحلفون يميناً

فاحفظوه من الكذب ونقض العهد وسوء النية. كذلك هناك آية أخرى في القرآن تقول: ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (النور: ٧-٨). (مجموعة إعلانات، مجلد ٢، ص ٦٢٥ الحاشية)

... يسألونك هل هذا حق، قل لهم أقول حلفا بالله إنه لحق، ولا تستطيعون أن تمنعوا حدوثه. (مكتوبات أحمد، المجلد الأول، ص ٦٣٨)

الآية ٥٨: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

في القرآن ميزة روحانية أيضا لتنوير القلوب كما يقول ﷺ: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي بفضل خاصيته هذه ينزع من النفوس أسقامها كلها. لذلك فإن القرآن لا يمكن أن يسمى كتابا نقليا، أي الذي يعتمد على النقل فقط، بل تصحبه براهين عقلية من أعلى درجة، وفيه نور ساطع وضاء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٣)

إن هذا القرآن يُخرج من الظلام إلى النور، وفيه شفاء لجميع الأمراض، وهو مليء بأنواع البركات؛ أي المعارف وما ينفع الناس. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٩)

الآية ٥٩: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

المراد من الخير الكثير هو الإسلام كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٦)

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الآية الأخيرة إشارة إلى أنه لا مال ولا ثروة مثل العلم والحكمة. وهو المال نفسه الذي جاء عنه

في النبوءة أن المسيح سيوزعه في الدنيا حتى يسأم الناس من قبوله، ولا يعني ذلك أنه سيجمع الدراهم والدنانير التي هي مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: ١٦) ويوقع الجميع في الفتنة قصدا بإعطائهم أموالا هائلة. إن طبيعة المسيح الأول أيضا لم تكن رغبة في الأموال المادية؛ إذ قال بنفسه في الإنجيل إن مال المؤمن ليس الدرهم والدينار بل ماله جواهر الحقائق والمعارف.

هذا هو المال الذي يناله الأنبياء من الله تعالى، وهذا ما يوزعونه. وإلى هذا المال أشار النبي ﷺ في قوله: إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ هُوَ الْمُعْطِي. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٤ - ٤٥٥)

الآية ٦٣: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أولياء الله أي أحبائه الله. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٤٥)
أولياء الله أي أولئك الذين أصبحوا لله فحسب. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٩)

أولياء الله أي المقربون إليه. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٢١)

مَنْ كَانَ اللَّهُ كَفِيلَهُ فَلَا يَصِيبُهُ أَذًى، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَلِيَّهُ فَلَا يَقْدِرُ الْخَصْمُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِهِ. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٦)

لقد وصفهم الله بأنهم أولياؤه مع أنه غني، فليست له حاجة إلى أحد. فالاستغناء مشروط بشرط ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (الإسراء: ١١٢). فمن الصدق تماما أن الله لا يتخذ أحدا وليا لاحتياجه، بل يجعل أحدا من المقربين بفضلته المحض وإحسانه. فلا حاجة له إلى أحد.... تذكروا أن اجتباء الله واصطفاءه خصلة فطرية، فمن المحتمل أن يكون الإنسان قد ارتكب بعض الصغائر أو الكبائر فيما سبق من حياته، إلا أنه حين تنشأ له علاقة صادقة بالله فهو يغفر له جميع الخطايا، ولا يُحْجِلُهُ

أبداً في الدنيا ولا في الآخرة. فما أعظم منّة الله أنه حين يغفر ويعفو مرة فلا يذكرها أبداً، بل يسترها. لكن الإنسان لو عاش مع كل هذه المنن والأفضال حياة النفاق، فذلك من شقاوته الشديدة، وسينال العقاب.

إن الحصول على بركات الله وفيوضه يقتضي بشدة نقاء القلب، فما دام القلب لا يكون نقياً لا يتأتى شيء. فحينما ينظر الله إلى القلب يجب أن لا يجد في أي زاوية أو جزء منه نفاقاً، فحين يتحقق ذلك تحدث التجليات مع النظرة الإلهية، وتكون المعاملة صافية. ولذلك يجب أن يكون الإنسان وفيًا وصادقاً كما أظهر إبراهيم عليه السلام صدقه، أو كما قدم النبي ﷺ أسوة. حين يتأسى بها الإنسان يصبح مباركا. فلا يواجه أي ذلة في الحياة الدنيا، ولا يتعرض لمشاكل قلة الرزق، بل تفتح عليه أبواب فضل الله وإحسانه، ويصبح مستجاب الدعوات، ولا يُهلكه الله بحياة اللعنة، بل يجعل عاقبته محمودة. باختصار؛ إن الذي له علاقة صادقة وكاملة بالله ﷻ فإن الله يحقق جميع مراداته، ولا يخيب آماله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م ص ٥)

داوموا على التوبة والاستغفار، واستعينوا دوماً بالدعاء. من هم الأولياء؟ من صفات الأولياء أن جوارحهم مثل العيون والأيدي والأرجل والأعضاء الأخرى لا تعمل ضد مشيئة الله قط. تكون عظمة الله مستولية عليهم لدرجة لا ينتقلون من مكان إلى مكان آخر إلا بنية رؤية الله. فاسعوا أنتم أيضاً لذلك. فالله ﷻ ليس بخيلاً. ولنعم ما قيل: هرکه عارف تراست ترسان تر، أي: من كان أكثر معرفة كان أكثر خشيةً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٩)

اعلموا يقيناً أن من علامات الذين يحبون الله حبا صادقا وهو يحبهم ولا يستولي عليهم الخوف ماذا سيأكلون وما يشربون، أو كيف يجتنبون بلاء كذا وكذا، أنهم يؤهبون الطمأنينة فلا يصيبهم الخوف من المستقبل لأنهم يُرزقون الصبر والسلوان.

والعلامة الثانية هي أنهم يكونون كاملين في الإيمان ويسلكون مسلك التقوى، أي يتعدون عن أمور تعارض الإيمان وتنافي الطاعة. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٧٩)

الآية ٦٤-٦٥: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

"الذين آمنوا.. أي اتبعوا الله والرسول.. سيبشرهم الله بالرؤى والإلهامات والكشوف، وأن الله لا يخلف الميعاد.. فهذا هو الفوز العظيم الذي يفرق بينهم وبين غيرهم. والذين ليسوا ناجين صادقين لن تقوم لهم قائمة إزاءهم. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٤٥)

أي أنهم سيتلقون البشارات في حياتهم؛ أي ينالون من الله تعالى نور الإلهام، ويسمعون بشارات فيها خير لهم ومدحهم والثناء عليهم. وسيبين الله صدقهم وسيحقق كل ما وعد الله به... هذه هي السعادة العظمى التي ينالها المؤمنون بمحمد المصطفى ﷺ. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٤-٢٦٥ الحاشية رقم ١١)

المسلمون يرون رؤى صادقة بكثرة كما وعدهم الله عز وجل قائلا: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولكن الكفار ومنكري الإسلام لا يحظون قط بكثرة الرؤى الصادقة، بل لا ينالون جزءا واحدا من الألف منها. ويمكن إثبات ذلك من خلال آلاف من رؤاي الصادقة التي أخبرت بها مئات المسلمين والهندوس قبل تحققها، وادّعت منذ البداية عجز الأمم الأخرى عن مبارزتها. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٨٢، الحاشية في الحاشية رقم ١)

من ميزات المؤمنين أن رؤاهم تكون صادقة أكثر من غيرهم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٩٣)

لما كان السلوك إلى الله صراطاً دقيقاً جد دقيق، ومحفوظاً بأنواع المصائب والآلام، ويمكن أن يتيه الإنسان في هذا الطريق الذي لم ير مجاهله من قبل، أو يأخذه اليأس فيحجم عن الماضي قَدْماً لذلك اقتضت الرحمة الإلهية أن تساير الإنسان في هذه الرحلة باستمرار.. تؤنسه وتواسيه، وترفع همته، وتزيد في شوقه. فلم تزل سنة الله مع سالكي هذا السبيل أن يُطمئنهم من وقت لآخر بكلامه ووحيه، ويخبرهم أنه معهم؛ فيتقوون، ويقطعون هذه المسيرة بكل حماس ونشاط. ويقول الله في هذا الشأن: ﴿هُمْ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ٤٢٢)

أي أن أولياء الله يتلقون البشارة بالوحي والمكاملة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ص ٤٣٧)

إن المؤمنين ينعمون في معظم الأحيان برؤى صادقة في الحياة الدنيا ويتلقون إلهامات صادقة أيضاً. (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ٤٧١)

إن اعتقد بعض المسلمين الجاهلين الذين هم مسلمون بالاسم فقط بأن سلسلة مكاملة الله ومخاطبته منقطعة في الإسلام أيضاً، فهذا جهلهم، لأن القرآن الكريم لا يقطع سلسلة مكاملة الله ومخاطبته كما يقول... أي أن الإلهامات المبشرة باقية للمؤمنين مع أنه قد حُتم على الشريعة، لأن عمر الدنيا على وشك الانتهاء. إذًا، إن كلام الله باقٍ إلى يوم القيامة بصورة بشاراتٍ. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية المجلد ٢٣، ١٨٨، الحاشية)

أي أن المؤمنين سيتلقون آيات التبشير في الحياة الدنيا والآخرة دائماً، وبسببها يظلون يتقدمون بلا حدود في الدنيا والآخرة في ميادين المعرفة والمحبة. وإن نيل آيات التبشير هو الفوز العظيم، أي هذا هو الأمر الذي يوصل المرء إلى منتهى مقام الحب والمعرفة. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٨)

وعلامتهم الثالثة أنهم ينالون في هذه الدنيا بشارات بواسطة مكاملة الله تعالى والرؤى الصالحة، ولهم في الآخرة أيضا من الله عهدٌ لن يُخْلَفَ. وهذه هي المرتبة العظيمة التي هم حائزون عليها. أي أن عباد الله الخواص الذين هم أولياؤه ينالون نصيبا من مكاملة الله والرؤى الصالحة حتما. وإن أكبر علامة على ولايتهم هي أنهم يُكْرَمُونَ بمكالمات الله ومخاطباته. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٧٩-٤٨٠ الحاشية)

أي أن المتقين يتلقون البشارات في هذا العالم نفسه عبر الرؤى الصالحة، بل يحظون بالمكاشفات، ويتشرفون بمكاملة الله، ويرون الملائكة في زيّ البشر. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٦)

لقد جرت في لاهور مناظرة بيني وبين الشيخ عبد الحكيم، فسألته فيها: لماذا تستأوون من مكالمات الله، بينما كان سيدنا عمر رضي الله عنه أيضا محدّثا؟ فرفض الشيخ هذا الأمر رفضا سافرا وقال بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك على سبيل الافتراض، والحق أن عمر رضي الله عنه لم يكن محدّثا، ومن المحال أن يتلقى أحد إلهاما في المستقبل.

إذن، إن هؤلاء القوم ليسوا منكرين لذلك فحسب بل قد أوصدوا أبواب الإلهامات إلى الأبد، وحسبوا الله أصمّ. لا أفهم ما المقصود عندهم من قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فما دام الملائكة ينزلون على مثل هؤلاء المؤمنين ويشروهم فممنّ ييشرون؟ بسبب هذا الاعتقاد لا بد لهم من أن ينكروا القرآن الكريم، لأن القرآن كله مليء بأن شرف المكاملة مع الله قائم، وإن لم يكن لأحد أن ينال هذا الشرف فكيف يمكن إثبات تأثيرات القرآن الكريم؟ إذا كانت الشمس ضبابية ومظلمة، فأنتي لأحد أن يميّز ضوءها؟ وهل سيفتخر قائلا بأنه ليس فيها نور، بل فيها الظلام كله؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠٣م، ص ٢)

تنزل لهم البشارات في الحياة الدنيا. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾. الوسيلة العظيمة لمعرفة الله هي أن يُرى المرء الآيات. عندما تمر مدة طويلة على سلسلة الآيات والكرامات يصبح الناس ملحدين ويتكلمون بكلام بذي. (بدر، مجلد ٦، رقم ٣، عدد ١٧/١/١٩٠٧ م، ص ١٢)

لو كانت الخطابات في القرآن الكريم مقصورة على الصحابة فقط لبطل القرآن مع وفاتهم. والآية المتنازع فيها والمتعلقة بالخلافة تشبه آية أخرى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فهل هذه البشـرى كانت تخص الصحابة فقط، أم كان لغيرهم أيضا نصيب منها؟ (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٥)

إنه لمن ميزات المؤمنين أن رؤاهم تكون صادقة مقارنة مع الآخرين. (مكتوبات أحمد، مجلد ١، ص ٣٤٠)

الذين يؤمنون بالقرآن الكريم سَيُعْطَوْنَ الرُّؤْيَ المبشرة والإلهامات بكثرة، وإلا يمكن لأي شخص أن يرى رؤيا صادقة على سبيل الندرة. ولكن لا مجال للمقارنة بين القطرة والبحر، كما لا وجه لتشبيهه المليم بالكنز.... فنرى أن وعد الله هذا ظل يتحقق منذ القدم، وأنا شاهد عيان عليه في هذا الزمن. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤١٠)

أي يُعْطَى المؤمنون بشارات من الله، كذلك يتلقى هو أيضا بشارات عديدة الأنواع عن نفسه. وكلما يتقوى إيمانه بواسطة البشارات يظل يجتنب الذنوب ويتقدم إلى الحسنات. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٢٤)

الآية ٦٩: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

يقول البعض إن لله ابنا مع أن الاحتياج إلى الابن نقيصة، والله تعالى بريء من كل نقيصة. فهو "الغني" و"الصمد" وليس بحاجة إلى أحد، إذ له ما في السماوات والأرض. هل تفترون على الله بما ليس لكم به أدنى علم؟ (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١ ص ٥٢٠، الحاشية رقم ٣)

الآية ٩١: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

اعلموا أن الذي يخشى في حالة الأمن يُنقذ في حالة الخوف، أما الذي يخشى في حالة الخوف فقط فهذه ليست ميزة جديرة بالذكر لأن الكفار والمشركين والملحدين أيضا يخشون في هذه الظروف. فقد خاف فرعون أيضا عندها وقال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ولكنه لم يستفد من ذلك إلا أن قال الله - عز وجل - بأننا سننجي بدنك ولن ننجي روحك. فأوصل الله بدنه إلى الشاطئ أخيرا. كان فرعون ذا قامة قصيرة. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٧/٩/٢٤ م، ص ٣)

لقد جاءت في زمن موسى عذابات خفيفة في البداية مثل خروج حشرات الأرض وانتشار الدم والمجاعة، في زمن موسى عليه السلام ظلت تظهر عذابات الجراد والقمل والضفادع واعتبرها المعارضون نوعاً من الشعوذة، وكان سبب ذلك أن أولئك الأشقياء لم يكونوا يعرفون أنه ستظهر يوماً معجزة يُضطرون بعد رؤيتها للقول: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾. فإذا رأيتم المنذرات الابتدائية بنظرة العبرة نجوتم. (بدر، المجلد ٧، رقم ١، عدد

الآية ٩٩: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَנَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾

"فالحاصل أن قصة يونس في كلام الله القدير، دليل على أنه قد يؤخَّر عذاب الله من غير شرط يوجب حكم التأخير، كما أُخِّر في نبأ يونس بعد التشهير".
(مكتوب أحمد، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٢٢٦)

الآية ١٠٠: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

لقد أمرنا الله ﷻ في القرآن الكريم أيضاً أنه لا جبر ولا إكراه في دين الإسلام .. كما يقول في آية أخرى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣١٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة هود



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

المراد من "الألف" الله، ومن "اللام" جبريل، ومن "الراء" الرسل. لقد بين الله تعالى هنا الأشياء الضرورية للإنسان، ولذلك قال ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾، أي هذا كتاب آياته محكمة ومستوية.

لقد أحكم الله تعالى تعاليم القرآن الكريم بطرق شتى كيلا يبقى فيه أدنى شك، ومن أجل ذلك قال في بداية القرآن الكريم: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: ٣). وقد تم هذا الإحكام بأساليب عديدة. فأولاً قد قام الله تعالى بإحكام تعاليم القرآن الكريم وتقويتها بنواميس الطبيعة، ذلك أن نواميس الطبيعة تدعم كل ما قيل في القرآن الكريم دعماً كاملاً. وكأن ما ورد في القرآن الكريم هو نفسه موجود في الكتاب

المكنون. وإدراك هذا السرِّ محال من دون اتباع الأنبياء عليهم السلام، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠).

باختصار، لقد أحكمت تعاليم القرآن بنواميس الطبيعة أولاً. وعلى سبيل المثال، قال القرآن الكريم في صفة الله تعالى إنه وحده لا شريك له. وعندما نمنع النظر في نواميس الطبيعة لا نجد مناصاً من الاعتراف بأن هناك خالقاً مالكا واحدا لا شريك له. هذا ما يطمئن إليه القلب، وهذا ما نعرفه بأدلة النواميس الطبيعية، لأن كل ما يوجد في العالم هو كروي الشكل. فمثلاً لو ألقينا قطرة ماء من أيدينا أخذت شكلاً كروياً، والشكل الكروي يستلزم التوحيد، ومن أجل ذلك لم يملك القساوسة أيضاً إلا الاعتراف بأن الذين لم تبلغهم عقيدة الثالوث سيُسألون بناءً على عقيدة التوحيد. فقد اعترف القسيس "فندر" بهذا الأمر في مؤلفاته. لقد تبين من ذلك أنه حتى ولو لم يكن القرآن الكريم في الدنيا لعُبد الله وحده. وثبت من هنا أن موقف القرآن الكريم هو السليم، لأن نقش التوحيد موجود في فطرة الإنسان وفي قلبه، كما تشهد على ذلك نواميس الطبيعة. ولكن الثالوث المذكور في الإنجيل ليس منقوشاً في القلوب، ولا تدعمه نواميس الطبيعة. وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾، أي أن تعاليمه قد أحكمت بنواميس الطبيعة بحيث لا يملك المشرك والمسيحي أيضاً إلا الاعتراف بأن فطرة الإنسان ستُسأل عن التوحيد. والطريقة الأخرى التي أحكمت بها تعاليم القرآن هي الآيات الإلهية، إذ لا يأتي نبي ولا مأمور في الدنيا إلا وتحالفه التأييدات الإلهية. وقد ظهرت هذه التأييدات والآيات على يد نبينا الكريم ﷺ بكل قوة وشوكة. لقد كانت في حركاته وسكناته وحديثه آياتٌ، كأنما كان من قمة الرأس إلى أخمص القدمين آيات إلهية متجسدة.

والطريقة الثالثة التي أُحكمت بها تعاليم القرآن الكريم هي سيرة النبي ﷺ الطاهرة وأمانته وصدقه وسداده. وأمانة المرء هي من جملة أدلة صدقه عند العقلاء، وقد اتخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه دليلاً على صدقه ﷺ.

والطريقة الرابعة التي هي سببٌ قوي جداً لإحكام تعاليم القرآن الكريم هي قوة النبي القدسية التي تنفع الناس كثيراً. لو ادّعى الطبيب بحذقه وخبرته دعاوى طويلة وعريضة، حتى ولو كان حافظاً لكتاب "السديدي" في الطب عن ظهر غيب، لكن إن لم يُشَفَّ على يده الناس، فسوف يقولون إنه فاشل لا يقدر على الشفاء، وبالمثل كلما كانت قوة النبي القدسية قوية كان أعلى درجةً وأرفع شأنًا. وإنها لأكبر الدعائم التي أحكمت تعاليم القرآن الكريم.....وعندي هناك أوجهٌ أخرى كثيرة لإحكام الآيات. فمثلاً يشير حرف الراء في قوله تعالى: "الر" إلى بعثة المجددين والمرسلين المستمرة إلى يوم القيامة، فكيف يمكن إحصاء أوجه إحكام آيات الله القرآنية، المتمثلة في خوارق هؤلاء المجددين المبعوثين في هذه الأمة ونجاحاتهم وتأثيراتهم الطيبة وغيرها؟

والحق أن كل هذه الخوارق والنجاحات التي قد حصلت بعد النبي ﷺ على يد أتباعه المجددين الآتين بعده، والتي ستحصل باستمرار إلى يوم القيامة، إنما هي نجاحاته ﷺ في الواقع.

باختصار، إن مجيء مجدد على رأس كل قرن يكشف بجلاء أن الاستعانة بالأموات تتنافى مع مشيئة الله. لو كانت هناك حاجة للاستعانة بالمتوفى فما الداعي لمجيء الأحياء أصلاً؟ وما الغاية من مجيء آلاف الأولياء في الأمة؟ ولماذا بدأت سلسلة ظهور المجددين؟ لو أن الإسلام سُلِّمَ إلى الأموات لاندثرت آثاره من زمان. لقد سُلِّمت ديانة اليهود إلى الأموات، فماذا كان المآل؟ ثم ماذا نفعت المسيحيين عبادة الأموات؟ صاروا بأنفسهم من الأموات نتيجة عبادة الأموات، فلم تبق في الدين روح الحياة، كما لم تبق في الأتباع آثار الحياة، وصار كل شيء مجمع الأموات من البداية إلى النهاية.

أما الإسلام فهو دين حيٍّ، وإله الإسلام إله حي وقيوم، فأنتى له أن يحبّ الموتى؟ إن ذلك الإله الحي القيوم يحيي الموتى مرة بعد أخرى كما قال: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ٢٠)، فهل يحيي الموتى علي أيدي الموتى الآخرين؟ كلا، ثم كلا، بل إن ذلك الإله الحي القيوم قد تولى حماية الإسلام حيث قال: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠). ففي كل زمان يُحيا هذا الدين على يد الأحياء ويُحيي الأموات. اعلموا أن الأحياء يظهرون في هذا الدين مرة بعد أخرى.

ثم قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾. وأحد مفاهيم ﴿فُصِّلَتْ﴾ هو ذلك التفصيل الذي جاء في القرآن الكريم، ومفهومها الثاني هو أن عملية بيان معارف القرآن الكريم وحقائقه ممتدة إلى يوم القيامة. ففي كل عصر تنكشف معارف غصّة وأسرار جديدة للقرآن، يُبينها الفلاسفة والعلماء والأطباء والصوفية، كلٌّ بأسلوبه الخاص. وهذا التفصيل أيضا من صنع الله الحكيم والخبير.

والحكيم من يملك علما كاملا بالأشياء المطلوب علمها، كما يكون فعله أيضا كاملا بحيث يضع كل شيء في محله المناسب، إذ تعني الحكمة وضع الشيء في محله. والخبير صيغة المبالغة، أي صاحب علم واسع بحيث يكون عنده خبرٌ كل شيء. لقد جعل الله تعالى هذا الكتاب المجيد خاتم الكتب، وجعل عصره ممتدا إلى يوم القيامة، وكان يعلم جيدا كيف ينبغي ترسيخ هذه التعاليم والأحكام في الأذهان، فبين تفاصيلها ووفقا لذلك، كما ترك باب هذا التفصيل مفتوحا، حيث يظهر المجددون والمصلحون لإحياء الدين وتفصيل تعاليمه. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٦، عدد ١٩٠٢/٧/٢٤ م، ص ٧-٩)

في هذا الكتاب ميزتان اثنتان: أولاها أن الحكيم القدير قد فصله بأدلة محكمة أي على غرار العلوم الحكيمة وليس كالقصص والحكايات. والميزة الثانية أنه يتضمن تفصيل جميع الحوائج المتعلقة بعلم المعاد. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١ ص ٢٢٣-٢٢٤، الحاشية رقم ١١)

الآية ٣: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾

ثم ذكر الله تعالى هنا أمراً عجبياً هو جواب لسؤال مقدر هو: ما هو لبُّ وملخص كل هذه التفاصيل المذكورة هنا، فأجاب: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ (هود: ٣). والحق أن غاية خلق الإنسان هي العبادة حصراً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧).

وحقيقة العبادة أن يتخلص الإنسان من كل ما فيه من شدة وقسوة وعوج، ويمهّد أرض قلبه وينقيها ويصفّيها كما يمهّد المزارع أرضه وينقيها ويصفّيها ويسويها. تقول العرب: مَوَّرَ مُعَبِّدًا، أي كما يَدُقُّ الكُحْلُ دَقًّا وَيُجْعَلُ ناعماً صالحاً لِكُحْلِ العيون، كذلك حين تُصَفَّى أرض القلب وتُنَقَّى، ولا يبقى فيها حجر ولا حصى ولا عوج، وتصير ممهّدةً مستوية تماماً كأنما لم يبق فيها إلا الروح فقط، فهذا ما يسمّى العبادة. إن المرأة إذا ما تم إصلاحها وتصفيتها وصقلها على هذا النحو ظهرت فيها الصورة، كذلك لو سُويت الأرض على هذا النحو أثبتت أنواع الفواكه والثمار. فالإنسان الذي خُلِقَ للعبادة إذا ما طهّر قلبه وصفّاه، ولم يترك فيه عوجاً أو نتوءاً أو حجارة أو حصى وما إلى ذلك، ظهر الله في قلبه.

وها إنني أقول مرة أخرى ستبت في قلبه أشجار حب الله تعالى وستنمو وتحمل ثماراً حلوة وطيبة، وتكون مصداقاً لقول الله تعالى ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾. (الرعد: ٣٦) اعلّموا أن هذا هو المقام الذي ينتهي إليه سلوك الصوفية. عندما يصل السالك إلى هذا المقام لا يرى إلا تجلي الله تعالى، ويصبح قلبه عرش الله، وينزل الله عليه. إن منازل السلوك كلها تنتهي هنا، أي أن تستوي أرض تعبد الإنسان وتصبح صالحة لكي تنبت فيها حدائق غناء من الروحانية، ويرى الله فيها كما يرى الوجه في المرأة.

^١ ورد في القواميس: المورّ هو الطريق والتراب. والمور المعبد هو الطريق الموطوء المذلل المستوي بكثرة الوطاء، أو التراب الناعم اللين، أو الشيء اللين. (المترجم)

عند الوصول إلى هذا المقام يرى الإنسان نموذج الجنة في هذه الدنيا، ويستمتع بلذة القول: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة: ٢٦). باختصار، إن إصلاح حالة التعبّد هو ما يسمّى العبادة.

ثم بعد ذلك قال الله تعالى في سورة هود: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (هود: ٣). ولما كان الإنسان عاجزاً عن إنجاز مهمة التعبّد التام العظيمة من دون أن يكون أمامه أسوة حسنة وغودج كامل وتأثير كامل للقوة القدسية لإنسان آخر، فقال رسول الله ﷺ لقد جئكم بشيرا ونذيرا من عند الله تعالى، فإن أطعتموني وآمنت بي، فلكم البشارات العظيمة لأني بشير، أما إذا رفضتموني فاعلموا أنكم ستواجهون عقوبات كبرى وآلاما شديدة لأني قد جئكم نذيرا أيضا.

الحق أن حياة الجنة تبدأ من هذه الدنيا نفسها، كما أن حياة العمى التي يعيشها المرء بعيدا عن الله ورسوله هي نموذج الحياة الجهنمية. والجنة التي ينالها المرء بعد الممات إنما أصلها من هذه الجنة التي ينالها في الدنيا، ومن أجل ذلك سيقول أهل الجنة عند الاستمتاع بنعمائها: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٦). والجنة التي ينالها المرء في الدنيا إنما ينالها نتيجة العمل وفقا لقول الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠). عندما يدرك الإنسان مفهوم العبادة الحقيقي ولُبّها تبدأ سلسلة إنعام الله وإكرامه المباركة، وينال في الدنيا بصورة روحانية نِعْمًا سينالها بعد الممات بصورة مرئية ومحسوسة. فلا تطمئنوا ولا تقتنعوا ما لم تبدأ لكم حياة الجنة في هذه الدنيا وما لم تستمتعوا بها في هذا العالم، لأن الذي لا يحظى بشيء في هذا العالم ويرجو الجنة في الآخرة، فإنما يعقد آمالاً باطلة، وهو في الواقع مصداق لقول الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ (الإسراء: ٧٣).

فلا تطمئنوا ولا تتوانوا ما لم تُثَقِّوا أرض قلوبكم من حجارة وحصوات ما سوى الله تعالى، وما لم تصقلوها كالمرآة، وما لم تجعلوها لينة ناعمة مثل الكحل.

غير أنه مما لا شك فيه أن المرء غير قادر على سلوك هذه المنازل من دون مساعدة إنسانٍ مزكَّى النفس، ولذلك قد أرسل الله رسوله ﷺ كأسوة كاملة، وجعل بعده سلسلة خلفائه الصادقين الذين يظهرون دائما وللأبد، ردًا على قليلي الفهم من أتباع مذهب "البراهمو" الهندوسي. ومن الحقائق الثابتة أن الذي ليس ابن مزارع سوف يقطع غرسات الزرع الأصلي عند اقتلاع الطفيليات من الحقل، كذلك تماما فلا يتمكن المرء من الزراعة الروحانية على ما يرام ما لم يتبع أحدا من الكاملين يكون قد قطع جميع هذه المراحل من بذرٍ وريٍّ واقتلاعٍ للطفيليات. وهذا الأمر في حد ذاته دليل على حاجة الناس إلى مرشد كامل. إن مثل عبادة المرء بدون مرشد كامل كمثّل طفل جاهل غريب جالس في الحقل يقطع النباتات الأصلية وهو يظن أنه يقتلع الطفيليات. فلا تظنوا أبداً أنكم ستتعلمون العبادة من تلقائكم. كلا، بل لا تتيسر سبل الانقطاع والتبتل التام إلى الله تعالى من دون تعليم الرسول. (الحكم، المجلد ٦، عدد: ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٩-١٠)

الآية ٤: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾

هنا ينشأ سؤال طبيعي: ما الحلّ لهذه المعضلة؟

لقد ذكر الله علاجها في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود: ٤). اعلّموا أن هذه الأمة قد أُعطيت شيئين، أحدهما لاكتساب القوة؛ وثانيهما من أجل تسخير هذه القوة في العمل. والاستغفار هو لاكتساب القوة، ويُسمى أيضا الاستمداد والاستعانة. قال الصوفية: كما أن الرياضة من حمل أثقال وغير ذلك تزيد الجسد قوّة وطاقة، كذلك فإن الاستغفار هو رياضة حمل أثقال روحانية، التي تزيد الروح قوّة، والقلب استقامة. فمن أراد القوة الروحانية فعليه الاستغفار.

والْعَفْرُ هو التغطية والكبت، فبالاستغفار يحاول الإنسان كبت جماح أهوائه وتغطية أفكاره التي تحول دون وصوله إلى الله تعالى. إنما يعني الاستغفار أن يتغلب الإنسان على ما فيه من مواد سامة تريد مهاجمته وإبادته، وأن يعمل بأحكام الله تعالى، متجنبًا العقبات التي تحول دون ذلك.

واعلموا أيضا أنّ الله تعالى قد خلق في الإنسان نوعين من المواد، الأول: المادة السامة التي وُكِّل إليها الشيطان، والثاني المادة التي فيها الترياق والشفاء. عندما يصاب الإنسان بالكبرياء والاعتداد بالنفس، ولا يسعى للاستعانة من النبع الذي فيه شفاء وترياق، تتغلب عليه القوة السامة الموجودة فيه، ولكنه حين يُعَدِّ نفسه ذليلاً وحقيقراً ويشعر في داخله بحاجته إلى عون الله تعالى، يخلق الله له نبغاً، فتذوب به روحه وتنساب، وهذا هو معنى الاستغفار، أي أن ينال المستغفر هذه القوة، فيتغلب على ما فيه من مادة سامة.

خلاصة الكلام: داوموا على العبادة كالآتي: أولاً: أطيعوا الرسول، وثانياً: استعينوا بالله دومًا. أجل! اطلبوا من ربكم القوة، وإذا نلتهم منه القوة فتوبوا وارجعوا إلى الله تعالى. والتوبة والاستغفار أمران مختلفان، والاستغفار مقدّم على التوبة من وجه، لأن معناه الاستعانة والاستمداد من الله تعالى، أما التوبة فهي القيام على القدمين. فمن سنة الله تعالى أن الإنسان إذا استعان بالله أمدّه بقوة تمكنه من القيام على قدميه، فيجد في نفسه قوة لفعل الخيرات، وهو ما عبّر عنه بـ "توبوا إليه". وهذا هو الترتيب الطبيعي أيضا.

باختصار، قد بين الله تعالى هنا الطريق للسالكين، أي أن يستعين السالك بالله تعالى في كل حال، فماذا عسى أن يحقق إن لم يستمدّ من الله القوة؟ إنما يوفق المرء للتوبة بعد الاستغفار. واعلموا يقيناً أنّه من دون الاستغفار يفقد المرء التوفيق للتوبة. أما إذا استغفرتكم على هذا النحو ثم تبتم، كانت النتيجة: ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى

أَجَلٍ مُّسَمًّى. إنما سنة الله أنكم لو استغفرتم، ثم تبتم إلى الله، حزتم الدرجات المكتوبة لكم. كل إنسان يحقق مدارج الرقي إلى نطاق محدد له، فليس بمقدور كل واحد أن يصبح نبيا أو رسولا أو صديقا وشهيدا. التفاضل في الدرجات أمر حق لا شك فيه.

ثم أخبر الله تعالى في سورة هود أن السالك إذا داوم على الأمور المذكورة نال الدرجات والمراتب وفق كفاءته وقدرته، وهذا هو معنى هذه الآية.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، أي إذا كان مكتوبا لأحد الفضل والزيادة، فإن الله تعالى يوفقه في مجاهدته أكثر، فينال فضله المقدر كحق طبيعي له. علما أن "ذِي فَضْلٍ" إضافة ملك ومعناها أن الله تعالى لن يجرمه من هذه الزيادة والفضل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢ م، ص ١٠)

الآية ٧: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

إذا طلب أحد طعاما ألن يعطيه الله وقد وعد: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾. الكلاب والقطط أيضا تملأ بطونها، وتُرزق الحشرات والديدان أيضا. (بدر مجلد ٢، رقم ٤، عدد ١٣/٢/١٩٠٣ م، ص ٢٨)

الآية ٨: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أيضا تجلّ، ولا نفسر الماء هنا بالماء المادي المعروف. بل الله أعلم ما المراد من الماء هنا في هذه الآية، وهو نَحْلٌ يعلم كنهه. كذلك نؤمن بنعماء الجنة أيضا، إذ لن تكون هنالك بقرات وجواميس كثيرة تُحلب وتجمع ألبانها

وَتُصَبِّ فِي حَوْضٍ كَبِيرٍ. كلا! بل قال رسول الله ﷺ إِنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ عَنْهَا أُذُنٌ وَلَمْ يَتَذَوَّقْهَا لِسَانٌ، وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ. مع أنها سميت باللبن والعسل وغير ذلك من النعم وهي تُرى بالعين، ونشرها أيضاً. كذلك هناك أمور كثيرة نلاحظها لكننا لا نجد الكلمات المناسبة للتعبير عنها ولا نقدر على بيانها. لو قسنا هذه الأمور على العالم المادي لنشأت مئات الاعتراضات ويتبين: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣) أن وعد الرؤية موجود هنا أيضاً، لكننا لا نستطيع حملها على الماديات. (بدر المجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣م، ص ٣٨)

الآية ١٥: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

فمن جعلتها وجهٌ يُستنبط من النتائج المتفاوتة التي يجب أن تترتب على عمل ما بأساليب مختلفة. وبيان ذلك أنه من البديهي تماماً عند كل عاقل أنه لو أراد بعض الأدباء المتكلمين، كلٌّ بحسب قدرته العلمية، تأليف مقال خالٍ تماماً من العبث والكذب والحشو واللغو والهزل والهراء والكلام المفتقر إلى المعنى، ومن جميع الأمور التي تخالف الحكمة والبلاغة، ومن الآفات المنافية للكمال والجامعية، وأن يكون من ناحية ثانية فياضاً بالحق والحكمة والفصاحة والبلاغة والحقائق والمعارف؛ لاحتل الدرجة الأولى في تأليفه شخص هو أكثرهم قدراتٍ علمية وأوسعهم معلوماتٍ وخبرةً وأعلامهم قدرة في العلوم الدقيقة وأفضلهم تمريناً وتدريباً وأكثرهم حنكة في مجال التأليف والأدب. ولن يحدث بأي حال أن يساويه من حيث الكمالات في تأليفه مَنْ كان أضعف وأدنى منه قدرةً وعلمًا وموهبةً، وأبسط منه تأهيلاً وعقلاً وذهناً. فمثلاً هناك طبيب حاذق يملك خبرة تامة في علم الأبدان ولديه معرفة كاملة في تشخيص الأمراض والبحث في الأعراض بناءً على ممارسته الممتدة على مدة طويلة من الزمن، وبالإضافة

إلى ذلك هو وحيد عصره في الأدب وفريد دهره في النظم والنثر أيضا، فيستطيع أن يبين كيفية حدوث المرض وعلاماته وأسبابه ببيان فصيح ومفصل بكمال الصحة والشفافية وبأسلوب جميل وبلغ، لا يمكن أن يبينه كمثلته بحال من الأحوال شخص ليس لديه أدنى إلمام بفن الطبابة ويجهل أيضا أساليب الكلام الدقيقة. من الواضح والمفهوم تماما أنّ هناك فرقا بطبيعة الحال بين كلام الجاهل والعاقل. والكمالات العلمية التي يملكها المرء تلاحظ في بياناته العلمية حتما كما يُرى الوجه في المرآة النقية بكل وضوح. والكلمات التي يتفوه بها عند بيانه الحق والحكمة، تُعدّ معيارا للتعرف على مؤهلاته العلمية. والفرق بين الكلام الذي يتدفق من ينبوع العلم والعقل الكامل، والكلام الذي ينتج عن أفكار ضيقة الآفاق ومظلمة ومحدودة، يلاحظ كالفرق الواضح بين الرائحة الزكية والكريهة عند حاسة الشم، بشرط ألا تكون ممسوخة نتيجة آفة فطرية أو مؤقتة. فكّروا في هذا الأمر ما استطعتم وتأملوا فيه كما تريدون، فلن تجدوا نقصا في هذه الحقيقة، ولن تروا فيها من تفاوت من آية جهة.

فلما ثبت من كل الوجوه أن الفرق الكامن بين القوى العلمية والعقلية المختلفة يظهر للعيان حتما من خلال الكلام، فلا يمكن قط أن يستوي الذين هم أفضل وأعلى من حيث العقل والعلم وفصاحة البيان وسمو المعاني مع غيرهم دون أن يبقى ما يميز بينهم وبين غيرهم.

إذن، فإن ثبوت هذه الحقيقة يستلزم ثبوت حقيقة أخرى وهي أنه لا بد أن يكون كلام الله تعالى أعلى وأفضل وعديم المثال من حيث كمالاته الظاهرية والباطنية مقارنة مع كلام الإنسان، لأنه من المستحيل تماما أن يتساوى علم أحد مع علم الله التام. فقد قال ﷺ مشيرا إلى هذه الحقيقة: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ» (هود: ١٥) أي إن لم يقدر الكفار على الإتيان بنظير القرآن الكريم وعجزوا عن المواجهة، فاعلموا أن هذا الكلام ليس كلام بشر، بل نزل بعلم الله

الذي أمام علمه الواسع والتام لا حقيقة لعلوم البشر ولا أهمية لها مطلقاً. ففي هذه الآية جعل وجود التأثير دليلاً على وجود المؤثر من منطلق الدليل "الإيني"^١ وملخصه بتعبير آخر أنه لا يمكن أن يُشبه علم الله تعالى -لكونه الكامل والجامع- بعلم الإنسان الناقص، بل إن الكلام الذي خرج من هذا العلم الكامل وعديم المثال يجب أن يكون أيضاً كاملاً وعديم النظر، ومتميزاً عن كلام الإنسان بجميع أنواعه. فهذا الكمال ثابت في القرآن الكريم.

باختصار، يجب أن يكون هناك فرقٌ بيّن بين كلام الله تعالى وكلام الإنسان، كالفرق بينهما من حيث العلم والعقل والقدرة. فكما أن أفراد نوع البشر هم من جنس واحد، لكنهم مع ذلك يتفاوتون في البيان بسبب التفاوت في العلم والعقل والتجربة والتمرين، ولا يبلغ محدود العلم وضعيف العقل شأواً واسع العلم وقوي العقل أبداً، فكيف تجوز إذن أدنى إمكانية للمساواة معه ﷺ مع أنه منزّه تماماً من الشرك النوعي وجامع للكمالات التامة دون أدنى شك، وهو واحد لا شريك له في صفاته؟ وكيف يمكن لمخلوق أن يجعل علمه الذي لا حقيقة له ولا معنى مساوياً لعلوم الله تعالى غير المتناهية؟ هل بقي شك في إثبات حقيقة أن شوكة الكلام بجميع أنواعها وعظمته الظاهرية والباطنية تابعة للقوى العلمية والقدرات العملية؟ وهل من إنسان لم يطلع بتجربته الشخصية ومشاهدته الذاتية على هذه الحقيقة في أية جزئية صغيرة؟ فلما كانت هذه الحقيقة قوية ومُحكّمة وشائعة ومتعارف عليها بحيث لم يعجز عن فهمها عقلٌ بسيط أيضاً، فما أغبى الذي يعترف بوجودها في الناقصين من بني

^١ الدليل اللَّيْمِيّ والدليل الإيني مصطلحان في علم المنطق. والمراد من الدليل اللَّيْمِيّ هو الاطلاع على المدلول بواسطة الدليل. فمثلاً إذا رأينا الدخان صاعداً في مكان اطلعنا بواسطته على النار. والمراد من الدليل الإينيّ هو الانتقال من المدلول إلى الدليل. فمثلاً حين نجد أحداً مصاباً بالحُمى الشديدة أيقنّا أن فيه مادة صفراوية قوية أدّت إلى إصابته بالحُمى. (المترجم)

البشر، ومع ذلك يصرف وجهه عن الاعتراف بوجودها في الكلام المقدس للذات الكامل الذي يسلم الجميع أنه وحيد فريد وعديم النظير في علومه الكاملة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢١٥-٢٤٧)

الآية ٣٨: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾

أي اصنع الفلك بأعيننا ولا تقل لي شيئا في الشفاعة للظالمين لأني سأغرقهم جميعا. لقد أمهل الله تعالى الظالمين في زمن نوح إلى ألف عام تقريبا، ولو طرحنا الآن أيضا القرون الثلاثة المتمثلة في "خير القرون" لبقى ألف عام. فمن هذا المنطلق تقارب هذه المدة أيضا مدة هلاك قوم نوح بعذاب. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١١٣)

من ناحية وعد الله ﷻ أن الذي سيركب السفينة ينجو، ومن ناحية أخرى قال ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهنا أيضا نهي عن الحديث عن الذين يمارسون الظلم. فالخوف الإلهي والتقوى شيء مبارك جدا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١٦/١١/١٩٠٣ م، ص ٣٣٣)

الآية ٤٥: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

أي قد استقرت سفينة نوح بعد الطوفان في مكان كان مناسباً لها حيث كان النزول على الأرض سهلاً جداً. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١١٩)

هناك بين الكتاب المقدس والعلوم عداوة كالتى تكون بين ضرتين. ورد في الكتاب المقدس أن ذلك الطوفان غطى العالم كله، وكان طول السفينة ٣٠٠ ذراع وعرضها ٥٠ ذراعاً، وحمل نوح فيها سبعة أزواج من كل نوع من الدواب الطاهرة، وزوجين

من كل نوع من الدواب النجسة. والحق أن كِلا الأمرين خطأ. فأولاً لا يُنزل الله تعالى العذاب على قوم ما لم يبلغهم الدعوة بإرسال الرسول إليهم. فمتى كانت دعوة نوح وصلت إلى شعوب العالم كلها حتى يُعَرِّقوا جميعاً؟ وثانياً: كيف وسعت سفينة صغيرة طولها ٣٠٠ ذراع وعرضها ٥٠ ذراعاً سبعة أزواج أو زوجين من حيوانات الدنيا كلها من بهائم ودواب وطيور؟ لقد تبين من هنا أن هذا الكتاب محرّف وتسربت إليه أخطاء كثيرة.

ومن الغريب أن بعضاً من علماء المسلمين السذج أيضاً نقلوا هذه الأمور السخيفة في كتبهم، ولكن القرآن الكريم منزّه عنها تماماً، ولا يمكن أن تثار ضده اعتراضات كهذه. لم يذكر القرآن الكريم طول السفينة ولا عرضها، ولم يذكر أن الطوفان غطى العالم كله، إنما ذكر لفظ "الأرض" فقط، أي الأرض التي بلغ نوح دعوته إلى أهلها. وكلمة "أرارات" التي استقرت عليها سفينة نوح عليه السلام أصلها "أرى ريت"، ومعناها أرى قمة الجبل. فكلمة "ريت" تعني قمة الجبل. وقد ذكر القرآن الكريم كلمة "جودي"، ومعناها: كرمي وجودي، أي استوت السفينة هنالك بكرمي وجودي. (الحكم، مجلده ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٣)

الآية ٤٧: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

إن قوله (أي السير سيد أحمد) بأن الله تعالى وعد في القرآن الكريم باستجابة الأدعية جميعها مع أنها لا تُستجاب كلها ناتج عن سوء فهمٍ شديد. والآية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (المؤمن: ٦١) لا تخدم هدفه قط، لأنه ليس المراد من الدعاء-الذي أمر به في هذه الآية- الأدعية العادية، بل المراد هو العبادة التي فُرضت على الإنسان، لأن فعل الأمر هنا يفيد الوجوب. ومعلوم أن الأدعية ليست كلها واجبة؛ فقد وصف الله تعالى جلّ شأنه الصابرين في بعض الآيات وقال بأنهم يكتفون

بالقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون". والقرينة القوية على فرضية هذا الدعاء هو أنه لم يُكْتَفَ بالأمر فقط بل ذُكر بلفظ العبادة وأُلْحِقَ به الوعيد بعذاب جهنم في حالة العصيان. والمعلوم أن هذا الوعيد لا يرافق الأدعية الأخرى، بل وُيِّخَ الأنبياء عليهم السلام أحياناً على الدعاء، كما تشهد عليه الآية: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. فقد تبين من ذلك بكل وضوح أنه إذا كان كل دعاء عبادةً لما وُيِّخَ نوح ﷺ بالقول: ﴿لَا تَسْأَلْنِ﴾. وفي بعض الأحيان الأخرى حسب الأولياء والأنبياء الدعاء من سوء الأدب؛ فقد عمل الصالحاء بـ "استفت قلبك" في مثل هذه الأدعية؛ بمعنى أنه لو أفتى القلب عند المصيبة بالدعاء توجهوا إليه وإذا أفتى بالصبر صبروا وأعرضوا عن الدعاء. وبالإضافة إلى ذلك لم يَعِدِ الله ﷻ باستجابة الأدعية الأخرى، بل قال بوضوح تام بأنه سيستجيب منها ما يشاء ويرُدُّ ما يشاء. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢-١٣)

الآية ٥٦: ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾

لا تَأْلُوا جَهْدًا وَلَا تَدَّخِرُوا حِيلَةً وَلَا خَدْعَةً وَلَا تَأْمُرُوا لِقَتْلِي، وامكروا كل مكر من أجل إخراجي أو أسري، ولكن اعلموا... سيكون النصر حليفي في النهاية، وستبوء خططكم كلها بالفشل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ١٩٠٢/٧/٢٤ م، ص ٨)

الآية ٨٨: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَاَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾

"الحليم" هو مَنْ كان مصداق "يبلغ الحلم"، والذي يبلغ الحلم يكون شاباً قوياً بطبيعة الحال، لأن أعضاء الجسم الغضة والهشة في الصغر تنال الشدة والصلابة، فانظر القاموس. وإضافة إلى ذلك لقد وردت الكلمة نفسها في الكشف وفي غيره أيضاً للبالغ رشده. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٩٣)

الآية ٩٤: ﴿وَيَا قَوْمِ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اِنِّي سَوَفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا اِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾

أي إذا كان صدقي مشتبهاً عليكم فاعملوا على مكانتكم، وأعمل أنا على مكانتي، ثم انظروا من يحالفه تأييد الله ونصرته أخيراً، وسيغلب حتماً ما كان من عند الله. (بدر، مجلد ٤، رقم ٦، عدد ١٨/٢/١٩٠٥م، ص ٤)

اعملوا على مكانتكم وإني عامل وستعرفون قريباً من الصادق؟ (بدر، مجلد ١، رقم ٣٦، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٥)

الآية ١٠٦: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾

الإنسان الذي عنده نزر يسير من الفيوض الربانية يُسمى في المصطلح القرآني شقياً، أما الذي نال حظاً وافراً فيسمى سعيداً، لقد قسم الله مخلوقه في كلامه إلى السعيد والشقي ولم يقسمهما على أساس الجمال والقبح. فالحكمة في ذلك أن ما صدر من الله لا يمكن أن يقال له سيئاً. لأن ما خلقه ﷻ كله خير وجيد، وللجيد مراتب ودرجات، فالذي يحوز قدراً ضئيلاً من الحسنات فهو السيئ، أما في الحقيقة فلا أحد سيئ. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠ ص ١٣٨، الحاشية)

"فالذي لم يُعطه القسّام ذرة مناسبة بالأولياء والأصفياء، فهذا الحرمان هو الذي يُعبّر بالشقوة والشقاوة عند حضرة الكبرياء. والسعيد الأتم الأكمل هو الذي أحاط عادات الحبيب حتى ضاهاه في الألفاظ والكلمات والأساليب. والأشقياء لا يفهمون هذا الكمال كالأكمه الذي لا يرى الألوان والأشكال، ولا حظ للشقي إلا من تجليات العظمت والهيبة، فإن فطرته لا ترى آيات الرحمة، ولا تشم ريح الجذبات والمحبة، ولا تدري ما المصافاة والصلاح، والأنس والانشراح، فإنها ممتلئة بظلمات، فكيف تنزل بها أنوار بركات؟ بل نفس الشقي تتموج تموج الرياح العاصفة،

وتشغله جذباتها عن رؤية الحق والحقيقة، فلا يجيء كأهل السعادة راغباً في المعرفة".
(سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٥٦)

لا بد أن يبقى شيء من حقيقة الإيمان خافياً لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، هكذا يتكوّن كلا الفريقين. السعداء لا يستعجلون بل يحسنون الظن ويصبرون ويؤمنون، أما الأشقياء فيستعجلون ويعترضون. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٣ م، ص ١١)

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، أي أن الناس نوعان بحسب كفاءاتهم، فحزب منهم وُفقوا لجمع هذه الوسائل وإحراز الأعمال التي تجذب فيوض الله وبركاته فهم يسمّون سعداء، والحزب الآخر من تكون أعمالهم السيئة وخبثهم الباطني حجر عثرة في سبيل رقيهم، فتمنعهم من الأعمال الصالحة وفيوض الله وبركاته. فانظروا في العصر الراهن أيضاً كيف ينزل غيث التأييد السماوي والآيات، ويحدث التقدم كالسيل، لكن لا يستفيد من ذلك إلا من كان في أرواحهم حظ السعادة، فالأشقياء رغم رؤية آلاف الآيات يُرمون السعادة وقبول الحق نتيجة إدخالهم الوسوس الشيطانية فيها. والله ﷻ أيضاً يريد أن يصبح البعض سعداء لسعادتهم الفطرية، ويصير البعض أشقياء لشقاوتهم، وهذا الاختلاف يستمر إلى يوم القيامة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ٢/٤/١٩٠٨ م، ص ٣)

الآية ١٠٨: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾

"وإن قلت: فما بال الناقصين الذين ماتوا على حالة النقصان، وانتقلوا من هذه الدنيا مع أثقال العصيان، فإنهم ما يُردّون إلى الدنيا ليتداركوا ما فات، فكيف يُكمّلون ويجدون النجاة، أو يدخلون في الجنة غير مكتملين، أو يُتركون إلى الأبد معدّين؟ فاسمع.. إننا نعتقد بأن جهنم مُكمّلة للناقصين، ومنبّهة للغافلين، وموقظة للنائمين.

وسمّاها الله أمّ الداخلين، بما تُزهِمُهم كالأَمْهَات للبنين. ونعتقد أن كل بصرٍ يكون يومئذ حديدا بعد برهة من الزمان، ويكون كلُّ شقي سعيدًا بعد حقب من الدوران، ولا يلبثون إلا أحقابًا في النيران، إلا ما شاء الله من طول الزمان، فإنّا ما أُعطينا علم تحديده بتصريح البيان، فهو زمان أبدي نسبةً إلى ضعف الإنسان، ومحدود نظرًا على من المّتان، ولا يُتركون كالأعمى إلى الأبد على وجه الحقيقة، ويكون مآل أمرهم رحم الله والرشد ومعرفة الحضرة الأحدية، بعد ما كانوا قومًا عمين. ونعتقد أن خلود العذاب ليس كخلود ذات الله رب الأرباب، بل لكل عذابٍ انتهاءً، وبعد كلِّ لعنٍ رُحْمٌ وإيواء، وإن الله أرحم الراحمين. ومع ذلك ليسوا سواء في مدارج النجاة، بل الله فضّل بعضهم على بعض في الدرجات والمثوبات، وما يرد على فعله شيء من الإيرادات، إنه مالك الملك فأعطى بعض عباده أعلى المراتب في الكمالات، وبعضهم دون ذلك من التفضلات، ليثبت أنه هو المالك يفعل ما يشاء، ليس فيه إتلافٌ حق من حقوق المخلوقين. ولما كان وجود الله تعالى علّة لكل علّة، ومبدئًا لكل سكون وحركة، وهو قائم على كل نفس، فليس من الصواب أن يُعزى إخلاد العذاب إلى هذا الجنب، وما كان العبد مُختارًا من جميع الجهات، بل كان تحت قضاء الله خالق المخلوقات وقيوم الكائنات، وكان كل قوته مفطورةً من يده ومن إرادته، فله دخلٌ عظيم في شقاوته وسعادته. فكيف يترك عبدًا ضعيفًا في عذاب الخلود، مع أنه يعلم أنه خالقُ الشقي والمسعود، والعبدُ يفعل أفعالًا ولكنه أوّل الفاعلين، وكل عبدٍ صنْعُ يده وهو صانع العالمين. وإنه رحيم وجواد وكريم، سبقت رحمته غضبه، ورفقه شغبه، ولا يُساويه أحدٌ من الراحمين. فلا يُفني كل الإفناء، ويرحم في آخر الأمر وانتهاء البلاء، ولا يدوس كل الدوس بالإيذاء كالمتشددين، بل ييسط في آخر الأيام يده رافّةً ويأخذ حُزْمَةً من الناريّين. فانظر إلى يد الله وحزمته، هل تغادر أحدًا من المعذّبين؟" (عاقبة آتهم، الخزائن

سيبقى أهل جهنم فيها إلى الأبد، ولكن هذه الأبدية ليست كأبدية الله تعالى، بل المراد منها هي المدة الطويلة فحسب، ثم تأخذ رحمة الله تعالى بيدهم لأنه قادرٌ، ويفعل ما يشاء. وفي شرح هذه الآية يقول سيدنا ومولانا النبي الأكرم ﷺ في حديث: يأتي على أهل جهنم زمانٌ ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها.

ولكن للأسف الشديد، إن هذه الأقوام تعتبر الله تعالى عصبيا معتادا على البُغض بحيث لا يهدأ غضبه في وقت من الأوقات؛ فلا يغفر الذنب حتى بعد إدخال المذنبين في التناسخ بلايين المرات التي لا تُعدّ ولا تُحصى. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٧٠-١٧١)

بل علّم أن الكفار سيواجهون العذاب إلى مدة طويلة ولكنهم سينالون نصيبا من رحمته في نهاية المطاف، كما جاء في الحديث: يأتي على أهل جهنم زمان ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها.

كذلك هناك آية في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي أن أهل النار سيقون فيها إلى مدة طويلة ولكن الله سيخرجهم منها حين يشاء، لأنه قادر على أن يفعل ما يشاء. وهذا التعليم يطابق صفات الله الكاملة، لأن صفاته جلالية وجمالية أيضا. فهو الذي يُجرح ثم يُضمّد أيضا الجراح بالمرهم.

ومن غير المعقول تماما ويناقض صفات الله ﷻ الكاملة أن تتجلى دائما صفات غضبه فقط بعد إلقاء أهل الجحيم في النار، ولا تتجلى صفة رحمته وعفوه وتبقى صفات لطفه ورحمه معطّلة إلى الأبد. بل يتبين مما قاله الله تعالى في كتابه العزيز أنهم سيقون في جهنم إلى مدة طويلة أطلق عليها "الأبد" على سبيل الاستعارة من منطلق ضعف البشر. ثم تتجلى صفة الرحم واللطف ويضع الله تعالى يده في جهنم ويُخرجون منها بقدر ما يقع منهم في قبضة يده. ففي هذا الحديث إشارة إلى نجاة الجميع في نهاية المطاف، لأن قبضة يد الله تعالى غير محدودة كمثله ﷻ فلن يبقى أحد خارجها.

وليكن معلوما أنه كما تطلع النجوم تباعا كذلك تماما تتجلى صفات الله تعالى. فتارة يكون الإنسان تحت ظل صفات الله الجلالية واستغناؤه الذاتي، وتارة أخرى يقع عليه ظل صفاته الجمالية. وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٣٠). من الخطأ الفادح الظن بأن صفات الله مثل الحِلْم والرحم سُحِجَ بعد أن يُلقى المجرمون في جهنم، ولن تتجلى بعدها أبدا، لأن تعطل صفات الله مستحيل. بل الحق أن صفة الله الحقيقية هي الحب والرحم، وهي أم الصفات وهي التي تتجلى أحيانا بصورة الجلال والغضب لإصلاح الناس، وعندما يتم الإصلاح يتجلى الحب بأسلوبه الخاص ويدوم إلى الأبد كهيئة من الله تعالى. إن الله ليس كإنسان عصبي الطبع حتى يحب التعذيب دونما سبب، فهو لا يظلم أحدا، بل الناس أنفسهم يظلمون. ففي حبه النجاة كلها وفي تركه العذاب كله. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٨-٣٧٠)

من غير المعقول أصلا أن يعاقب الإنسان عقوبة أبدية ل يبقى أهل جهنم فيها إلى الأبد كأبدية الله تعالى، إذ إن في تقصيراتهم دخلا لله أيضا إلى حد ما لأنه هو الذي خلق قوى كانت فيهم ضعيفة. فمن حق أهل النار أن يستفيدوا من الضعف الذي أودع الله فطرتهم. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٨-٣٦٩، الحاشية)

سيعاقب الإنسان على ارتكاب الذنب ويعذب، إلا أن هذا العذاب ليس أبديا كأبدية الله، إذ سوف يخلص المرء من جهنم بعد إصلاحه بالكموت فيها مدة معينة. فهذا ما ثبت من كلام الله سواء سلم به أحد أم لم يقبله. فقد ورد بعد ذكر الجنة: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ﴾ وحين ذُكرت جهنم قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فبالندبر في هاتين الآيتين يتبين بجلاء أن أهل الجنة لم يخوفوا، بينما أعطي أهل جهنم أملا في الخلاص حتما.

فقد ورد في حديث أن النبي ﷺ قال بأنه لو لم يرد بحق الجنة ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ لظل أهل الجنة خائفين أيضاً، لكن الله أضاف جملة ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ وبذلك أزال ذلك الخوف أي هذا عطاء من الله ولا يستعاد. وفي هذا الخصوص قد قرأت حديثاً آخر أيضاً ورد فيه: يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد، ونسيم الصبا تحرك أبوابها. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٥، عدد ٣٠/٥/١٩٠٨م، ص ٣)

لا نعتقد حتماً أن المذنبين سيواجهون عقوبة أبدية، بحيث لن ينالوا النجاة أبداً، بل نؤمن أن فضل الله ورحمته سينقذ المذنبين أخيراً، ولذلك حين ذكر العذاب في القرآن الكريم قال الله ﷻ ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣م، ص ٢)

أقول بكل قوة ويقين وبصيرة بأن الله تعالى قد أراد أن يقضي على الأديان الأخرى كلها ويهب الإسلام الغلبة والقوة، ولا يد ولا قوة تقدر على مقاومة إرادة الله هذه، فهو: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٤)

سيبقى الكفار في جهنم إلى الأبد ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ولم يقل الله ذلك عن أهل الجنة لأن ذلك وعدٌ وليس وعيداً. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٩٦)

لقد ورد في القرآن الكريم ذكر عقوبة الكفار والمشركين بجهنم أبدية، بصورة متكررة، كما قال تعالى مراراً: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء: ١٧٠) ومع ذلك ورد أيضاً في القرآن الكريم في حق أهل جهنم: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وكذلك جاء في الحديث أيضاً: يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها. وقد ورد في بعض الكتب حديث بالفارسية أيضاً: این مشتمل خاک را اگر نه بخشم چه کنم. أي: يقول الله تعالى ماذا أفعل لو لم أغفر لهذه الحفنة من التراب. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٩٦، الحاشية)

ذكر القرآن الكريم نعم الجنة قال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾، وهكذا يجب أن يكون، إذ لولا ذلك لم يبق عند الإنسان الأمل واستولى عليه القنوط. برؤية طول أمد نعم الجنة يزداد الإنسان سرورا، وبرؤية كون جهنم لمدة محدودة يتقوى عنده الأمل على فضل الله تعالى. قال الشاعر:

گویند کہ بحشر جستجو خواهد بود وای عزیز تند خو خواهد بود
از خیر محض شرّے نیاید هرگز خوش باش که انجام بخیر خواهد بود

أي: يقال إنه سيكون الحساب يوم الحشر، وأن الحبيب سيكون قاسيا في ذلك اليوم، ولكن المستحيل أن يسيء صاحب الخير المحض إلى أحد، فاطمئن بأن العاقبة ستكون خيرا بإذن الله. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٩، عدد: ٢٦/٥/١٩٠١ م ص ٣)

الآية ١٠٩: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ﴾

السعداء يُدخَلون الجنة بعد الممات وسيبقون فيها ما دامت السماوات الأرض. ولو بُدِّلَت السماوات والأرض كما سيحدث يوم القيامة لما أُخْرِجُوا منها، ولن يحدث في الجنة خلل بسبب تحلل السماوات والأرض، لأن الجنة عطاء لن يُحْرَمُوا منه لحظة واحدة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨٠-٢٨١)

لقد قال الله ﷻ عن الجنة: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾، أي هذه النعمة ليس لها انقطاع، فلو لم يكن ذلك لظل المؤمنون في الجنة يخافون الإخراج، لكنه لم يرد مثل ذلك عن جهنم في المقابل، بل قد ثبت من الحديث أنه سيأتي على جهنم زمان يكون أهلها كلهم قد خرجوا منها، ورحمة الله ﷻ هي الأخرى تقتضي ذلك. فالإنسان مخلوق الله أولا وآخرا، فسوف يزيل الله نقاط ضعفه، وينجيهِ من عذاب جهنم رويدا رويدا. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ٣/٤/١٩٠٨ م، ص ٤)

الآية ١١٣: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

انظروا إلى رسول الله ﷺ كيف شيبه أمرٌ رباني واحد: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾. كم كان إحساسه بالموت قويا! لماذا صارت حالته هكذا؟ ليس إلا لنأخذ من ذلك درساً وعبرة، وإلا فقد بلغت حياة النبي ﷺ من الطهر والقداسة أن جعله الله تعالى هاديا كاملا إلى يوم القيامة وللعالم بأسره. ذلك لأن سوانح حياته كلها كانت مجموعةً للأحكام العملية. فكما أن القرآن الكريم كتاب الله القولي، وقانون الطبيعة كتاب الله العملي، كذلك فإن حياة النبي ﷺ هي الكتاب العملي، وكأنما هي شرح وتفسير للقرآن الكريم. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ١١)

يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، أي كُنْ مستقيما بحيث لا يبقى فيك أدنى عوج من سوء الأعمال، وعندها سأكون راضيا عنك. والمراد أن على النبي ﷺ أن يكون مستقيما بنفسه، وأن يجعل الآخرين أيضا مستقيمين. كم كان تقويم العرب صعبا؟ (الحكم، مجلد ٥، عدد ٣١/٧/١٩٠١م، ص ٣)

لقد قال رسول الله ﷺ لدى استفسار الناس: "شَيْبَتْنِي هُوْدٌ"، لأن هذا الأمر الرباني قد حمّلي مسؤولية جسيمة جدا. ذلك أنه يمكن للمرء أن يقوم نفسه ويطيع أوامر الله تعالى طاعة كاملة، أما أن يجعل الآخرين مستقيمين ومطيعين، فهذا ليس بسهل أبدا. ومن هنا يتجلى سمو مكانة نبينا الأكرم ﷺ وعظم قوته القدسية. انظروا كيف عمل ﷺ بهذا الأمر الرباني حيث أعدّ جماعة طاهرة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حتى وصفهم الله بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١)، وسمعوا نداء الله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة: ١٢٠) و(البينة: ٩). ولم يبق إلى نهاية حياة النبي ﷺ أي منافق في المدينة الطيبة.

باختصار، قد حقق النبي ﷺ نجاحًا لم يوجد له مثيل في وقائع حياة أي نبي آخر. وقد أراد الله تعالى ببيان ذلك ألا يقتصر أمرنا على ثثرة اللسان فقط، إذ لو بقي مقتصرًا على القيل والقال والرياء فقط فما الذي يميزنا عن غيرنا، وما وجه فضلنا على الآخرين؟ (الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠ ١٠/٠٨/١٩٠١ م، ص ١)

لا بد أولاً من تحمّل بعض المشاكل والصعوبات في المدارج لتحقيق الاستقامة الابتدائية، لكنها عندما تتحقق، تتسبب في السرور والراحة الدائمة. فقد ورد أن رسول الله ﷺ حين تلقى التوجيه الإلهي: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، لم تكن فيه أي شعرة بيضاء، وبعده بدأ شعره يبيض، فقال شَيْتَنِي هود. باختصار، لا يستطيع الإنسان أن يميل إلى الحسنات ما لم ينتبه إلى الموت. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ١٠-١١)

الآية ١١٥: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾

إنه لمن خطأ المرء الاعتقاد بأنه يمكن أن يفوز بالنجاة مجاناً، وأن الأعمال غير ضرورية كما يعتقد النصارى. إن إلههم الافتراضي صام أربعين يوماً مثلما صام موسى عند طور سيناء، فإذا لم تكن للأعمال أي أهمية فلماذا قام هذان الجليلان كلاهما بهذا التصرف السخيف؟! أما نحن فنرى أن الله يكره الخطيئة أشد الكراهية، ونفهم منه أنه يفرح جداً بكسب الحسنة. ففي هذه الحالة تكون الحسنة كفارة عن السيئة، فإن أحرز المرء بعد ارتكاب سيئة حسنة رضيها الله؛ فمن الضروري أن يُلغى الأمر الأول ويُقرّر الأمر الثاني، وإلا لن يبقى العدل. وبحسب ذلك يقول الله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، ويمكن أن نقول إن السيئة تكن في طياتها تأثيراً ساماً يوصل إلى الهلاك. وكذلك لا نجد بداً من الإيمان بأن الحسنة هي بمنزلة ترياق يُنقذ من الموت. فمثلاً إن إغلاق جميع أبواب البيت سيئة تؤدي بالضرورة إلى

أن يكون البيت مظلمًا، والحسنة مقابلها أن يُفْتَحَ بابُ البيت الذي يواجه الشمس، وتأثير هذه الحسنة الحتمي أن يعود النور الضائع إلى البيت، أو بتعبير آخر يمكن أن نقول بأن العذاب أمر سلبي؛ لأن العذاب عبارة عن انعدام الراحة، والنجاة أمر إيجابي؛ أي أن تحقق الراحة والسعادة من جديد يسمى نجاة. فكما أن الظلمة هي غياب النور، كذلك فإن العذاب هو انعدام السعادة. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٨٠-٨١)

الهداية الإضافية التي وعد الله بها بالنسبة إلى الصلاة هي أن يحظى الإنسان في طبعه بحماس وحب خالص وخشوع وتبتّل كامل حتى تُفْتَحَ عيناه لرؤية حبيبه الحقيقي، وتتسنى له لرؤية جمال البارئ تعالى حالة خارقة وزاخرة تماما بلذات روحانية تنقّر القلب من الرذائل الدنيوية وكافة أنواع المعاصي، سواء أكانت تتعلق بالقول أو الفعل أو البصر أو السمع بحسب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٣٩)

أرى أن مدمن الخمر إذا لم يجد متعة بشرب قليل منها يشرب كأسا تلو كأس إلى أن يشعر بالسكر والنشوة. وبوسع العاقل الفطن أن ينتفع من هذه الظاهرة، أعني يجب عليه أن يداوم على الصلاة ولا ينقطع عنها إلى أن يجد المتعة فيها. وكما أن في ذهن مدمن الخمر هدفًا ينشده وهو أن يجد المتعة بشرها، كذلك على المصلي أن يركز ذهنه وكل ما فيه من قوى على نيل تلك المتعة المودعة في الصلاة، ثم يجب أن يدعو الله تعالى بصدق القلب وكامل الإخلاص والحماس لنيل تلك اللذة - شأن شارب الخمر - في قلق واضطراب وكرب من أجل نشوته، فإني أقول والحق أقول إنه سيجد في الصلاة المتعة والحلاوة حتما وبقينا. ثم يجب أن ينشد في صلاته تلك المنافع التي تتحقق بها. كما عليه أن يراعي الإحسان حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٥)

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فعليه أن يدعو الله تعالى في الصلاة - آخذا

هذه الحسنات واللذات في الحسبان - بأن يوفقه لصلاة الصديقين والمحسنين.

لقد قال الله تعالى هنا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أن الأعمال الحسنة أو

الصلوات يقضين على السيئات، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، ولكننا نرى البعض يعملون السيئات مع

أنهم يصلّون! لماذا؟ والجواب أنهم يصلّون، ولكن بدون الروح والصدق، وإنما ينكرون

نقرات تقليدا وعادة فحسب، وأرواحهم ميتة، ولم يسم الله تعالى صلاتهم حسنات.

والجدير بالذكر أن الله تعالى قال هنا: "الحَسَنَات" ولم يقل: "الصلاة"، مع أن المعنى

واحد، ذلك ليشير الله إلى ما أودعه في الصلاة من ميزة وحسن وجمال، وليبين أن

الصلاة التي تتسم بروح الحق وفيض التأثير تُذهب السيئات حتما وبقينا. (مجلة

مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ٥)

العودة إلى المركز الأصلي وحدها توجب الراحة في النظام الروحاني وتُبعد عن

الأم والحزن الذي نشأ من ترك المركز وهذه هي التوبة، وتنشأ الظلمة من البعد مثله

يقال له الضلالة والجهنم. والسعادة التي تنتج من العودة إلى المركز الأصلي يُعبر عنها

بالجنة. والعودة إلى الحسنات التي ترضي الله بترك الذنوب تكفر السيئة وتزيلها وتزيل

نتائجها أيضا. لذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. ولأن في

السيئة سمًا قاتلا، وفي الحسنة ترياق الحياة، لذا فإن الوسيلة الوحيدة لإزالة سُم الذنب

هي الحسنة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٤-٥)

الصلاة تزيل السيئات كلها، والمراد من الحسنات هو الصلاة. (الحكم، مجلد ٦،

رقم ٣٨، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٢م، ص ١٢)

الحسنات تزيل السيئات كلها، والمراد من الحسنات هنا هو الصلاة. (الحكم،

مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٦)

الآية ١١٦: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

إن الله لا يضيع سعي ساعٍ حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٦١-١٦٢)

الآية ١٢٠: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

من المستحيل أن يؤمن الجميع لأنه بموجب آية: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. وبموجب آية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦)؛ فإن إيمان الجميع ينافي النص الصريح، فالمراد هنا السعداء منهم فقط. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٧٤، الحاشية)

الآية ١٢٤: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾، الاستنتاج من ذلك أن الإنسان مكره خطاً. لقد قال الله تعالى أيضاً في القرآن الكريم بأني أنا أنزل المطر وأخلق البرق والصاعقة وأنبت الزروع، ولكن الاستنتاج من ذلك أنه ﷻ يرفض الأسباب الطبيعية التي تتسبب في نزول الأمطار ونشوء الرعد والبرق استنتاج باطل ولغو تماماً لأنه ﷻ نفسه يقول بأن كل هذه المراحل تتولد من الأسباب الطبيعية. والحق أن بيان الله تعالى كما في قوله بأن الأمطار تنزل بأمره وتنبت الزروع بأمره وتتولد البرق والصواعق بأمره، وتنبت الثمار أيضاً بأمره، وهلم جرا، وكل شيء خاضع لقدرتي ويحدث بأمره؛ ليس المقصود منها أن يُثبت أن سلسلة الكون مكرهة ومسيّرة كلياً. بل تهدف إلى إثبات عظمة الله ﷻ وكونه علة العلل ومسبب الأسباب لأن الهدف الحقيقي لتعليم القرآن هو نشر التوحيد الخالص في الدنيا ومحو الشرك من كل نوع

وقد كان في انتشار مستمر. ولما كانت العقائد الشركية منتشرة في جزيرة العرب عند نزول القرآن وكان البعض ينسبون نزول المطر إلى النجوم، والبعض الآخر كانوا يحسبون - مثل الملحدين - وجود الأشياء كلها مقتصرًا على الأسباب الطبيعية، وقد اتخذ غيرهم إلهين اثنين فكانوا ينسبون القضاء والقدر غير المناسب إلى "أهرمن"؛ فكان من واجب كتاب الله الذي نزل ليقضي على تلك الأفكار كلها، أن يبين أن الله وحده هو علة العلل ومسبب الأسباب. وكان هناك بعض آخرون يحسبون المادة والروح أزليتين ويعدّون كون الله علة العلل فكرة ضعيفة وناقصة. إذًا فإن كلمات القرآن الكريم بأن كل شيء يُخلق بأمر الله، كانت تهدف إلى إقامة التوحيد الخالص. وإن استنتاج كون الإنسان مكرها ومسيرًا من مثل هذه الآيات هو تفسير القول بما لا يرضى به قائله. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٤٠-٢٤١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة يوسف



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢٢: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

إن الله قادر على تنفيذ إرادته ولكن أكثر الناس يجهلون مدى قهره وجبروته... إن الله تعالى ليس عاطلا في الأرض كالمليك الذي يطاح بعرشه، بل إن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته ومجازاته لجارية في الأرض، وإنه لقادرٌ على نصره الذين يعبدونه وإهلاك المجرمين بغضبه. (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٨)

إن الله تعالى.... ليس تابعا لمشيئة أحد بل هو إله وغالب على أمره. (الحكم،

أنا في أواخر مراحل حياتي، وقد جربت دوماً أن الله ﷻ هو وحده غالب، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨ - ١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٢٣: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
ليس المراد من كلمة "أشد" هي النبوة بل المراد هو بلوغ كمال العمر. الأشد نوعان: أحدهما يتعلق بالوحي والآخر هو "الأشد" الجسدي. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ٧/١١/١٩٠٢م، ص ١٢)

الآية ٢٥: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

إن علاقة شهوات النفس أحب إلى الإنسان بطبعه من علاقته بالمال. لذا يضحي بكل سرور في سبيل شهوات النفس بماله الذي يعتبره مدار الراحة. وتكفي شهادة على الثورة الخطيرة لهذه الحالة الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. أي أن هذه الثورة عاتية جداً، وإن كبح جماحها يحتاج إلى برهان قوي. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٣٧)

﴿لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، أي قد منّا على يوسف لنصرف عنه السوء والفحشاء. (البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، الخزان الروحانية، المجلد ١، ٦٦١-٦٦٢، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

الآية ٢٧: ﴿قَالَ هِيَ رَأَوْدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

اعلموا أن "زليخا" اتهمت يوسف بن يعقوب بغير وجه حق فقال الله تعالى عن ذلك في القرآن الكريم: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ براءة يوسف. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٩٨)

الآية ٣٢: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾

يثبت استيلاء حب الله ومشاهدة عظمتة التامة عندما يعدُّ العاشق الهائم نفسه معدوماً - بسبب العشق وحده - أمام حبيبه مع أنه يعلم من خلال العقل والشرع أن الأشياء من حوله ليست معدومة في الحقيقة. فمعلوم أنه عندما يطلع النهار يستولي نور الشمس على أعين الناس فلا يرون النجوم مع معرفتهم بوجودها، كذلك يظهر استيلاء محبة الله وعظمتة في عين المحب الصادق كأن العالم كله أمام حبيبه معدوم. وإن كانت هذه الأنوار ظاهرة في العشق الحقيقي بأكمل وأتم درجة، ولكن أحياناً يصل من ابتلي بالعشق المجازي درجةً من العشق يحسب فيها كل شيء غير معشوقه بل حتى نفسه كالمعدوم، كما قيل إن قيس (مجنون ليلي) قد جنَّ في المرحلة الأخيرة من العشق حتى بدأ يقول "أنا ليلي". ليس صحيحاً أنه صار ليلي حقيقة، بل سبب ذلك أنه كان يغرق شيئاً فشيئاً في تصور ليلي حتى بدأ ينسى نفسه رويداً رويداً، إلى أن وصل استغراقه إلى الكمال وأفنى نفسه لدرجة بدأ يقول في جنون العشق "أنا ليلي"، وترسخ ذلك في قلبه أنه ليلي حقيقة. قصارى القول: إن عدَّ الغير معدوماً من لوازم كمال العشق وإن كان الغير معدوماً حقيقة فليس له علاقة باستيلاء المحبة وجنون العشق. وإن ظهور آثار الاستغراق الفكري ليس بأمر يصعب فهمه عند الانسان. نعم ما قال الشيخ مصلح الدين الشيرازي:

نه از چينم حكایت كن نه از روم كه دارم دلستانه اندرین بوم

چوروى خوب او آيد بيام فراموشم شود موجود و معدوم

أي: لا تذكروا قصة الصين ولا الروم لأن حبيبي يسكن بداخلي

كلما أتذكر وجه ذلك الجميل أنسى الحاضر والغائب

يقول في موضع آخر:

باتو مشغول وباتو هم اہم واز تو بخشایش تو میخواستہم
تامراز تو آگہی دادند بوجودت گراز کود آگاہم

أي: إن بالي مشغول بك، وأطلبك منك

ينبغي أن يعرفني الناس بواسطتك أنت، إن كنتُ أعرف وجودي
وكان من أثر الاستغراق الفكري أن صديقات زليخا قطعن أصابعهن. (مكتوبات
أحمد، المجلد الأول، ص ٥٩٣-٥٩٤)

الآية ٣٤: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾.. ملخص الكلام أنه لو أرادت امرأة
ذلك لفضلتُ عليه السجن لنفسي. هذا كان دعاء يوسف بن يعقوب عليهما
السلام الذي سُجن بسببه. ص الكلام أنه لو أرادت امرأة ذلك لفضلتُ لنفسي
السجن. هذا كان دعاء يوسف بن يعقوب عليهما السلام الذي سُجن بسببه.
(البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٩٨-٩٩)

تُحلُّ المسائل بسرعة برؤية النظائر والأمثال. وإذا أردنا رؤية نظير الصديق في الزمن
الغابر، فهو صدق يوسف ﷺ، الذي تمسك بالصدق حتى سُمِّي "يوسف الصديق".
امرأة شابة جميلة ذات نسب عال وادعاءات كبيرة، تريد به الفاحشة وهما في خلوة تامة،
ولكن وهما لهذا الصديق الذي رفض أن يتعدى حدود الله، ورضي له بكل آفة وأذى
حتى السجن في هذا السبيل، حيث قال داعياً ربه: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي
إِلَيْهِ﴾. فما أدلَّ ذلك على فطرة يوسف ﷺ النقية وغيبرته العظيمة على النبوة، إذ لم
يذكر أي أمر آخر سوى السجن. لماذا لم يذكره؟ لأنه كان عاشقا مشغولاً بحسن الله
وإحسانه، ولم يُرَفِّقه شيء سوى حبيبه ﷺ، فلم يرضَ بأن يتعدى حدود الله تعالى.

يقال أن يوسف عليه السلام بقي في السجن مدة طويلة تُقدَّر بحوالي اثني عشر عاماً، ولم ينطق خلالها بكلمة شكوى قط، بل ظلَّ راضياً بالله وبقدره كل الرضا، ولم يرسل أيَّ طلبٍ إلى الملك لإعادة النظر في قضيته أو لإطلاق سراحه. بل يقال أن تلك المرأة الأنانية زادت من معاناته سعيًا لإغوائه، ولكن ذلك الصديق أبي إلا التمسك بالصدق، فسماه الله صديقًا. ومن مقامات الصديق أنه لا تقدر أي آفة من آفات الدنيا أو معاناة أو ذلة على أن تجعله يتعدى حدود الله، بل كلما ازداد البلاء زاد مقام صدقه قوةً ولذةً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٥م، ص ٢)

الآية ٤٧: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

إن مثل هذا اللقب كمثل لقب "الصديق" الذي لُقِّب به فرعون، ملك مصر، يوسف عليه السلام، فعندما رأى أنه قبل لنفسه السجن لمدة ١٢ عاماً حفاظاً على صدقه وعفته وتقواه، ولم يخضع لإغواء الفاحشة، ولم ينحس بها قلبه ولا للحظة واحدة، عندها خلع عليه الملك لقب "الصديق" كما يتبين ذلك مما ورد في سورة يوسف: - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾. يبدو أنه كان أول لقبٍ من ألقاب الناس الذي أعطيه يوسف. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٠٣، الحاشية)

الآية ٥٤: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

من خواص النفس الأمارة أنها تميل الإنسان إلى السيئات التي تُغايِر الأخلاق وتُنافي الكمال، وتدفعه إلى السير في مسالك السوء ومذاهب المنكر. فخرج الإنسان عن حد الاعتدال وجمَّوحه إلى السيئات، حالة تسبق حالته الأخلاقية وتستولي عليه بصورة طبيعية، وتسمَّى هذه الحالة طَبِيعِيَّة ما لم يمش الإنسان في ظل

العقل والمعرفة، وإنما يتبع - كالبهائم - النوازغ الطبعية في الأكل والشرب والنوم واليقظة والغضب والغضب وما شابه ذلك من الميول والأهواء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣١٦-٣١٧)

"فإن النفس الأمارة ثعبان تبسط شرك الهوى، ويهلك الناس كلهم إلا من رحمه ربّه وبسط عليه جناحه باللطف والهدى." (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٨٤)

الطوفان الذي يهيج نتيجة غلبة الشهوات النفسانية فهو خطر جدا ويدوم طويلا ولا يزول قط إلا ما رحم ربي. وكما أن العظم أصلب وأشد من جميع أعضاء الإنسان وعمره طويل، كذلك القوة الإيمانية - التي تدفع هذا الطوفان - أشد وأقوى بكثير وتبقى طويلا لتتمكن من دوس هذا العدو تحت الأقدام بعد مقاومة طويلة، وذلك بفضل الله وبرحمته فقط، لأن طوفان الشهوات النفسانية طوفان خطير ومخيف جدا ولا يزول بدون رحمة الله الأحد، لذلك اضطر يوسف عليه السلام إلى القول: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. وكما وردت في هذه الآية عبارة: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ كذلك وردت في ذكر الطوفان الذي حدث في زمن نوح عليه السلام كلمات مماثلة كما قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، أي أن الخلاص منها مستحيل إلا أن يرحم الله. وهذه إشارة إلى أن طوفان الشهوات النفسانية يشبه من حيث عظيمته وهيئته الطوفان الجارف في عصر نوح عليه السلام. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٠٦)

النفس ثلاثة أنواع؛ النفس الأمارة واللّوامة والمطمئنة. ومن النفس المطمئنة ما يُسمّى النفس الزكية، وهي نفس الأطفال التي لم تتلّطخ بشوائب الدنيا بعد، والذين يسيرون على طريق مستوٍ لا يعرفون انخفاضاً ولا ارتفاعاً. والنفس الأمارة هي تلك التي تكون مصابة بهوى الدنيا.

والنفس اللوامة هي تلك التي تعود إلى صوابها، وتفكر في زلاتها، وتجاهد وتدعو الله تعالى لاجتناب سيئاتها، وتطلع على نقاط ضعفها.

والنفس مطمئنة هي تلك التي تجد القوة والقدرة بفضل الله تعالى على اجتناب السيئات بكل أنواعها، وتكون في مأمن من الآفات والمصائب كافة، وهكذا تجد من ثلج القلب والاطمئنان ما لا يبقى معه شيء من الحزن والقلق. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠١م، ص ٣)

إن في الإنسان نفساً، ولها ثلاثة أقسام: الأمانة، واللوامة، والمطمئنة. وصاحب النفس الأمانة لا يملك نفسه عند هيجان المشاعر والثوائر، فيخرج عن حد الاعتدال ويسقط أخلاقياً. أما صاحب النفس اللوامة فيتمالك نفسه. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٩)

يتبين من القرآن الكريم أن لنفس الإنسان ثلاث حالات. الأولى هي الأمانة والثانية اللوامة والثالثة يتضح من القرآن الكريم أن لنفس الإنسان ثلاث حالات: الأمانة، واللوامة، والمطمئنة. في حالة النفس الأمانة يكون الإنسان كأسير في قبضة الشيطان، ويميل إليه كل الميل. وأما في حالة النفس اللوامة فيندم المرء على أخطائه وينيب إلى الله تعالى نادماً، غير أنه يبقى في نوع من الصراع، فتارةً يخلد إلى الشيطان وأخرى يميل إلى الرحمن. وأما في حالة النفس مطمئنة فيدخل المرء في زمرة عباد الرحمن. وتعبير آخر، إن النفس مطمئنة هي أرفع نقطة وتقابلها من الأسفل النفس الأمانة، وبينهما النفس اللوامة التي هي كلسان الميزان، فكلما أخلد إلى الأسفل صار أسوأ وأرذل من الحيوانات، وكلما رجع إلى نقطة الرفعة اقترب من الله تعالى بقدر ارتفاعه، وخرج من الحالات السفلية والأرضية ونال نصيباً من الفيض العلوي والسمائي. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٣٣)

للنفس ثلاثة أصناف، النفس الأمانة واللؤامة والمطمئنة. في الصنف الأول يكون الإنسان أصمّ وأبكم لا يعرف إلّام مسيره. فتقوده الأمانة حيث تشاء. وبعد ذلك حين ينزل الفضل الإلهي تنشأ اللؤامة في حالة المعرفة البدائية حيث يميز السيئة من الحسنة، فينفر من الذنب ولا يقدر قدرة تامة على التخلي عنه عمليا فيستمر نوع من المعركة بين الصلاح والشيطان إذ يغلب تارة ويغلب تارة أخرى، ثم تتحول هذه الحالة إلى المطمئنة رويدا رويدا. عندها لا ينفر صاحبها من الذنوب فحسب بل يحظى بالانتصار في الصراع مع الذنب ويجتنبه وتصدر منه الحسنات دون تكلف. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٥)

حين يعمل المرء بحسب الأمور الشرعية، ويتحلى بالتقوى فإن الله ينصره ويحميه من المكروهات والسيئات، وهذا هو معنى ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠٣م، ص ٢٠)

تنقسم النفس إلى ثلاثة أقسام، النفس الأمانة والنفس اللؤامة والنفس المطمئنة، وهناك نفس زكية أيضا، لكنها حالة الطفولة، حيث لا يصدر الذنب منها، لذا بعدها وبعد مرحلة البلوغ يخص النقاش ثلاثة أنواع من النفوس فقط. ففي حالة النفس الأمانة يكون الإنسان عبدا للشيطان والنفس، وتابعا للأهواء النفسانية وأسيرا لها، حيث يكون مستعدا للاستجابة لكل ما تأمره النفس استعداد الخادم لاستجابة أوامر سيده بكل تواضع، فبصفته خادما للنفس ينجز ما تطلبه منه النفس؛ إذا قالت له أن يقتل فيقتل، وإذا قالت له أن يزيئ أو يسرق أو أن يعمل عملا آخر فإنه ينجزه فوراً، فهو ينجز كل فاحشة وسيئة بأمرها كالخادم، هذه هي حالة النفس الأمانة، وهذا الإنسان تابع للنفس الأمانة.

بعدها تأتي النفس اللؤامة، ففي هذه الحالة أيضا تصدر الذنوب من الإنسان باستمرار إلا أنه يلوم النفس أيضا دوماً، ويسعى جاهداً ويدبر أن يتخلص من

الذنب، فالذين هم في حالة النفس اللوامة يكونون في صراع؛ أي يصارعون الشيطان والنفس دوماً، فأحياناً تغلبهم النفس فتصدر منهم العثرة، وأحياناً يغلبونها ويكبحونها. فهؤلاء سباقون على النفس الأمارة. فبين أصحاب النفس الأمارة والبهائم لا يبقى أي فرق، كما أن الهر والكلب حين يرى الإناء مكشوفاً ينقضّ عليه، ولا يفكر هل فيه حق له أم لا. وكذلك حين يتسنى للإنسان التابع للنفس الأمارة ارتكابُ سيئة يرتكبها فوراً، ويبقى مستعداً لها دوماً، فإذا وجد في الطريق بضع روبيات استعد فوراً لالتقاطها، دون أن يفكر فيما إذا كان يستحقها أم لا. بينما صاحب اللوامة لا يكون على هذه الحالة، فهو في صراع مع النفس حيث يغلبها طوراً وتغلبه تارة، ولم يحرز الانتصار الكامل بعد. أما الحالة الثالثة التي تسمى المطمئنة ففيها تنتهي جميع الصراعات والمعارك ويتحقق له الفتح الكامل، ولذلك سميت بالنفس المطمئنة، أي الحائزة على الاطمئنان. عندها يؤمن بالله ﷻ إيماناً صادقا، ويوقن بأن الله فعلاً موجود، فالحد الأقصى للنفس المطمئنة هو الإيمان بالله ﷻ، لأن الإنسان ينال الطمأنينة الكاملة عندما يكون إيمانه بالله كاملاً.

اعلموا يقينا أن أساس كل طهارة وبرٍّ هو الإيمان بالله ﷻ، فقدر ما يكون إيمان المرء بالله ضعيفاً يحدث في أعماله الصالحة ضعف وهوان، لكن حين يكون الإيمان قوياً، ويوقن المرء بالله بجميع صفاته الكاملة، يحدث في أعماله تغير غريب، فالمؤمن بالله ﷻ لا يقدر على ارتكاب الذنب. لأن هذا الإيمان يقطع قواه النفسانية وأعضاء الذنب، كذلك إذا أُخرجت عيون أحد فكيف يقدر على سوء النظر بها؟ وكيف يصدر منه ذنب العيون، وكذلك لو بُترت يداه وقطعت قواه الشهوانية فكيف يقدر على ارتكاب الذنوب التي تصدر من هذه الأعضاء، ومثل ذلك تماماً حين يكون الإنسان حائزاً على النفس المطمئنة، فهذه النفس تُعَمِّيه ولا تبقى في عيونه قوة لارتكاب الذنب، فهو ينظر ولا يرى، لأنه تُسلب من عينيه القدرة على ارتكاب

الذنب، وكذلك له أذنان لا يسمع بهما، حيث لا يقدر على سماع أمور تعدّ من الذنوب. ومثل ذلك تُقطع جميع قواه النفسانية والشهوانية وأعضاؤه الداخلية، ويحل الموت على جميع القوى التي كان يمكن أن تصدر منها الذنوب، ويصبح كالميت تماما، ويكون تابعا لمرضاة الله فقط، وبدونه ﷻ لا يستطيع أن يخطو خطوة. فهذه الحالة تتحقق حين يكون الإيمان بالله صادقا، ونتيجة لذلك يعطى له اطمئنان كامل، وهذا المقام يجب أن يكون الغاية المنشودة للإنسان وإن جماعتنا بحاجة إليها حصرا. وللحصول على الاطمئنان الكامل ثمة حاجة للإيمان الكامل، فيجب على أبناء جماعتنا أولا أن يحرزوا الإيمان الصادق بالله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٤م، ص ٣)

لا شك أن النفس الأمانة تجعل فترة الشباب رديئة، ولكن من جانب آخر إذا كانت هناك أيام مفيدة في حياة الإنسان فهي هذه الفترة. لقد جاء في القرآن الكريم على لسان يوسف ﷻ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. يتبين من ذلك أن السعي فقط ليس هو الشرط الوحيد لاجتناب سيئات هذه الفترة وثوائرها، بل هناك حاجة ماسة للأدعية أيضا. ولا يكفي الزهد الظاهري فقط (الذي يقوم به المرء بسعيه وجهده) ما لم يحالفه فضل الله تعالى ورحمته. الحق أن الزهد والتقوى الحقيقيين يأتيان من الله ﷻ. هذا هو الأسلوب الوحيد لنيل التقوى والطهارة الحقيقية. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٥م، ص ٣)

الحق والحق أقول: عندما يستمر الإنسان في السعي والجهد مع كونه أسيرا في مخالب النفس الأمانة تُعدّ نفسه الأمانة لوامةً عند الله، وتحرز تغيرا جديرا بالتقدير لدرجة أن النفس الأمانة التي استحققت اللعنة تتحول بعد السعي والتدبير إلى النفس اللوامة الحائزة على شرف أن الله تعالى أقسم بها. هذا ليس بشرف بسيط. الشرط المهم أولا وقبل كل شيء للحصول على التقوى والطهارة الحقيقية هو أن يجتهد المرء جهد المستطيع ويحاول

اجتناب السيئة، ويترك العادات والصحبة السيئة. فاهجروا الأماكن التي يمكن أن تكون سببا للتحريض عليها، واسعوا جاهدين بقدر ما توجد سبل السعي مفتوحة في العالم، ولا تملّوا ولا تكفوا عن ذلك. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٥م، ص ٣)

للنفس ثلاث درجات، النفس الأمانة والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. المراد من النفس الأمانة هي التي تكون متورطة في الفسق والفجور وأسيرة المعصية. في هذه الحالة لا يتوجه الإنسان إلى الحسنات بل يوجد فيه نوع من التمرد والبغي، ولكنه عندما يتقدم على ذلك قليلا ويخرج من تلك الحالة تطرأ عليه حالة "النفس اللوامة". وإذا ارتكب سيئة في هذه الحالة ندم أيضا على فعله ولام نفسه وبذلك يتوجه إلى الحسنات أيضا. ولكن في هذه الحالة لا يكون متغلبا على نفسه تماما بل تكون بينه وبين نفسه حرب على الدوام، فيغلبها تارة وتتغلب عليه تارة أخرى. وهذه الحرب تبقى على حالها إلى أن يمسك فضل الله بيده ويجعله ناجحا ومفلحا فينتصر على نفسه ويصل إلى المرحلة الثالثة التي اسمها "النفس المطمئنة". عندها تزول شوائب النفس وتنمحي المفاسد كلها. إن مثل حالة النفس المطمئنة كمثال حرب بين دولتين تنتصر فيها دولة على الأخرى فتزيل المفاسد كلها وتقيم الأمن والوئام، وبذلك يتغير النظام السابق... كذلك حين يتغير الملكوت الروحاني يطرأ الدمار على الملكوت السابق ويُقبض على عباد الشيطان. وتُسحق وتُهان العواطف والشهوات التي تعيث الفساد في ملكوت الإنسان الروحاني ويبدأ نظام روحاني جديد ويستتب الأمن والسلام. هذه هي الحالة أو الدرجة التي تسمى "النفس المطمئنة" لأن في هذه المرحلة لا يكون هناك صراع ولا فساد بل تحظى النفس بالسكينة والطمأنينة الكاملة لأن ملكوتا جديدا يكون قد استتب بعد نهاية الحرب ولا يبقى هناك فساد ولا مفسدة بل يكتمل فتح الله على القلب وينزل الله تعالى بنفسه على عرش قلب العبد. (الحكم، مجلد ١٠، عدد ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٦م، ص ٤)

فالنفس الأمانة لا تريد سوى السيئة كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، أي تتميز النفس الأمانة بإمالة المرء إلى السيئة، وتريد أن تسيّره على السبل الخبيثة المكروهة.... باختصار، إن الذي يتبع النفس الأمانة يرى كل سيئة كحليب الأم، فلا تغادره السيئات ما دام في هذه الحالة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤، عدد ١٤/١/١٩٠٨م، ص ٢)

الإنسان مقيد في سلاسل النفس الأمانة، فلا يقدر على فعل شيء ما لم يحالفه الفضل من الله وتوفيّقه. فعلى الإنسان أن يداوم على الدعاء، لكي يعطى القدرة من الله على فعل البر، ويخلص من قيود النفس الأمانة التي هي عدوة لدودة للإنسان. فلو لم تكن النفس الأمانة لما كان هناك شيطان، فهي عدو داخلي وثعبان في كمه، والشيطان عدو خارجي. فمن القاعدة أن السارق حين ينقب البيت فلا بد له أن يتآمر بالتعاون مع عارف الأسرار من أفراد البيت، إذ لا يمكن أن يفعل العدو الخارجي شيئاً دون التعاون من العدو الداخلي. فلذا يعدّ الشيطان عدواً خارجياً، والنفس الأمانة عدواً داخلياً. فهو ينقب إيمان الإنسان بالتآمر مع عارف أسرار البيت، ليسرق متاع الإيمان، ويدمر نور الإيمان. يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ... أي هي حاكمة شريرة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨م، ص ٣-٤)

لقد بين الله ﷻ في القرآن الكريم ثلاث درجات للنفس وهي الأمانة واللومة والمطمئنة. فالنفس الأمانة تجرّ الإنسان كل حين وآن إلى الذنوب والمعاصي، وهي خطيرة جداً. أما اللومة فهي تلوم الإنسان على ارتكاب سيئة، لكنها أيضاً لا تبعث على الطمأنينة. وإنما تبعث على الطمأنينة حالة النفس التي سماها الله ﷻ مطمئنة، وهي الجيدة. وهي اسم حالة يتمسك فيها الإنسان بالله، وفي هذه الحالة وحدها يُطهّر من أدران الذنوب، وهذه هي الحالة الوحيدة التي تحرق الذنوب. وصدرت الوعود

بالبركات بحق أصحاب هذه الدرجة فقط، وتنزل عليهم الملائكة، والصالح الحقيقي والطهارة من نصيبهم وحدهم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ١٩٠٨/٣/٢، ص ٥)
 الأمانة صيغة مبالغة، فهي تقود إلى السيئات وتأمر كثيرا بالسيئة... النفس
 الأمانة عدو الإنسان وهي عدو خفي من داخل البيت. (بدر، مجلد ٦، رقم ٢٥،
 عدد ١٩٠٨/٦/٢٥، ص ٥)

الآية ٨٨: ﴿يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

إن مذهبنا هو أن تحريك الإصبع أيضا محال دون تأييد الله وفضله. غير أن من واجب الإنسان أن يسعى ويجاهد قدر المستطاع ويسأل الله نفسه التوفيق لذلك، ولا ييأس منه أبداً، لأن المؤمن لا يقنط أبداً، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. اليأس شيء سيئ جداً. والحق أنه لا ييأس إلا من يسيء الظن بالله تعالى. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ١٩٠٥/٤/٢٤، ص ٢)

الآية ٩١: ﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذه نبوءة عامة مشروطة بالتقوى والصبر. (أيام الصلح، الخزان الروحانية المجلد ١٤، ص ٢٣٣، الحاشية)

الآية ٩٣: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

لقد عفا سيدنا خاتم الأنبياء عليه السلام عن أهل مكة وغيرهم بعد أن انتصر عليهم كلياً وأصبحوا تحت سيفه، ولم يعاقب إلا بضعة منهم سبق أن صدر من الله تعالى الأمر القاطع بمعاقبتهم. فغفر عليه السلام لكل عدوٍ ذنبه ما عدا هؤلاء الملعونين منذ الأزل، وأعلن

للجميع أن "لا تثريب عليكم اليوم" وذلك بعد الانتصار عليهم. فبسبب هذا العفو عن إساءاتهم -الذي كان يبدو في نظرهم مستحيلاً؛ لأنهم بسبب شرورهم ضد المسلمين كانوا يرون أنهم مقتولون لا محالة بعدما صاروا في قبضة معارضيتهم- قد أسلم آلاف الناس في ملح البصر. (البراهين الأحمدية، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٨٦-٢٨٧ الحاشية رقم ١١)

... تجلى حلمه العظيم فأطلق سراح قوم استوجبوا القتل ... ولو لم يؤت ﷺ الحكم والمملك فما الدليل على عفوهِ عن كفار مكة الذين استوجبوا القتل مع قدرته عليهم. كانوا قد آذوه ﷺ وأصحابه، ذكورا وإناثا، أذى شديداً، ولكنهم لما مثلوا أمامهم قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾. فلو لم تسنح له هذه الفرص لما ظهرت أخلاقه ﷺ الفاضلة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٥٢-١٥٣)

هل من نوع إيذاء لم يصبه أبو جهل وزملاؤه على النبي ﷺ وعلى خدامه المخلصين؟ لقد ربطوا المسلمين البريئات بجملين وساقوهما إلى جهتين معاكستين، فصرن قطعتين، لجريمة واحدة أهن آمن بأن "لا إله إلا الله". ولكن النبي ﷺ صبر على ذلك، ثم لما فُتحت مكة عفا عنهم قائلاً: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ". ما أعظمه من كمال خلقي لم يوجد له مثل في أي نبي آخر! اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ملخص القول، عليكم أن تتحلوا بالأخلاق الفاضلة، لأن الأخلاق مفتاح الحسنات. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٥، عدد ١٩٠٠/٧/٩، ص ٥)

لقد ظهرت أخلاق رسول الله ﷺ بنوعين: نوع من الأخلاق التي ظهرت في الفترة المكية من حياته حين لم يكن معه إلا بضعة أشخاص فقط، ولم يملك أي قوة، والنوع الثاني من أخلاقه ظهر عندما صار ﷺ فاتحاً منتصراً، ووقع في قبضته الكافرون الذين كانوا يؤذونه وكان يصبر على أذاهم. فكان عند انتصاره قادراً على

معاقبتهم كما يشاء، ولكنه عفا عنهم ولم يعاقبهم، وقال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠١م، ص ٩)

كان النبي ﷺ قادرا على أن يذبح جميع أولئك الذين آذوه في مكة يوم فتحها، ولكنه قال رحمة بهم: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾. وما إن عفا عنهم حتى آمنوا به جميعا. هل توجد مثل هذه الأخلاق الفاضلة في أي نبي آخر؟ كلا. لقد آذوه ﷺ بوجه خاص وكذلك أقاربه وأصحابه إيذاءً لا يُغتفر، ولكنه عفا عنهم فور مقدرة عليهم، مع أنه لو عاقبهم لكان حقًا وعدلا. ولكنه أبدى نموذج العفو واللطف. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٢م، ص ٨)

الصبر الذي تحلى به واضحٌ جلي حيث أخرجه أهل مكة بعد أن آذوه إلى ١٣ عاما صنوف الإيذاء، وصبّوا على أصحابه أيضا أبشع المصائب التي تقشعر لهولها الأبدان، ولكنه عندما هاجر بأمرٍ من الله تعالى ثم عاد إلى مكة فاتحا، كان من حقه نظرا إلى أنواع الإيذاء والمصائب والشدائد التي صبّها أهل مكة عليه وعلى جماعته إلى ١٣ عاما، أن يبيدهم عن بكرة أبيهم بتنفيذ مجزرة عامة، وما كان لعدو أن يعترض على هذا القتل إذ كانوا يستحقون القتل نتيجة تلك الإيذاعات. ولو كان النبي ﷺ غضوبا كانت عنده فرصة مواتية للانتقام، لأنهم كانوا أسرى كلهم، ولكن ماذا فعل النبي ﷺ؟ أطلق سراحهم جميعا وأعلن: لا تثريب عليكم اليوم. وهذا ليس بأمرٍ هينٍ. تحيّلوا المصائب والمعاناة التي صبّها أهل مكة، ثم انظروا كيف عفا النبي ﷺ عن أعدائه الألداء عند امتلاكه القوة والقدرة عليهم. هذا هو نموذج الأخلاق الفاضلة التي لا نظير لها في العالم.... كان أهل مكة أيضا قد استوجبوا بسبب شرورهم وسلوكهم الإجرامي أن يعاقبوا أشد العقوبات وأن تُطهّر الأرض المقدسة وما حولها من وجودهم، ولكن النبي ﷺ الذي كان رحمةً للعالمين ومصدقا لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال لأعدائه الذين كانوا يستوجبون القتل وهو

يملك كل القوة والقدرة عليهم: "لا تثريب عليكم اليوم". (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٢م، ص ٤)

لقد حاز نبينا الأكرم عليه السلام على القدرة والقوة الكاملة ثم دعا أعداءه الألداء والعطاشى لدمه أمامه وقال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧م، ص ٦)

الآية ٩٥: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾

القرآن الكريم هو المحك للحكم في كل أمر. انظروا مثلاً عندما فصل ابن يعقوب عليه السلام الحبيب، يوسف، عن إخوته بسبب شرهم؛ ظل يعقوب يدعو له أربعين عاماً، لو كان مستعجلاً لما أسفر ذلك الاستعجال عن نتيجة، ولكنه ظل عاكفاً على الأدعية أربعين عاماً، مؤمناً بقدرات الله تعالى حتى جذبت أدعيته يوسف بعد أربعين عاماً، وفي تلك المدة الطويلة قال له بعض اللائمين بأنك تذكر يوسف دون جدوى ولكنه قال إني أعلم من الله ما لا تعلمون، لا شك أنه ما كان يعرف عنه شيئاً مع ذلك قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، فلم يعلم من قبل إلا أن سلسلة الأدعية قد طالت. لو أراد الله أن يحرمه من الدعاء لردّ عليه سريعاً، ولكن طول هذه السلسلة يدل على القبول، لأنه ليس من شيمة الكريم أن يجلس السائل طويلاً ثم يحرمه، بل لا يفعل ذلك أبخل البخلاء أيضاً؛ فإذا ما سمح للمتسول أن يجلس على بابه طويلاً فلا أنه سيعطيه شيئاً ما في النهاية. الآية القرآنية: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ تدل على طول مدة الدعاء في زمن يعقوب عليه السلام. لذا يجب ألا يقلق المرء عند طول مدة الدعاء. إن الله تعالى يكمل كل نبي بأساليب مختلفة، وقد جعل تكميل يعقوب عليه السلام من خلال هذا الحزن. (الحكم مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ٢)

الواقع أن هناك أموراً كثيرة تصل إلى الناس كنبوءات على أيدي الأنبياء، ولا يمكن إبداء رأي قاطع جازم فيها ما لم تتحقق في أوانها، وعند تحققها تنكشف حقيقتها ويتضح مفهومها ومرادها، ومن كان مصداقاً للنبوءة، أو كانت بحقه، يُعطى علم ذلك... كذلك ظل يعقوب يبكي على فراق يوسف عليهما السلام إلى أربعين عاماً، وفي نهاية المطاف أخبر بالخبر اليقين، وقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. أما قبل ذلك فكان كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾. ونعم ما قال البعض بهذا الشأن:

کے پرسید زانِ گم کردہ فرزند کہ اے روشن گہر پیر خردمند
زمصرش بوئے پیرا بنِ شمیدی چرادرچاہ کنعاش نہ دیدی؟

أي: سأل البعض (يعقوب)، الرجل الحكيم الذي فقد ابنه وقال له: أيها الحكيم صاحب الضمير المستنير،

لقد شمتَ ريح قميص يوسف وهو بمصر، فكيف لم تره وهو في بئر بكنعان؟
(الحكم، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ١٩٠٣/٢/٧، ص ٢)

حين يُخبر عن شيء بالسمع فهو وحي، أما حين يتم الإخبار عن شيء برؤية فهو كشف، وكذلك أرى أن أمراً يظهر بعض الأحيان تكون له علاقة بقوة الشم، ولا نستطيع أن نسميها باسم، كما شمَّ يعقوب عليه السلام يوسف عليه السلام فقد ورد: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونُ﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١٩٠٣/٥/١، ص ١١٤)
المراد من الكشف هو أنه أعلى مراتب الرؤيا، وإن حالته الابتدائية التي يرافقها الغياب عن الوعي هي التي تسمى بالرؤيا، وذلك حين يكون الجسم عاطلاً وتتعطل الحواس المادية تماماً. أما الكشف فلا تغيب فيه الحواس الأخرى، فيرى الإنسان في اليقظة ما كان يراه في النوم أي في حالة تعطل حواسه. المراد من الكشف أن يكون الإنسان في حالة شبه غيبوبة عن الوعي في عالم اليقظة وهو يدرك كل شيء،

وتعمل حواسه الخمسة أيضا عملها. ثم ينال حواسَّ جديدة يرى بسببها مشاهد عالم الغيب. تُنال تلك الحواس بأساليب مختلفة، أحيانا في حاسة البصر وأحيانا في الشم وأخرى في السمع. أما في الشم فكما قال والد يوسف ﷺ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُقِنِّدُون﴾. كان المراد من ذلك الحواسَّ الجديدة نفسها التي أُعطيها يعقوب ﷺ وعلم بسببها أن يوسف حي وسيلقاه قريبا. ولم يستطع الآخرون القريبون منه أن يشموا تلك الرائحة لأنهم لم يُعطوا الحواس التي أُعطيها يعقوب ﷺ. (بدر، مجلد ٤، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٥ م، ص ٢)

الآية ٩٦: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾

ليس معنى "الضال" هنا هو المنحرف عن جادة الصواب بل فيه إشارة إلى العشق البالغ منتهاه. وبهذا المعنى جاءت بحق يعقوب ﷺ الآية: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾. فمع أن الكلمتين "الظلم" و"الضلال" تعطيان أيضا معنى أن يترك أحد جادة الاعتدال والإنصاف ويتبع شهوات غضبه وبهيميته، ولكنهما وردتا أيضا في القرآن الكريم بحق العشاق الذين يدوسون نفوسهم وأهواءها تحت الأقدام في نشوة العشق في سبيل الله. وبهذا المعنى يقول الحافظ الشيرازي في بيتٍ من الشعر:

آسمان بار امانت نتوانست كشيد قرعه فال بنام من ديوانه زدند

أي: لم تستطع السماء أن تحمل حمل الأمانة، فأخرجوا القرعة باسمي أنا المجنون. إن ما يقصده الشاعر من هذا الجنون هو حالة العشق وشدة الحرص على الطاعة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٧٣)

من معاني الضلال أيضا أن يختار المرء أحدا بفرط الحب لدرجة لا يطيق حتى أن يسمع اسم غيره مقرونا بالعزة والإكرام. وهذا هو المعنى المراد في الآية: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٦٩، الحاشية)

الآية ١٠٢: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

وجدت في الأحاديث أكثر من ٣٠٠ نظير تبين منها أنه حيثما أُطلق فعل التوفي وكان الفاعل هو الله وكان الواقع عليه الفعل هو الشخص المذكور اسمه، كان المعنى دائما هو الإمامة حصرا. ولم أجد، مع أنني بحثت بحثا مضنياً، حديثا واحدا كان الفاعل في فعل التوفي هو الله والواقع عليه الفعل هو علم، أي اسم شخص، وكان المعنى هو غير الإمامة.

كذلك حينما قرأت القرآن الكريم من البداية إلى النهاية تبين منه أيضا الأمر نفسه كما يثبت من الآية: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ والآية: ﴿وَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٧٩)

الآية ١١١: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

وليكن معلوما أيضا أن بعض النبوءات تضم في طياتها أسراراً دقيقة؛ فلا يدركها - لدقة أسرارها - الذين لا يملكون نظرة دقيقة فلا يفهمون إلا أموراً سطحية. فمثل هذه النبوءات تكون عرضة للتكذيب عادة؛ حيث يقول المستعجلون والمتسرعون إنها لم تتحقق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ والناس يثيرون شبهات على مثل هذه النبوءات، ولكن الحق أنها تتحقق بحسب سنن الله تعالى. ومن واجب المؤمن التقي، سواء أفهمها أم لم يفهمها؛ أن ينظر إلى النبوءات التي لا تحتوي على دقائق الأمور، أي النبوءات الواضحة، ليرى أنها قد تحققت بعدد هائل. الإنكار ببساطة ودون مبرر ينافي التقوى. يجب أن يُنظر

بأمانةٍ وتقوى الله إلى النبوءات التي تحققت. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٢، عدد ١٧/٩/١٩٠٦ م، ص ٢)

الآية ١١٢: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

القرآن ليس بالكتاب الذي يمكن أن يؤلفه الإنسان، بل إن علامات صدقه واضحة جلية لأنه يصدق الكتب السابقة؛ بمعنى أن الأنبياء التي جاءت عنه في كتب الأنبياء السابقين قد تحققت كلها بنزوله. أما المعتقدات الحقّة التي لم ترد الأدلة الواضحة عليها في الكتب السابقة، فقد بيّن القرآن الكريم أدلتها وأوصل تعليمها إلى مرتبة الكمال، وقد أثبت صدق الكتب السابقة بأسلوب يُثبت صدقه هو أيضا. والعلامة الثانية لصدقه أنه يبين كل حقيقة دينية، ويخبر بجميع الأمور الضرورية لنيل الهداية الكاملة. ولقد عدّ ذلك علامة صدقه؛ إذ يفوق قدرة الإنسان أن يكون علمه واسعا ومحيطا لدرجة أن لا تبقى حقيقة دينية أو حقائق دقيقة أخرى خارجه. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٦، الحاشية رقم ١١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الرعد



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾

أي أن ربكم الله هو الذي رفع السماوات بغير أعمدة كما ترون ثم استقر على العرش. هناك إشكال في المعنى الظاهري لهذه الآية وهو: ألم يكن الله تعالى مستقراً على عرش من قبل؟ وجوابه أن العرش ليس شيئاً مادياً، بل هو حالة كونه تعالى وراء الوراء، وهي صفته ﷻ. إذًا، لقد خلق الله تعالى الأرض والسماء وخلق كل شيء، وأودع الشمس والقمر والنجوم نورا من نوره، وخلق الإنسان على صورته على سبيل الاستعارة ونفخ فيه من أخلاقه الكريمة ﷻ، وهكذا فكانه تعالى قد جعل أشباهاً له، ولكن ما دام الله منزهاً عن كل تشابهٍ وتمثيلٍ، لذا ذكر ﷻ تنزهه

بذكر استوائه على العرش. باختصار، إنه ليس عينَ المخلوق مع أنه خلق كل شيء، بل هو منفصل عن الجميع في مقام هو وراء وراء. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٧)

لقد خلق الله تعالى الأجرام السماوية والأرضية كلها ثم أخفى وجوده في مقام وراء وراء الذي اسمه العرش، وهو مقام خفيّ إلى درجةٍ لو لم تظهر عندها صفات الله الأربع المذكورة في الآيات الأولى من سورة الفاتحة لما عُرف وجوده تعالى. وتلك الصفات هي: الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الجزاء. فهذه الصفات الأربع سمّيت على سبيل الاستعارة في كلام الله بأربعة ملائكة يحملون عرشه، أي أنهم يُظهرون الله من المقام الذي فيه الله وهو وراء وراء، وإلا لم تكن هناك وسيلة لمعرفة الله. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٩، الحاشية)

لقد عُبر عن ظهور صفات الله استعارةً بالاستواء على العرش، أي ظهرت الصفات الإلهية بعد خلق السماوات والأرض. إن صفاته تعالى أزلية وأبدية، وبذلك يُعرف علمه وكونه قادرا على كل شيء. ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ إشارة إلى تجلي الله الذي ظهر بعد خلق السماوات والأرض. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣، ص ٣٨)

الآية ١٢: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾

أي أن الله حافظين يرسلهم إلى عباده الصالحين فيحفظونهم من كل جانب، ظاهريا وباطنيا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٧٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.. يقول الله تعالى إن تغيرا سيحدث في مشيئته حين يحدث التغيير في القلوب. فاتقوا الله واخشوا غضبه. لا

يمكن لأحد أن يتحمل مسؤولية غيره. نرى أنه لو رُفعت قضية بسيطة على أحد، لا يعود كثير من الناس أوفياء له؛ فكيف تثقون بهم في الآخرة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٥)

إن الله لا ينزع أيَّ حسنة أو سيئة أصاب بها قوم ما دام القوم أنفسهم لا يصرفون عنهم ما في قلوبهم. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٤١)
 لن يزول الوباء الظاهري أيضا ما لم يزُل وباء المعصية من القلوب. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ١٨٥)

أرى أن هذا القضاء والقدر لن يتبدل ما لم يرجع الناس إلى الله تعالى رجوعا كاملا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠١م، ص ٤)

الغمرة التي تغشى قلب الإنسان لا تزول إلا بالمجاهدة والدعاء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لا يكشف الله عن قوم أي نوع من الآفات والمصائب ما لم يسعوا لإزالته. فما لم يرفعوا الهمم ولم يتشجعوا لذلك فكيف يحصل التغيير؟ إنها سنة الله تعالى التي لا تتغير حيث قال: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (فاطر: ٤٤). فسواء كانت جماعتنا أو غيرها، فليس بوسعهم تغيير أخلاقهم إلا أن يجاهدوا ويدعوا، أما بدون ذلك فالأمر محال. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٥٦)

على المرء أن يتوجه إلى الصلاح والتقوى ويسلك سبل السعادة والخير، وعندها يمكن أن يصلح الأمر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. إن سوء الظن بغير حق والإفراط في الأمر سخيף جدا. إنما الأحرى بالقوم أن يرجعوا إلى الله تعالى ويصلُّوا ويؤدوا الزكاة ويتجنبوا هضم الحقوق وارتكاب الفواحش. (الإنذار، ص ١٦)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لقد أورد الله تعالى هذه الآية في إلهامي عن الطاعون وهي ترشد إلى أن هناك حاجة ماسة للتغيير. من الخطير جدا أن يجعل الإنسان الكلام يبلغ آذانه فقط ولا يصل إلى قلبه. إنه ظالم جدا من يفرح بالظاهر ولا يطيع طاعة صادقة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٩)

يُعَذَّب المرء بسبب الذنب دائما، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فما لم يطهر الإنسان نفسه لا يزول العذاب. (البد، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠٩)

لم يعد الله أن يترك أحدا بغير عذاب مع كونه مذنباً. فمن ناحية قد ورد في القرآن الكريم أنه لن تسلم قرية من الطاعون، والسبب الوحيد وراء الطاعون هو الذي يتبين من الإلهام: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"، أن الناس هيّجوا غضب الله بأفعالهم وأعمالهم وغيّروا حالتهم بسوء أعمالهم فتركوا خشية الله وسبل التقوى والطهارة كلها واختاروا بدلا منها أنواع الفسق والفجور ونقضوا أيديهم من الإيمان بالله. فحين أحاط الإلحاد بالعالم كليلّة ليلاء وستر وجه الله المنير تحت الظلمة أنزل الله تعالى هذا العذاب ليرى الناس وجهه ﷻ ويرجعوا إليه. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١/٧/١٩٠٤م، ص ٣)

الذي يريد أن يحدث له تغيير في السماء، أي ينجو من العذابات والآلام التي أعدّها له مغبّة أعماله، فإن واجبه الأول أن يحدث تغييرا في نفسه. فحين يحدث تغييرا في نفسه، فإن الله يرفع عنه العذاب والألم بحسب وعده الذي قطعه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، ويحوّل الألم إلى الراحة. عندما يحدث الإنسان تغييرا في نفسه فليس ضروريا له أن يرائي به الناس أيضا. إن الإله الرحيم والكريم الذي هو مالك القلوب عندما يرى تغييره ويرى أنه لم يعد كما كان من قبل فيُنزّل عليه أفضاله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤م، ص ٢)

لن يترك الله الناس أبدا ما لم يُحدثوا تغيرا في أخلاقهم وأعمالهم وأفكارهم.
(الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨ م، ص ٣)

الآية ١٥: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

... والذين يدعون غير الله مثلهم كمثل الذي ييسط يديه إلى الماء ويدعوه ليلبغ فاه، والمعلوم أن الماء لا يقدر أن يسمع كلام أحد أو يلبغ فاه بنفسه، كذلك المشركون يدعون آلهتهم عبثا ولا فائدة في ذلك قط. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

أي أن الإله القدير على كل شيء هو الأحق بأن يدعوه الإنسان. أما الذين يعبدونهم الناس من دون الله فهم لا يستطيعون جوابا لهم، ومثالهم مع آلهتهم كمن هو باسط كفيه إلى الماء ليلبغ فمه.. فهل يدخل الماء هكذا إلى فمه؟ كلا. فالذين يجهلون الإله الحق أدعيتهم كلها باطلة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٧)

الآية ١٧: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

أي إن الله هو صانع كل شيء لأنه واحد في ذاته وصفاته، وهو القهار أيضا؛ أي يفرض سيطرته على جميع الأشياء، وهو غالب عليها. يقوم هذا الدليل بواسطة الشكل الأول الذي هو بديهي الإنتاج، بحيث صغراه أن الله واحد وقهار، والكبرى

أن كل من يكون واحدا وقهارا يكون خالقًا لجميع الموجودات ما عدا نفسه. فالنتيجة أن الله خالق الخلق كله. وإثبات القضية الأولى، أي صغراه، يتحقق بكون الله واحدا وقهارا من مبادئ الفريق الثاني بل العالم كله. أما إثبات القضية الثانية أي مفهوم الكبرى أنه لو لم يكن الله -رغم كونه واحدا وقهارا- خالق كل شيء عدا نفسه بل كان وجود كل شيء قديما مثله، لما بقي في هذه الحالة واحدا وقهارا أيضا. فهو لا يبقى واحدا؛ لأن الوجدانية تعني أن يكون منزها تماما عن اشتراك غيره. وإذا لم يكن الله خالق الأرواح فهذا يستلزم نوعين من الشرك؛ أولا: تكون جميع الأرواح قديمة الوجود مثله لكونها غير مخلوقة. ثانيا: تحتم الإيمان بأن لها أيضا كيانا حقيقيا غير مستفاض من الغير مثل الله، وهذا هو الاشتراك مع الغير. وإن اشتراك ذات الباري مع الغير باطل بدهاة عقليا. لأن ذلك يؤدي إلى شريك الباري، وهو ممتنع ومحال، ومعلوم أن مستلزم المحال أيضا يكون محالا.

ولا يكون قهارا أيضا، لأن صفة القهار تعني أن يجعل الآخرين تحت سلطته ويتحكم فيهم. فلا يستطيع الله أن يفرض سيطرته على الأرواح والأشياء غير المخلوقة، لأن الأشياء التي في حد ذاتها قديمة وغير مخلوقة، واجبة الوجود في ذاتها بالتأكيد. ذلك لأنها ليست محتاجة إلى أي علة، وهو ما يسمى الواجب، والذي يقال له باللغة الفارسية "خدا" أي الذي جاء بنفسه من تلقاء نفسه. فلما عُدَّت الأرواح من تلقاء نفسها مثل ذات الباري وواجبة الوجود، فبقاؤها تحت سيطرة الله محال وممتنع عند العقل، لأن واجب الوجود لا يتبع واجب الوجود الآخر؛ لأن ذلك يستلزم الدور والتسلسل. لكن الأمر الواقع المسلّم به عند الفريقين هو أن جميع الأرواح تتبع الله ﷻ وليس أي منها خارج سيطرته. فثبت أنها كلها حادثة ومخلوقة، وليس أي منها من تلقاء نفسها وواجبة الوجود، وهو المطلوب. (المقالات القديمة،

هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ لَنْ يَسْتَوِيَ أَبَدًا. (تقرير الجلسة السنوية، عام

١٨٩٧م، ص ١٢٤)

الآية ١٨: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

أي أن الله تعالى قد أنزل من السماء ماءً، أي كلامه، فسالت به الأودية بقدرها؛ أي أن كل شخص قد نال حظاً منه بحسب طبيعته وفكره وكفاءته. فنالت الطباع العالية أسرار الحكمة، أما الأعلون منهم فنالوا نورا غريبا يخرج عن نطاق التحرير والبيان. والذين كانوا دونهم شاهدوا عظمة المخبر الصادق وكماله الشخصي، واستيقنوا من أعماق القلوب صدق إخباره؛ وبذلك وصلوا شاطئ النجاة راكبين سفينة اليقين، ولم يبق خارجها إلا الذين لم تكن لهم أدنى علاقة مع الله تعالى، بل كانوا ديدان الدنيا فقط. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢١٢، الحاشية رقم ١١)

﴿... فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أي كل إنسان يستفيد من هذا الماء بقدر موهبته ومؤهلاته. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٣٣) أيها الغافلون، إن قنوات الوحي جارية في هذه الأمة المرحومة إلى يوم القيامة، ولكن على قدر المراتب. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢١)

إن الله أنزل من السماء ماء فسال كل واد بقدره أي أن القرآن الكريم يربي جميع الطباع الإنسانية بحسب فهم كل واحد منها وعقله وإدراكه. وهذا يستلزم الكمال التام، لأن في هذه الآية إشارة إلى أن القرآن الكريم بحر واسع زخار بالمعارف لدرجة

أن يرتوي منه كل عطاشى المعارف الحقّة والحب الإلهي. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٩)

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾. ومعلوم جيدا أن الأنبياء هم الأكثر نفعا للناس في الدنيا لأنهم يقوون إيمانهم بالخوارق والمعجزات والنبوءات والحقائق والمعارف وغايج صدقهم وينفعون الباحثين عن الحق نفعا دينيا. ومعلوم أيضا أنهم لا يعيشون في الدنيا إلى مدة طويلة بل يُرفعون منها بعد قضاء حياة وجيزة. ولكن لا اختلاف قط في مضمون الآية، إذ لا يمكن أن يكون في كلام الله أيّ اختلاف. فمعنى الآية بالنظر إلى الأنبياء هو أنهم يُيقنون من حيث الظل، وأن الله تعالى يخلق عبدا من عباده كنظير ومثيل لهم بصورة ظلية كلما مست الحاجة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥١-٣٥٢)

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾ لقد وعد الله تعالى بإطالة عمر الذين يفيدون الآخرين، مع أن للشرعية جانبين، أولا: عبادة الله، وثانيا: مواساة البشر. ولكن قد اختير هذا الجانب هنا لأن العابد الكامل هو الذي ينفع الآخرين. الدرجة الأولى في الجانب الأول هي حب الله ووحدانيته. ومن واجب الإنسان أن ينفع الآخرين. والسييل إلى ذلك هو أن ينصحهم لإنشاء حب الله والثبوت على وحدانيته كما يتبين من: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. في بعض الأحيان يفهم الإنسان أمرا بنفسه ولكنه لا يقدر على أن يفهمه الآخرين، لذا عليه أن ينفع الآخرين بالجهد والسعي. إن مواساة خلق الله هي أن يجتهد الإنسان ويوجد طريقا بالتأمل الرصين لنفع الآخرين ليطول عمره. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٥، عدد ٩/٧/١٩٠٠م، ص ٢)

كل إنسان يود أن ينال عمرا طويلا، ولكن قليل ما هم الذين تأملوا في المبدأ والطريق الذي بسببه يطول عمر الإنسان. لقد بين القرآن الكريم مبدأ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٨) لقد وعد الله تعالى بإطالة عمر الذين

يفيدون الآخرين، مع أن للشرعية جانبيين، أولاً: عبادة الله، وثانياً: مواساة البشر. ولكن قد اختير هذا الجانب هنا لأن العابد الكامل هو الذي ينفع الآخرين. الدرجة الأولى في الجانب الأول هي حب الله ووحدانيته. ومن واجب الإنسان أن ينفع الآخرين. والسييل إلى ذلك هو أن ينصحهم لإنشاء حب الله والثبوت على وحدانيته كما يتبين من: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. في بعض الأحيان يفهم الإنسان أمراً بنفسه ولكنه لا يقدر على أن يفهمه الآخرين، لذا عليه أن ينفع الآخرين بالجهد والسعي. إن مواساة خلق الله هي أن يجتهد الإنسان ويوجد طريقاً بالتأمل الرصين لنفع الآخرين ليطول عمره. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٤، عدد ١٠/١٠٧/١٩٠٢م، ص ٤)

الحق أن الذي ينفع الناس يُعطى عمراً طويلاً. أما الاعتراض أن النبي ﷺ توفي عن عمر قصير فهو ليس صحيحاً أولاً: لأنه ﷺ حقق الهدف والغرض الحقيقي من حياة الإنسان، وجاء إلى الدنيا في وقت كانت حالتها تقتضي مصلحاً بالطبع، ورحل بعد أن حاز نجاحاً كاملاً في رسالته.

لم يسمع أحدٌ غيره نداء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.... وقد رأى بأم عينيه مشهد نجاحه. فلما توفي النبي ﷺ بعد إحراز نجاح كامل فإن القول بأن عمره كان قصيراً خطأ كبير. إضافة إلى ذلك إن فيوضه وبركاته جارية إلى الأبد، وباب فيوضه مفتوح في كل عصر، لذا يسمّى هو وحده نبياً حياً وهو حائز على الحياة الحقيقية. فقد حقق الهدف من طول الحياة، وهو حي إلى أبد الآباد من منطلق هذه الآية. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢م، ص ٧)

عندما ينزل الله تعالى فضله لا تبقى أية معاناة، ولكن الشرط الضروري لذلك هو أن يُحدث الإنسان في نفسه تغييراً. فمن يحده الله نافعاً للناس يطيل عمره. لقد نوقش هذا الأمر في كتابنا بصراحة تامة. يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾، كذلك ذُكر ذلك في الكتب السابقة أيضاً مثل سفر النبي حزقيال.

لقد خُلق الإنسان لهدف عظيم جدا ولكن حين يأتي الوقت ولا يحقق ذلك الهدف يقضي الله عليه. خذوا الخادم مثلا، حين لا ينجز عمله على خير ما يرام يعزله سيده. فأنتى لله تعالى أن يُحافظ على من لا يؤدي واجبه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٨-٩)

يثار أحيانا اعتراضٌ ويقال إن بعضا من معارضي الإسلام أيضا ينالون عمرا مديدا، فما السبب في ذلك؟ إن سببه عندي يعود إلى أن وجودهم أيضا يكون نافعا من بعض النواحي، كما بقي أبو جهل حيا إلى معركة بدر. والحق أنه لو لم يعترض المعارضون لما وُجد ثلاثون جزءا من القرآن الكريم. مَنْ رآه الله تعالى نافعا مهّله. إن الأحياء من معارضينا يقومون بالمعارضة ويوجهون الاعتراضات فيكون وجودهم أيضا نافعا بحيث يمتن الله علينا بالمعارف والحقائق. فلو لم يُثر المدعو "مهر علي" شغبا إلى هذه الدرجة لما أُلِف كتاب "نزول المسيح". كذلك فإن الحكمة في بقاء الأديان الأخرى هي أن تتجلى ميزة مبادئ الإسلام وجمالها. فلولا الديانات التي تعتقد بالنيوك والكفارة لما أمكن أن تتبين محاسن الإسلام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢م، ص ١١)

الذين لديهم حماس صادق للدين تُطال أعمارهم. لقد أفهمْتُ أن معنى الأحاديث القائلة بأن الأعمار تُطال في زمن المسيح الموعود هو أن الذين يخدمون الدين سيعطون عمرا طويلا. أما الذين ليسوا خدام الدين مثلهم كمثل ثور عجوز يذبحه صاحبه متى يشاء. أما الذي يخدم الدين بصدق القلب يكون عزيزا عند الله ويتردد الله عند قبض روحه، لذلك يقول ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٢م، ص ٨)

الذين يجعلون أنفسهم نافعين للناس يطيل الله أعمارهم. فأشفقوا على خلق الله كثيرا ويجب أداء حقوق العباد بوجه كامل. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٨، عدد ٢٢/٥/١٩٠٣م، ص ١٣٨)

لقد ورد في الأحاديث أن الأعمار ستطول في زمن المسيح الموعود فليس المراد منه أن باب الموت سيغلق نهائياً، ولن يموت أحد. بل يستشف منه أن أحبه المخلصين سينشغلون في خدمات الدين ونصرته بالأموال والأنفس، وسوف يعمرّون طويلاً، ذلك لأنهم سيكونون نافعين، وقد وعد الله ﷻ ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتْ فِي الْأَرْضِ﴾، فهذا الأمر يوافق قانون الطبيعة أن الأعمار تطول، فحين مدّد وطول هذا الزمن فهو أيضاً من رحمته، وفي ذلك حكمة معينة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠٣م، ص ١٠)

الذي يريد إطالة عمره، فعليه أن يدعو إلى الأعمال الحسنة، وينفع الخلق. حين يجد الله أحداً قد صمم العزم على نفع الخلق فهو يوفقه له، ويطيل عمره، فقدّر ما يتوب المرء إلى الله، ويُسّفق على مخلوقه، يطول عمره، ويرافقه الله ويقدر حياته. لكنه بقدر ما يتغافل عن الله ولا يبالي به، فالله ﷻ هو الآخر لا يعبأ به..... هنا ينشأ سؤال آخر أن بعض الصلحاء والأبرار يرحلون من هذا العالم في عمر قصير. كأن هذه القاعدة لا تتحقق في هذه الحالة، لكن ذلك خطأ وانخداع، إذ لا يحدث ذلك في الحقيقة، ولا تنكسر هذه القاعدة أبداً، بل يطول العمر بمفهوم آخر، وهو أن غاية الحياة المنشودة والعمر الطويل هو نيل الفلاح والفوز، فحين ينجح المرء ويفوز في أهدافه ولا تبقى له أي حسرة أو طموح ويموت بمنتهى الطمأنينة والهدوء فكأنه مات بعد عمر كامل وحقق الهدف من العمر الطويل. فمن الخطأ والسفّه وصفه بأن مات عن عمر قصير. فبعض الصحابة ماتوا عن عمر يناهز ٢٠ أو ٢٢ عاماً فقط، لكن لما كانوا ليس لديهم أي حسرة أو خيبة أمل، بل ماتوا فائزين، لذا كانوا قد حققوا الغاية المنشودة من الحياة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣م، ص ٢-٣)

على الإنسان أن يتعب نفسه أولاً، لكي يُرضي الله. وإذا فعل ذلك فسوف يطيل الله ﷻ حياته، إن الله لا يخلف الميعاد، فحين قال ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾، فهو حق تماماً، فالقاعدة العامة أيضاً أن لا أحد يضيع الشيء النافع، حتى إذا كان لحصان أو ثور أو بقرة أو عزة منفعة وفائدة فلا يقدم أحد على ذبحها، لكنه حين لا يرجى منها أي فائدة فعلاجها الأخير الذبح، فيقرر صاحبها تناول لحمها وبيع الجلد ببضع روبيات. ومثل ذلك حين لا يبقى الإنسان مفيداً ونافعاً في نظر الله، ولا تترتب على وجوده أي فائدة للآخرين، فلا يبالي الله به، بل يهلكه بحسب المثل القائل ما تعريبه: بقدر ما تقل الأعشاب يتطهر العالم. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٤م، ص ٥)

من سرّه أن يطول عمره ... فعليه أن يكون كامل الإيمان، ويجعل نفسه جديراً بالتقدير. والسبيل إلى ذلك هو أن يجعل نفسه نافعاً للناس ويخدم الدين. يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾. اعلّموا جيداً أن العمر لا يطول بالأكل والشرب بل السبيل الوحيد إلى ذلك هو ما بينته. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤م، ص ٤)

كل أنواع الراحة والصحة والعمر والثروة تكمن في طاعة الله تعالى. إذا كان وجود الإنسان نافعاً ومفيداً على هذا النحو لا يضيعه الله تعالى. كما إذا كانت في البستان شجرة تعطي ثماراً جيدة لا يقطعها البستاني بل يحميها، كذلك يحمي الله تعالى الإنسان النافع والمفيد كما يقول: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾. الذين ينفعون الناس يطيل الله أعمارهم. إنها وعود الله الصادقة ولا يسع أحداً تكذيبها. ومن هنا يتبين أيضاً أن عباد الله الصادقين والمطيعين يُحَفِّظُونَ مِنَ الْبَلَايَا كهذه. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٤٣-٤٤، عدد ١٧-٢٤/١٢/١٩٠٤م، ص ٤)

النافع يُعطى عمرا طويلا، ولا يَأْبَهُ الله بِإِلْقَاءِ الْغَافِلِينَ عن الدين في التهلكة. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٥، عدد: ١٠/٢/١٩٠٥، ص ٥)

كل ما يندرج في الشريعة تحت ﴿مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يُطَالُ بِقَاوِهِ. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٥، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٥، ص ٣)

يعلم الله مدى الحماس والالتياح للذين أشعر بهما في قلبي نصحا لهؤلاء، ولا أدري كيف أنصحهم. إنهم لا يأتون لمبارزتي بشكل من الأشكال. هنالك ثلاث طرق فقط لذلك؛ فإما أن يقارنوا آياتي بالآيات التي ظهرت في الأزمنة الماضية، أو يناضلوني في مجال الآيات مستقبلا، أو -على الأقل- أن يدعوا الله تعالى بأن يطيل عمر الفريق الذي هو نافع للناس من بيننا، وذلك وفقا لوعده تعالى ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾، فيظهر بكل جلاء مَنْ هو المقبول والمقرب عند الله تعالى. (الحكم، المجلد ٣، رقم ٢٤ عدد: ١٠/٧/١٨٩٩، ص ٣-٤)

الآية ٢٣: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾
ينفقون تارة سرا خشية الرياء، وطورا علانية كي يكونوا أسوة للآخرين. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٧)

أي أن الشجعان حقا هم أولئك الذين لا يكون صبرهم في الحروب والشدائد إلا ابتغاء مرضاته تعالى. إنهم يصبرون لوجه الله لا لإظهار بسالتهم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٩)

الآية ٢٩: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

اعلموا أن القلوب تطمئن بالقرآن. (ثلاثة أسئلة لمسيحي والرد عليها، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٠)

اللذة الكبيرة تُغني عن اللذة البسيطة كما يقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. ﴿وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. (العنكبوت: ٤٦) (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزان الروحانيّة، المجلد ٢١، ص ٤٢٥)

كان النبي ﷺ إذا أصابه حزن بسيط قام للصلاة، ولذلك قيل: ﴿أَلَا بَذَكَرَ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فلنيل الطمأنينة وسكينة القلب ليس ثمة وسيلة أكبر من الصلاة.

(الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ٩)

يتبين من القرآن الكريم أن ذكر الله يهب طمأنينة القلب كما يقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ على الإنسان أن يثابر على ذكر الله قدر الإمكان فهو الذي يُطْمَئِنُّ القلوب، ولكن ذلك يقتضي الصبر والسعي. أما إذا ملّ المرء وتعب فلن ينال الطمأنينة (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٤، عدد ١٠٥٠/٧/١٩٠٥م، ص ٩)

المفهوم العام لقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ هو أن القلوب تنعم بالطمأنينة والسكينة نتيجة ذكر الله تعالى، ولكن حقيقة هذا القول الرباني وفلسفته هي أن الإنسان عندما يذكر الله بكامل الإخلاص وصادق الوفاء موقناً بأنه ماثل أمام الله كل حين، يستولي على قلبه خوف عظمة الله، وهذا الخوف ينقذه من المنكرات والمنهيات، فيزداد تقوى وطهارة، وتنزل عليه ملائكة الله وتبشره، ويُفتح عليه باب الإلهام، وكأنه يرى الله تعالى ويشاهد أنواع قدرته وقوته التي هي وراء الوراثة، فلا يصيب قلبه همٌّ ولا غمٌّ، بل يشعر بانتعاش وسعادة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٢، عدد ١٠/٩/١٩٠٥م، ص ٨)

الآية ٣٢: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَتَنَبَّأُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

وإن رأوا معجزات القرآن التي تهتر لها الجبال. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٩٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

لن تزال الآفات سواء أكانت الجسدية أم الروحانية تحل بالكفار أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية المجلد ٦، ٣٥٢-٣٥٣) المراد من الوعد هو ما تقرر في علم الله كوعده، وليس الذي يحسبه الإنسان وعدا قاطعا بحسب زعمه هو. لذا الألف واللام الذي ورد في "الميعاد" يفيد العهد، أي الأمر الذي سُمِّي وعدا في إرادة الله القديمة وهو غير متبدل سواء أعلم الإنسان بتفاصيله أم لا. وإلا من الممكن أن البشارة التي يحسبها الإنسان وعدا يكون فيها شرط مخفي وعدم تحققه يستلزم عدم تحقق البشارة لأن إظهار الشروط ليس حقا واجبا على الله. لقد كتب الشاه ولي الله في هذا البحث بالإسهاب، كذلك فصله الشيخ عبد الحق الدهلوي أيضا على خير ما يرام في شرح فتوح الغيب وقال بأن تضرع النبي ﷺ ودعائه بإلحاح في معركة بدر كان ناتجا عن فكرة إمكانية وجود الشروط المخفية في مواعيد الله وبشاراته. وهذه سنة الله لكي تبقى هيبة الله وعظمته مستولية على عباده الخواص. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٤٤٧-٤٤٨، الحاشية)

جميع الأنبياء متفقون على إلغاء نبوءة الوعيد.. أي نبوءة العذاب. أما النبوءة بالوعد فقد ورد عنها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ونؤمن أيضا بأن الله تعالى لا يخلف ميعادا يكون مطابقا لعلمه. أما لو اعتبر الإنسان -خطأ منه- أمرا معيناً وعدا من الله كما فعل نوح ﷺ لجاز الإخلاف فيه، لأنه لم يكن وعدا من الله في الحقيقة، بل الإنسان أخطأ واعتبره كذلك دون مبرر. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية المجلد ٢٢، ص ٤٤)

من المسلم به في الإسلام، أنه ليس ضروريا أن يحقق الله بالضرورة نبوءة تحتوي على الوعيد، أي النبوءة التي تنذر بحلول آفة بشخص أو بقوم. ففي هذه الحالة

يمكن أن يلغي الله تعالى تلك الآفة كما ألغى نبوءة يونس عليه السلام التي حددت مدة أربعين يوماً. أما النبوءة التي تحتوي على الوعد، أي البشارة عن إنعام، فلا تُلغى قط. لقد قال تعالى في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ولم يقل: إن الله لا يخلف الوعيد. والسر في ذلك أن نبوءة الوعيد يمكن أن تُلغى نتيجة الخوف والدعاء والصدقة. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٤)

قال تعالى: ﴿لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، ولم يقل لا يخلف الوعيد. الوعيد الإلهي يكون معلّقاً، ويتبدل بالدعاء والصدقة، والأمثلة على ذلك تفوق العدّ والإحصاء. لو لم يكن ذلك حقاً لما كان في طبع الإنسان حماس للدعاء ودفع الصدقة عند حلول المصيبة والبلايا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٣م، ص ٣)

الآية ٣٣: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أي فأملينا الكفار المستهزين فعندما وصلوا في استهزائهم ذروة فأخذناهم فرأى الناس كيف حل بهم. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٥، الحاشية رقم ١)

الآية ٣٦: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

يعلّمنا القرآن الكريم أنه كما ليس صحيحاً الزعم بأن لذات الجنة روحانية فقط ومختلفة تماماً عن اللذات المادية كذلك لا يصح الاعتقاد بأن تلك اللذات تطابق تماماً اللذات المادية الدنيوية. بل الحق أنها مشابهة لها في الصورة، كما تكون في الرؤيا، ومغايرة في الحقيقة. فالفواكه التي نراها في عالم الرؤيا والنساء الجميلات تهين في الظاهر المتعة نفسها التي لها في العالم المادي، لكن حقيقة عالم

الرؤيا تختلف تمامًا عن حقيقة هذا العالم المادي. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٧٠، الحاشية)

لقد بين الله تعالى مزايا الجنة بما رغبت فيه قلوب العرب لكي تميل إليها قلوبهم. والحق أنها أشياء أخرى ليست موجودة في هذه الدنيا. ولكن كان بيانها على هذا النحو ضروريا لإمالة القلوب. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٢٤)

هذا مثال لا الحقيقة. يتبين من كلمات القرآن الكريم هذه بوضوح أن تلك الجنة شيء آخر تماما، كما ورد في الحديث أيضا بجلاء أنه ينبغي ألا تقاس نعماء الجنة تلك على هذه النعم المادية، لأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. لكن الأمور التي قُدمت مثلا لبيان نعماء الجنة، فإننا نراها ونسمعها أيضًا. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ٥)

الإنسان الذي خُلق للعبادة إذا ما طهر قلبه وصفاه، ولم يترك فيه عوجا أو نتوءا أو حجارة أو حصى وما إلى ذلك، ظهر الله في قلبه. وها إني أقول مرة أخرى ستنبئ في قلبه أشجار حب الله تعالى وستنمو وتحمل ثمارا حلوة وطيبة، وتكون مصداقا لقول الله تعالى ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾. اعلموا أن هذا هو المقام الذي ينتهي إليه سلوك الصوفية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٩)

الآية ٤٠: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

إنه لدليل قوي جدا على معرفة الله وشهادة قاطعة على وجوده ﷻ أن المحو والإثبات في يده. ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ١)

نعتقد أنه قادر على كل شيء، يقدر على أن يقصر العمر ويطيله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾... بل هذا ما يعتقد به النصارى أيضًا، فقد ورد في كتبهم أنه لم

ييق من عمر شخص إلا ١٥ يوما، فتبدلت الأيام نتيجة الدعاء بأعوام، فعاش ١٥ عاما. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣ م، ص ١١)
 إن إلهنا قادر ومقتدر ويملك خيارات كاملة، وإننا نؤمن بـ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، فهو ليس كالمشعوذ. إذا أصدر أمرا صباحا فيملك قدرة كاملة على نسخه مساء.
 (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨ م، ص ٤)

الآية ٤١: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾

لو استنبط المشايخ من هذه الآية أن النبي ﷺ أيضا قد رُفِعَ إلى السماء حيًّا لما تأسفنا. ولكن انظروا إلى تجاسرهم ووقاحتهم في أنه عندما ترد في القرآن الكريم كلمة "التوفي" بحق النبي ﷺ يستتجون منها معنى الوفاة، ولكن عندما تأتي الكلمة نفسها بحق المسيح ﷺ يستنبطون منها معنى الرفع حيًّا، ولا ينتبه أحد منهم إلى أن الكلمة هي نفسها التي استخدمها الله تعالى في القرآن الكريم ٢٥ مرة وبين بوضوح تام أن معناها هو قبض الروح فقط إلا أنهم يقلّدون بعضهم كالعميان. فلا يزالون يستنبطون منها معنى مغايرا تماما في حق المسيح ﷺ، وكأن معنى التوفي لكل شخص في العالم سوى المسيح هو قبض الروح، ولكن معناها لابن مريم ﷺ هو الرفع حيًّا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٣)

الآية ٤٢: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

من سنة الله الجارية نزول أنواع الآفات من السماء كلما أتى أحد من الله وكُذِّبَ، ومعظم الذين يُطِش بهم فيها لا تكون لهم أية علاقة بذلك التكذيب. ثم يُطِش بأئمة الكفر رويدا رويدا، وفي نهاية الأمر يأتي دور كبار الأشرار. وإلى هذا الأمر

يشير الله تعالى في الآية: ﴿أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي نأتي الأرض رويدا رويدا. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ١٦٦)

إن سنة الله هي أن أئمة الكفر يُطش بهم في النهاية. فمثلا إن العذابات التي نزلت بداية في زمن موسى عليه السلام بقي فرعون محفوظا منها جميعا. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أي تكون البداية من العوام ثم يُطش بالخواص فيما بعد. وحكمة الله في إنقاذ البعض هي أنه يكون مقدرا لهم أن يتوبوا في الأخير أو أن يُسلم بعض من أولادهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٧)

يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾. من سنة الله أن العذاب يبدأ من الأبعد والضعفاء. يظن الأغبياء أنه سيصينا فقط ولن يصيبهم، ولكنه يقفز دفعة واحدة ويصيبهم على حين غرة منهم وهم عنه لاهون. إن في ذلك حِكْمًا من الله؛ إذ يتركهم ليرتكبوا جسارة أكثر. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ٢٨/١١-٠٥/١٢/١٩٠٢م، ص ٣٧)

الآية ٤٤: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

الاستشهاد بتلك الكتب (السابقة) ليس حراما. يقول الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. وقال أيضا: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فما دام الله تعالى يقدم هذه الآيات لإثبات نبوة رسول الله ﷺ فكيف صار اجتهادنا منها حراما؟! (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٥)

فاعلم أن النبي ﷺ حين أعلن دعواه بتلقي الوحي فلم يكن ذلك دون أي آية، فعندما سأله الكفار دليلا على أن وحيه من الله رُدَّ عليهم في: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيَّنِّي وَبَيَّنَّكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٣﴾، أي قل لهم: عندي شهادتان. أولاهما: أن آيات الله الجديدة تؤيدني. والثانية: أولئك الناس الذين أوتوا علماً من كتاب الله يستطيعون أن يخبروا أنني صادق. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٢-١٣)

تذكروا أنه لا قيمة ولا أهمية للقول بدون الفعل، وفي آية: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيَّنِّي وَبَيَّنَّكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، تكمن نقطة غريبة هي أنه إذا كان الله يشهد لي فأَمِنُوا وإلا فلا تؤمنوا. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٣)



فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
٢	مواساة القوم وإعانتهم إنما تكون في البر والتقوى
٤	الإشارة لحرمة الخنزير متضمنة في اسمه
٦	مذهبي أن القرآن الكريم ليس ناقصا، بل على رأسه تاج ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾
٦	كمال التعليم ومعناه في ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾
٦	كمال الكلام المقدس محصور في أمور ثلاثة في: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة...﴾
١٤	الرد على وسوسة: ما دام الدين قد اكتمل وتمت النعمة فلا حاجة إلى مجدد أو نبي
١٥	اعتقاد نسخ عيسى بعض أحكام القرآن بعد نزوله يعني فساد القرآن
١٨	اكتمال هدي القرآن على يد النبي ﷺ واكتمال نشر الهداية على يد شخص من الأمة
٢٠	فهم أبي بكر ؓ للقرآن الكريم
٢٦	لاية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ جانبان: إكمال تطهيركم وإكمال الكتاب
٢٧	في ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ مزيان: تكميل الهداية وتكميل نشر الهداية
٢٩	الأصل في الأشياء الحل، ولا تتحقق الحرمة إلا بنص قاطع
٢٩	الفكرة عن طعام الهندوس والنصارى

٢٩	طعام النصارى الذي ليست فيها شبهة هو حلال عندنا إن لم يكن حراما أصلا بحسب القرآن الكريم
٣٠	المراد من أهل الكتاب في ﴿طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ هم اليهود على الأغلب
٣٠	﴿غير مسافحين﴾ فيه تحريم الإسلام تقليد المسافحة السيء
٣٠	في ﴿محصنين﴾ إشارة إلى أن الذي لا يتزوج لا يتعرض للآفات الروحانية فقط بل يصاب بالآفات الجسدية أيضا
٣١	منافع الزواج ثابتة من القرآن، مثل: العفة، حفظ الصحة والأولاد
٣١	فوائد الصلاة والوضوء
٣١	مسائل في التيمم
٣٢	معيار المحبة مذكور في ﴿لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾
٣٣	الاعتدال في الأكل والشرب والمباحات هو التقوى
٣٣	﴿محرفون الكلم عن مواضعه﴾ كانوا يخلطون من عندهم كشرح
٣٤	القول إن علامة نزول المسيح هي أن جميع أهل الكتاب سيؤمنون به، ينافي صريح نص القرآن والحديث
٣٦	لقد سُمِّي النبي ﷺ في القرآن الكريم نورا
٣٧	دحض ادعاء اليهود والنصارى: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾
٤٠	ما احتاج موسى للسعي الكثير إذ كان قومه أسيرا في العبودية وكانوا جاهزين ليأتي أحد ويؤمنوا به
٤٠	مقارنة بين أصحاب موسى وأصحاب النبي ﷺ في الطاعة
٤٢	أمران صعبان في سبيل الدعاء
٤٣	المجاهدات الخارجة عن سنة النبي ﷺ ليست مقبولة عند الله
٤٥	إن لم يواس أحد أخاه فكأنه لم يواس أحدا في العالم

٤٥	حكمة إضافة ﴿أو فساد في الأرض﴾ إلى ﴿من قتل نفسا بغير نفس﴾
٤٥	لو كان التوحيد كافيا لما استحق اليهود العقوبة على إنكار الرسول ومعارضته
٤٦	إن سبل الله دقيقة جدا ولا يمكن الوصول إليها بغير وسيلة نبي
٤٧	﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾، و﴿فيه هدى وتور﴾ ليستا دلالة على أن الإنجيل شريعة دائمة
٥٢	النصارى مخدوعون أن المسلمين مأمورون بعدم حبهم والفرق الملحدة الأخرى
٥٣	لا يتضرر الإسلام بالارتداد، فلينظر المرء بنظرة شاملة هل الإسلام في ارتقاء أو انحطاط
٥٥	سكوت العلماء بعد رؤية السيئات نوع من المشاركة فيها
٥٨	عدم قتل النبي ﷺ معجزة عظيمة ودليل على صدق القرآن
٥٩	القول بعدم الحاجة لاتباع النبي ﷺ ناتج من قلة العلم والتدبر
٦٥	الآية ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ نص صريح على وفاة المسيح ﷺ
٦٦	دليل الاستقراء على إبطال ألوهية المسيح في ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾
٦٩	في ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول...﴾ ثلاثة أدلة على إبطال ألوهية المسيح
٧١	دلالة كلمة "صديقة" الواردة بحق مريم أم المسيح ﷺ
٧٣	الخمر ممنوعة في شريعتنا قطعا لأنها ﴿رجس من عمل الشيطان﴾
٧٣	القمار يتلف الحقوق، ويلازم شرب الخمر مع ذنوب أخرى
٧٣	السؤال عن كل صغيرة وكبيرة ليس مناسبا، ولكن إذا انتاب أحد سؤال مهم فليسأل

٧٥	من يُطلق لسانه فقط ولا يصلح نفسه يتسبب في الفساد
٧٦	وصفة لإحداث التغرير: التدبير مقابل النفس الأمارة، والدعاء، وعدم التهاون والكسل
٧٧	﴿قالوا لا علم لنا﴾ يعني عدم علم الأنبياء عن أمتهم بعد وفاتهم
٧٨	المراد من العصمة
٧٨	المقارنة بين أصحاب النبي ﷺ والحواريين من حيث قوة الإيمان وطمأنينة القلب
٨٠	معنى التوفي في القرآن هو قبض الروح وإهمال الجسد
٨٠	في ٢٣ موضعا في القرآن ورد لفظ التوفي بمعنى الإمامة وقبض الروح
٨١	جواب التوفي المذكور في ﴿فلما توفيتني﴾ سيتضح بعد نزول عيسى
٨٣	معنى التوفي عند البخاري ومسلم هو الإمامة
٨٤	التفسير الصحيح لـ ﴿توفيتني﴾: الإمامة كما أشار إليه النبي ﷺ
٨٦	أثبت الإمام البخاري معنى ﴿فلما توفيتني﴾ بقول النبي ﷺ
٨٧	في ﴿فلما توفيتني﴾ إشارة إلى تحقق وعد: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾
٨٧	لو كان مجيئ المسيح إلى الدنيا ثانية مقدرا لشهد في قوله المذكور شهادتين، ولقال: أكون عليهم شهيدا مرة أخرى
٨٨	الآية ﴿فلما توفيتني﴾ تدل على أن ضلال النصارى وتأليههم إنسانا مشروط بصفات المسيح
٩١	قول ابن عباس في صحيح البخاري: "متوفيك: مميتك"
٩٤	﴿فلما توفيتني﴾ تحققت بحادث وفاة عيسى عليه السلام
٩٤	لا يصح القول إن ﴿توفيتني﴾ الواردة في صيغة الماضي تعطي معنى المضارع
٩٥	شهادة الحكم العدل في قضية وفاة المسيح عليه السلام

٩٦	من الحق أن تُنسب آية ﴿فلما توفيتني﴾ إلى النبي ﷺ ويراد بها وفاته، وتُنسب إلى عيسى عليه السلام ولا يراد بها موته
١٠١	من المسلم به أنه حيثما كان الله فاعلا والإنسان مفعولا به لا يعطي لفظ التوفي أي معنى سوى الإمامة
١١٠	يثبت من ﴿فلما توفيتني﴾ أمران اثنان
١١٢	دلالة قول المسيح بفساد قومه بعد وفاته
١١٥	وردت كلمة "التوفي" بحق سائر الأنبياء ولا تعني سوى الموت
١٢٤	لا يترك الله المفتري بل يعاقبه في هذه الدنيا ويهلكه
١٢٤	المراد من الظالم في ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله...﴾ هو الكافر
١٢٦	افحصوا ادعائي على محك منهاج النبوة
١٢٩	كان النبي ﷺ يريد الحكم بحق الكفار سريعا ولكن الله تعالى يعامل بالحلم والتؤدة بحسب سننه وحكمه
١٣٠	إن ديني هو أن القرآن كامل في تعليمه ولم تبق حقيقة خارجه
١٣٠	ليس كل واحد قادرا على أن يعترف من ينبوع القرآن
١٣١	نصيحة النبي ﷺ في "غدير خم" إني قد تركت فيكم الثقلين
١٣٢	ترك غلام دستغير القصورى حُكم صدقي وكذبي على آية ﴿فَقُطِعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولم يُعط مهلة لكونه ظالما في نظر الله
١٣٥	أعلنتُ مرارا أن قدِّموا حقيقة نعجز عن إخراجها من القرآن
١٣٧	في كل بشر داعي الشر، كذلك داعي الخير لا ينفصل عنه
١٤٠	وجود الملائكة من المسائل التي خصني الله باستنباط حقائقها من القرآن
١٤٠	ذُكرت في القرآن الكريم عدة أنواع من العذاب
١٤١	لا يُسمَّى الإنسان مسلما أو مؤمنا صادقا ما لم يسأل الله بكونه حنيفا كاملا

١٤٤	جاء في إلهامي أنه يسلم من الطاعون من يصدق عليهم ﴿لم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾
١٤٦	﴿اجتنبناهم﴾ أي تفردوا في قواهم الطبيعية لذا استحقوا الرسالة والنبوة
١٤٨	كان النبي ﷺ مجموعة الأنبياء من حيث صفاته وكمالاته
١٥٢	تشير الآية ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ إلى أن العربية أم الألسنة
١٥٤	الرد على سؤال: هل الله موجود في السماء
١٥٤	بواسطة عبارة ﴿خلق كل شيء﴾ التي تفيد الإحاطة التامة، أدخل الله كل شيء سواه في المخلوقات
١٥٥	ليس لنا أن نتدخل في كُنه الله، والطريق الأسلم هو أن يؤمن الإنسان بـ ﴿لا تدركه الأبصار﴾
١٥٨	لن يقول نبي أن اطلبوا مني آية وسأريها بل سيقول ﴿إنما الآيات عند الله﴾
١٥٩	لم يخاطب النبي ﷺ في ﴿فلا تكونن من الممتزين﴾ بل خاطب الذين لهم نصيب أقل من اليقين والإيمان
١٦٠	الرد على سؤال: هل يمكن أداء الزكاة لشخص من عائلة السادات
١٦١	الموهبة والكفاءة شرط لتلقي الإلهام، ولا يمكن لكل من هبّ ودبّ أن يصبح نبي الله
١٦٥	طريق التمييز بين الدين الصادق والكاذب
١٦٦	الرد على قول النصارى: صحيح أنه لم يرد لفظ "الجريمة" بحق الأنبياء، ولم يرد كذلك عن اليهود أيضا
١٩٦	دحض اعتقاد أن أفضلية النبي ﷺ الكاملة لا تثبت على الأنبياء الآخرين من ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾...
١٧١	نذر النبي ﷺ حياته لتحرير البشر جميعا
١٧١	معنى "نُسك"

١٧٢	فليكن الإنسان مصداق ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ عندئذ يُمَسَّى مسلما
١٧٤	المراد من التضحية في "نسك" هو تضحية الروح
١٧٤	في ﴿قل إن صلاتي ونسكي...﴾ دليل عظيم على قرب النبي ﷺ التام
١٧٥	مبدأ المفسرين والمحدثين عند التعارض بين الحديث والقرآن
١٧٥	دحض كفارة يسوع في ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾
١٧٦	ثلاثة أساليب لعلاج الذنب: الحب، والاستغفار والتوبة
١٨١	جعل الحديث قاضيا على القرآن خطأ كبير
١٨٣	﴿اتبعوا ما أنزل إليكم﴾، يجب التركيز أولا على القرآن ثم إذا وجد المرء حديثا أو قولاً يدخل في "من دونه" فليعرض عنه
١٨٤	الكبر يأتي من الشيطان ويجعل صاحبه شيطانا
١٨٥	أجيج هو شعلة النار، وتركيبه الشيطان أيضا من النار لذا ليأجوج ومأجوج مناسبة طبيعية معه
١٨٦	مَنْ سُمِّي في الأحاديث دجالا سماه القرآن شيطانا
١٨٧	فليستمر الإنسان في الاستغفار. في هذه الأيام يجب الإكثار من ترديد دعاء آدم ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا...﴾
١٨٧	في الزمن الأخير أيضا سيرزق الله الغلبة بالدعاء لا بالسيف
١٨٨	الأرض دار القرار لنا، فكيف يمكن وجود عيسى عليه السلام في السماء خارج دار القرار منذ مئات السنين
١٩١	مات المسيح عليه السلام بحسب الآية ﴿فيها تحيون وفيها تموتون﴾ بعد قضاء أيام حياته الجسدية
١٩٢	﴿فيها﴾ سبقت ﴿تحيون﴾، وتجعل حياة الإنسان خاصة بالأرض
١٩٥	للتقوى نوعان: العلم والعمل

١٩٦	الإخلاص شرط للأعمال كما قال ﷺ: ﴿مخلصين له الدين﴾
١٩٧	كيف يجب تصور وجود الله في الصلاة
١٩٨	الحكمة وراء الأمر: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾
١٩٩	إذا عمل المرء بأمر ﴿كلوا﴾ بعد استيعابه سينال ثوابا عليه
٢٠٠	لقد حرم الله الذنب الظاهري والباطني كليهما، وأقول بتحدي إن هذا التعليم الحكيم أيضا لا يوجد في الإنجيل
٢٠٠	إذا وُجد في الأفراد خلق واحد فلا تسموهم أتقياء ما لم توجد فيهم مجموعة الأخلاق الفاضلة
٢٠١	المفترى على الله أكبر الكافرين
٢٠٢	لا يعتقد اليهود قط أن الذي لا يصعد إلى السماء مع الجسد ليس مؤمنا
٢٠٢	كلمة "لهم" الواردة في ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ و﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ تقتضي الأجسام، فهل يصعد الجميع بالجسم
٢٠٤	في ﴿نزعنا ما في صدورهم من غل﴾ دحض مذهب الشيعة بوجود العداوة الشديدة بين الصحابة
٢٠٦	لا أعتقد مثل أتباع مذهب الطبيعة أن يقدم العقل وينقد قول الله وقول الرسول
٢٠٦	القرآن مقدم على الأحاديث من كل الوجوه، ومحك لفحص صحة الأحاديث من عدمها
٢٠٦	المراد من العرش هو عظمة الله وجبروته لذلك لم يصفه الله مخلوقا
٢١٣	الرد على استواء الله على العرش
٢١٤	دحض اعتراض على أن ثمانية ملائكة يحملون العرش يوم القيامة وأن الله أسمى وأرفع من أن يحمل عرشه أحد
٢١٨	العرش ليس شيئا مخلوقا بل هو مقام التنزه والتقديس ووراء الورا
٢١٩	الرد على اعتراض على لفظ "ثم" في ﴿ثم استوى على العرش﴾

٢٢٣	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ خلق شيء بسيط من العدم المحض من عالم الأمر، وتشكيل شيء مركب في هيئة من عالم الخلق
٢٢٤	ضرب القرآن مثل بعثة الأنبياء والرسل بالمطر
٢٢٥	عندما يحل بال صالحين بلاء يتقدمون أكثر نتيجة نزوله
٢٢٧	الحكم يُطلق على الخواتيم، ﴿والعاقبة للمتقين﴾
٢٢٨	مقارنة بين عيسى عليه السلام والنبي ﷺ في المماثلة مع موسى
٢٣١	التشابه بين وقائع ملوك اليهود والمسلمين
٢٣٢	زوال موعد الوعد والوعيد
٢٣٤	نبوءة عن ليكهرام "عجلا جسدا له خوار" وتفسير كلمة "خوار"
٢٣٨	علوم القرآن الكريم لا تتسنى بالتجاسر
٢٤٤	معنيان لـ "جميعا" في ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾
٢٤٨	السبب وراء كون اليهود مغضوبا عليهم ومحكوميتهم الدائمة
٢٥٠	﴿ألست بربكم، قالوا بلى﴾ دليل على وجود الله تعالى
٢٥٣	الرد على سؤال: "إذا قام أحد بتحصيل شيء فما الفائدة من تحصيله ثانية"
٢٥٥	ما هي الجحيم
٢٥٨	النص القطعي واليقيني من الدرجة الأولى هو القرآن الكريم. والأحاديث تفيد الظن وإن صحت في معظمها
٢٦٠	نوعان لعلامات القيامة: الأمارات الصغرى والأمارات الكبرى
٢٦٢	إن الله يتكفل المتقي والمؤمن: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾
٢٦٦	جلال نور نبوة النبي ﷺ وولايته
٢٦٦	أمر المقربون إلى الله ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ مقابل المعارضين
٢٧٠	معجزة النبي ﷺ في بدر ﴿ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾
٢٧١	المراد من ﴿لما يحييكم﴾ هو إحياء الأموات الروحانيين

٢٧٢	﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾. الأموال هنا تشمل النساء أيضا
٢٤٣	المؤمنون الكُمَّل يُعْطَوْنَ روح القدس على الدوام
٢٧٥	فكرة صحيحة عن الحروب الإسلامية
٢٧٦	الإستغفار جُنَّةٌ مقابل عذاب الله والمصائب الشديدة
٢٧٦	أجمع الأنبياء على أن الصدقة والاستغفار يدفعان البلاء
٢٧٧	هل تفيد الآية ﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ الجبر والإكراه؟
٢٧٨	﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي اذكروه عَزَّوَجَلَّ بكثرة حتى تحفظوا اسمه
٢٨٠	التفكير في خطة حسنة لخدمة الإسلام ليس بدعة ولا ضلال
٢٨٢	معنى "رباط" في ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ...﴾ وتفسيره
٢٨٧	على المؤمن أن يراعي المراتب في تبليغ دعوة الدين
٢٨٨	مكانة أصحاب النبي ﷺ
٢٩٢	لو كان القرآن يعلم الإكراه لأمر بجعل الكافر مسلما كلما سيطرتم عليه
٢٩٣	جميع الحروب والمواجهات الإسلامية كانت دفاعية ضد ظلم الكفار وجورهم
٢٩٤	المقارنة بين قانون حروب موسى عليه السلام وجهاد النبي ﷺ
٢٩٦	السبب وراء قتال أهل الكتاب ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾
٢٩٨	الاعتقاد بالثالوث انعكاس لاعتقاد الهندوس بثلاثة آلهة
٣٠١	المراد من نفخات الأفواه في ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾
٣٠٣	أفضلية أبي بكر الفريدة اختياره لرفقة النبي ﷺ في الهجرة
٣٠٤	المقارنة بين ابتلاء أبي بكر ﷺ وتلميذ المسيح عليه السلام
٣٠٤	السري في قول النبي ﷺ: "إن الله معنا" وقول موسى "إن معي ربي"

٣٠٦	دحض اعتراض جريدة مصرية "اللواء" على "سفينة نوح"
٣٠٧	يجب الاهتمام في أموال الصدقات بإعطائها المحتاجين أولا
٣٠٨	الله جَنَّة، لذا عُدَّ ﴿رضوان من الله أكبر﴾ أعظم إنعامات الجنة
٣١٠	دحض اعتراض: متى باهل غلام دستغير القصوري؟
٣١٢	السبب وراء جواز صلاة الجنابة على المنافق
٣١٢	نؤمن بأن الشفاعة حق، و﴿صلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾ دليل صريح عليها
٣١٤	لا يمكن الاطلاع الكامل على الحقائق والمعارف ما لم يختَر المرء صحبة الصالحين بالإخلاص والصدق
٣١٤	سبيل النجاة من التقاليد والعادات والحصول على الإخلاص والإيمان الصادق هو ﴿كونوا مع الصادقين﴾
٣١٦	الرد على اعتراض أن حضور جلسة تاريخية في ٢٧ ديسمبر بدعة
٣٢١	الصادق مَنْ كان كل قوله صدقا وحقا، وكانت كل حركاته وأفعاله أيضا زاخرة بالصدق
٣٢٧	القول بأنه يكفينا القرآن والأحاديث ولا حاجة لنا لصحبة الصالحين يخالف تعليم القرآن نفسه
٣٣١	إحدى قراءات أنفس في: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ جاءت بفتح الفاء
٣٣١	إشارة في عزيز وحريص في آية: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه...﴾
٣٣١	المراد من رب العرش
٣٣٤	الرد على اعتراض الآريين: لماذا خُصِّصت ستة أيام؟
٣٤٤	الفاسق يغير عاداته الفاسقة بمشاهدة هيئة الله ويعود إليها بعد زوال البلاء

٣٤٤	السلسلة المحمدية تشبه السلسلة الموسوية في كل حسنة وسيئة
٣٤٧	أدان الأنبياء معارضيتهم بتقديم حجة قوية لصدقهم الكامل
٣٥١	الميزة التي يُشترط توفرها في الأنبياء هي سيرتهم الطيبة
٣٥٢	مفتاح النظام المادي صدق، والكذب يجعل قلب الإنسان مظلما في الحقيقة
٣٥٥	لا يكون التحديد في نبوءات الوعيد
٣٥٦	من الخطأ تماما القول إن الحلف في الإسلام ممنوع
٣٥٧	المراد من الخير الكثير هو الإسلام
٣٥٩	من صفات الأولياء: لا يعمل شيء من جوارحهم خلافا لمرضاة الله
٣٦٠	من مزايا المسلمين أنهم يتلقون رؤى صادقة بكثرة مقارنة مع منكري الإسلام والكفار
٣٦١	القرآن لا يغلق باب المكاملة والمخاطبة بل يقول ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾
٣٦٤	من يخاف في حالة الأمن يُنقذ في حالة الخوف
٣٦٤	لم يستفد فرعون من ﴿آمنت أنه لا إله إلا...﴾ إلا أن الله قال إنه سينجي بدنه ولكن لن ينجي روحه
٣٦٥	قصة يونس دليل على أن العذاب يؤخر أحيانا بغير دليل أيضا
٣٦٧	الألف في "الر" يعني الله، ولـ يعني جبريل، الراء يعني رسل
٣٦٧	إحكام تعليم القرآن الكريم (أسباب كون آيات القرآن مُحكمة)
٣٧١	العلة الغائية لخلق الإنسان هي العبادة وحدها
٣٧٣	أعطيت الأمة شيئان. الأول للحصول على القوة والثاني للعمل بالقوة الحاصلة
٣٧٤	التوفيق للتوبة يُنال بعد الاستغفار
٣٧٥	الله أعلم بمعنى الماء في ﴿كان عرشه على الماء﴾، ولا يعلم كنهه إلا هو ﷻ

٣٧٧	القرآن كامل ولا نظير له، وعجز الكفار عن مبارزته
٣٧٨	في ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا...﴾ جعل وجود التأثير دليلا على وجود المؤثر من منطلق الدليل "الإثني"
٣٨٠	معنى الجودي في ﴿استوت على الجودي﴾
٣٨٠	الرد على قول السير سيد أحمد أن الله وعد في القرآن بإجابة جميع الأدعية مع أن كلها لا تجاب
٣٨١	الحليم من كان مصداق ﴿يبلغوا الحُلُم﴾ وبلغ زمن الحُلُم
٣٨٢	الحكمة في تقسيم الخلق إلى ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ وعدم تقسيم الحسن والقبح
٣٨٣	هل سينال أهل الجحيم النجاة أم سيتركون في عذاب أبدي؟
٣٨٥	سيبقى أهل الجحيم فيها إلى الأبد والمراد منه مدة طويلة
٣٨٨	قال عن الجنة ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾، أي نعمة لن تنقطع
٣٨٩	شَيَّت النبي ﷺ آية واحدة: ﴿فاستقم كما أمرت﴾
٣٨٩	حياة النبي ﷺ بمنزلة كتاب هو شرح القرآن الكريم وتفسيره
٣٩٢	الرد على قول: يصلي البعض ومع ذلك يرتكبون الذنوب
٣٩٣	الاستدلال من ﴿إليه يرجع الأمر كله﴾ على أن الإنسان مُكره هو خطأ
٣٩٥	لا يعمل الله بحسب مشيئة أحد بل هو إله و﴿غالب على أمره﴾
٣٩٦	ليس المراد من ﴿ولما بلغ أشده﴾ النبوة بل عندما بلغ رُشده
٣٩٦	طبيعة الإنسان تحب الشهوات النفسانية أكثر بكثير من المال
٣٩٨	﴿رب السجن أحب إليه مما يدعونني إليه﴾ توحى بنقاء فطرة يوسف الطيبين وغيرته للنبوة
٣٩٩	لما رأى ملك مصر نقاء باطن يوسف إذ قبل السجن إلى ١٢ عاما ولم يخضع لإغواء الفاحشة، خلع عليه لقب "الصديق"

٤٠٠	أنواع النفس: النفس الأمارة، النفس اللوامة، النفس المطمئنة
٤٠٧	الأمارة صيغة المبالغة ومعناها التي تأمر بالسيئة بكثرة
٤٠٨	إن خاتم الأنبياء حاز فتحا كاملا على أهل مكة وعفا عنهم قائلا: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾
٤١١	بكى يعقوب فراق يوسف عليهما السلام أربعين عاما
٤١٣	لا يوجد حديث كان فاعل التوفي فيه الله وكان المفعول به علما، وكان له معنى آخر سوى الإمامة
٤١٤	القرآن ليس كتابا يمكن للإنسان صنعه، بل آثار صدقه واضحة
٤١٦	إن الله ليس عين المخلوق بل هو منفصل عن كل شيء وفي مقام وراء وراء
٤١٨	من سرّه أن تتغير له السماء يجب أن يغير نفسه أولا
٤١٩	الدليل على كون الله خالقا وواحدا
٤٢٢	وعَدَ الله بطول عمر النافعين لغيرهم
٤٢٣	دحض اعتراض على قصر عمر النبي ﷺ
٤٢٤	السبب وراء طول عمر بعض معارضي الإسلام
٤٢٤	المراد من الأحاديث أن الأعمار تُطال في زمن المسيح الموعود
٤٢٨	معنى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ العام وحقيقته وفلسفته
٤٣٠	حقيقة لذات الجنة
٤٣١	إن وجود الله دليل قوي على أن الحو والإثبات بيده
٤٣٢	من سنة الله ﷻ أن أئمة الكفر يُطش بهم في الأخير
٤٣٣	الاجتهاد من الكتب السابقة ليس حراما



فهرس الآيات المفسرة

رقم الآية	سورة المائدة	الصفحة
٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ...﴾	١
٤	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ...﴾	٤
٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ...﴾	٢٨
٦	﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ...﴾	٢٩
٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى...﴾	٣١
٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ...﴾	٣٢
١٤	﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ...﴾	٣٣
١٥	﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا...﴾	٣٤
١٦	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا...﴾	٣٦
١٩	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ...﴾	٣٧
٢٠	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا...﴾	٣٩
٢٥	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا...﴾	٤٠
٢٨	﴿وَإِنَّا لَعَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾	٤٢
٣٣	﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى...﴾	٤٤
٣٤	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾	٤٥
٣٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا...﴾	٤٦
٤٧	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ...﴾	٤٦

٤٦	﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ...﴾	٤٨
٥١	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾	٤٩
٥٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾	٥٢
٥٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾	٥٥
٥٤	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ...﴾	٦١
٥٥	﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي...﴾	٦٣
٥٥	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ...﴾	٦٥
٥٧	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾	٦٨
٥٨	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾	٦٩
٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا...﴾	٧٠
٦٥	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ...﴾	٧٦
٧٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً...﴾	٨٣
٧٢	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ...﴾	٨٤
٧٢	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي...﴾	٩٠
٧٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ﴾	٩١
٧٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ...﴾	١٠٢
٧٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾	١٠٦
٧٧	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ...﴾	١١٠
٧٧	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾	١١١
٧٨	﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا...﴾	١١٤
٧٩	﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ...﴾	١١٦

١١٧	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾	٨٠
١٢٠	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ...﴾	١١٨
<u>سورة الأنعام</u>		
٦	﴿نَفَذَ كَذِبُوكَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ...﴾	١٢١
١١	﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾	١٢١
١٢	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا...﴾	١٢٢
١٨	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا...﴾	١٢٢
١٩	﴿وَهُوَ الْغَافِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ...﴾	١٢٢
٢٠	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً...﴾	١٢٣
٢١	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ...﴾	١٢٣
٢٢	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ...﴾	١٢٣
٢٨	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ...﴾	١٢٨
٣١	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ...﴾	١٢٨
٣٥	﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ...﴾	١٢٨
٣٦	﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾	١٢٩
٣٨	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ...﴾	١٢٩
٣٩	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ...﴾	١٢٩
٤٢	﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا...﴾	١٣٢
٤٥	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ...﴾	١٣٢
٤٦	﴿فَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾	١٣٢
٥١	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ...﴾	١٣٣

١٣٣	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ...﴾	٥٥
١٣٤	﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ...﴾	٥٦
١٣٤	﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي...﴾	٥٨
١٣٥	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا...﴾	٦٠
١٣٥	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ...﴾	٦١
١٣٦	﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...﴾	٦٢
١٤٠	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ...﴾	٦٤
١٤٠	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ...﴾	٦٦
١٤١	﴿قُلْ أُنَدِّعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا...﴾	٧٢
١٤١	﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ...﴾	٨٠
١٤٣	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ...﴾	٨٣
١٤٦	﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ...﴾	٨٨
١٤٦	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ...﴾	٩١
١٤٨	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ...﴾	٩٢
١٥١	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ...﴾	٩٣
١٥٥	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...﴾	١٠٤
١٥٤	﴿يَدْبِغُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى...﴾	١٠١
١٥٤	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ...﴾	١٠٢
١٥٧	﴿تَدَّ جَاءَتْكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾	١٠٥
١٥٧	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ...﴾	١٠٩
١٥٨	﴿وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾	١١٠
١٥٨	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ...﴾	١١١
١٥٨	﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتَّبَعِي حَكَمًا وَهُوَ...﴾	١١٥

١٦٠	﴿وَإِنْ تَطْغَى أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	١١٧
١٦٠	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ﴾	١٢٠
١٦٠	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ﴾	١٢٣
١٦١	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا﴾	١٢٥
١٦٤	﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾	١٣٥
١٦٥	﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾	١٣٦
١٦٥	﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾	١٤٦
١٦٦	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ﴾	١٤٧
١٦٧	﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾	١٤٨
١٦٧	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾	١٥٢
١٦٨	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾	١٥٤
١٦٨	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾	١٥٩
١٦٨	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ﴾	١٦٣
١٧٥	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾	١٦٤
١٧٥	﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ﴾	١٦٥
سورة الأعراف		
١٨٣	﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	٤
١٨٣	﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ﴾	٩
١٨٤	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ...﴾	١٣
١٨٦	﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾	١٥-١٦
١٨٧	﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾	٢٤
١٨٨	﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾	٢٥

٢٦	﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾	١٨٨
٢٧	﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾	١٩٤
٣٠	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا﴾	١٩٦
٣٢	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	١٩٧
٣٤	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَالْأَسْوَاطِ الْبَهِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ لِلْجِبَالِ﴾	٢٠٠
٣٦	﴿يَا بَنِي آدَمَ إِذَا تَابَ إِلَيْنَا فَابْتِغُوا إِلَيْنَا سُبُلَ الْوَسْطِ﴾	٢٠٠
٣٨	﴿نَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	٢٠١
٤١	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾	٢٠١
٤٤	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾	٢٠٣
٥٣	﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾	٢٠٥
٥٥	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٢٠٦
٥٧	﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْرِهِمْ﴾	٢٢٣
٥٨	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا لِقَوْمٍ﴾	٢٢٣
٥٩	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ﴾	٢٢٣
٨٣	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ يَخْرُجُوا﴾	٢٢٤
٨٦	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٢٢٤
٩٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾	٢٢٥
١٠٢	﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ قَدْ نَبَأْتَ﴾	٢٢٥
١٢٧	﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	٢٢٥
١٢٩	﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا﴾	٢٢٦
١٣٠	﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾	٢٢٧
١٣٢	﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا﴾	٢٣٢
١٤٣	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾	٢٣٢

٢٣٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾	١٤٤
٢٣٤	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ﴾	١٤٩
٢٣٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ﴾	١٥٣
٢٣٧	﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	١٥٧
٢٣٨	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾	١٥٨
٢٣٩	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾	١٥٩
٢٤٨	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾	١٦٨
٢٤٩	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾	١٧٣
٢٥٤	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ﴾	١٧٧
٢٥٥	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾	١٨٠
٢٥٧	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ﴾	١٨١
٢٥٨	﴿أَوْمَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾	١٨٦
٢٦٠	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾	١٨٨
٢٦٠	﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾	١٩٦
٢٦١	﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ﴾	١٩٧
٢٦٥	﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ﴾	١٩٩
٢٦٦	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾	٢٠٠
٢٦٧	﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا﴾	٢٠٤

سورة الأنفال

٢٦٩	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى﴾	٨
٢٦٩	﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾	٩
٢٧٠	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾	١٣

٢٧٠	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾	١٨
٢٧١	﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيدٌ﴾	١٩
٢٧١	﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾	٢٤
٢٧١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾	٢٥
٢٧٢	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ﴾	٢٩
٢٧٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَفَقَّأ﴾	٣٠
٢٧٥	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٣١
٢٧٦	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ﴾	٣٤
٢٧٦	﴿وَمَا هُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾	٣٥
٢٧٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ﴾	٣٧
٢٧٧	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾	٤٠
٢٧٨	﴿وَإِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا﴾	٤٣
٢٧٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾	٤٦
٢٧٩	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾	٤٧
٢٧٩	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ﴾	٤٨
٢٧٩	﴿كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ﴾	٥٣
٢٨٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	٦١
٢٨٧	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ﴾	٦٢
٢٨٨	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾	٦٣
٢٨٨	﴿وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوهُمْ لَوْ أَنْفَقْتَ﴾	٦٤

سورة التوبة

٢٩١	﴿فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ﴾	٢

٢٩١	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٦
٢٩٢	﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾	٧
٢٩٢	﴿لَا يَرْفُئُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا﴾	١٠
٢٩٢	﴿وَإِنْ نَكْتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ﴾	١٢-١٣
٢٩٥	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ...﴾	٢٤
٢٩٦	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾	٢٩
٢٩٨	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ...﴾	٣٠
٣٠٠	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ...﴾	٣١
٣٠١	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ...﴾	٣٢
٣٠١	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى...﴾	٣٣
٣٠٣	﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ...﴾	٤٠
٣٠٦	﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا...﴾	٤١
٣٠٦	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ...﴾	٥١
٣٠٧	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ...﴾	٥٤
٣٠٧	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...﴾	٦٠
٣٠٨	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾	٧٢
٣٠٨	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ...﴾	٧٣
٣٠٩	﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ...﴾	٨١
٣٠٩	﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا...﴾	٨٢
٣١٠	﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا...﴾	٩٨
٣١١	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ...﴾	١٠٠
٣١٢	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ...﴾	١٠٣
٣١٣	﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ...﴾	١١٢

١١٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٣١٣
١١٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾	٣١٤
١٢٠	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ...﴾	٣٢٩
١٢٢	﴿فَسِخِطُوا فِي الْأَرْضِ﴾	٣٢٩
١٢٨	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٣٣٠
١٢٩	﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾	٣٣١
<u>سورة يونس</u>		
٢	﴿الرَّ* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ...﴾	٣٣٣
٣	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا...﴾	٣٣٣
٤	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾	٣٣٤
١٣	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا...﴾	٣٤٣
١٥	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...﴾	٣٤٤
١٦	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ...﴾	٣٤٦
١٧	﴿ثُلَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ...﴾	٣٤٧
١٨	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ...﴾	٣٥٢
٢١	﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾	٣٥٣
٢٣	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ...﴾	٣٥٣
٢٤	﴿فَلَمَّا أَتَجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ...﴾	٣٥٤
٢٥	﴿وَمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا...﴾	٣٥٤
٢٨	﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ...﴾	٣٥٤
٣٧	﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا...﴾	٣٥٤
٥٠-٤٩	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ...﴾	٣٥٥

٣٥٦	﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلٌ إِي...﴾	٥٤
٣٥٧	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ...﴾	٥٨
٣٥٧	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...﴾	٥٩
٣٥٨	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾	٦٣
٣٦٠	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	٦٥-٦٤
٣٦٣	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ...﴾	٦٩
٣٦٤	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ...﴾	٩١
٣٦٥	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا...﴾	٩٩
٣٦٥	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي...﴾	١٠٠

سورة هود

٣٦٧	﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ...﴾	٢
٣٧١	﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ...﴾	٣
٣٧٣	﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا...﴾	٤
٣٧٥	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى...﴾	٧
٣٧٥	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾	٨
٣٧٦	﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا...﴾	١٥
٣٧٩	﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...﴾	٣٨
٣٧٩	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ...﴾	٤٥
٣٨٠	﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...﴾	٤٧
٣٨١	﴿مَنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ...﴾	٥٦
٣٨١	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ...﴾	٨٨

٣٨٢	﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ...﴾	٩٤
٣٨٢	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا...﴾	١٠٦
٣٨٣	﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ...﴾	١٠٨
٣٨٨	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ...﴾	١٠٩
٣٨٩	﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ...﴾	١١٣
٣٩٠	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ...﴾	١١٥
٣٩٣	﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ...﴾	١١٦
٣٩٣	﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ...﴾	١٢٠
٣٩٣	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	١٢٤

سورة يوسف

٣٩٥	﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ...﴾	٢٢
٣٩٦	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا...﴾	٢٣
٣٩٦	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا...﴾	٢٥
٣٩٦	﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي...﴾	٢٧
٣٩٧	﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ...﴾	٣٢
٣٩٨	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾	٣٤
٣٩٩	﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي...﴾	٤٧
٣٩٩	﴿وَمَا أَتَّبِعُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ...﴾	٥٤
٤٠٧	﴿يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ...﴾	٨٨
٤٠٧	﴿قَالُوا أَأَنْتَ يَا يُوسُفُ...﴾	٩١
٤٠٧	﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ...﴾	٩٣

٩٥	﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ...﴾	٤١٠
٩٦	﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾	٤١٢
١٠٢	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ...﴾	٤١٣
١١١	﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا...﴾	٤١٣
١١٢	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ...﴾	٤١٤

سورة الرعد

٣	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ...﴾	٤١٥
١٢	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ...﴾	٤١٦
١٥	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾	٤١٩
١٧	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٤١٩
١٨	﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ...﴾	٤٢١
٢٣	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ...﴾	٤٢٧
٢٩	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ...﴾	٤٢٧
٣٢	﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ...﴾	٤٢٨
٣٣	﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾	٤٣٠
٣٦	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ...﴾	٤٣٠
٤٠	﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ...﴾	٤٣١
٤١	﴿وَإِنْ مَا نُزِّلَتْكَ بَعْضَ الَّذِي...﴾	٤٣٢
٤٢	﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ...﴾	٤٣٢
٤٤	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ...﴾	٤٣٣



